# الإعجاز القرآني

في ضوء الإكتشاف العلمي الحديث

# الإعجاز القرآني

## في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث

دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة

الداعية الإسلامي
مروان وحيد شعبان

قدّم له

الشيخ محمد علي الصابوني  الدكتور إبراهيم محمد حسن  الشيخ محمد حكمت معلم

دار المعرفة
بيروت - لبنان

**الإهداء**

إلى الروح الغالية التي سهرت الليالي والسنوات وهي تكافح وتكابد الحياة لإنشاء أسرة تكتب في سجل الخادمين لشرع الله ودينه ... أمي.

إلى الذي أحاطني بعطفه الحارّ وحنانه الفوّار ، صاحب الفضل الكبير ، والقلب الرحيم .. أبي.

إلى إخوتي وأخواتي ، الذين عشت معهم مرحلة التأسيس في درب الهدى والوفاء والإيمان ...

إلى كل من يطوف حول كعبة الحقيقة المقدسة من بني البشر أهدي هذا العمل المتواضع ...

**بسم الله الرّحمن الرّحيم**

## مقدمة

**بقلم : الشيخ محمد علي الصابوني**

نحمده تعالى ونصلي ونسلم على رسوله الكريم محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين ، وبعد ...

فعصرنا الذي نعيش فيه ، عصر العجائب والغرائب ، عصر الخوارق والمدهشات! لا تكاد العين ترى فيه إلا كلّ طريف وجديد!

ما كان مستحيلا وغير معقول منذ قرون ... أصبح واقعا في هذه الأيام!!

ولا عجب في ذلك ، فهو عصر الازدهار العلمي ، والتقدم الحضاري ، عصر المكتشفات والمخترعات ، عصر الذرة ، وعصر الأقمار الصناعية والمراكب الفضائية ، عصر غزو الفضاء ، ويمكننا أن نقول جازمين :

إنه عصر (ظهور معجزة القرآن) تحقيقا لقول الله العلي الكبير : ﴿**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ (١).

الله أكـــــبر إن ديـــــن محمـــــد وكتابـــــه أهـــــدى وأقـــــوم قـــــيلا

لا تـــذكر الكتـــب الســـوالف عنـــده طلـــع الصـــباح فـــأطفئ القنـــديلا

لقد أيّد الله خاتم الأنبياء محمدا ﷺ بالمعجزة القرآنية الخالدة ، وجعل هذا القرآن أجلّ وأعظم برهان على صدق رسالته .. فهو نبي أميّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولا يعرف أن يفكّ حرفا عن حرف حتى آخر حياته صلوات الله عليه ، وهذا ما أكده القرآن الكريم في صفة هذا النبي العظيم حين قال سبحانه : ﴿**وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾ (٤٩) (٢).

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

(٢) سورة العنكبوت ، الآيتان : ٤٨ ، ٤٩.

وكأني بالقرآن يهتف وينادي أصحاب النهى والعقول فيقول لهم : فكّروا في شأن هذا النبي الأمي الذي جاءكم بهذا الكتاب المعجز ، أيعقل أن يكون هذا الكتاب من صنعه وتأليفه؟ وهو لم يتتلمذ على يد أحد ، ولم يقرأ كتابا ، ولا خطّ بيده حرفا ، ثم جاءكم بكتاب حوى العجائب من علوم ، وفنون ، وقصص ، وأخبار ، وأمور غيبيّة ، وأخبركم عن مكتشفات لم تعرفوا عنها شيئا إلّا في عصركم هذا ، أفلا يكون ذلك أعظم برهان على عظمته وصدقه!؟

تصوروا أن عشرة أطباء اجتمعوا على تشخيص داء مريض ، وكلّ منهم نابغة في تخصصه ، وعجزوا جميعا عن معرفة المرض ، ووصف العلاج والدواء له! وجاءهم رجل من البادية ، لا يعرف شيئا عن الطب ، ولم يمارس هذه الصنعة مطلقا ، وبمجرد إلقاء نظرة على المريض ، ووضع يده على جسده ، عرف المرض ووصف له الدواء ، وشفي المريض بتناول العلاج الذي عجز عن معرفته كبار الأطباء ، أليس هذا الأمر يدعو إلى الدهشة؟ والإجلال والإكبار لهذا الذي وصل إليه نبوغ هذا الرجل ، والإقرار له بالحذاقة وقوة المعرفة!؟

هذا هو مثل خاتم الأنبياء مع كبار الأطباء!! أتاهم بعلوم ومعارف قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، لم يصلوا إلى معرفة بعضها إلا في هذا العصر ، عصر ظهور (المخترعات والمكتشفات).

وحين طلب المشركون من سيد الخلق معجزة تدلّ على صدقه ، جاء القرآن يقرّعهم ويوبّخهم على تركهم التدبر لآيات هذا الكتاب الحكيم الذي جاءهم به نبي أمّي من عند الرحمن ، بأفصح حجة وأوضح بيان ، فقال جلّ ثناؤه : ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (١).

نبي أمّي جاءكم بكتاب جمع شتات العلوم ، وكشف لهم عن حقائق علمية ما عرفها البشر إلّا منذ زمن قريب ، وقال لهم : إن معجزتي إليكم هذا الكتاب المبين ، فاتوا بمثل سورة واحدة منه إن كنتم صادقين.

ألا يكفي هذا أن يكون برهانا قاطعا ساطعا على صدق دعواه؟

لقد بهر القرآن العرب برونقه وجماله وعذوبته وحلاوته وبذلك الأسلوب الرائع الخلاب!

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٥١.

واسمعوا هذه القصة :

روي عن جبير بن مطعم أنه قال : قدمت المدينة المنورة لأسأل رسول الله ﷺ في أسارى بدر ، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ (٣) [١]. يقول فلما قرأ : ﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ (٧) ما لَهُ مِنْ دافِعٍ﴾ (٨) [٢] شعرت كأنما صدع قلبي .. فأسلمت خوفا من نزول العذاب ، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى هذه الآية : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦) [٣] أحسست أن قلبي كاد يطير)!!

وبهر القرآن «علماء الكون» حين رأوا فيه بعض ما توصلوا إليه بعد جهد جهيد ، من مكتشفات رائعة سبقهم إليها القرآن الكريم ، سواء أكان ذلك في علوم الطبيعة ، أو الطب ، أو الفلك ، أو الأجنة ، أو في علوم (جيولوجيا الأرض)!!

وقد اطلعت على بعض فصول ، مما كتبه أخونا الفاضل الشيخ «مروان شعبان» حفظه الله حول : «الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث» فألفيته بحثا قيما ، فيه جهد مشكور ينبغي أن يطبع ، وأن يستفيد منه من يريد أن يعرف عظمة هذا الدين ، وروعة هذا القرآن ، الذي جاء معجزة خالدة ، تنطق بصدق رسالة النبي الأمي (محمد بن عبد الله) صلوات الله وسلامه عليه ، سواء أكان المطّلع عليه مسلما أو رجلا لا يدين بالإسلام ، فإن ما حواه الكتاب المنير من علوم ومعارف ، وبدائع وروائع ، حريّ بكل إنسان منصف أن يعرفه وأن يدرسه ليتبيّن له صدق معجزة خاتم النبيين ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦) [٤].

**خادم الكتاب والسنة**

**الشيخ محمد علي الصابوني**

**١٤ صفر الخير سنة ١٤٢١ هـ**

**الموافق ١٦ / ٥ / سنة ٢٠٠٠ م**

---

(١) سورة الطور ، الآيات : ١ ـ ٣.

(٢) سورة الطور ، الآيتان : ٧ ، ٨.

(٣) سورة الطور ، الآيتان : ٣٥ ، ٣٦.

(٤) سورة المائدة ، الآيتان : ١٥ ، ١٦.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

**بقلم : د. إبراهيم الشيخ محمد حسن**

بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فقد طلب مني الأخ في الله حقا والمحبّ صدقا الشيخ مروان شعبان إلقاء نظرة سريعة في كتابه القيم «الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث» وبعد تجوال النظر في صفاته وجدت فيه الترتيب والتنسيق مع التعزيز بأسرار الإعجاز بثوب جديد في أسلوبه أنيقا في مظهره نادرا في مخبره ، ليستفيد الناظر فيه بمطالعته لأنه من أمثل ما جمع في هذا الباب ، وأن هذا الأسلوب الجديد يلائم حقا مستوى العصر ويراعي ما اتصف به الجيل الجديد من تطلع إلى فهم أسرار الكون ومعرفة موقف الإسلام من المكتشفات ـ التي هي سرّ إبداع الله تبارك وتعالى الخالق العظيم من خلقه على أيدي المسلمين وغيرهم ، ولا يخفى أن علماء الإسلام كانوا سباقين إلى مثل هذه العلوم والمعارف. وما جهود الرازي والحسن بن الهيثم وابن سينا والقاسم واليعقوبي والإدريسي ـ صاحب الكشف الجغرافي واقتحام المحيطات ـ ليس ببعيد ، وهذا مما يدل على أن الإسلام هو مصدر الحضارة الحقيقة ، وأن علماء الإسلام ساهموا بأروع ما في هذه الحضارة للبشرية سائلين الله تعالى المزيد من التوفيق للباحث لما يحبه ويرضاه ، وأن ينفع بجهوده العلميّة طلاب العلم الشريف ، ورواد الحق والحقيقة في عصر الشتات والتمزق ، إنه سميع مجيب.

**د. إبراهيم الشيخ محمد حسن**
**مفتي محافظة الحسكة**
**عضو مجلس الإفتاء الأعلى في دمشق**

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

**بقلم : الشيخ محمد حكمت المعلم**

الحمد لله الذي علم بالقلم ، وأوحى بالملك ، وهدى بالفطرة. الحمد لله مستوجب الحمد والثناء بإنزاله الكتاب على عبده ، الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجا قيما والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي بلغ هذا الكتاب على أكمل وجه وأدى الرسالة ونصح الأمة فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وبعد ... فقد اطلعت على كتاب : «الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث» لمؤلفه مروان وحيد شعبان التفتنازي فوجدته كتابا جامعا لمظاهر الإعجاز في كتاب الله ، جيد في أسلوبه ، جميل في تبويبه قيّم في حسن العرض والأداء والتشويق. وإذا كان العلماء قد وضعوا لتفسير كتاب الله قواعد ومناهج وضوابط فقالوا : تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسيره بالسنة القولية والفعلية المأثورة عن رسول الله ﷺ ، ثم بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم فهذا لا يمنع من التدبير في كتاب الله والتفكير بآياته ورسول الله ﷺ القائل حين نزلت خواتيم آل عمران : «ويل لمن يقرأها ولا يتدبرها ويتفكر في معانيها» والقرآن هو المعجزة الأبدية المتجددة في كل آن إلى قيام الساعة لأنه دستور البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ووجوه الإعجاز في كتاب الله متعددة في التنظيم والأسلوب والتركيب وفي إخباره عن المغيبات وفي تشريعاته.

نزل القرآن على قوم برعوا بالفصاحة والبلاغة وقرض الشعر فارتجزوه وعلّقوه على أستار الكعبة وسجدوا له ، فلما سمعوا القرآن ذهلوا وأسقط في أيديهم وقال كبيرهم : إن لهذا القرآن لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسلفه لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه. وقد ألّف الكثير من العلماء في وجوه إعجاز القرآن المؤلفات الكثيرة وجاء في هذا العصر الفتنة بالعلم فألهوا المادة وأعمتهم الحضارة الحديثة فوضعوها في المقام الأول ، وربما قدموا النظريات العلمية على الحقائق الدينية ، فإذا عرضت لمسألة دينية أو حكم شرعي قالوا لك : ولكن هذا لا يقره العلم ولا يوافق عليه وما دروا أن

الحقائق الدينية يقينيّة وأن النظريات العلمية مبنية على الظن والحدس ﴿وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (١) ، فلا يمكن للنظرة العلمية أن تتصادم مع الحقائق الدينيّة ، لأن مصدر الدين والعلم واحد قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ﴾ (٢) وقال : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾ (٣) في هذا الجو المحموم من الفتنة بالعلم كان لا بد من التصدى لوثنية العلم وعولمة الإلحاد فجاء هذا الكتاب لعرض الحقائق العلمية المبثوثة في كتاب الله ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٤) كل آية من كتاب الله لها منطوق ومفهوم والمستفاد بالعبارة والإشارة والقرآن حمّال معاني إلى قيام الساعة له دلالة بالنص والعبارة وله دلالة بالإشارة بالمنطوق والمفهوم قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٥) نص بالنفقة على الوالد وقوله : المولود له مع مولود لهما إشارة إلى أن النسب للأب ، وفي قوله تعالى : ﴿بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ (٦) في معرض التحدي والرد على منكري البعث ، العين أعقد تركيبا من البنان ولكن المراد إن لكل إنسان بنانه الخاص وبصمته التي تميزه عن سواه ، ومن آياته أيضا اختلاف ألسنتكم وألوانكم ، وإعجاز القرآن يتجلى بأنه كتاب هداية وعلم أدنى العامة فهما يقرأه فيهتدي بمواعظه وأعلى الخاصة فهما يقرأه فيجد فيه الفلسفة العميقة والعلم الدقيق.

وختاما جزى الله المؤلف خير الجزاء ، ونفع به وبمؤلفه المؤمنين والمسلمين ، وجعل هذا الكتاب دستور هداية لكل طالب للحقيقة وبداية لمزيد من الكشف والبحث ، فهو الكتاب الذي لا تفنى عجائبه ، ولا تنفد غرائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الحكماء ، ولا يبلى على كثير والرد ... والسلام.

**الشيخ محمد حكمت المعلم**

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٢.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣١.

(٣) سورة الشورى ، الآية : ١٣.

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣.

(٦) سورة القيامة ، الآية : ٤.

## بسم الله الرّحمن الرّحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واتبع هداهم إلى يوم الدين

وبعد :

لقد تبوّأ القرآن الكريم سدّة الصدارة في حياة المسلمين ، فتحلّق حوله المسلمون ينهلون من ينابيعه الصافية ويتزوّدون من معينه الذي لا ينضب ، فكان نورا لعقولهم ، ومرشدا في حياتهم ، وقبسا وضّاء لأرواحهم ونفوسهم ... والقرآن الكريم منذ نزل من السماء رسم معالم الطريق للبشرية ، وضبط سلوكهم بتشريعه وإرشاداته ، فكان المحور الذي تدور حوله أهداف المفكرين والعباقرة ، والدافع الحيّ لأساطين العلم والتأليف على الاستمرار والتواصل في مسيرة الاستنباط والكتابة والتعليم ...

وهو صمام الأمان من كل زلل ، والعصمة الواقية ، والحجة البالغة ، والنور الساطع ؛ ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [١].

ولقد قام جهابذة العلم قديما وحديثا بدراسة القرآن الكريم ، وتشرفوا بخدمته ، فبرع المفسرون لآيات الذكر الحكيم ، يعرضون أسباب النزول ويبينون الناسخ والمنسوخ ، ويوضحون المحكم منه والمتشابه ، فأثرت دراساتهم هذه المكتبة العربية ، بل وفاضت الكتب ، تأليفا وتصنيفا وتبويبا وتحقيقا ، حول القرآن وعلومه ...

ولقد فكرت مليا ، وأنا الضعيف القاصر في آيات كتاب الله ، فرأيت أن تكون خدمتي لكتاب الله في الوقوف عند الآيات الكونية فيه [٢] ، فهي جديرة بالبحث والتحليل والكشف عن بعض أسرارها ، فأسرار القرآن الكريم ذاخرة في كل آية من آياته ، وعطاء هذا الكتاب متجدّد على ممر الأحقاب وترادف الدهور ...

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٤.

(٢) تعني الآيات القرآنية التي تتحدّث عن المظاهر الكونية ، كالسماء والنجوم والأفلاك والأرض وغيرها.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع وللكتابة فيه ، أننا نعيش في عصر الثورة العلمية ، وينبغي أن نسخّر طاقاتنا وكل ما نملك في عصر السرعة هذا في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى ، والدعوة إلى الله تعالى تتعدّد سبلها وتختلف وسائلها تبعا لاختلاف الزمان والمكان والحال ، وهذا هو السر في تباين وسائل الدعوة وأدواتها لدى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فكانت بيناتهم تنسجم وتتناسب مع المستوى العلمي والعقلي لأقوامهم ، لكن تلك البينات كانت حياتها مرهونة بحياة أصحابها من الأنبياء ، فبرحيلهم عن هذا العالم ، رحلت معهم بيناتهم ، إلا ما خلدته الكتب السماوية والتاريخ.

ولئن كان علماؤنا اشترطوا مطابقة الدعوة للحال ، فإن أبرز ظاهرة تميّز بها عصرنا أنه عصر الاكتشافات العلمية ، والثورة التقنية التكنولوجية ، فالإعجاز العلمي بناء على ذلك هو أهم وسيلة دعوية تتلاءم مع معطيات زماننا ، ذلك لأن الإيمان بالله تعالى ما هو إلا ثمرة تحريك العقل وإعمال الفكر قبل أن يكون مسألة عاطفية شعورية.

ومما لا يخفى على أحد ، أن الداعية ينبغي أن يتسلّح بسلاح المنطق السليم والبرهان القويم ، ليقيم الحجة ويثبت صدق دعوته ، وإن السلاح العلمي المادي يعتبر من أقوى الأدلة المقنّعة للمكلفين ، ذلك لأنه مشاهد ومرئي ولا يستطيع أحد أن ينكره ... وإبراز مظاهر الإعجاز العلمي في هذا الصدد ، والتي تتمثل في عرض الآيات الكونية العلمية مقارنة مع المكتشفات العصرية ، لهو أعظم أسلوب يتفق مع ما توصل إليه الإنسان في هذا العصر ، والذي يمعن النظر في آي القرآن الكريم ، وما ورد مما صح عن النبي الكريم ﷺ يلاحظ أن عددا ليس بالقليل من الآيات والأحاديث توجه عقولنا لدراسة الآيات الكونية مع معطيات العلوم الإنسانية ، ليقف الإنسان بعد ذلك على مشاهد الجلال في كتاب الله تعالى حيث يتضح له السبق القرآني في ميدان إثبات الحقائق العلمية ، وهذه الحقائق تتضح وتنجلي كلما تقدم العلم ، وانكشفت أستار الكون واتضحت غوامضه وبانت خفاياه ، قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُ﴾ (١).

ويشار إلى أن هناك عددا ليس بالقليل من الكتب التي استفدت منها ، سواء في الدراسة التاريخية أم في التطبيقات المعاصرة ، ومن هذه الكتب : «مباحث في إعجاز

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

القرآن» [١] للدكتور «مصطفى مسلم» ، و «الإعجاز في دراسات السابقين» [٢] «لعبد الكريم الخطيب» ، و «فكرة إعجاز القرآن» [٣] «لنعيم الحمصي» ، و «المعجزة الكبرى» [٤] «لمحمد أبو زهرة» ، و «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» [٥] «للقاضي عياض» ، و «إعجاز القرآن» [٦] «للباقلاني» ، وفي التطبيقات المعاصرة كتاب «الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية» [٧] «لتاربوك لوتجنز» ، و «الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون» [٨] «لستيفن ونبرغ» ، و «علم المحيطات» [٩] «لريتشارد فيتر» ، و «علم الفلك» [١٠] «لبيرسي سيمور» ، و «الكون» [١١] «لسان ساغان» ، وغيرها كثير.

إلا أن ما يلاحظ على ما كتبه وتوصل إليه السابقون ما يلي :

. معظم الذين كتبوا في هذا المجال ، كانوا لا يرجعون إلى المصادر العلمية

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، جدة ، دار المنارة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨.

(٢) الإعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥.

(٣) فكرة إعجاز القرآن ، للشيخ نعيم الحمصي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠.

(٤) المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، د. ت.

(٦) إعجاز القرآن ، محمد بن الطيب الباقلاني ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، تعليق : محمد سكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤.

(٧) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، تاربوك ولوتجنز ، ترجمة : عمر سليمان حمودة وآخرون ، طبع في مالطا ، ١٩٨٤.

(٨) الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون ، ستيفن وينبرغ ، ترجمة : محمد وائل الأتاسي ، دمشق ، الدار المتحدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦.

(٩) علم المحيطات ، ريتشارد فيتر ، ترجمة : ميشيل تكلا ، القاهرة ، مطبوعات كتابي ، د. ت.

(١٠) علم الفلك ، بيرسي سيمور ، ترجمة : أحمد حمادة ومحمد حسّان ، بيروت ، نشر دلمون ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩.

(١١) عالم المعرفة ، الكون ، كارل ساغان ، ترجمة : نافع أيوب لبس ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣.

الأصلية أعني العلوم التطبيقية ، فكانوا يتناقلون المعلومات فيما بينهم ، وهنا آثرت أن أرجع إلى الكتب العلمية التي كتبها الغربيون أنفسهم وغيرهم من أهل الاختصاص وأتناول المادة من مصادرها الأصلية.

. كثير من الكتب تخصّصت في الحديث عن العلوم والاكتشافات العصرية دون الإشارة إلى الناحية التاريخية ، وقليل منها تحدث عن الناحية التاريخية دون الإشارة إلى القضايا التطبيقية ، لكني حاولت أن أجمع بينهما.

. معظم الذين كتبوا في هذا المجال لم يلتزموا بالضوابط والموازين التي وضعها العلماء للتفسير العلمي ، بل اعتمدوا في بحوثهم على النظريات والفرضيات ، وأقحموا المعارف الكونية إقحاما ، أو أثنوا أعناق الآيات لتفسيراتهم ، وكما هو معلوم أن النظريات تتغير وتتبدل ، ولكنني اعتمدت في بحثي على القضايا اليقينية التي ارتقت إلى مستوى القطعية وما أكثرها .. وهذا هو السبب في أنني لم أخصص الرسالة في جانب معين ، والذين خصصوا أبحاثهم في جانب معين تجاوزوا الحدود والضوابط ، فالذي كتب في الطب القرآني مثلا ، أكثر من ذكر القضايا الطبية ، وكأن الكتاب كتاب طب ، وهكذا في سائر العلوم ، فمن أجل المحافظة على مقاصد الآيات ، اكتفيت هنا بالحديث عن الإشارات القرآنية ، ولم أجعل من القرآن الكريم كتاب علم فقط.

والمنهج المعتمد في هذه الدراسة ، هو منهج الاستنباط والمقابلة ، فإننا نستنبط من الآيات القرآنية ما نقف عليه من القضايا الكونية الثابتة عند المقابلة الدقيقة ، ولسوف يكون مجال الدراسة هو رياض القرآن الكريم ومعطيات العلوم الكونية.

ولا يخفى أن أي طالب أو باحث تعتريه خلال خطوات بحثه صعوبات وإشكالات تعرقل له مسيرة بحثه ، لكن بفضل الله تعالى ، ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف وغيره من أهل العلم والاختصاص ، تذلل هذه الصعوبات ويتسنّى للطالب القدرة على تركيب مفردات القضية المدروسة ثم بناؤها بالشكل الدقيق.

ومن أبرز ما استوقفني من المصاعب خلال مراحل البحث ، محاولة هضم القضايا العلمية والإحاطة بمصطلحاتها المتنوعة ، فكنت أطيل القراءة في الكتب العلمية لفهم مصطلح معين أو قضية ما ، ولا شك أن توفر كل وسائل البحث والكتب المطلوبة أمر صعب للغاية ، مما حتّم عليّ السفر والتنقل المستمر للحصول على المراجع المطلوبة ، فضلا عمّا هو متوفر في المكتبات العامة ، وقد سافرت إلى العديد من البلدان ، واستفدت بفضل الله تعالى من هذه التنقلات.

وفي المقابل فإن المستجدات العصرية التقنية المتطورة سهلت عليّ كثيرا من المشاكل ، ومن أهمها شبكة (الإنترنت) التي استفدت من مواقعها بشكل كبير ، وخاصة في الجوانب العلمية البحتة ، كذلك في الدخول على مواقع العلماء في التخصّصات المختلفة والاستفادة منهم ، أضف إلى ذلك القضايا العلمية المدونة باللغة الإنكليزية والتي قمت بترجمتها والاستفادة منها ، متوخيا في كل ذلك الدقة في المعلومة والتوثيق لما أسجله من بيانات واقتباسات من الكتب المعتمدة ، ويذكر أن الاستبيانات الشخصية من العلماء والالتقاء بهم ، كان دافعا للبحث إلى الأمام.

**خطّة البحث :**

الخطة التي وفّقني المولى عَزَّوَجَلَّ لأسير عليها ، تتضمن مقدمة ، وعشرة فصول ، وخاتمة ، وكانت الفصول الثلاثة الأولى عبارة عن دراسة تاريخية لقضية إعجاز القرآن الكريم عبر التاريخ ، وسبعة فصول عن التطبيقات المعاصرة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المقدمة : وتحدثت فيها عن أهمية البحث وسبب اختياري للموضوع ، وأشرت إلى من سبق وأن كتب في هذا الموضوع ، والجهد الذي توصلوا إليه مبينا نتائج عملهم من مزايا ومآخذ ، وذكرت عددا من أبرز المراجع التي ارتكز البحث عليها ، كما أنني أوضحت المنهج المتبع في هذه الرسالة ، وأشرت إلى بعض الصعوبات التي اكتنفت البحث خلال مراحله ، وفي المقابل بيّنت ما قدم للبحث من تسهيلات.

الفصل الأول : وتضمن الحديث عن مفهوم المعجزة ، والفرق بين معجزة رسولنا محمد ﷺ ومعجزات الأنبياء من قبله عليهم السلام ، وعن التسلسل التي مرت به مراحل التحدي بالقرآن الكريم وكيف أن المشركين أعلنوا عجزهم واعترافهم بعظمة كتاب الله تعالى.

الفصل الثاني : وجاء فيه الحديث عن نشأة الإعجاز في القرآن الكريم ، وما هي العوامل التي أدّت لظهور مصطلح الإعجاز ، وأشرت إلى قضية «الصرفة» وأبرز القائلين بها ، ثم نقد مذهب الصرفة من الناحية النقلية والعقلية ، وبيّنت أوجه إعجاز القرآن وآراء العلماء في ذلك.

الفصل الثالث : تعرض للحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن بين المؤيدين له والمعارضين وذكرت أبرز العلماء المؤيدين من القدامى والمعاصرين ، وكذلك أبرز

العلماء المعارضين من القدامى والمعاصرين ، وأوضحت وجهة نظر كل من الفريقين ، ثم أوردت أدلة كل منهما ، وذكرت الترجيح بعد مناقشة موضوعية.

الفصل الرابع : صدّر هذا الفصل بمدخل ارتكز على ثلاثة محاور هي : الإسلام دين العلم والإعجاز العلمي كسبيل من سبل الدعوة ، والضوابط العلمية لتفسير القرآن على أساس العلم وتضمن هذا الفصل الحديث عن علم الفلك في القرآن الكريم ، من حيث نشأة الكون ، وتمدده ، ونهايته ، كل ذلك بين النصوص القرآنية والحقائق العلمية.

الفصل الخامس : تحدثت فيه عن نجم الشمس وطبيعة تكوينه ، وعن حركات الشمس وتنقّلاتها وتطرقت للحديث عن هذا النجم المتوهج والملتهب وسبب ذلك ، وعن تعدد الشموس والأقمار في هذا الكون الرحيب ، والنظام الإلهي الدقيق الذي يلف الكون بأسره.

الفصل السادس : وجاء فيه الحديث عن القمر ولما ذا هو منير وليس ملتهبا ، وعن حادثة انشقاق القمر ثم رتقه ، ومآل القمر أنه سيجمع مع الشمس يوما ما.

الفصل السابع : وتضمن الحديث عن كوكبنا الأرض وما فيه من آيات ، وعن حركة الأرض ودورانها ، وأشرت إلى قوة الجاذبية الأرضية وما فيها من أسرار ، كما تعرضت للغلاف الجوي للأرض من أكثر من زاوية ، وعن نهاية الأرض ونقصانها وتآكلها بين القرآن والعلم.

الفصل الثامن : وتناولت فيه قضية الرياح ، كتلك التي تبشر بالخير والرحمة مثل «اللواقح والمبشرات» وأشرت إلى تكوين السحب وأنواعها ، وإلى اللفتات العلمية في البرد والرعد.

الفصل التاسع : تعرض للحديث عن علم الجبال ، من حيث كيفية نشأة وتكوين الجبال ، وكيف أن الجبال كانت كالوتد تحافظ على توازن الكرة الأرضية واستقرارها ، وعن السر في الربط بين شهوق الجبال وغزارة المياه ، وعن تعدد صخور الجبال وتعدد أنواعها وأشكالها.

الفصل العاشر : وجاء للحديث عن عالم البحار والماء ، وكيف أن الظلمات تتنوع وتتفاوت في البحار ، وأشرت إلى وجود أمواج سطحية وأخرى جوفية ، وعن اختلاط ماء البحر مع ماء النهر دون امتزاج ، وأوضحت أن البحار مسجّرة في قاعها ، ولما ذا تهتز الأرض بنزول ماء السماء بين القرآن والعلم.

الخاتمة : وضمنتها أهم نتائج البحث مع ذكر بعض التوصيات.

وإني أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة والعلماء والإداريين في كل من كلية الإمام الأوزاعي في بيروت ، وجامعة الشارقة ، وجامعة أم درمان الإسلامية في الخرطوم ، وإلى كل الأساتذة المتخصصين الذين تكرموا بمراجعة الرسالة وترميم ما فيها من هنات ، كما أشكر الإخوة الكرام الدكتور حسين الأميري والأخويين الغاليين أحمد الحسن ورضوان شعبان لإسهامهم في إخراج هذه الرسالة ، فجزى الله الجميع عني كل خير.

وأخيرا ، فإن ما قدمته من جهد متواضع أسأل الله العلي القدير أن ينفع به الناس ، وأن يجعله الله في ميزان حسناتي ، وسببا لمغفرة زلاتي إنه جواد كريم.

وأتوجه إلى العلي القدير ، أن يجعلني بجهدي المتواضع هذا من خدام كتابه المجيد ، وسنة نبيه الكريم ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

# الفصل الأوّل

## مفهوم المعجزة

**تمهيد.**

**المبحث الأول : تعريف المعجزة لغة واصطلاحا.**

**المبحث الثاني : الفرق بين معجزة النبي محمد ﷺ ومعجزات الأنبياء السابقين.**

**المبحث الثالث : مراحل التحدي بالقرآن الكريم.**

**المبحث الرابع : عجز المشركين واعترافهم بعظمة القرآن الكريم.**

تمهید ..... ۲۲

## تمهيد

إن المدقق في كتاب الله المجيد ، والمتتبع لآيات الذكر الحكيم ، لن يقف على لفظة المعجزة أبدا وكذلك الأمر ذاته في السنة المطهرة ، وفي أقوال الصحابة الكرام ، غير أن القرآن الكريم استعمل ألفاظا أخرى تدل على مفهوم المعجزة ، وذلك في سياق إثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام ، فمن تلك الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم لغرض إثبات صدق الرسل لفظة : البينة ، الآية ، البرهان ، وغيرها من الألفاظ الواردة في ثنايا قصص الأنبياء أو في معرض إقامة الحجة والبرهان في شتى المجالات.

يقول ابن تيمية [١] : (والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ، ويسميها من يسميها من النظار معجزات ، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان) [٢].

(وإنما ظهر مصطلح المعجزة ، في وقت متأخر بعض الشيء ، عند ما دونت العلوم ، ومنها علوم العقائد في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية الثالث) [٣].

---

(١) ابن تيمية : الشيخ الإمام الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع ، شيخ الإسلام ، أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام الحراني ، أحد الأعلام ، ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، عني بالحديث ، وخرّج ، وانتقى ، وبرع في الرجال ، وعلل الحديث ، وفقهه ، وفي علوم الإسلام ، وعلم الكلام وغير ذلك ، مات في العشرين من ذي القعدة ، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، ١ / ٥٢٠.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرياض ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ، تحقيق علي حسن ناصر وآخرون ، ٥ / ٤١٢ ، وانظر :

النبوات ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، د. ت ، ١ / ٣.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص ، ١٣.

وسوف يذكر في هذا الفصل إن شاء الله تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح ، وبيان الفرق بين معجزة نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء ، ثم يعرج للحديث عن إعجاز القرآن وتحديه للعرب والناس جميعا ويوضح عجز العالم عن مجاراة هذا الكتاب العظيم ، وشهادتهم في ذلك.

# المبحث الأول

## تعريف المعجزة

المعجزة لغة : تحدث علماء اللغة عن الفعل : عجز ، ومضارعه : يعجز ، والمصدر منه : إعجاز ، فعند ابن منظور (العجز : نقيض الحزم ، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما ، وعجز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم ، كأنه نسبه إلى العجز ، والعجز : الضعف) [١].

وفي معجم مقاييس اللغة : (عجز عن الشيء يعجز عجزا ، فهو عاجز ، أي ضعيف ، وقولهم : إن العجز نقيض الحزم فمن هذا ، لأنه يضعف رأيه ويقولون : المرء يعجز لا محالة ، ويقال : أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه ولن يعجز الله تعالى شيء ، أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء ، وفي القرآن :

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً﴾ [٢] [٣] ، ويشير الفيروزآبادي إلى أن معنى العجز هو التثبيط فيقول : (التعجيز : التثبيط ، والنسبة إلى العجز ، ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي) [٤].

وفي «تاج العروس» : (العجوز ، بالضم كعقود : الضعف وعدم القدرة ، وفي المفردات للراغب والبصائر وغيرهما ، العجز : أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره كما ذكر الدبر ، وصار في العرف اسما للقصور عن فعل الشيء

---

(١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، د. ت ، ٥ / ٣٦٩.

(٢) سورة الجن ، الآية : ١٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، بيروت ، دار الجيل ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، د. ت ، ٤ / ٢٣٢.

(٤) القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥ ، ص ، ٤٦٤.

وهو ضد القدرة ، وفي حديث عمر : لا تلثّوا بدار معجزة ، أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش) [١].

**المعجزة اصطلاحا :**

رأينا أن مدلول كلمة : عجز ، أعطانا عدة معاني ، وإن تباينت بعض الشيء تبعا لاشتقاقاتها إلا أنها تدل بمجملها على الضعف ، وهذا المصطلح مفتقر إلى قرينة تدل على معناه عند ما يرد في سياق الكلام ذلك لأنه مبهم إذا ما جرد عن القرائن ، ويتضح هذا الذي نقول عند ما نطلق كلمة العجز على شخص ، فنقول على سبيل المثال : زيد من الناس أصابه عجز ، فما هو هذا العجز يا ترى؟ هل عجز في جسده ، وما هو نوعه وصفته ، أم أنه عجز مالي ، أم أنه عجز في الإدراك والتفكير وكذلك الأمر إذا أطلق هذا اللفظ في شتى جوانب الحياة ، غير أن علماء الكلام إذا أطلقوا مصطلح «المعجزة» فإنهم يعنون به المعنى الاصطلاحي الذي نثبته هنا ، يقول السيوطي : (المعجزة ، أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضة ، يظهره الله على يد رسله) [٢].

وهكذا عرّف المعجزة ابن خلدون في مقدمته ، حيث يقول : (إن المعجزات هي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة ، وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما تقع في غير محل قدرتهم) [٣].

ومن خلال استعراض تعريف المعجزة ، يمكن لنا أن نتبين شروطها ، وسترد هذه الشروط كما ذكرها الإيجي [٤] في المواقف بشكل موجز :

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق : علي شيري ١٤١٤ هـ ، ٨ / ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، بيروت ، عالم الكتاب ، د. ت ، ٢ / ١١٦.

(٣) المقدمة ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، بيروت ـ صيدا ، المكتبة العصرية ، تحقيق ، درويش جويدي ، ١٤٢٢ هـ ، ص ، ٩٠.

(٤) ت ٧٥٦ هـ ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضي قضاة الشرق وشيخ العلماء بتلك البلاد العلامة عضد الدين الإيجي الشيرازي شارح مختصر ابن الحاجب الشرح المشهور وغير ذلك من المؤلفات المشهورة في العلوم الكلامية والعقلية ، كان إماما في علوم متعددة محققا مدققا ذا تصانيف مشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب ، والمواقف ، والجواهر ، وغيرها في علم الكلام ، مولده بإيج بعد سنة ثمان وسبعمائة. انظر : طبقات الشافعية ، لأبي بكر أحمد بن محمد ابن عمر ، بيروت ، عالم الكتاب تحقيق ، الحافظ عبد العليم خان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، ٣ / ٢٧ ، بتصرف.

الشرط الأول : أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه من المتروك ، وإنما اشترط ذلك لأن التصديق من الله تعالى لا يحصل بما ليس من قبله ، وقولنا : أو ما يقوم مقامه ليتناول التعريف مثل ما إذا قال : معجزتي أن أضع يدي على رأسي وأنتم لا تقدرون عليه ففعل وعجزوا ، فإنه معجز دال على صدقه ، ومعنى المتروك ، أي عدم الفعل ، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

الثاني : أن يكون المعجز خارقا للعادة ، إذ لا إعجاز دونه ، فإن المعجز ينزل من الله منزلة التصديق بالقول ، وما لا يكون خارقا للعادة بل معتادا ، كطلوع الشمس في كل يوم ، وبدوّ الأزهار في كل ربيع ، فإنه لا يدل على الصدق لمساواة غيره إياه في ذلك.

الثالث : أن يتعذر معارضته ، فإن ذلك حقيقة الإعجاز.

الرابع : أن يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة.

الخامس : أن يكون موافقا للدعوى ، فلو قال : معجزتي أن أحي ميتا ففعل خارقا آخر كنتق الجبل مثلا لم يدل على صدقه.

السادس : أن لا يكون ما دعاه وأظهره من المعجزة مكذبا له فلو قال : معجزتي أن ينطق هذا الضب فقال : إنه كاذب ، لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه.

السابع : أن لا يكون المعجز متقدما على الدعوى بل مقارنا لها ، لأن المعجز تصديق من الله ورسوله فلا يتصور أن يأتي التصديق قبل دعوى النبوة [١].

وتجدر الإشارة إلى أهم صفات المعجزة في القرآن الكريم ، حيث إنها من لدن الحق عزّ وجلّ والله سبحانه وتعالى يؤيد بها رسله لتكون آية على صدق دعواهم ، وبرهانا ساطعا على أن ما أتوا به هو من عند الله ، ودورهم هو التبليغ والبيان ، فلا يملك رسول من الرسل قدرة على إيجاد المعجزة من تلقاء نفسه ، ولا يستطيع خرق ناموس من نواميس الحياة بقوة ذاتية تصدر من كيانه إلا بأمر الله ومشيئته ، وهذا المعنى نطق به كتاب الله تعالى في غير ما موضع ، من ذلك على سبيل المثال ، قول الله تعالى على لسان عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

---

(١) انظر : شرح المواقف ، لعلي بن محمد الجرجاني ، القاهرة ، منشورات الشريف الرضي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ هـ ، ٨ / ٢٢٣ وما بعدها بتصرف.

﴿وَأُحْيِي الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وفي هذا الصدد يقول الحق عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ﴾ (٢).

ويؤكد الحق عَزَّوَجَلَّ على نفي طاقة النبي وعجزه عن أن يأتي بمعجزة من عنده وإن كان أشرف الخلق وأكرمهم على الحق ، إلا أن ذلك الشرف لا يتعد طوق البشر ليصل إلى درجة الخلق أو الخرق ، وإلى هذا يشير بيان الله بقوله ﴿وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾ (٣).

يعلق الشيخ رشيد رضا (٤) على هذه الآية فيقول : (... وإن كان شأنك معهم أنه كبر عليك إعراضهم عن الإيمان وعن الآيات القرآنية والعقلية الدالة عليه ، وظننت أن إتيانهم بآية مما اقترحوا يدحض حجتهم ، ويكشف شبهتهم ، فيعتصمون بعروة الإيمان عن بينة ملزمة وبرهان ، فإن استطعت أن تبتغي لنفسك نفقا كائنا في الأرض ، أو معناه تطلبه في الأرض فتذهب في أعماقها ، أو سلما في جو السماء ترقى عليه إلى ما فوقها فتأتيهم بآية مما اقترحوا عليك منهما ، فأت بما يدخل في طوع قدرتك من ذلك. أي وليس ذلك في قدرة البشر وإن كان رسولا ، لأن الرسالة لا تخرج الرسول عن طور البشر في صفاتهم البشرية كالقدرة والاستطاعة ، فهم لا يستطيعون إيجاد شيء مما يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه إلا الخالق تعالى) (٥).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩.

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٨.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٣٥.

(٤) ١٢٨٢ ـ ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م ، محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، من العلماء بالحديث والأدب والتفسير ، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ، ولد ونشأ في القلمون «من أعمال طرابلس الشام» وأنشأ في مصر مدرسة الدعوة والإرشاد توفي في مصر ، من مؤلفاته : تفسير المنار ، والوحي المحمدي ، والخلافة ، وغيرها. انظر : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ ، ٦ / ١٢٦ ، بتصرف.

(٥) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، د. ت ، ٧ / ٣٨٢.

## المبحث الثاني

## الفرق بين معجزة النبي

## ومعجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام

### أولا : معجزات الأنبياء عليهم السلام

من القضايا البدهية في تاريخ الأديان وسير الأنبياء والمرسلين ، أن الحق تبارك وتعالى جعل لكل نبي من الأنبياء آية أو معجزة تدل على صدق دعواه ، وتفتح هذه المعجزة باب التحدي للقوم المرسل إليهم ، لتبرز لهم وجوه الإعجاز التي لم يسبق لهم وأن تعاهدوها في سالف حياتهم أو حاضرهم.

ومن كمال الحكمة أن تكون تلك المعجزة منسجمة وملائمة لما نبغ فيه القوم وشاع في أوساطهم ، في مختلف المجالات وشتّى مرافق الحياة ، والباعث على هذه الملائمة تعزيز إدراك كنه المعجزة وطبيعتها ، والكشف عن خواصها وحقيقتها ، ليتسنّى للقوم المرسل إليهم معرفة وجه الحق من الباطل ، ولن يتمكنوا من اتخاذ موقف حيال هذه الدعوى التي عرضت عليهم إلا بعد معرفتها فإذا ما تجلت لهم واتضحت ، استطاعوا يوم ذاك أن يصدروا الحكم عليها سلبا أو إيجابا لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما هو معلوم.

ولا غرابة أن يؤيد النبي بأكثر من معجزة ، بل إن في ذلك ترسيخا لصدق مدعيها وتأكيدا على وجوب الخضوع لسلطانها والانقياد لمستلزماتها.

(فموسى عليه السلام قد حمل إلى بني إسرائيل عصا كانت تتفجّر منها المعجزات ... يلقي بها من يده فتنقلب حية تسعى ، ويضرب بها البحر فينفلق عن طريق يبس بين جبال عالية من الماء ... ويضرب بها وجه الحجر فيتفجر منه الماء ، وتسيل العيون ... ثم كان معه إلى جانب تلك العصا ومعجزاتها معجزة أخرى هي يده ، يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ... ثم من معجزاته كذلك سوق آيات النقمة والبلاء على

فرعون وقومه) [١]. ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ [٢].

وكذلك عيسى عليه السلام كانت معجزاته متنوعة ، كما قال الحق عز وجل : ﴿وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٣].

وقد تقرن المعجزة بتنزل الوحي من أول مرة ، من غير سابق علم أو معرفة أو سؤال وهذا ما جرى لكليم الله موسى عليه السلام كما أخبر القرآن بذلك ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَسارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (٣٢)﴾ [٤].

ويؤيد الرسول بالمعجزة بعد دعوة قومه إلى الهدى والإيمان ، فيكذبونه ويعرضون عن دعوته وتعاليم السماء ، ثم يطلبون منه المعجزة الدالة على صدقه فيعطاها ، وهذا ما جرى لمعظم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

قال تعالى : ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ (٦٦) قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ

---

(١) الإعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ ، ص ٨٩ ، وانظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، للإمام البلاغي عبد القاهر الجرجاني ، بيروت . صيدا ، المكتبة العصرية ، تحقيق ، ياسين الأيوبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ ، ص ، ٤٣٣.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩.

(٤) سورة القصص ، الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

**أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قالُوا أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)﴾** [١].

وهكذا مع سائر الأنبياء ... وكيفما كان الحال ، فإن المعجزة عطية من الله تعالى لرسوله يختارها له في الكيفية التي يشاؤها ولمن يريدها.

إذا علمنا هذا ، فإننا من خلال عرض واستقراء معجزات الأنبياء السابقين يتضح أن معجزاتهم على نوعين :

النوع الأول : حسية ، وقد أيد جميع رسل الله بها.

النوع الثاني : كتب وصحف منزلة ، إلا أن هذه الصحف وتلك الكتب منها ما قد اندثر في غياهب الزمان ، وانحجب عنا فأصبح أثرا بعد عين ، كصحف إبراهيم والزبور وغيره ، ومنها ما قد تسرب إليه التبديل والتحريف ولم يسلم منه إلا القليل ، كالتوراة والإنجيل.

وهذه المعجزات كما علمنا كانت منسجمة مع البيئة والمحيط الذي ظهرت فيه ، ومتناسبة مع المستوى العقلي والعلمي والاجتماعي لدى القوم الذين خوطبوا بها ، إلا أن تلك المعجزات المادية كانت حياتها مرتبطة بحياة أصحابها من الأنبياء ، فلما رحل الأنبياء إلى دار القرار ، ذهب وجه الإعجاز لتلك البينات من حيز الواقع المشاهد والمرئي ، ولم يبق منها إلا النقول والأخبار عبر وحي الله تعالى تقريرا وتحقيقا ، وعبر التاريخ رواية.

والشواهد كثيرة في كتاب الله تعالى على ما ذكرنا ... (فالأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية كانت معجزاتهم مناسبة لبيئة العرب الصحراوية ، فمعجزة صالح عليه السلام كانت ناقة غريبة المنشأ والمولد بين نوق أهل البادية) [٢].

**﴿قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)**

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات ٦٥ ـ ٧٠.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ص ٢٢ ، وانظر : فكرة إعجاز القرآن ، نعيم الحمصي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ ، ص : ١٣.

**قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)﴾** [١].

ومن الملاحظ أن معجزة صالح كانت من جنس ما شاع في أرجاء الجزيرة العربية من تربية الأنعام ورعيها ، فلو أن صالحا أتاهم بمعجزة غريبة عنهم كعصا موسى مثلا ، أو كإحياء الموتى لاستهجنها القوم واستنكروها ولقالوا بلسان واحد : نحن أمة لا نعرف سحرا ولا طبا ، ولو كان لدينا علم بأعمال السحرة وأساليبهم لدحضنا ما جئت به وأبطلنا معجزتك.

وهذا موسى عليه السلام فلقد اشتهر أهل مصر بالسحر وأفانين السحرة ، ومن هنا كان لزاما أن يؤيد موسى بمعجزة من نوع ما تعارف عليه قومه ليقيم الحجة عليهم ويثبت صدق ما ادعاه ، ومن أبرز معجزاته : العصا واليد ، قال تعالى : ﴿**وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى (١٧) قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى (١٨) قالَ أَلْقِها يا مُوسى (١٩) فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى (٢٠) قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرى (٢٢)**﴾ [٢].

(فلو أن موسى عليه السلام ذهب إلى فرعون وقومه بمعجزة لغوية كمعجزة النبي ﷺ في القرآن وقرأها عليهم ، لقالوا له : إن ما جئتنا به كلام عادي ، ليس فيه إعجاز ، ولا يدل على صدقك ولو كنا نعرف العربية أو نتقنها كالعرب ، لأتيناك بكلام أبلغ من الكلام الذي جئتنا به ولما أفلحت معهم معجزته البلاغية ، وما ذاك إلا لأنهم لا يعرفون العربية ، ولو عرفوها لكانت معرفتهم لها معرفة بسيطة لا تمكنهم من الوقوف على وجه الإعجاز في القرآن ، ولذلك كان لا بد من معجزة تتناسب مع معارفهم وعلومهم) [٣].

(وبعد موسى عليه السلام انتشرت الفلسفة الأيونية ، وهي أساس الفلسفة اليونانية فيما بعد وكانت تقوم على الأخذ بالأسباب والمسببات ، وتولد العلة من المعلول في انتظام قائم لا يتخلف فجاءت معجزات أنبياء بني إسرائيل في هذا العصر خارقة للأسباب

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ١٥٣ ـ ١٥٦.

(٢) سورة طه ، الآيات ١٧ ـ ٢٢.

(٣) المعجزة القرآنية ، محمد حسن هيتو ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ ، ص : ٢٣.

والمسببات ، لتثبت أن الكون كله بإرادة مختار ، لا يفعل إلا ما يريد ولا يصدر عنه بغير إرادته الثابتة شيء) [١].

وإننا نلحظ هذا المعنى من تعليم الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام منطق الطير والحيوانات الأخرى كالنمل مثلا ، قال تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَقالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩) [٢].

وتسخير الريح له ، قال سبحانه : ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [٣].

وفي عصر عيسى عليه السلام نبغ قومه وبرعوا بالطب ، فكانت المعجزات التي أجراها الحق تبارك وتعالى على يده من جنس ما اشتهر به القوم ، ولقد كانت حياة عيسى عليه السلام حافلة بالمعجزات الربانية بدءا من حمله وحتى رفعه إلى السماء.

فلقد جرت سنة الله في خلقه أن يكون الوالدان سببا في إنجاب المولود ، فجاءت ولادة عيسى عليه السلام معجزة خارقة لتلك السنن المعتادة ، وفي ذلك يقول مولانا تبارك وتعالى : ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) [٤].

وعند الولادة سطّر القرآن الكريم معجزة نطقه في المهد بالحكمة وفصيح البيان ، وكانت كلماته عليه السلام معجزة في نطقه ، وإلجاما لأفواه الذين أرادوا أن ينالوا من أمه

---

(١) المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت ، ص : ٤٣٧.

(٢) سورة النمل ، الآيات : ١٦ ـ ١٩.

(٣) سورة سبأ ، الآية : ١٢.

(٤) سورة آل عمران ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٨.

العذراء عليها السلام قال تعالى : ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا (٢٧) يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا (٣٢)﴾ [١].

ومن معجزاته التي أجراها الله على يديه كذلك ، ما ذكر الحق بقوله : ﴿إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [٢].

وهكذا نرى أن معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسّلام كانت منسجمة مع ما نبغ فيه قومهم ، لتثبت الحجة عليهم ويقوم البرهان على صدق دعوى الرسل ، ولكن كما أشرنا سابقا أن هذه المعجزات كانت محصورة في زمن محدد ومرتبطة بوجود أصحابها من الرسل ، وبعد التحاقهم بالرفيق الأعلى ، غدت معجزاتهم تاريخا يذكر للعظة والعبرة.

### ثانيا : معجزات نبينا محمد ﷺ.

أيّد الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ بمعجزات حسية مدركة ، وبالمعجزة الخالدة القرآن الكريم ، وستذكر لمحة سريعة عن المعجزات الحسية ، ليركز بعدها على المعجزة الخالدة.

### المعجزات الحسية :

بين معجزة نبينا محمد ﷺ ومعجزات الأنبياء السابقين ، قاسم مشترك من جهة المعجزات الحسية فلقد أيّد الحق عزّ وجلّ رسوله الكريم ﷺ بمعجزات حسية ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنّة المطهرة ، من ذلك نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، وتكثير

---

(١) سورة مريم ، الآيات ٢٧ ـ ٣٢.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١١٠.

الطعام القليل ، وحنين الجذع ، وانشقاق القمر وغيرها ، ولنوجز العرض في الحديث عن هذه المعجزات.

### ١ . نبع الماء :

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء ، وأمر الناس يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم) [١].

وفي رواية ، قال قتادة : (قلت لأنس : كم كنتم قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة) [٢].

وروى البخاري في صحيحه كذلك من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ ، جهش الناس نحوه ، فقال : «ما لكم»؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، إنا كنا خمس عشرة مائة) [٣].

---

(١) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، بيروت ، دار اليمامة ، تحقيق ، د. مصطفى البغا ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، رقم (١٦٧) ، ١ / ٧٤ ، وصحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ت ، رواه في الفضائل ، باب معجزات النبي ﷺ رقم (٢٢٧٩) ، ٤ / ١٧٨٣ ، وسنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق ، أحمد شاكر وآخرون ، د. ت ، رواه في المناقب رقم : (٣٦٣١) ، ٥ / ٥٩٦ ، وموطأ مالك ، مالك بن أنس الأصبحي ، القاهرة ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ت رقم (٦٢) ، ١ / ٣٢ ، ومسند الشافعي ، محمد بن إدريس الشافعي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، ١ / ٥١ ، وسنن البيهقي الكبرى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، مكة المكرمة ، دار الباز ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ ، رقم (٨٧٨) ١ / ١٩٣.

(٢) رواه البخاري ، في المناقب ، باب علامات النبوة ، رقم (٣٣٧٩) ، ٣ / ١٣٠٩.

(٣) رواه البخاري ، في المناقب ، باب علامات النبوة ، رقم (٣٣٨٠) ، ٣ / ١٣١٠ ، ومسند أحمد ، أحمد ابن حنبل الشيباني ، القاهرة ، مؤسسة قرطبة ، د. ت ، في مسند جابر بن عبد الله ، رقم (١٤٥٦٢) ، ٣ / ٣٢٩ ، وصحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، .

ونحن نلحظ أن هذه المعجزة العظيمة أقامت الدليل القاطع على صدق نبوة محمد ابن عبد الله ﷺ ذلك لأنها خرقت قوانين البشر ، وما اعتادوا عليه في حياتهم ، وأظهرت لهم وجه الإعجاز العظيم ، فالماء تراه الأعين كيف ينبع ويفور من بين أصابعه ﷺ وأيدي الصحابة الكرام تغترف منه وتتوضّأ والناس شربوا منه حتى ارتووا وانطفأ لهيب ظمأهم.

يقول القاضي عياض : (ومثل هذا في هذه المواطن الحافلة والجموع الكثيرة ، لا تتطرق التهمة إلى المحدث به ، لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت النفوس عليه من ذلك ، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل ، فهؤلاء قد رووا هذا ، وأشاعوه ونسبوا حضور الجمّاء الغفير له ، ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوا وشاهدوه ، فصار كتصديق جميعهم له) [١].

**٢ . تكثير الطعام :**

(عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبي ﷺ : «هل مع أحد منكم طعام»؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعجن ، ثم جاء رجل مشرك ، مشعان طويل ، بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ : «بيعا أم عطية» أو قال : «أم هبة» قال : لا بل بيع ، فاشترى منه شاة ، فصنعت ، وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى وأيم الله ، ما في الثلاثين والمائة إلا قد حز النبي ﷺ له حزة من سواد بطنها ، إن كان شاهدا أعطاها إياه ، وإن كان غائبا خبأ له ، فجعل منها قصعتين ، فأكلوا أجمعون وشبعنا ، ففضلت القصعتان فحملناه على البعير) [٢].

---

. بيروت ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق ، شعيب الأرناءوط ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ رقم : (٦٥٤١) ، ١٤ / ٤٧٩ ، وصحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، تحقيق ، محمد مصطفى الأعظمي ، ١٣٩٠ هـ رقم : (١٢٤) ١ / ٦٥.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، د. ت ، ١ / ٤٠٥.

(٢) رواه البخاري ، في الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين ، رقم (٢٤٧٤) ، ٢ / ٩٢٣ ، ورواه مسلم ، في الأشربة ، باب إكرام الضيف رقم (٢٠٥٦) ، ٣ / ١٦٢٦ ، والآحاد والمثاني ، أحمد ابن عمرو بن الضحاك الشيباني ، الرياض ، دار الراية ، تحقيق ، باسم فيصل الجوابرة الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ، رقم (٦٥٦) ، ١ / ٤٧٢.

(وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة : أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : «أأرسلك أبو طلحة»؟ فقلت : نعم ، قال : «بطعام»؟ قلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : «قوموا» فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : «هلمي يا أم سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ ، وعصرت أم سليم عكّة فأدمته ، ثم قال رسول الله فيه ما شاء أن يقول ، ثم قال : «ائذن لعشرة» ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : «ائذن لعشرة» فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا) [(١)].

وهناك غير هاتين الروايتين في السنن الصحيحة تدل بمجملها على تكثير الطعام القليل بين يديه ﷺ ، وهذه من دلائل نبوته ﷺ ، وإلا فهل يعقل عادة أن كسارة خبز من شعير ، تكفي لسبعين رجل أشداء أقوياء ، ويأكلون حتى يشبعوا ويزيد؟.

### ٣ . حنين الجذع :

حديث حنين الجذع حديث مشهور معروف ، وقد أخرجه أهل الصحيح ورواه عدد من الصحابة الكرام ...

من ذلك ما رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (كان المسجد

---

(١) رواه البخاري ، في الأطعمة ، باب من أكل حتى شبع ، رقم (٦٣١٠) ، ٦ / ٢٤٦١ ، ومسلم في الأشربة ، باب استحباب الاجتماع على الطعام ، رقم (٢٠٤٠) ، ٣ / ١٦١٢ ، مسند عبد بن الحميد ، عبد بن حميد بن نصر الكسي ، القاهرة ، مكتبة السنة ، تحقيق ، صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ ، رقم (١٢٣٨) ، ١ / ٣٧١ ، والمعجم الكبير ، للإمام سليمان بن أحمد الطبراني ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم ، تحقيق ، حمدي السلفي ، الطبعة الثانية ، د. ت ، رقم (٢٧٦) ، ٢٥ / ١٠٧.

مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت) [١].

ورواية أخرى لجابر بن عبد الله (أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار ، أو رجل : يا رسول الله ﷺ ألا نجعل لك منبرا؟ قال : «إن شئتم» فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي ، الذي يسكن ، قال : «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها» [٢].

قال صاحب «فتح الباري» معقبا : (... وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان ، وفيه تأييد لقول من يحمل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ على ظاهره ، وقد نقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي ، عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا ﷺ ، فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى ، قال : أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته ، فهل أكبر من ذلك) [٣].

### ٤ . انشقاق القمر :

معجزة انشقاق القمر من أعظم معجزاته الحسية ﷺ التي خلّدها القرآن الكريم وثبتت في الصحاح ، وهي مكرمة إلهية لرسوله ﷺ ، ولم ينشقّ القمر لأحد من قبله من أنبياء الله ومرسليه ، وقد رآها الناس رأي العين ، وشاهدوا انفلاق القمر إلى فلقتين في كبد السماء ، وسألوا أهل البوادي والقوافل الرّحالة عن ذلك فما أنكر منهم أحد ، إلا من ركب رأسه ، وآثر الجحود السافر على دلائل الحق وبراهين الهدى.

---

(١) رواه البخاري ، في المناقب ، باب علامات النبوة ، رقم (٣٣٩١) ، ٣ / ١٣١٤ ، ورواه أحمد ، رقم (١٤١٥١) ، ٣ / ٢٩٣ ، وسنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، تحقيق ، خالد العلي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ رقم (١٥٦٢) ١ / ٤٤٢.

(٢) رواه البخاري ، في المناقب ، باب علامات النبوة ، رقم (٣٣٩٢) ، ٣ / ١٣١٤ ، والبيهقي في سننه ، رقم (٥٤٨٧) ، ٣ / ١٩٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، القاهرة ، دار الريان ، تعليق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ م ، ٨ / ٥٠٤.

ويثبت القرآن هذه المعجزة في سورة من كتابه العزيز ، سماها سورة «القمر» وكان مطلع استهلالها قول الحق : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١).

روى الطبري بسنده في تفسيره ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : (نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبيّ ، وحضرت معه ، فخطبنا حذيفة فقال ألا إن الله يقول : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق وإن اليوم مضمار وغدا السباق ...) (٢).

يقول الحافظ ابن كثير : ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال خمس قد مضين ، الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر ، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى معجزاته الباهرات) (٣).

وكما ذكر الحافظ ابن كثير بأن الأحاديث في هذه المعجزة ثابتة وكثيرة ، ومنها ما ورد في صحيح البخاري من حديث ابن عبد الله رضي الله عنه قال : (انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ ، بمنى فقال : اشهدوا ، وذهبت فرقة نحو الجبل) (٤).

قال الخطابي كما ورد في «فتح الباري» : (انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر) (٥).

ثم إن حادثة انشقاق القمر على الرغم من استفاضة الأخبار حولها ، وتخليد القرآن لها وكفى بالقرآن شاهدا على وقوعها ، وما نقل في الصحيح عن النبي ﷺ على الرغم

---

(١) سورة القمر ، الآية : ١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ ، ١٢ / ٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١ هـ ، ٤ / ٤٢٧.

(٤) رواه البخاري ، في فضائل الصحابة ، باب انشقاق القمر ، رقم (٣٦٥٦) ، ٣ / ١٤٠٤ ، وأحمد في مسنده ، رقم (٤٣٥٧) ، ١ / ٤٥٦.

(٥) فتح الباري ، لابن حجر ، ٩ / ٤١.

من هذا كله ، فإن العلم يأتي اليوم ليثبت وقوعها ، وذلك عند ما وطأ رواد الفضاء القمر ودرسوا خصائصه وظروفه بكل أنواعها ، وكان مما انكشف لهم معجزة انشقاق القمر وسيأتي الحديث عن هذه القضية خلال عرضنا للصور التطبيقية حول الإعجاز العلمي في مبحث القمر إن شاء الله تعالى.

وبعد هذا العرض الموجز لطائفة من معجزات رسول الله ﷺ الحسية ، هناك معجزات أخرى كثيرة وردت في الصحاح يمكن الرجوع إليها والاستزادة والاستفادة من أخبارها ، ومن أبرزها معجزة الإسراء والمعراج وغيرها ... ويلفت الانتباه هنا إلى قضية لها بالغ الأهمية في هذا الصدد ألا وهي أن المعجزات التي ذكرنا ، منها ما قد جرت مجرى إثبات وإظهار صدق رسول الله ﷺ في دعواه ودون معارضة أو تحد ، ومنها ما قد تحدى الله به القوم ، وفي كلتا الحالتين دليل ساطع على أن الله تبارك وتعالى قد أجرى على يد رسوله الكريم ﷺ معجزات كانت خارقة لنواميس الكون وما اعتاده البشر في حياتهم ، وفي نفس الوقت هي دليل على أن ما جاء به محمد ﷺ هو من عند الله تبارك وتعالى ... وفي هذا يقول ابن حجر : (... وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجماد ، فمنه ما وقع التحدي به ، ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد ، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير) [1].

ثم إن هذه المعجزات الحسية التي وردت إن وقع بها التحدي للقوم الذين كذبوا النبي كانت معجزة ، لأنه يشترط في المعجزة وكما مرّ معنا التحدي ، وإن لم يقع بها التحدي ، كتكثير الطعام ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ ، فهذه تدخل في نطاق دلائل وعلامات النبوة ، لأنه لا تحدي أي هي مما يعجز القوم عن الإتيان به ، فمن من البشر ينبع الماء من بين أصابعه عند ما يشاء؟

وهذا ما أوضحه ابن حجر في مستهل حديثه عن علامات النبوة فقال : (العلامات جمع علامة وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة والفرق بينهما أن المعجزة أخص ولأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن

---

(١) المصدر نفسه ، ٧ / ٤٧٢.

يقول : إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق ، أو يقول من يتحداه : لا أصدقك حتى تفعل كذا ، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة ، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن ، وسميت المعجزة ، لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها) [1].

---

(١) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، ٨ / ٤٧١.

## المبحث الثالث

## مراحل التحدي بالقرآن الكريم

سبقت الإشارة إلى أن من شروط المعجزة التحدي ، وبما أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة وهو الآية الساطعة الناطقة بنبوة محمد ﷺ ، فكان لزاما أن يميط اللثام عن مزاعم القوم ، وضعفهم وعجزهم أمام عظمته وإعجازه ، فلذلك دخل معهم ساحة التحدي ، وميدان المبارزة ...

ونلحظ ذلك في غير ما موضع من كتاب الله تعالى ، حيث مهّد للتحدي بآيات عظيمة تعلن أن مصدر هذا القرآن هو من عند الله عزّ وجلّ ، ومن المحال أن يصدر من أدمغة البشر مهما ترقوا في مدارج العبقرة والتأمل ...

وها هو ذا يؤكد هذا المعنى من جهة ، ويبدد سحب الظلام التي تغشّت سماء عقول القوم من جهة أخرى حول مصدر القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿**وَما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللهِ وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ...**﴾ [١].

جاء في «فتح القدير» عند هذه الآية : (أي وما صح وما استقام أن يكون هذا القرآن المشتمل على الحجج البينة والبراهين الواضحة يفترى من الخلق من دون الله ، وإنما هو من عند الله عزّ وجلّ وكيف يصح أن يكون مفترى ، وقد عجز عن الإتيان بسورة منه ، القوم الذين هم أفصح العرب لسانا وأدقهم أذهانا ﴿**وَلكِنْ**﴾ كان هذا القرآن ﴿**تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ من الكتب المنزلة على الأنبياء ، ونفس هذا التصديق معجزة مستقلة ، لأن أقاصيصه موافقة لما في الكتب المتقدمة ، مع أن النبي ﷺ لم يطلع على ذلك ولا تعلمه ولا سأل عنه ولا اتصل بمن له علم بذلك) [٢].

ثم يقلب وجوه عموم هذا التحدي ، وذلك من خلال التنبيه على أن هذا الكتاب

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣٧.

(٢) فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت ، ٢ / ٦٤٤.

الذي ضمّ بين دفتيه آيات وسوراً كثيرة ، وما انطوت عليه هذه السور من أحكام الحلال والحرام ، وقصص الأقوام الغابرة ، وسبل ترسيخ العقيدة في النفوس ، ومعالم الآداب والأخلاق الرفيعة ...

كل ذلك ذكر في القرآن الكريم بدقة بالغة ، وحكمة عالية ووضوح لا يعتريه لبس ، وإحكام لا يتسرب إليه تناقض قال تعالى : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (١).

وفي موضع آخر يوضح الحق سفور جهلهم ، وشدة مغالطتهم لأنفسهم وإنكارهم لواقعهم وماضيهم ، وذلك من خلال توصيدهم أبواب الزمن أمام أربعين سنة عاشها رسول الله بين ظهرانيهم والجميع موقن أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فأنى له هذا القرآن؟ ﴿قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

يا سبحان الله ، لقد كان بوسعه ﷺ أن لا يتلوه عليهم ولا يقرأ شيئا منه إن كان من عنده ، ولكنه وحي من عند الله تبارك وتعالى ، ينبغي أن يبلغه ، ويجب عليه أن يبين لهم أحكامه وتوجيهاته كما أنزلت ، وكما نصّ عليها الحكيم الخبير سبحانه وتعالى.

(لقد شعروا بعجزهم في قرارة أنفسهم عند ما دعوا إلى معارضة القرآن والإتيان بمثله ، ولكنهم عاندوا واستكبروا ولم يستجيبوا لنداء العقل وأحاسيس الفطرة التي يستشعرونها في داخلهم ، وقالوا عند سماع آيات القرآن تقرع مسامعهم وتتحداهم) (٣)؟ ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤).

(وهذا كما ترى غاية المكابرة ، ونهاية العناد ، وكيف لا ، ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة ، وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٢.

(٢) سورة يونس ، الآية : ١٦.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص ٣٢ ، وانظر : مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة العشرون ، ١٩٩٧ م ، ص : ٣١٣.

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٣١.

وذاقوا من ذلك الأمرّين ، ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا لا سيما في باب البيان) [١].

ثم إنهم راحوا يتهمون رسول الله ﷺ بأنه متقوّل مفتر على الحق عزّ وجلّ ، وذلك من خلال التدرج في أحكام القرآن ، والنسخ الحكيم الذي لا تكاد تخلو منه شريعة سماوية أو منهج وصفي قال الله تعالى : ﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢) [٢].

وللأستاذ المراغي [٣] تعليق جميل في تفسيره لهذه الآية ، يقول : (وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم آية أخرى والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل من أحكامه قال المشركون المكذبون لرسوله : إنما أنت متقول على الله تأمر بشيء ثم تنهى عنه ، وأكثرهم لا يعلمون ما في التبديل من حكم بالغة ، وقليل منهم يعلمون ذلك وينكرون الفائدة عنادا واستكبارا ... ثم يبين لهؤلاء المعترضين على حكمة النسخ ، الزاعمين أن ذلك لم يكن من عند الله ، وأن رسوله ﷺ قد افتراه) [٤] فقال الحق سبحانه تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٥].

(وعند ما ضاقت عليهم الحيلة وسدّت في وجوههم السبل طرقوا كل باب في الادعاء والافتراء والبهتان لشدة حرصهم على إبطال شأن القرآن والتشكيك في ربانية مصدره فقالوا : ﴿وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [٦] ، ولكي

---

(١) إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الكريم ، محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت ، ٤ / ١٩.

(٢) سورة النحل ، الآيتان ١٠١ ، ١٠٢.

(٣) (.... ١٣٧١ هـ .... ١٩٥٢ ، أحمد بن مصطفى المراغي ، مفسر مصري ، من العلماء ، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها ، توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٢ ، له كتب منها : الحسبة في الإسلام ، والوجيز في أصول الفقه ، وتفسير المراغي وغيرها). انظر : الأعلام ، للزركلي ، ١ / ٢٥٨ ، بتصرف.

(٤) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى مراغي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ ، ١٤ / ١٤٣.

(٥) سورة النحل ، الآية : ١٠٢.

(٦) سورة الفرقان ، الآية : ٥.

يلقوا ظلالا من الشكوك على افترائهم لعلها تكون مستساغة عند الجاهلين بواقع الأمور قالوا : إن الذي يعلمه ليس من قريش ، وإنما هو رجل لديه علم لم تعلمه قريش ، ولكن أنّى لأعجمي أن يأتي ببيان معجز للعرب الفصحاء) [١]؟!؟

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [٢].

ولم يكتف القوم بهذا الهراء البليد ، بل إنهم راحوا يروجون على الملأ ، وبشتى وسائل إعلامهم في ذلك الزمان ، أن الذي يجري على لسان محمد بن عبد الله ما هو إلا شعر نسج خيوطه ورتّب قوافيه في هدأة من الليل المحندس ، أو على أقل تقدير هو سحر استقاه من شعوذة الدجالين والكهنة.

وتتنزل آيات القرآن الكريم ، لتمزّق أستار هذا الوهم ، وتبدد أوصال هذه السذاجة وتصرخ في وجوه المبطلين قائلة : ﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٢) [٣].

ولم يكتف الحق بذلك لكنه أعلن التحدي بالقرآن الكريم إعلان المظهر لعجزهم ، المسفّه لعقولهم وهي المرحلة الأولى في التحدي.

### المرحلة الأولى :

كان التحدي في هذه المرحلة بكل ما تنزل من السماء من القرآن العظيم ، قال تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [٤].

(أي قل لهم متحديا : والله لئن اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص ٣٢ ، وانظر : بحوث منهجية في علوم القرآن ، موسى إبراهيم ، عمّان ، دار عمار الطبعة الثانية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ ، ص : ١٢٤.

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٠٣.

(٣) سورة الحاقة ، الآيات ٤١ ـ ٥٢.

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨.

بمثل ما أنزل على رسوله بلاغة ، وحسن معنى وتصرفا وأحكاما ونحو ذلك ، لا يأتون بمثله وفيهم العرب العظماء وأرباب البيان ، ولو تعاونوا وتظاهروا ، فإن هذا غير ميسور لهم ، فكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثيل ...) [١].

(إلا أننا وجدنا العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان يعجزون جميعا عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، الذي تتلى آية التحدي فيه صباح مساء ، على رءوس الأشهاد ، وكأنها تثير فيهم الحمية لمجابهة هذا التحدي ، إلا أنهم رغم هذا ورغم كل ما يبذلونه من محاولة للقضاء على القرآن ودعوته لم يجدوا إلى تحدّي القرآن أي سبيل ، ولو وجدوا لفعلوا ... إلا أنه العجز البشري ، أمام القدرة الإلهية التي لا تتحدّى ...) [٢].

(وفي تقاصر قوى هؤلاء جميعهم عن ذلك ، مع طول الزمن دليل قاطع على أنه ليس مما اعتيد صدوره عن البشر ، بل هو كلام عالم الغيب والشهادة ...) [٣].

**المرحلة الثانية :**

وتبدأ المرحلة الثانية ، وهي مرحلة التحدي بعشر سور من القرآن الكريم ، فبما أن القوم تعثرت عبقريتهم في طريقها لتحدي القرآن ، وتقوّضت أركان الفكر والبيان لديهم وراح العجز يحيطهم من كل مكان عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، أرخى الحق لهم العنان وطالبهم بعشر سور من مثل هذا البيان ، فقال تعالى :

**﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾** [٤].

ويصف الدكتور مصطفى مسلم هذه المرحلة فيقول : (ولم يبق للمشركين أرض يقفون عليها ولا حجة يستندون إليها ، فقالوا : إن هذه العلوم والأمور الغيبية والهدايات الواردة في القرآن لا عهد لنا بها ، وهذا سبب عجزنا عن معارضة القرآن ، قالوا ذلك وهم لا يدرون أن هذا حجة عليهم لأن محمدا ﷺ ما هو إلا رجل منهم عاش بين أظهرهم ولم يزد في العلوم الاكتسابية عليهم بشيء ، فأرخى القرآن الكريم لهم العنان

---

(١) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ١٤ / ٩٢.

(٢) المعجزة القرآنية ، د. محمد حسن هيتو ، ص : ٣٣.

(٣) محاسن التأويل ، محمد القاسمي ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ ، ١٠ / ٢٩٦.

(٤) سورة هود ، الآية : ١٣.

وتنازل معهم في المحاورة إلى مجال يتوهمون إحراز قصب السبق فيه ولم يطالبهم بشيء من حقائق الكون والتاريخ ، ومن قصص الأنبياء الغابرين وشأن الألوهية وكمالاتها وأمهات الأخلاق ومقومات الحضارات ورقيّ المجتمعات ، وإنما عليهم أن يأتوا بمثل عشر سور من سور القرآن ، وليفتروا موضوعاتها كما يشاءون على أن تكون في فصاحة القرآن وبلاغته) [١].

ونجد تعليقا جميلا على هذه الآية في تفسير «إرشاد العقل السليم» (أي ، بل يقولون افتراه وليس من عند الله ﴿قُلْ﴾ إن كان الأمر كما تقولون ﴿فَأْتُوا﴾ أنتم أيضا ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة وحسن النظم ... ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لأنها الصفة المقصودة بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة ، وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان ، ولأنه لو عكس الترتيب لربما توهم أن المراد هو المماثلة في الافتراء ، والمعنى : فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة ، مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اخلقته من عندي ، فإنكم أقدر على ذلك مني لأنكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم الوقائع والأيام وزاولتم أساليب النظم والنثر) [٢].

ولقد هشمت هذه الآية كبرياء المشركين ، وفضحت عجزهم ، وأردتهم في مهاوي الذل والخذلان فما استطاع أحد أن يتفوه ببنت شفه ، ولقد استعجمت ألسنتهم عن النطق بمثل هذا الكلام البديع وذلكم النظم المتألق الفريد ...

(أما زلتم تقيمون على الزعم بأن محمدا افترى هذا القرآن على الله ...؟ أم أنكم لم تبرحوا تتقوّلون أن القرآن أساطير الأولين اكتتبها محمد فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، لئن دار بعض هذا في خلدكم فخلوا عنكم أخباره الغيبية وعلومه اللدنية ، فلن يكون أسهل عليكم حسب زعمكم من اختلاق عشر سور تماثله بلاغة أسلوب وفصاحة بيان ، فأنتم العرب سادة الفصاحة والبلاغة؟ وقد دعيتم إلى مثله في النظم في أي معنى أردتم مطلقا غير مقيد ، موسعا غير مضيق ، فليس إلى معاني القرآن دعيتم ، ولكن إلى بلاغة أسلوبه وفصاحة عباراته ... أما وقد عجزتم ، وباء جمعكم بالخزي والخذلان

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن الكريم ، مصطفى مسلم ، ص : ٢٣.

(٢) إرشاد العقل السليم ، محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود ، ٤ / ١٩٢.

ولم يبق لديكم بعد شائبة شبهة في صدق هذا الرسول ، وحقيّة القرآن ، وبطلان ما أنتم عليه من شرك ، فهل تغادرون المكابرة والعناد وتدخلون الإسلام دين الله أفواجا) [١].

**المرحلة الثالثة :**

وفي هذه المرحلة وسّع لهم الحق عَزَّوَجَلَّ ، فتحداهم بسورة واحدة من القرآن الكريم حتى ولو كانت من أقصر سوره ، فقال تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ [٢].

وللشوكاني رحمة الله كلام نفيس حول هذه الآية نثبته هنا ، يقول : (... والتقدير ، أيقولون افتراه والاستفهام للتقريع والتوبيخ ، ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يتحداهم حتى يظهر عجزهم ، ويتبين ضعفهم ، فقال : قل : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي إن كان الأمر كما تزعمون من أن محمدا افتراه فأتوا أنتم على جهة الافتراء بسورة مثله في البلاغة ، وجودة الصناعة ، فأنتم مثله في معرفة لغة العرب وفصاحة الألسن ، وبلاغة الكلام ﴿وَادْعُوا﴾ بمظاهريكم ومعاونيكم ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ دعاءه والاستعانة به من قبائل العرب ، ومن آلهتكم التي تجعلونها شركاء لله ، ثم يقول : وسبحان الله العظيم ما أقوى هذه الحجة ، وأوضحها وأظهرها للعقول ، فإنهم لما نسبوا الافتراء إلى واحد منهم في البشرية والعربية ، قال لهم : هذا الذي نسبتموه إليّ وأنا واحد منكم ليس عليكم إلا أن تأتوا وأنتم الجمع الجمّ بسورة مماثلة لسورة من سوره ، واستعينوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربية على كثرتهم وتباين مساكنهم ، أو من غيرهم من بني آدم ، أو من الجن أو من الأصنام ، فإن فعلتم هذا بعد اللتيّا والتي فأنتم صادقون فيما نسبتموه إليّ وألصقتموه بي ...

فلم يأتوا عند سماع هذا الكلام المنصف ، والتنزل البالغ بكلمة ولا نطقوا ببنت شفة ، بل كاعوا عن الجواب ، وتشبثوا بأذيال العناد البارد ، والمكابرة المجردة عن الحجة) [٣].

ولكي يبرهن الحق تبارك وتعالى على صدق نبوة محمد بن عبد الله صلوات الله

---

(١) المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، بيروت ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ / ١٩٨٩ ، ص : ١١٩.

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٨.

(٣) فتح القدير ، للشوكاني ٢ / ٦٤٥ . ٦٤٦.

وسلامه عليه ويثبت عظمة القرآن ، ولقطع (دابر وساوس الشيطان ونزغات أهل الباطن المرجفين ، ولكي لا يقال إن محمدا تحدى أهل مكة ، والأميّة فاشية فيهم ، ولا علم لهم بعلوم الأديان وبالأنبياء والكتب ، ولو أنه تحدى غيرهم لأمكنهم أن يأتوا بمثل قرآنه ، كرر في المرحلة المدنية وبين ظهراني أهل الكتاب ، وسجل العجز المطلق لكل المخلوقين إلى يوم القيامة ، ولا زالت أصداؤه في أذن الزمن على مرّ العصور ليبرهن على خلود الرسالة وصدق صاحبها) [١] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾ (٢٤) [٢].

إنه تحدّ بعد تحد ، ومن جرّاء تكرار هذا التحدي طبع الحق عَزَّوَجَلَّ عليهم طابع العجز والقصور ، ليحولهم إلى كتلة من الذل والصغار ، هيا شمّروا عن ساعد الجد والعنفوان ، بكل وسائلكم وحيلكم ، واستعينوا بمن شئتم وكيفما شئتم ، وأتوا بسورة تماثل هذا الكلام الإلهي الأخّاذ.

يقول رشيد رضا في هذا المقام : (يا أيها الناس عليكم بعد أن تنسلوا من مضايق الوساوس وتتسللوا من مآزق الهواجس ، وتنزعوا ما طوقكم به التقليد من القلائد وتكسروا مقاطر ما ورثتم من العوائد ، أن تهرعوا إلى الحق فتطلبوه ببرهانه ، وأن تبادروا إلى ما دعيتم إليه فتأخذوه بربانه ، فإن خفي عليكم الحق بذاته ، فهذه آية من أظهر آياته وهي عجزكم عن الإتيان بسورة من مثل سور القرآن من رجل أمي مثل الذي جاءكم به ، وهو عبدنا ورسولنا محمد ﷺ ، وإن عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله تساوي سورة في هدايتها ، وتضارعها في أسلوبها وبلاغتها ، وأنتم فرسان البلاغة وعصركم أرقى عصور الفصاحة ، وقد اشتهر كثير منكم بالسبق في هذا الميدان ، ولم يكن محمد ﷺ ممن يسابقكم من قبل هذا البرهان ، لأنه لم يؤت هذا الاستعداد بنفسه ولم يتمرن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله ، فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم ، لم يكن إلا بوحي إلهي وإمداد سماوي لم يسم عقله إلى علمه ، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه) [٣].

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص : ٣٤.

(٢) سورة البقرة ، الآيتان ٢٣. ٢٤.

(٣) تفسير المنار ، رشيد رضا ، ١ / ١٩١.

وبعد هذا التحدي العظيم الذي قصم الظهور ، وأذلّ الأعناق ، ما استطاع أحد منهم أن يتجرأ أو يتلفّظ بسورة تشابه كلام الله تعالى ، بل راحوا يتساقطون وينهزمون ، بعجز سافر وضعف ذليل ، لقد مدّ اليأس سلطانه على نفوسهم ، وامتلأت أقطار نفوسهم بالإحباط والفشل ، ورأوا أنفسهم ذرة أمام قلعة شماء شامخة ، إنها قلعة البيان وصرح القرآن ، إنه المعجزة الخالدة على مرّ العصور والأزمان ، إنه كلام الله.

تلك هي مراحل التحدي ، ولقد أشار الحافظ ابن كثير إلى ترتيبها ، على النحو الذي ذكرنا عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (١) يقول : (فأتوا أنتم بسورة من مثله ، أي من جنس هذا القرآن واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجن ، وهذا هو المقام الثالث في التحدّي ، فإنه تعالى تحدّاهم ودعاهم ، إن كانوا صادقين في دعواهم أنه من عند محمد ، فليعارضوه ، بنظير ما جاء به وحده وليستعينوا بمن شاءوا ، وأخيرا أنهم لا يقدرون على ذلك ولا سبيل لهم إليه فقال سبحانه تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (٢) ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال في أول سورة هود : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (٣).

ثم تنازل إلى سورة فقال في هذه السورة (٤) : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (٥).

رأينا من خلال هذا العرض ، عظمة القرآن وهو يتحدّى العرب ، وكيف أنه يطاولهم في المعارضة ثم إنه قد تنازل لهم في تحديهم بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله ، ومن ثم إلى التحدي ولو بسورة واحدة ، وهم مع ذلك يتقلبون في أطوار كليلة هزيلة من عجز إلى عجز ومن نكص إلى نكص ، والقرآن يتألق في كل مرحلة وينتقل من فوز إلى فوز ، ومن ألق إلى ألق.

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣٨.

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨.

(٣) سورة هود ، الآية : ١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٤ / ٣٠٤ ، وانظر : لوامع الأنوار البهية ، محمد السفاريني الحنبلي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ ، ١ / ١٧٠.

(٥) سورة يونس ، الآية : ٣٨.

ولكن بعد هزيمة العرب وعجزهم عن تحدي القرآن الكريم ، ما هو القدر المعجز من القرآن الكريم؟

أورد القاضي الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» خلاف العلماء في ذلك فقال : (قدر المعجز عند الأشعريين :

الذي ذهب إليه عامة أصحابنا ، وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه ، أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أم طويلة ، أو ما كان بقدرها ، قال : فإذا كانت الآية بقدر حروف السورة ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز.

قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر.

**القدر المعجز عند المعتزلة :**

وذهب المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة ... وقد حكي عنهم نحو قولنا ، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ، بل شرط الآيات الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ، ولم يأتوا لشيء منها بمثل ، فعلم أن جميع ذلك معجز) [١].

ويرى الشيخ الزرقاني [٢] أن (القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه ، وأن القائلين بأن المعجز هو كل القرآن لا بعضه ، وهم المعتزلة ، والقائلين بأن المعجز كل ما يصدق عليه أنه قرآن ولو كان أقل من سورة ، كل أولئك بمنأى عن الصواب) [٣].

ويؤكد هذا الدكتور مصطفى مسلم فيقول : (وبما أن السورة جاءت بلفظ نكرة بسورة ، فهي تشمل كل سورة في القرآن طويلة أو قصيرة ، فيكون القدر المعجز من القرآن هو السورة من القرآن الكريم طويلة أو قصيرة ، هذا هو رأي جمهور العلماء ، إلا أن بعضهم زاد على ذلك : أن مقدار السورة القصيرة ، هي ثلاث آيات معجز أيضا) [٤].

---

(١) إعجاز القرآن ، محمد بن الطيب الباقلاني ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، تعليق ، محمد سكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص : ٣٢٤.

(٢) (.... ١٣٦٧ هـ .... ١٩٤٨ ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر بمصر ، تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث ، وتوفي بالقاهرة ، من كتبه :

مناهل العرفان في علوم القرآن). انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٦ / ٢١٥ ، بتصرف.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق ، مكتب البحوث والدراسات ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، ٢ / ٢٣٠.

(٤) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص : ٣٥.

استدراك : هناك استدراك بسيط يلفت الانتباه إليه هنا ، وهو أن الجمهور ذهبوا إلى أن القدر المعجز من القرآن هو السورة ، سواء كانت طويلة أم قصيرة كسورة الكوثر ، لكن الذي زاد على هذا الذي ذهب إليه الجمهور ـ كما سلف ـ فقال : أو مقدار السورة القصيرة ، وهي ثلاث آيات معجز أيضا ، هذا الرأي يحتاج إلى تمحيص وتحقيق ... فالحق سبحانه وتعالى قال : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾ (٢٤) [1] فالله تبارك وتعالى تحداهم ﴿بِسُورَةٍ﴾ وهي نكرة فهي تشمل السورة القصيرة والطويلة ، لكنه لم يقل : أو مقدارها ، فمقدار أقصر سورة وهي سورة الكوثر ثلاث آيات ، هل هو معجز؟.

الجواب : نحن نعلم من خلال دراستنا لأسلوب القرآن الكريم في عرض السورة ، أن السورة لها بناء متكامل ، ووحدة موضوعية دقيقة ، وتناسق وتساوق في إبراز معالم القضية المعروضة من مقدمة ولب وخاتمة ، ولربما تبسط القضية فتأخذ شوطا واسعا أو تكون مقتضبة ، وفي كل الأحوال فإنها تعبر عن شخصية متكاملة ، وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نحتكم إليه عند ما نقول : أو ما يماثل السورة من الآيات ، فإن كانت هذه الآيات التي تماثل السورة خاضعة لهذا الميزان ففيها الإعجاز وإلا فالقول ما قاله ربنا ﴿بِسُورَةٍ﴾ ، وهذا لا يعني أن في مقدور أحد من البشر أن يأتي بمقدار أقصر سورة من الآيات ، أي بثلاث آيات ، لا وإنما نركز ونقيد قدر السورة بالوحدة الموضوعية ، والبناء المت ناسق الذي هو شرط للقول بالإعجاز.

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ، ٢٣ ـ ٢٤.

## المبحث الرابع

### عجز المشركين واعترافهم بعظمة القرآن

بعد ما استعرض الحق آيات التحدي في كتابه العظيم ، وطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله وفيهم فحول الشعراء والخطباء الذين ذاع صيتهم وانتشر خبرهم بين الناس ، وإذا بالقوم تستعجم ألسنتهم ، وتهتز أركان البلاغة والبيان لديهم ، فراحوا يتهربون ويتهافتون ومنهم من قد تسربل بقناع الأنفة والاستكبار ، فقال هو وأمثاله كما وصفهم ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَزُوراً (٤) وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (٥) [١].

وقولهم : ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [٢].

(وهكذا التمسوا لأنفسهم عذر القعود عن معارضته بأنه أساطير الأولين ، أو قول شاعر مجنون أو هو كذب أعانه على اختلاقه أناس آخرون ، واعتبروا اتهامهم هذا عذرا يسوّغ صمتهم ، ويبرر عجزهم الفاضح عن المعارضة ... يا للمنطق السديد؟ ألا ترى أن هذا التهرب من مواجهة التحدي ومن تقديم المعارضة ليس في الواقع إلا إقرارا منهم بالعجز وأي إقرار) [٣]؟

يقول الإمام الباقلاني : (فلو كان هذا القرآن من ذلك القبيل : الشّعر أو من الجنس الذي ألفوه ، لم تزل أطماعهم عنه ، ولم يدهشوا عند وروده عليهم ، فكيف وقد أمهلهم وفسح لهم في الوقت ، وكان يدعو إليه سنين كثيرة ، قال عز من قائل : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [٤].

---

(١) سورة الفرقان ، الآيتان ٤ ، ٥.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٦.

(٣) المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، ص : ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) سورة فاطر ، الآية : ٣٧.

وبظهور العجز عنه بعد طول التقريع والتحدي بان أنه خارج عن عاداتهم ، وأنهم لا يقدرون عليه ، وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم ولغتهم ، فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن ، وهذا في البلغاء منهم دون المتأخرين في الصنعة) [١].

ويؤكد هذا المعنى الجرجاني فيقول : (وإذا ثبت أنهم ـ أي العرب ـ الأصل والقدوة فإن علمهم العلم ، فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تلي عليهم القرآن وتحدوا إليه ، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ، ومن التقريع بالعجز عنه ، وبت الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه ، وإذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكّوا في عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله ، ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه ، أما الأحوال فدلت من حيث كان المتعارف من عادات الناس التي لا تختلف وطباعهم التي لا تتبدل أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة ، وهم يجدون سبيلا إلى دفعها ، ولا ينتحلون العجز وهم يستطيعون قهرهم والظهور عليهم ، كيف وأن الشاعر أو الخطيب أو الكاتب يبلغه أن بأقصى الإقليم الذي هو فيه يبأى [٢] بنفسه ، ويدل بشعر يقوله ، أو خطبة يقوم بها ، أو رسالة يعملها ، فيدخله من الأنفة والحمية ما يدعوه إلى معارضته ، وإلى أن يظهر ما عنده من الفضل ، ويبذل ما لديه من المنة ، حتى إنه ليتوصل إلى أن يكتب إليه وأن يعرض كلامه عليه ببعض العلل ، وبنوع من التمحل [٣] ، هذا وهو لم ير ذلك الإنسان قط ولم يكن منه إليه ما يهز ويحرك ويهيج على تلك المعارضة ، ويدعو إلى ذلك التعرض ، وإن كان المدعى ذلك بمرأى منه ومسمع ، كان ذلك أدعى له إلى مباراته وإلى إظهار ما عنده) [٤].

(... فكيف يجوز أن يظهر في صميم العرب ، وفي مثل قريش ذوي الأنفس الأبية والهمم العلية والأنفة والحمية ، من يدعي النبوة ويخبر أنه مبعوث من الله تعالى إلى

---

(١) إعجاز القرآن ، للباقلاني ، ص : ٢٨٩.

(٢) (بأى : البأواء ، هي العظمة ، ويبأى : فخر ، وبأيت عليهم أبأى ، فخرت عليهم). لسان العرب ، لابن منظور ، ١٤ / ٦٣.

(٣) (التمحل : المكر والاحتيال). لسان العرب ، لابن منظور ، ٢ / ١٨٨.

(٤) ثلاث رسائل في الإعجاز ، الرسالة الشافية ، للجرجاني ، تحقيق ، محمد خلف الله ومحمد سلام ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ ، ص : ١١٨ ـ ١١٩.

الخلق كافة ، وأنه بشير بالجنة ونذير بالنار ، وأنه قد نسخ به كل شريعة تقدمته ، ودين دان به الناس شرقا وغربا ، وأنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده ، إلى آخر ما صدع به رسول الله ﷺ ثم يقول : وحجتي أن الله تعالى قد أنزل عليّ كتابا عربيا مبينا ، تعرفون ألفاظه ، وتفهمون معانيه ، إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله ولا بعشر سور منه ، ولا بسورة واحدة ولو جهدتم جهدكم ، واجتمع معكم الجن والإنس ، ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه ، ويبينوا شرفه في دعواه ، مع إمكان ذلك ، ومع أنهم لم يسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قريب منه) (١)؟

يتضح لنا مما سبق أن القوم قد عجزوا عن مجاراة القرآن ، وأن ما أوتوه من بلغة وحنكة وفطنة تذوب وتتضاءل أمام روعة القرآن وبيانه ، فمنهم من واجهه بكل قبيح ووقفوا له بكل سبيل ، وهم موقنون في قرارة أنفسهم بعجزهم عن الإتيان ولو بسورة من مثله ، ومنهم من قد اهتزت مشاعرهم لسماعه ، وتفاعلت أحاسيسهم لآياته ، واستثارت كلماته من أقاصي أفئدتهم صبابة وكلفا ، وهؤلاء على قسمين ، فمنهم الذين أخبتوا لله وحكّموا عقولهم ، ونبذوا العصبية الحالكة فآمنوا بالله ربا وبمحمد نبيا وبالقرآن كتابا منزّلا ، ومنهم من استعبدهم الاستكبار والعناد وركبوا رءوسهم فعرفوا الحق ثم حادوا عنه ، ورأوا النور لكنهم آثروا الظلام ، وكلا الفريقين قد أقرّ بعظمة القرآن ولكن شتان بين من قد أقرّ فآمن ، وبين من قد أقرّ ثم نكص وكفر وفرّ ، ولنستعرض بعض الأمثلة للفريقين.

### ١ . اعتراف بلغاء المشركين بإعجاز القرآن

#### أولا . عتبة بن ربيعة :

روى ابن إسحاق : (أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقال : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم

---

(١) المصدر نفسه ، ص : ١٢٠.

فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : «قل يا أبا الوليد أسمع» ، قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : «أقد فرغت يا أبا الوليد» قال : نعم : قال : «فاسمع مني» قال : أفعل ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ**﴾ [١] ثم مضى رسول الله ﷺ بها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» ، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال : ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم) [٢].

هذه القصة توضح لنا بكل جلاء اعتراف سيد من سادات قريش ، أمام صناديد الكفر وصناديد البلاغة والبيان ، بإعجاز القرآن وأثره في النفوس ، ووقعه في القلوب والأفئدة.

---

(١) سورة فصلت ، الآيات ١ ـ ٥.

(٢) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام الحميري ، بيروت ، دار الجيل ، تحقيق ، طه سعد ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ، ١ / ١٣٠ ـ ١٣٢ وأورده كذلك ابن كثير في تفسيره ، ٤ / ٩٠ ـ ٩٢.

**ثانيا ـ الوليد بن المغيرة :**

وهو من أشد المشركين عداوة لرسول الله ﷺ ، ومن أكثر الذين ناصبوا رسالة الإسلام العداء فقد أشعل حربا سافرة لاهبة منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية ، لكنه يوم سمع القرآن الكريم افتتن ببلاغته ، وسحر بإعجازه وبيانه ، ولنسمع إعلانه الذي يدل على تأثره أمام قريش ، يروي ابن عباس رضي الله عنه (أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، فقالوا : أنت فقل وأتم لنا به رأيا نقول به ، قال : لا بل أنتم قولوا لأسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم ، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ... قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ، ولا بعقده ، قالوا : فما ذا نقول؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا : هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك) [١].

يعلق الإمام الزركشي رحمه الله على هذه القصة فيقول : (... ثمّ صار المعاندون له ممن كفر به وأنكره يقولون مرة : إنه شعر لما رأوه منظوما ، ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا في القلب ، وقرعا في النفس يريبهم ويحيرهم ، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا : إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وكانوا مرة لجهلهم وحيرتهم يقولون : ﴿وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [٢] مع علمهم أن صاحبهم أمي وليس

---

(١) الدر المنثور ، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣ ، ٥ / ٩٨ ، وانظر : السيرة الحلبية ، علي بن برهان الدين الحلبي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٠ هـ ، ٣ / ٣٤٤ ، ولباب النقول في أسباب النزول ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، د. ت ، ١ / ٢٢٤.

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٥.

بحضرته من يملي أو يكتب شيئا ونحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز ، وقد حكى الله عن بعض مردتهم وهو الوليد بن المغيرة المخزومي ، أنه لما طال فكره في القرآن ، وكثر ضجره منه ، وضرب له الأخماس من رأيه في الأسداس ، فلم يقدر على أكثر من قوله : ﴿إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (١) عنادا وجهلا به وذهابا عن الحجة وانقطاعا دونها) (٢).

**ثالثا ـ النضر بن الحارث :**

قال ابن هشام : (ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، قال ابن اسحاق : فقال : يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر؟ لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن؟ لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر؟ لا والله ما هو بشاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون؟ لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش : فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

**أذى النضر للرسول ﷺ :**

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم ... فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فذكّر فيه بالله وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلم إليّ ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم ... ثم يقول : بما ذا محمد أحسن حديثا مني) (٣).

هذا هو إقرار واعتراف كبار بلغاء قريش وفصحائها ، وغير هؤلاء كثير ممن خفقت

---

(١) سورة المدثر ، الآية : ٢٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن ، محمد بن عبد الله الزركشي ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، محمد إبراهيم ، ١٣٩١ هـ ، ٢ / ١٠١.

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ٢ / ١٣٨.

قلوبهم ، وثارت عواطفهم ، وتفاعلت أحاسيسهم بصدى القرآن ووقعه على مسامعهم فإنهم قد استيقنوا أن هذا الكلام هو كلام الله ، ولا يمكن أن يكون من تأليف إنس أو جن ، لأن الفرق بين كلام البشر وكلام الله كالفرق بيننا وبين الله ، بل إن المشركين كانوا يتوقون في كل لحظة لسماع كلام الحق وتضيق عليهم الأرض بما رحبت إن هم انقطعوا عن الاستماع للقرآن.

(ولذلك كان النفر من قريش يتعاهدون على عدم سماع القرآن حتى لا يتأثروا به ، ويذهبون إلى بيوتهم ، إلا أن الواحد منهم لا يلبث أن يرجع إلى الكعبة ليسمع القرآن ، الذي ملك عليه عقله وقلبه فيجد أن صاحبه الذي كان قد عاهده ، قد سبقه إلى العودة لسماع القرآن المعجز ، نديا من صوت محمد ﷺ فيجتمعان أمام الكعبة وكل منهم قد نقض ما عاهد عليه صاحبه! وحق لهم هذا ... فمن ذا الذي يرى المعجزة ويملك نفسه أن لا يتأثر بها ...؟ إذ لو كان الناس يملكون هذا ، لما كان للمعجزة ذلك الأثر) [1].

وهذا ما أورده أصحاب السير في سيرهم ، من أن المشركين كانوا يتلصصون في هدأة الليل ، أو هاجرة النهار ، ليستمتعوا وينتشوا بسماع كلام الحيّ القيوم ، فقد روى ابن هشام في سيرته : (قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا ، فأراد الأخنس أن يستفهم عما سمعه فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما

---

(١) المعجزة القرآنية ، محمد حسن هيتو ، ص : ٣٩.

سمعت من محمد؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم : ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال : ما ذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، قال : فقام عنه الأخنس وتركه) (١).

هذه بعض الروايات التي تحكي حال أولئك القوم الذين بهروا بجمال القرآن ، وسحروا ببيانه وأقروا بإعجازه ، وترجموا هذه المشاعر بمقولاتهم التي سجّلها التاريخ لهم ، وأثبتناها هاهنا ، ولكنه العناد السافر الذي أعمى أبصارهم ، وغلف قلوبهم فأظلمت وصدئت وقست ثم ماتت ، فكانوا أضل من الأنعام الشاردة ، وأغواهم الشيطان بمكائده وحباله ، فجحدوا الحق وكفروا به بعد ما عرفوه ، وسيكون عليهم يوم القيامة حسرة وندامة.

### ٢ . اعتراف فصحاء العرب المؤمنين بإعجاز القرآن

وسنصغي الآن إلى الذين لامس القرآن الكريم شغاف قلوبهم ، ووقعت كلماته الربانية في نفوسهم ، فملك عليهم عقولهم ، وسيطر على كيانهم ، فاستجابت له جوارحهم وانسجمت مع إرشاداته سلوكياتهم ، وسجدت نباهتهم لبلاغته ، وطأطئوا الرءوس إجلالا لإعجازه فهداهم الله إلى الحق والنور المبين.

### أولا . عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قال ابن إسحاق : (وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم ، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب ابن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب ، يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ٢ / ١٥٦ ـ ١٥٧.

بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول ﷺ عمه حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ والذي فرق أمر قريش ، وسفّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ، قال : وأي أهل بيتي؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها : ﴿طه﴾ يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر ، تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له : ما سمعت شيئا قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم لقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها : ﴿طه﴾ فقرأها ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، فلما سمع ذلك خباب خرج عليه فقال له : يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول : «اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب» ، فالله الله يا عمر ، فقال له عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف

فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله ﷺ : «ائذن له» ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال : «ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة» ، فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ، قال فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم ، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم) [1].

**ثانيا ـ الطفيل بن عمرو الدوسي :**

وما حدث لعمر بن الخطاب حدث للطفيل بن عمرو الدوسي ، وشعره لا يخفى على العرب وقصائده التي كان يتجمهر الناس في المحافل العامة والأسواق لسماعها ليست بخافية ، ومع ذلك عند ما قرع القرآن مغاليق قلبه ، خفت شعره والتهبت مشاعره بالإيمان فكان في زمرة الموحدين ، وها هو ذا يحدثنا عن تأثير القرآن ووقعه في قلبه يوم سمعه غضا طريا نديا من النبي ﷺ .

(... أن الطفيل بن عمرو قال : كنت رجلا شاعرا سيدا في قومي ، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش فقالوا : إنك امرؤ شاعر سيد وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه ، فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا ، فإنه فرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وابنه ، فو الله ما زالوا يحدثوني شأنه وينهوني أن أسمع منه حتى قلت : والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني ، قال : فعمدت إلى أذني فحشوتها كرسفا ، ثم غدوت إلى المسجد فإذا برسول ﷺ قائما في المسجد ، فقمت قريبا منه وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فقلت في نفسي : والله إن هذا للعجز وإني امرؤ ثبت ما تخفى عليّ الأمور حسنها وقبيحها ، والله لأتسمعن منه فإن كان أمره رشدا أخذت منه وإلا اجتنبته ، فنزعت الكرسفة ، فلم أسمع قط كلاما أحسن من كلام يتكلم به فقلت : يا سبحان الله ما

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ٢ / ١٨٩ ـ ١٩٠.

سمعت كاليوم لفظا أحسن ولا أجمل منه ، فلما انصرف تبعته فدخلت معه بيته ، فقلت : يا محمد إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بما قالوا وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول ، وقد وقع في نفسي أنه حق فاعرض عليّ دينك فعرض عليّ الإسلام فأسلمت ...) [١].

**ثالثا ـ لبيد بن ربيعة :**

(يعتبر لبيد أحد أصحاب المعلقات السبعة ، الذين سارت بشعرهم الركبان ، ومن أشراف الشعراء المجيدين الفرسان ، يفد على رسول الله ﷺ ويسمع كلامه ، ويسلم ، ولكن ما ذا فعل بالشعر الذي جرى في كيانه مجرى الدم من عروقه ، وجبلت به نفسه ، وعرفت به حياته ، وتناقله الناس عنه يتفاخرون به ويتمايلون طربا لسماعه ، بل يصل بهم الأمر لدرجة الجنون لأجله ... لقد ذهل هذا الرجل الفصيح البليغ ، الذي فتن الناس بشعره ، لقد ذهل عن نفسه وشعره ، فلم يعد يتمكن من قول الشعر ، إذ أفحمته عظمة القرآن وبلاغته فلم يقل بعد إسلامه إلا بيتا واحدا ، وهو قوله :

الحمـــــد لله إذ لم يأتـــــني أجلـــــي حـــتى لبســـت مـــن الإســـلام ســـربالا)

[٢] لقد تذوق لبيد حلاوة البيان ، وتشربت عروقه منه ، وفاض الشعر والأدب في كيانه منذ نعومة أظافره ، ولكنه يوم سمع القرآن تقوضت أركان البيان لديه ، وامتدت أروقة البلاغة القرآنية في داخله حتى ملئت أقطار نفسه ، وعرف الحق فوقف عنده ، وانصاع لمستلزماته وأوامره ، وأصبح يستحي أن ينبث ببنت شفة في حضرة كلام رب الأرباب ... ويكفي أن نعلم ما للبيد من ثقل عظيم في دنيا الشعر ، وساحات الأدب والبيان ، من أن الرسول ﷺ قال فيه مدحا وثناء وهو على المنبر : «أشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد بن ربيعة ألا كل شيء ما خلا الله باطل» [٣] ، وليس بعد شهادة رسول الله ﷺ شهادة ، ولا يعرف الفضل إلا ذووه ومع تألق لبيد في بلاغته ، وتفرده في شعره ، أيقن أن كلامه يتساقط ، ويتناثر أوزاعا ، بل ولا يذكر أمام سلطان القرآن وهيمنته على النفوس والأرواح.

---

(١) سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق ، شعيب الأرناءوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣ هـ ، ١ / ٣٤٥.

(٢) المعجزة القرآنية ، محمد حسن هيتو ، ص : ٤٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ، ٢ / ٤٤٤ ، رقم : (٩٧٣٥).

**رابعا ـ أنيس أخو أبي ذر الغفاري :**

كذلك الأمر بالنسبة لأنيس ولغيره ممن سمع القرآن ، فقد مزق القرآن أستار الغفلة في كيانه وقشع سحب الظلام التي تلبّدت في سماء عقله ، ورأى نور الحق ، وضياء الهدى ببضع آيات طرقت مسمعه من فم الحبيب ﷺ ، علما أن أنيسا كان من أبرز شعراء العرب وخطبائها ، وممن كان لهم صولة وجولة في ساحات الهجاء والثناء إذا ما تبارى المتبارون ، وها هو ذا يصف القرآن وما شعر عند سماع آياته ، والحديث طويل في صحيح مسلم ونأخذ موطن الشاهد فيه : (... فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي ثم جاء ، فقلت : ما صنعت ، قال : لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله ، قلت : فما يقول الناس؟ قال : يقولون شاعر ، كاهن ، ساحر ، وكان أنيس أحد الشعراء ، قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي إنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون) [١].

(أرأيت كيف اعترف المخالفون من المشركين بسموّ مكانة القرآن ، وكيف أثنى عليه أناس تحولوا بسببه من الشرك إلى الإسلام بيقين فإنه لم يصدر ثناء هؤلاء واعتراف أولئك المشركين حين صدر إلا تنويها بأمر يعرفه ذوو الخبرة ، فهو إخبار عن شيء باد للعيون لا يرسل أحدهم بصره إلا رآه ، فقد أطلق كل من القائلين قوله وهو واثق أنه معلوم للجميع فليس من منصف بصير بمراتب الفضل في اللغة مؤمنا كان أم جاحدا إلا وجد نفسه مسوقا للاعتراف بإعجازه ، شاء أم أبى ، لظهوره عند نظرائه لشدة وضوحه ، لذا فإن أقوالهم دليل بالغ على إعجاز القرآن) [٢].

ويذيّل هذا المبحث بذكر تصريحات أبرز أساطين العلم والمعرفة ، ورائدي النهضة الحضارية الغربية المعاصرة الذين قرءوا القرآن بتدبر ورويّ ، فأفرزت دراساتهم هذه مجموعة طيبة وكبيرة من شهادتهم بإعجاز القرآن ، وبغض النظر عمّن آمن منهم ، أو من قال ذلك على سبيل الإنصاف والحق.

---

(١) رواه مسلم ، فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي ذر رضى الله عنه ، ٤ / ١٩٢٠ رقم : (٢٤٧٣) ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢ / ٥١.

(٢) الرسالة الشافية ، للجرجاني ، ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص : ١١٤ ـ ١١٥.

ذيل كتاب «إشارات الإعجاز» بطائفة من الأقوال والآراء لكبار مفكري الغرب ، يتحدثون ويقرّون بعظمة القرآن وإعجازاته ولنثبت بعضها هنا.

يقول : «واشنجون إيرفنج [١] w.lrving» : (كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه ، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل ، ثم حلّ القرآن مكانهما فقد كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين ، كما صحّح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل ، وحوى القرآن كل شيء ، وحوى جميع القوانين ، إذ أنه خاتم الكتب السماوية ...) [٢].

ويقول «بلاشير» [٣] : (لا جرم في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البياني واللفظي والجرس الإيقاعي في الآيات المنزلة في ذلك العهد .. إن خصوم محمد ﷺ قد أخطئوا عند ما لم يشاءوا أن يروا في هذا إلّا أغاني سحرية وتعويذية ، وبالرغم من أننا على علم استقرائيا فقط بتنبؤات الكهان ، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطإ هذا الحكم وتهافته ، فإن للآيات التي أعاد ﷺ ذكرها في هذه السور اندفاعا وألقا وجلالة ، تخلّف وراءها بعيدا أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التي وصلتنا) [٤].

---

(١) ١٧٨٣ ـ ١٨٥٩ ، واشنجون إيرفنج ، قصصي وكاتب سير أمريكي ، اعتبره بعضهم أبا الأدب الأمريكي ، واعتبره آخرون مخترع الأقصوصة ، من آثاره القصصية : حكايات رحالة ، ومن كتبه : محمد وخلفاؤه. انظر : معجم أعلام المورد ، منير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ ، ص : ٧٩ ، بتصرف.

(٢) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، سعيد النورسي ، بيروت ، دار المحراب للطباعة ، تحقيق ، إحسان قاسم الصالحي د. ت ، ص : ٢٥٠.

(٣) ١٣١٨ ـ ١٣٩٣ هـ ، ١٩٠٠ ـ ١٩٧٣ ، بلاشير ريجيس ، من علماء المستشرقين ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع الفرنسي الأعلى الأنستيتو بباريس ، فرنسي ، ضليع في العربية ، ولد في مونروج ، من ضواحي باريس ، تلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء بالمغرب وتخرج بكلية الآداب في الجزائر ، ، ألف بالفرنسية كتبا كثيرة وترجم بعضها إلى العربية ، من كتبه : ترجمة القرآن الكريم ، وتاريخ الأدب العربي ، وقواعد العربية الفصحى. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٢ / ٧٢ ، بتصرف.

(٤) إشارات الإعجاز ، سعيد النورسي ، ص : ٢٥٠.

ويقول «بكثول» [١] : (القرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم ، ومكنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطوريات إسكندر الكبير ، والإمبراطورية الرومانية ، سعة وقوة وعمرانا وحضارة ودواما ...).

ويقول «غوته» [٢] : إذا اتجهنا إلى القرآن نفرنا منه في البداية ، ولكن سرعان ما يذهلنا ثم يجبرنا على تقديره في النهاية ، أما أسلوبه وهدفه فعظيم ورهيب وسام ، ولذا سيظل هذا الكتاب ذا تأثير فعّال على مدى الأجيال ، والقرآن سيحافظ على تأثيره إلى الأبد ، لأن تعاليمه عملية ... والإنسان منا إذا قرأ القرآن يرى فيه ولأول مرة شيئا جديدا لم يألفه ولكنه كلما ازداد في قراءته ازداد حبا له واجتذابا إليه ، حتى أخيرا يقول إلى إكباره وإجلاله) [٣].

هؤلاء المفكرون العالميون درسوا الإسلام دراسة عميقة وشاملة ، فأحبه بعضهم وآزره وآمن به آخرون وأعلنوا إسلامهم ، وإذا رجعنا إلى الوراء قليلا فلسوف نجد أن الحروب الصليبية كانت من أبرز الدعائم التي نهضت عليها هذه الدراسات والتصورات حول القرآن الكريم ، وهي سبب من أهم الأسباب الأولى التي جعلت الكثير من الغربيين يغيرون وجهة نظرهم فيما يخص الشرق بشكل عام وشامل والإسلام بشكل خاص ، ذلك لأن الغربيين يوم التحموا بالمسلمين رأوا منهم صفات النبل والشهامة والأخلاق والسلوك المستقيم وأيقنوا أن دين الشرق ليس كما يصوره الاستعمار من الانحطاط والتخلف ، حينها انكب الأوربيون يدرسون وبشكل متسلسل الشرق ، الذي كان

---

(١) ١٨٧٥ ـ ١٩٣٦ ، بكثول مارمادوك وليم ، ولد في لندن وحال ضعف صحته دون إتمام دراسته ، فأرسلته أمه إلى سوريا فتعلم العربية ودرس عادات أهلها وأخلاقهم ، ثم استدعاه اللورد كرومر إلى مصر حيث أقام مدة ، وصنف فيها كتابيه «أبناء النيل ، والنساء المحجبات» ونشر المقالات في الدفاع عن الإسلام ، ثم سافر إلى تركيا وعند عودته منها أشهر إسلامه ، ثم تولى منصب إمام المسلمين في لندن ، وقضى ثلاث سنوات في ترجمة معاني القرآن الكريم. انظر : المستشرقون ، نجيب العقيقي ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة د. ت ، ٢ / ١٠٢ ، بتصرف.

(٢) ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ ، غوته جوهان ، كبير شعراء الألمان ، وأحد عمالقة الأدب العربي ، تميز بتعدد المواهب ، فكان شاعرا وناقدا وروائيا وكاتبا ومسرحيا وعالما ، له روايات شهرية هي أحزان فرتر الشاب. انظر : معجم أعلام المورد ، منير البعلبكي ، ص : ٣٠٣ ، بتصرف.

(٣) قالوا في الإسلام والقرآن والرسول ، حسين سليم ، ص : ٨٩.

لا يحرك في عقولهم ونفوسهم إلا ما قد تأصّل فيها من عداوة واشمئزاز ، نتيجة ما قد رسمه لهم أشخاص حاقدون.

ولا أدل على هذا الذي نقول من أن الرحلات المتعددة ، والصلة المباشرة المستمرة مع الشرق كانت وثيقة متينة ، وكان من نتائجها أنها قشعت الأوهام المظلمة التي تلبّدت في سماء عقول الغرب تجاه المسلمين وقرآنهم ونبيهم ، فمن من كتّاب الغرب الذين يحترمون أقلامهم وأفكارهم ، يجرؤ أن يكتب أو يقول بأن محمدا ﷺ هو إله المسلمين كما كان يسوغ هذا لكتّاب غربيين مضوا؟.

وعند ما كتب الشيخ رشيد رضا مقدمة لكتاب «إعجاز القرآن» كان من جملة ما قال : (فإن من أوتي حظّا من بيان هذه اللغة ، وفاز بسهم رابح من آدابها حتى استحكمت له ملكة الذوق فيها لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن ، ببلاغته وفصاحته وبأسلوبه في نظم عبارته وقد صرّح بهذا من أدباء النصرانية المتأخرين الأستاذ جبر ضومط مدرّس علوم البلاغة بالجامعة الأمريكانية في كتابه الخواطر الحسان) [١].

والذي يستقصي هذه الأقوال المنصفة من علماء الغرب المنصفين يجدها كثيرة جدا ، وتدل بمجملها على أن هؤلاء حين قرءوا القرآن جذبهم إليه ، وشغل قلوبهم وعقولهم ، وقذف في أعماق فكرهم وضميرهم يقينا جازما بأن هذا الكتاب إنما هو كلام الله تعالى ، وأنه فوق كل المعجزات ، وأنه معجزة خالدة تبرهن بنفسها على نفسها ، ولا يمكن أن يصل طوق أحد من البشر مهما أوتي من بلغة وفصل خطاب ، إلى شيء يسير من بيان القرآن وإعجازه.

ولكن وبعد هذا العرض الذي عشنا أجواءه وتضاعيفه ، لنا أن نتساءل ، متى نشأ مصطلح إعجاز القرآن؟ وكيف كانت بدايته؟ وما هي الدوافع الأساسية الأولى التي حفّزت علماء المسلمين لئن يكتبوا مدونات في هذا المجال؟ هذا ما سيبحث في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) مقدمة كتاب ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت ، ص : ٧.

# الفصل الثاني

## نشأة مصطلح إعجاز القرآن

**تمهيد.**

**المبحث الأول : الصّرفة والقائلون بها.**

**المبحث الثاني : نقد مذهب الصّرفة.**

**المبحث الثالث : أوجه إعجاز القرآن.**

تمهيد ..... ٧٠

## تمهيد

مما لا شك فيه أن للقرآن الكريم جاذبية وهيمنة على النفوس والعقول ، كما أن لأسلوبه ونظمه وبيانه سحرا يستولي على الأفكار والألباب ، وقد أدرك ذلك العرب إبان نزوله ، فالمؤمن منهم كانت النشوة القرآنية تنسكب في فؤاده ، فيشعر بسعادة لا تفوقها سعادة ، حتى الكافر والجاحد منهم ، كان يدرك ويستيقن أن هناك فرقا كبيرا بين كلام الخالق وكلام المخلوق ، وأن ما جاء به محمد ﷺ إنما هو كلام الله تعالى ... ولا غرو ولا عجب من ذلك ، فالعرب قد بلغوا من الفصاحة والبيان درجة سامقة باسقة ، اتزنت فيها أساليبهم الكلامية إفرادا وتركيبا ، وزودهم الله بأدوات لغوية تمكنهم من قول الشعر البليغ ورصف الخطب الرنانة ، والحذق في البلاغة والبيان.

فسلامة الذوق العربي ، وجودة القريحة ، وبراعة الاستهلال والأداء ، وإدراك كنه الألفاظ وأبعادها دفعت العرب بشعور وإدراك عميقين ، أو بلا شعور أحيانا إلى تقديس القرآن والخضوع لحسن بيانه وعذب كلامه ... وظلت هذه المعاني ماثلة في الأذهان ، قائمة في الكيان ، في عصر النبوة والخلفاء الراشدين وفسحة من عصر الدولة الأموية ، غير أن اتساع رقعة الإسلام ودخول الأعاجم في هذا الدين وامتزاجهم بالمجتمع العربي ، أثّر في لغة العرب ، وبدأت السليقة العربية تفقد رونقها وجمالها ، لأن المسلمين من غير العرب قد وفدوا ومعهم أفكار وتيارات وتصورات مختلفة حول الإله والدين فراحوا يفكّرون بطريقة منطقية عقلية مجردة عن التذوق المتألق لمعاني اللغة الصافية.

في هذه الأثناء وتلكم الأجواء ، ظهر الحديث عن وجه إعجاز القرآن ، ولما ذا عجز العرب عن الإتيان ولو بسورة من مثله ، وما هو سرّ قصورهم عن ذلك ، وكان أول ما بدأ ذلك في البصرة ، التي كانت تحتضن مجموعة من المذاهب الكلامية والفكرية المتعددة عندها برز مصطلح إعجاز القرآن بين الناس وتداولته الألسنة ، وكان أول من قال به

النّظام وهو من كبار شيوخ المعتزلة عند ما قال : إن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته ، وهذا القول الغريب نجد أنه قد ذاع في البصرة ، وعرف هذا القول «بالصّرفة».

عندها انبرى العلماء للرد على هذا القول المتهافت ، وبدءوا يفنّدونه ويبينون خطأه وخطره وأوضحوا أن إعجاز القرآن شيء قائم بذاته ، وأن الله تحدى به العرب فعجزوا عن الإتيان ولو بسورة من مثله ، ولم يصرف عقولهم عن التفكير في معارضته ... فكتبوا كتبا كثيرة في ذلك ، ونقدوا مذهب الصرفة ، وتحدّثوا عن أوجه إعجاز القرآن ، إلا أنهم اختلفوا في تحديد أوجه إعجاز القرآن ، كما أنهم اختلفوا في ثبات الإعجاز العلمي على التحديد إلى مؤيدين ومعارضين ، غير أنهم اتفقوا جميعا على بطلان القول بالصرفة ، وهذا مجمل ما سنجده في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

# المبحث الأول

## الصّرفة والقائلون بها

سبقت الإشارة إلى أن نشأة مصطلح «إعجاز القرآن» تساورت مع القول بالصرفة ، بل إن القول بالصرفة كان هو الباعث الأول للحديث عن وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وقبل أن نتحدث عمّن صدر هذا القول ، ومن الذي تبناه ودعا إليه ، أود أن أبدأ بتعريف كلمة «الصرفة» في اللغة والاصطلاح ، خلافا لمعظم الباحثين الذين يخوضون في الحديث عن الصرفة ومصدرها ، دون الاستهلال بتعريفها.

### الصّرفة لغة :

بفتح الصاد وتسكين الراء ، يقول ابن منظور : (الصرف : رد الشيء عن وجهه صرفه يصرفه صرفا فانصرف ، وصارف نفسه عن الشيء ، صرفها عنه ، وقوله تعالى :

﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه ، وقيل : انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا.

﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي أضلهم الله مجازاة على فعلهم ، وصرفت الرجل عني فانصرف ، والمنصرف قد يكون مكانا ، وقد يكون مصدرا ، وقوله ﷻ :

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي ، وصرف الله عنك الأذى واستصرفت الله المكاره ، وصرف الشيء ، أعمله في غير وجهه كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه ، وتصرف هو ، وتصاريف الأمور : تخاليفها ، ومنه تصاريف الرياح والسحاب) [١].

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ٩ / ١٨٩ ، وانظر : مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، تحقيق محمود خاطر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ ، ١ / ١٥٢ ، والفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق : علي البجاوي ، ومحمد إبراهيم ، الطبعة الثانية ، د. ت ، ٢ / ٢٩٤.

وفي «التوقيف على مهمات التعريف» : (الصرف : بالفتح رد الشيء من حالة إلى أخرى ، أو إبداله بغيره وتصريف الرياح : صرفها من حال إلى حال ، ومنه تصريف الكلام والدراهم ، والصريف اللبن إذا سكنت رغوته كأنه صرفت الرغوة عنه ، والصرف بالكسر : صبغ أحمر خالص ، ثم قيل لكل خالص من غيره صرف كأنه صرف عنه ما يشوبه) [١].

**الصرفة اصطلاحا :**

معناها (أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن ، وسلب علومهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات) [٢].

هذا معنى الصرفة ، ولكن منشأ القول بالصرفة ، وما هي ملامح الجوّ الذي صدر عنه هذا الفكر والعوامل التي كوّنت هذا التصور في أدمغة أصحابها؟ هذا ما أوضحه الإمام محمد أبو زهرة ﵀ إذ يقول : (إن بعض المتفلسفين من علماء المسلمين اطلعوا على أقوال البراهمة في كتابهم «الفيدا» وهو الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار ، ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم ويقول جمهور علمائهم : إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها ، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها ... وعند ما دخلت الأفكار الهندية في عهد أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس ومن والاه من حكام بني العباس تلقف الذين يحبون كل وافد من الأفكار ، ويركنون إلى الاستغراب في أقوالهم فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول «الصرفة» ويطبقوه على القرآن وإن كان لا ينطبق ، فقال قائلهم : إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه ، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله ، وإن رواج تلك الفكرة يؤدّي إلى أمرين أولهما : أن القرآن الكريم ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع محاكاته وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتي بمثله ، فالعجز ليس من صفات القرآن الذاتية ، وثانيهما : الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شيء في بلاغته أو في معانيه) [٣].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرءوف المناوي ، دمشق ـ بيروت ، دار الفكر المعاصر ، تحقيق ، محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ، ١ / ٤٥٤.

(٢) الإتقان ، للسيوطي ، ٢ / ٣١٤ ، والبرهان ، للزركشي ، ٢ / ٩٥.

(٣) المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ص : ٧٩ ، وانظر : البيان في علوم القرآن ، محمد علي الحسن ، بيروت ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، ص : ٣٩.

وقد ذهب إلى هذا القول النّظّام من المعتزلة ، ونسب إلى ابن المرتضى من الشيعة ، وابن سنان الخفاجي ، وابن حزم الظاهري الأندلسي ، وهؤلاء هم أبرز من قال بالصرفة ، وسوف نقتصر الحديث عليهم ، وعمّا قالوه في هذا المجال تباعا.

**القائلون بالصرفة :**

**١ . النّظّام** [١] :

وهو أول من جهر بالقول بالصرفة ، وهو من رءوس المعتزلة ، ولقد أشار الإمام أبو الحسن الأشعري إلى مقولة النظّام في الصرفة في كتابه «مقالات الإسلاميين» فقال : (وقال النظام : فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لو لا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم) [٢].

ويحدثنا الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» عن النظام ، وعن الظروف والعوامل التي كانت سببا في تكوين هذا الفكر لديه ، وعن طرف من معتقداته البالية ، وخاصة في الصرفة ، فيقول : (إنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، ولأجل ذلك قيل له «النّظام» وكان في زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية ، وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة ، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة ، ثم خالط هاشم بن الحكم الرافضي ، فأخذ عن هاشم وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ ثم بنى عليه قوله بالطفرة التي لم يسبق إليها وهم أحد قبله ، وأخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب ، وأخذ عن هاشم ابن الحكم أيضا قوله بأن الألوان والطعوم والروائح والأصوات أجسام ، وبنى على هذه البدعة قوله

---

(١) ت ٢٣١ هـ ، إبراهيم بن سيار النظّام ، إليه تنسب فرقة النظامية ، الذين قالوا : إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه ولا أن يزيد وينقص من عقاب وثواب ، وكونه مريدا لفعله خالقه ولفعل العبد كونه أمر به ، والإنسان هو الروح والبدن والأعراض والأجسام لا تبقى ، والجسم مؤلف من الأعراض ، والعلم والجهل المركب مثلان ، والإيمان والكفر كذلك ، وأن الله خلق الخلق دفعة والتقدم والتأخر في الكون والظهور ، ونظم القرآن ليس بمعجز ، والتواتر يحتمل الكذب ، والإجماع والقياس ليس بحجة وأوجبوا النص على الإمام ، وثبوته لعلي ، لكن كتمه عمر. انظر : لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني ، ١ / ٧٨ ، بتصرف.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، صيدا . بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق ، محي الدين عبد الحميد ، د. ت ، ١ / ٢٩٦.

بتداخل الأجسام في حيّز واحد ، ودوّن مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشبه الملحدة في دين الإسلام وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف ، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه ، وأنكر ما روي من معجزات نبينا ﷺ من انشقاق القمر ، وتسبيح الحصى في يده ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا ﷺ إلى إنكار نبوته ، ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها ولم يجسر على إظهار دفعها ، فأبطل الطرق الدالة عليها ، فأنكر لأجل ذلك حجة الإجماع ، وحجية القياس في الفروع الشرعية ...) [١].

ثم عرض بعد هذا البغدادي سلسلة طويلة من انحرافاته وضلالاته ، وأسماها «بالفضائح» بسط الكلام فيما أوجزناه وأثبتناه هاهنا ، وغير البغدادي كثير من علماء الإسلام الذين أماطوا اللثام عن زيف ووهم ما ذهب إليه النظام ، وركّزوا على الصرفة التي جاهر بها ، من ذلك ما أورده الإمام الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» إذ يقول : (إبراهيم بن سيّار النظّام قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل ... وذكر ثلاثة عشر مسألة أوضح فيها ضلاله وزيفه ، منها قضية الصرفة) [٢].

ومن خلال استقراء حياة النظام يتبين لنا أنه كان شعلة من الذكاء والنباهة ، حتى قال فيه الجاحظ : (قد أنهج ـ أي للمتكلمين ـ لهم سبلا ، وفتق لهم أمورا ، واختصر لهم أبوابا ظهرت فيها النعمة وشملتهم بها المنفعة) [٣].

---

(١) الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، د. ت ، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، محمد كيلاني ، ١٤٠٤ هـ ، ١ / ٥٣ ، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ ، ١ / ٦٧ ، وانظر : عقائد الثلاث والسبعين فرقة ، لأبي محمد اليمني ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، تحقيق ، محمد الغامدي ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ ١ / ٣٣٣ وانظر : معجم الفرق الإسلامية ، شريف يحيى الأمين ، بيروت ، دار الأضواء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ ص ٢٥٠.

(٣) الحيوان ، عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ ، بيروت ، دار الهلال ، تحقيق ، يحيى الشامي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧ ، ٤ / ٦٩.

وقال عنه الجاحظ أيضا : (وكان لا يرتاب بحديث النظّام إذا حكى عن سماع أو عيان) [١].

ووصفه أحمد أمين [٢] بأنه (عقلية قوية سابقة لزمنها ، فيها الركنان الأساسيان اللذان سببا النهضة الحديثة في أوروبا وهما : الشك والتجربة) [٣].

لكن مع كل هذا الثناء والمديح سواء كان مبالغا فيه أم لا (لم يستخدم النظّام قدرته العقلية وطاقاته المعرفية والذكائية في خدمة الشريعة الغراء ، والكشف عن أسرارها وحكمها وشموليتها للكون والحياة والإنسان ، بل على العكس من ذلك تماما ، فقد سلط قلمه ولسانه على الشرع السمح واستهتر بقضايا الدين ، وطعن في أصول الشريعة كما طعن في فتوى أعلام الصحابة ...) [٤].

علاوة على ذلك فإنه كان منحرف السلوك ، سيّئ الخلق ، وهذا وصف ابن قتيبة له يقول : (وجدنا النظّام شاطرا من الشطّار ، يغدو على سكر ويروح على سكر ، ويبيت على جرائرها ، ويدخل في الأدناس ، ويرتكب الفواحش والشائنات ، وهو القائل :

ما زلت آخذ الزقّ في لطف وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي والزقّ مطّرح جسم بلا روح

ثم نجد أصحابه يعدون من خطئه قوله : إن الله عَزَّوَجَلَّ يحدث الدنيا وما فيها ، في كل وقت من غير إفنائها ...) [٥].

وقد اتفق أكثر المعتزلة على تكفير النّظام كما قال البغدادي : (وقد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة ، منهم أبو الهذيل ، فإنه قال بتكفيره في كتابه المعروف «بالرد على

---

(١) المصدر نفسه ، ٤ / ١٠٦.

(٢) ١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ ١٨٧٨ - ١٩٥٤ ، أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ ، عالم بالأدب غزير الاطلاع على التاريخ ، من كبار الكتاب ، مولده ووفاته بالقاهرة ، قرأ بالأزهر وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، تولى الكثير من المناصب ، من مؤلفاته ، فجر الإسلام وضحى الإسلام ، وظهر الإسلام ، وغيرها. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ١ / ١٠١ بتصرف.

(٣) ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦١ ، ٣ / ١١٢.

(٤) انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ، ١ / ٥٧ ، ولوامع الأنوار ، للسفاريني ، ١ / ٧٨ ، بتصرف.

(٥) تأويل مختلف الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، تحقيق ، محمد الأصفر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥.

النظّام» ، وفي كتابه عليه في الأعراض ، والإنسان ، والجزء الذي لا يتجزأ ، ومنهم الجبائي ، فقد كفّر النظام في قوله : إن المتولدات في أفعال الله بإيجاب الخلقة ... ومنهم جعفر بن حرب فقد صنّف كتابا في تكفير النظّام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ ... وأما كتب أهل السنة والجماعة في تكفيره فالله يحصيها ، ولشيخنا أبي الحسن الأشعري ﵀ في تكفير النظّام ثلاثة كتب ، وللقلانسي عليه كتب ورسائل ، وللقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الأشعري ﵀ كتاب كبير في نقض أصول النظام ، وقد أشار إلى ضلالاته في كتاب ، إكفار المتأولين) [(١)].

## ٢ . الشريف المرتضى من الشيعة [(٢)] :

والصرفة عنده هي : أن الله سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في معارضة القرآن والإتيان بمثله ، أي إنهم قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن ، وذلك بما زودوا من فصاحة وبلغة وبيان ، إلا أنهم عاجزون عن ذلك بسبب أن الله سلبهم هذه العلوم التي يحتاجون إليها لمحاكاة القرآن والإتيان بمثله.

وهذا قوله كما نقله الرافعي [(٣)] : (وقال المرتضى من الشيعة : معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن) [(٤)].

وإليه أشار ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء» إذ يقول : (قرأت بخط عبد الله ابن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب ألفه في الصرفة ، زعم فيه أن

---

(١) الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ١٣٣.

(٢) ٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ ، ٩٦٦ ـ ١٠٤٤ ، علي بن الحسن بن موسى بن إبراهيم أبو القاسم ، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب نقيب الطالبيين وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ، يقول بالاعتزال ، مولده ووفاته ببغداد ، له تصانيف كثيرة منها : الغرر والدرر ويعرف بأمالي المرتضى ، والشهاب في الشيب والشباب ، والشافي في الإمامة ، وتنزيه الأنبياء والانتصار ...

وكثير من مترجميه يرون أنه هو جامع «نهج البلاغة» ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٤ / ٢٧٨ ، بتصرف.

(٣) ١٢٩٨ ـ ١٣٥٦ هـ ، ١٨٨١ ـ ١٩٣٧ ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي ، عالم بالأدب ، شاعر ، من كبار الكتاب أصله من طرابلس الشام ، ووفاته في طنطا بمصر ، له ديوان شعر ، وتاريخ آداب العرب ، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وغيرها من الكتب. انظر الأعلام ، للزركلي ، ٧ / ٢٣٥ ، بتصرف.

(٤) إعجاز القرآن ، للرافعي ، ص ١٤٤.

القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة حتى صار معجزة للنبي ﷺ وأن كل فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله ، إلا أنهم صرفوا عن ذلك ، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة ، وهو مذهب الجماعة من المتكلمين والرافضة منهم بشر المريسي ، والمرتضى أبو القاسم ...) [١].

ويقول السفاريني [٢] : (وكان المرتضى العلوي يقول بالصرفة ، يعني أن الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثله ...) [٣].

وهكذا يتضح لنا الفرق الدقيق بين ما ذهب إليه النظّام في الصرفة ، وما ذهب إليه المرتضى فالنظّام يرى بأن الصرفة هي : عدم معارضتهم للقرآن مع قدرتهم عليها ، لكن الله صرفهم عنها ، أما عند المرتضى فالصرفة هي : عدم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، لأن الله سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها لمحاكاة القرآن والإتيان بمثله ، بعد أن كانت متأصّلة فيهم.

### ٣ ـ ابن حزم الأندلسي الفقيه الظاهري [٤] :

ابن حزم ممن قال بالصرفة في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» تحت

---

(١) معجم الأدباء ، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، بيروت ، دار صادر ، د. ت ، ٣ / ١٣٩.

(٢) ١١١٤ ـ ١١٨٨ هـ ، ١٧٠٢ ـ ١٧٧٤ ، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، عالم بالحديث والأصول والأدب ، ولد في سفارين من قرى «نابلس» ورحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها ، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى وتوفي فيها ، من كتبه : الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات ، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام ، ولوامع الأنوار البهية ، وغيرها. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٦ / ١٤ ، بتصرف.

(٣) لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني ، ١ / ١٧٤.

(٤) ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ ، ٩٩٤ ـ ١٠٦٤ ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه ، يقال لهم «الحزمية» ولد بقرطبة ، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة ، وتدبير المملكة ، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف ، فكان من صدور الباحثين ، فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيدا عن المصانعة وانتقد كثيرا

من العلماء والفقهاء فتمالئوا على بغضه ، وأجمعوا على تضليله ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنوّ منه فأقصته الملوك وطاردته ، فرحل إلى بادية لبلة من بلاد الأندلس ، فتوفي فيها ... أشهر مصنفاته : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، والمحلى وجمهرة الأنساب ، والناسخ والمنسوخ ، وحجة الوداع ، وديوان شعر. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٤ / ٢٥٤ ، بتصرف.

عنوان : الكلام في إعجاز القرآن ، حيث يذكر عدة أقوال ، والعديد من المسائل في إعجاز القرآن ويناقشها مع انتقاده لأكثرها ، وهو يرى (أن القرآن في أعلى درجات البلاغة ، حيث إن الله قد بلغ به ما أراد ، فهو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها ، وليس هو في أعلى درجات البلاغة في كلام المخلوقين ، لأنه ليس من نوع كلامهم ، لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من متوسّطه ... ثمّ يعلن الصرفة فيقول : فصحّ أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا ، وأن الله تعالى منع الخلق من مثله ، وكساه الإعجاز ، وسلبه جميع كلام الخلق ... إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير الله تعالى معجز ، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له ، أصاره معجزا ، ومنع من مماثلته ، وهذا برهان كان لا يحتاج إلى غيره) [١].

(وعلى هذا فإن ابن حزم لا يرى القرآن معجزا ببلاغته ، وأن في استطاعة الناس أن يأتوا بمثل بلاغته ، مع اعترافه بأنه في أعلى طبقات البلاغة ، ونراه من جهة ثانية يخالف طريقة المتكلمين ، فهم يجعلون إعجاز القرآن وسيلة إلى إثبات أنه منزل من عند الله وإثبات النبوة ، وهو يعكس الأمر فيجعله معجزا لأنه كلام الله) [٢].

وللشيخ محمد أبو زهرة رحمة الله تعقيب نفيس على كلام ابن حزم الذي أوردناه آنفا يقول : (إن ذلك الكلام يبدو بادي الرأي غريبا من ابن حزم ، ولكن المتأمل فيه يجده سائرا على مذهبه في نفي الرأي ، والحكم بظاهر القول من غير تعليل ، فالاتجاه إلى تعليل الإعجاز بأن السبب فيه بلاغته التي علت عن طاقة العرب ، والتي جعلتهم يخرون صاغرين بين يديه من غير مراء ولا جدال يعد تعليلا وهو من باب الرأي الذي ينفيه والتعليل الذي يجافيه ، فلا بد أن يبحث عن سبب غير ما ذكر الله تعالى) [٣].

### ٤ . ابن سنان الخفاجي [٤] :

ومن الذين قالوا بالصرفة الخفاجي في كتابه «سرّ الفصاحة» فهو يرى أن أسلوب

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، ٣ / ٢٩.

(٢) فكرة إعجاز القرآن ، نعيم الحمصي ، ص ٨٤.

(٣) المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٤) ٤٢٣ ـ ٤٦٦ هـ ، ١٠٣٢ ـ ١٠٧٣ م ، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي ، شاعر ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره وكانت له ولاية بقلعة «عزاز» من أعمال حلب ، وعصي بها ، فاحتيل عليه فسمّ فمات ، له ديوان شعر ، وسر الفصاحة. انظر : الأعلام للزركلي ، ٤ / ١٢٢ ، بتصرف.

القرآن لم يبعد كثيرا عن فصيح الكلام المختار من كلام العرب ، وأن العرب عند ما عجزوا عن الإتيان بمثله ، كان ذلك راجعا إلى أنهم سلبوا العلوم التي كانوا يتمكنون بها من معارضته ...

يقول الخفاجي وهو يردّ على أبي الحسن الرماني الذي يرى أن إعجاز القرآن راجع إلى بلاغته وفصاحته وتلاؤم نظمه ... يقول : (ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام في هذه القضية ، ومتى رجع الإنسان إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار ، وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه ، ولعل أبا الحسن الرماني يتخيل أن الإعجاز في القرآن لا يتم إلا بمثل هذه الدعوى الفاسدة ... ثم يعلن القول بالصرفة فيقول : وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته ، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكّنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك) [١].

وقد زعم السفاريني أن القاضي عياض له ميل إلى القول بالصرفة فقال : (قلت : وفي شفاء أبي الفضل القاضي عياض بعض ميل للقول بالصرفة ، فإنه قال : وذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويقدرهم الله عليه ، ولكنه لم يكن هذا ، ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه) [٢].

والحق أن القاضي عياض لم يمل إلى الصرفة ، لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما استعرض أقوال العلماء في وجوه الإعجاز ، سواء من أثبت الصرفة أو من نفاها ، ثم إننا نجده قد بسط الحديث في إعجاز القرآن ، وتحديه للعرب وللناس جميعا ، وذكر آيات التحدي تباعا وأوضح بإسهاب خصائص اللغة العربية ، وما كان عليه العرب من فصاحة وبلاغة وبيان ومع كل هذا ، والقرآن يتحداهم ، نجدهم عاجزين ناكصين ... وهذا ما قاله القاضي عياض وهو يعرض أقوال العلماء في وجوه الإعجاز يقول : (وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ، فأكثرهم يقول : إنه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه ، وحسن نظمه ، وإيجازه ، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها ، كإحياء الموتى ،

---

(١) سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ ، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني ، ١ / ١٧٥.

وقلب العصا ، وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه) [١] ، فنحن نميل إلى الاعتقاد بأنه قد عرض القولين مجرد عرض ، بل إنه قد جزم بإعجاز القرآن بالتحدي لا بالصرفة [٢].

هؤلاء هم أبرز من قال بالصرفة ، بل هم الذين وضعوا التصور الواضح لمفهوم الصرفة ، ويتضح لنا بعد أن تعرفنا على ما ذهبوا إليه أن آرائهم تتلخص بمذهبين :

أولا : النظّام ومن سار على نهجه ، وهؤلاء يرون أن العرب صرفوا عن معارضة القرآن ولم يحاولوا معارضته ، ولو حاولوا لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.

ثانيا : الشريف المرتضى والخفاجي ومن سار على نهجهما ، وهؤلاء يرون أن الله سلب من العرب العلوم التي يحتاجون إليها لمعارضة القرآن الكريم ، ولو حاولوا معارضته لفشلوا بسبب سلب العلوم التي تمكنهم من معارضته والإتيان بمثله.

وكلا المذهبين مردود بأدلة قاطعة وواضحة ، وهذا ما سيتناول في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، تحقيق مصطفى عطى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، ١ / ٣٧٣.

(٢) والذي يراجع ما كتبه القاضي عياض في هذا الصدد في كتابه الشفا ، ص : ٣٧٠ وما بعدها يجد مصداق ما قلناه.

## المبحث الثاني

## نقد مذهب الصرفة

يتسنّى لنا من خلال ما بسطناه من الحديث عن الصرفة وقائليها ، وما تلخص لنا من مجموع ما ذهبوا إليه أن نركز النقد على هذا القول الشاذ بما يلي :

### أولا : الرد على النظام ومن حذى حذوه :

والذين قالوا : إن الله صرف العرب عن المعارضة ، ولو فكروا وحاولوا لاستطاعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

١ ـ بداية نقول : يلزم من القول بالصرفة أن الإعجاز ليس ذاتيا في القرآن ، وإنما الإعجاز في المنع أي في غيره ، وهذا القول باطل لأن الله سبحانه وتعالى وصف القرآن بأوصاف تدل على أنه معجز بذاته وأول وأهم هذه الأوصاف أنه قد تحداهم أن يأتوا بمثله ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١) وأيضا قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (٢) وقوله جلّ ثناؤه : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (٣) ، فقد قرر سبحانه وتعالى في الآية الأولى أن الإنس والجن مهما تضافرت قواهم ، وتآزرت جهودهم ليعارضوه لم ولن يستطيعوا أن يأتوا ولو بسورة من مثله ، فلو كان الإعجاز بالصرفة كما يقولون لاقتضى سياق الخطاب أن يأتي هكذا «لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لصرفهم الله عن ذلك» ولكن لم يرد مثل هذا أبدا ، بل إن الحق جعل التحدي في الإعجاز بالقرآن ذاته لا بالمنع والصرف ...

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣.

(٣) سورة هود ، الآية : ١٣.

كذلك فإن الآية الثانية والثالثة ، تدلان على أن القرآن معجز بذاته لا بغيره ، وذلك لأن الله جل جلاله أودع فيه من المزايا والصفات السامية ، التي لا يمكن أن يصل إلى مستواها طوق أحد من الخلق ليعارضها وليجاريها ، ومن هنا كان التحدي بالقرآن نفسه ونستبين ذلك من أن القرآن سلسل آيات التحدي لهم ، وسفّه عقولهم وأثار حميتهم ، فلو كان الإعجاز بالصرفة ، لما عرض آيات التحدي ، إنما كان يكفيه أن يقول لهم : إن دليل صدقي هو منعكم عن المعارضة ، فالمعجزة تكون نفس المنع عن المعارضة وليس القرآن ولكننا نجد أن الحق عرض آيات التحدي تباعا بصورة جازمة على أن المتحدى به هو القرآن ذاته ، وأنه المعجز لمزايا أودعها في ذاته ، وليست هذه الصفات خاصة عنه.

٢ . وردت آيات كثيرة تدل على أن القرآن معجز بذاته ، وذلك بسبب قوة تأثيره في النفوس وهيمنته على الأفئدة ، ومن أجل هذا كان الكفرة يهمس بعضهم في البعض لئلا يصغوا إلى القرآن حتى لا يسحرهم جماله وبيانه ، قال تعالى : ﴿**وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [١] كما أن القرآن كان له تأثير عجيب في نفوس المسلمين الخاشعين وإلى هذا يشير مولانا تبارك وتعالى : ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ**﴾ [٢]. يقول الشيخ محمد أبو زهرة : (إن العرب عند ما تلقوا القرآن راعهم بيانه ، وأثار إعجابهم أسلوبه وعباراته ، وقالوا : ما رأينا مثله شعرا ولا نثرا ، فكان العجز لذاته ، لا لشيء خارج عنه ، وما لنا نفترض ما لم يقولوا ، وما لم يفعلوا ، وما لم يقدروا ، إلا أن يكون ذلك تمويها وإنكارا للواقع المستقر بفرض وهميّ ... وأيضا فإنه لو كان العجز لأمر خارجي لا لأمر ذاتي فيه ، بأن تكون عندهم القدرة على أن يأتوا بمثله ولكن صرفوا ، فإن ذلك يقتضي أن يثبت أولا أنهم قادرون على مثله ، وهم أولا قد نفوا ذلك عن قدرهم ، وليس لنا أن نفرض لهم قدرة قد نفوها عن أنفسهم ، ولو كانوا قادرين لكان من كلامهم قبل نزول القرآن عليهم وما يكون متماثلا في نسقه ونسجه ، ولهم مثل رنينه وصوره البيانية في شعر

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٢٦.

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٢٣.

أو نثر ، ولكن المتتبع للمأثورات العربية في الجاهلية والإسلام لا يجد فيها ما يقارب القرآن في ألفاظه أو معانيه أو صوره البيانية) [١].

٣ ـ وأما الرد على النظّام ومن معه فإنا نقول : (كيف يصح القول أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثل القرآن ، وهم الذين لم يتركوا سبيلا للقضاء على دعوة محمد ﷺ وسلكوا كل طريق شاق ، وحاربوه وناوءوه وقاطعوه ، وآذوه مع إبطاله لمعتقداتهم ، وإثارته لحفيظتهم ، واستفزازه لمشاعرهم ، وإلهابه لغيرتهم وأصاب موضع عزتهم وفخارهم ، وقد مكّنهم من نفسه لو استطاعوا فدعاهم وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن ولو كان فيهم أدنى قدرة ، أو عرفوا أحدا يملكها في أقصى الأرض لبعثوا إليه كما بعثوا لليهود يسألونهم عمّا يسألون محمدا ﷺ عنه ليحرجوه ، فلا يصح بعد هذا أن يقال : إن همتهم لم تتجه للإتيان بمثله) [٢].

ثم إن أول من رد على النظّام تلميذه الجاحظ ، والجاحظ كما نعلم معتزلي ، ولكنه كان حافلا بالصياغة اللغوية ، وممن يجعلون لصفاء العبارة ورونقها شأنا في البلاغة ، كذلك هو كما وصفه ابن النديم في الفهرست : (بأنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر) [٣].

وها هو ذا الجاحظ يتحدّث عن إعجاز القرآن ونظمه وأسلوبه البياني ، رادّا في ذلك على أستاذه النظّام يقول : (بعث الله محمدا أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عدّة ، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحميّة دون الجهل والحيرة ، حملهم على حظّهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم ، وهو في ذلك

---

(١) المعجزة الكبرى ، لمحمد أبو زهرة ، ص : ٨٣.

(٢) دراسات في علوم القرآن الكريم ، د. فهد الرومي ، الرياض ، مكتبة التوبة ، الطبعة السابعة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ ، ص ٢٧٤ ، وانظر روح المعاني والسبع المثاني ، محمد الألوسي أبو الفضل بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت ، ١ / ٢٩.

(٣) الفهرست ، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ ، ١ / ١٦٩ ، وانظر : أبجد العلوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، تحقيق ، عبد الجبار زكار ، ١٩٧٨ ، ٢ / ٢٦٠.

يحتجّ عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة. واحدة أو بآيات يسيرة فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها ، تكشّف من نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فهاتوها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكايد فيه ، يزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم ، واستحالة لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم ، وكثرة من هجاه منهم ، وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الأسجاع والمزدوج ، واللفظ المنثور ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم ، فمحال ـ أكرمك الله ـ أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين ، مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز ، وهم أشد الخلق أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم ، وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ، وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة ، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه) [١].

(ذلك هو رأي الجاحظ في إقامة الحجّة على وقوع الإعجاز بالقرآن ، وهو رأي كما ترى تقوم بين يديه حجج مشرقة ، وأدلة قاطعة وإن أكثر الذين أقاموا الحجة على إعجاز القرآن من هذا الوجه إنما نظروا إلى رأي الجاحظ هذا ، واعتمدوا عليه ، وداروا حوله) [٢].

٤ ـ ويرد الزرقاني ردا دقيقا على من قال بالصرفة ، وذلك بعد ما عرض شبهة القائلين بها وبدأ بتفنيدها فقال : (... فينقضه الواقع التاريخي أيضا ، ودليلنا على هذا ما

---

(١) انظر : الإتقان ، للسيوطي ، ٤ / ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) الإعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ، ص : ١٦٤.

تواترت به الأنباء من أن بواعث العرب إلى المعارضة قد وجدت سبيلها إلى نفوسهم ، ونالت منالها من عزائمهم ، فهبوا هبّة رجل واحد يحاولون القضاء على دعوة القرآن بمختلف الوسائل فلم يتركوا طريقا إلا سلكوه ، ولم يدعوا بابا إلا دخلوه ، لقد آذوه وآذوا أصحابه فسبوا من سبوا ، وعذّبوا من عذبوا ، وقتلوا من قتلوا ، ولقد طلبوا إلى عمه أبي طالب أن يكفه وإلا نازلوه وإياه ، ولقد قاطعوه وقاطعوا أسرته الكريمة ، لا يبيعون لهم ولا يبتاعون ، ولا يتزوجون منهم ولا يزوجون ، واشتد الأمر حتى أكلت الأسرة الكريمة ورق الشجر ولقد فاوضوه أثناء هذه المقاطعة التي تلين الحديد مفاوضات عدة ، وعرضوا عليه عروضا سخية مغرية ، منها أن يعطوه حتى يكون أكثرهم مالا ، وأن يعقدوا له لواء الزعامة فلا يقطعوا أمرا دونه ، وأن يتوجوه ملكا عليهم إن كان يريد ملكا ، وأن يلتمسوا له الطب إن كان به مس من الجن ، كل ذلك في نظير أن يترك هذا الذي جاء به ، ولما أبى عليهم ذلك ، عرضوا عليه أن يهادنهم ويداهنهم فيعبد آلهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة ، فأبى أيضا ، ونزل قول الله : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (١) ونزلت كذلك سورة الكافرون ، ولقد اتهموه مرة بالسحر وأخرى بالشعر وثالثه بالجنون ورابعة بالكهانة ، وكانوا يتعقبونه وهو يعرض نفسه على قبائل العرب أيام الموسم ، فيبهتونه ويكذّبونه أمام من لا يعرفونه ، ولقد شدّوا وطأتهم على أتباعه حتى اضطروهم أن يهاجروا من وطنهم ويتركوا أهلهم وأولادهم وأموالهم فرارا إلى الله بدينهم ، ولقد تآمروا على الرسول ﷺ أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه لو لا أن حفظه الله وحماه من مكرهم ، وأمره بالهجرة من بينهم ، ولقد أرسلوا إليه الأذى بعد ذلك في مهاجره ، فنشبت الحرب بينه وبينهم في خمس وسبعين موقعة ، منها سبع وعشرون غزوة ، وثمان وأربعون سرية ، فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبي القرآن ، وإنهم كانوا مخلدين إلى العجز والكسل زاهدين في النزول إلى هذا الميدان ، وهل يصح مع هذا كله أن يقال : إنهم كانوا في تشاغل عن القرآن غير معنيين به ولا آبهين له ، وإذا كان أمر القرآن لم يحركهم ولم يسترع انتباههم فلما ذا كانت جميع هذه المهاترات والمصاولات مع أن خصمهم الذي يزعمون خصومته قد قصر لهم المسافة ، ودلهم على أن سبيلهم إلى إسكاته هو أن يأتوا بمثل أقصر سورة مما جاءهم به ، أليس ذلك دليلا ماديا على أن قعودهم عن

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦١.

معارضة القرآن ليست إلا بسبب شعورهم بعجزهم عن هذه المعارضة واقتناعهم بإعجاز القرآن ، وإلا فلما ذا آثروا الملاكمة على المكالمة ، والمقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف) [١].

٥ ـ كما أن الزركشي يورد ردا هاما في هذا الصدد ، لأنه يعتبر القول بالصرفة قولا فاسدا لأن القول بالصرفة هو (زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي ، وخلوّ القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة ، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول ﷺ العظمى ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن ، وخلّوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة) [٢].

هذه مجموعة من الردود الموجزة على النظّام ومن تبعه ، وقد تبين من خلال استعراضها بطلان القول بالصرفة التي زعمها هذا الفريق ، وأما بالنسبة للرد على الفريق الثاني الذي يتمثل بالمرتضى ومن تبعه ، فهاك هو :

**ثانيا : الرد على المرتضى ومن شايعه :**

فهؤلاء زعموا أن الله سلب من العرب العلوم التي يحتاجونها في معارضة القرآن ويتلخّص الرد عليهم بما يلي :

١ ـ نقول : (وهل انحطت علومهم وعقولهم بعد التحدي كما كانت عليه قبل التحدي؟! إننا إذا قارنا بين أساليبهم في الكلام قبل بعثة محمد ﷺ وبعد البعثة ، لم نجد تفاوتا بين أساليبهم ، وعلى هذا الزعم كان ينبغي أن تسفّه أساليبهم بعد التحدي ، ولو أن العلوم سلبت منهم فلما ذا لم يلجئوا إلى كلام فصحائهم من القدماء الذين لم يحضروا عصر التنزيل ، ولم تسلب منهم العلوم ، فيأتوا بقطعة شعرية أو خطبة محفلية فيعارضوا بها القرآن؟ ولما ذا لم ينطقوا بهذا السلب ويشيعوا بأنهم سلبوا علومهم فلا يقدرون على معارضة القرآن؟ ولا يقال : إن ذلك سيكون حجّة عليهم ملزمة لهم لتصديقه ، لأن باب الافتراء كان مفتوحا عندهم ، فكانوا يستطيعون أن يدّعوا أن علومهم

---

(١) انظر : مناهل العرفان ، للزرقاني ، ٢ / ٣٠٢ وانظر : الإتقان ، للسيوطي ، ٢ / ٣١٤ ـ ٣١٥ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير ، ١ / ٦٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٢ / ٩٥ ، و ٢ / ١٢٣ ، وانظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد الزملكاني ، بغداد ، مطبعة العاني ، تحقيق ، أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ ، ص : ٥٣ وما بعدها.

سلبت بطريق السحر كما افتروا : إن تأثير القرآن على الأنفس إنما هو من قبيل السحر) [١].

٢ ـ ثم إن قوله تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [٢] ففي الآية دليل على أن عجزهم كان مع وجود قدرتهم ، وإلا فهل يمكن أن يستقيم التحدي ويتمّ مع المنع والعجز ، وكذلك فإن إشارة الآية إلى المظاهرة والمعاونة دليل آخر على تكاتف القوى ، وتآزر الجموع ، وهل يكون هذا إلا مع بقاء القدرة ، وفي نفس الوقت دليل على العجز مع القدرة ، فلو سلبت منهم العلوم كما يزعم المرتضى لما صحّ البتة التحدي لا عقلا ولا شرعا.

٣ ـ ثم إن (استعظام العرب لفصاحة القرآن وبلاغته ، وتعجبهم من ذلك لهو دليل على بطلان الصرفة ، فلو كانوا مصروفين عن المعارضة بنوع من الصرف لكان تعجّبهم للصرف لا للبيان المعجز وكلامهم قبله ، كالفرق بين كلامهم بعد التحدي وبين القرآن ، ولما لم يكن كذلك بطل القول بالصرفة) [٣] ، والتاريخ يثبت أن العرب أبدا لم تفقد عقولهم بعد التحدي ، لأن سلب العلوم وقت التحدي يؤدي إلى زوال العقول وإلى الجنون ، ولكنّ شيئا من هذا لم يحدث أبدا ، بل بقيت العقول بعد التحدي كما كانت قبله ، وكذلك العلوم.

٤ ـ ونجد أن للآلوسي في «روح المعاني» ردا على المرتضى مختصرا ومعبرا يقول : (وهو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كان الإعجاز بفقدهم العلوم لتناطقوا به ، ولو تناطقوا لشاع إذ العادة جارية بالتحدث بالخوارق فحيث لم يكن ، دلّ على فساد الصرفة بهذا الاعتبار واستدل بعضهم على فساد القول بها بقوله تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [٤] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرهم ، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم ، لأنه بمنزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره) [٥].

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص : ٦٠.

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨.

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن القيم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص : ٣٨٦.

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨.

(٥) روح المعاني ، للآلوسي ، ١ / ٣٠.

٥ ـ وبالنسبة لزعم هذا الفريق بأن علوم العرب سلبت ، يشير الدكتور مصطفى مسلم إلى لفتة هامة هاهنا فيقول : (وإن كان القرآن غير معجز بشيء ذاتي فيه ، وإنما لم يعارضه العرب بصرف دواعيهم عن المعارضة ، أو بسلب العلوم منهم ، فهل أحسّ النظّام والمرتضى بما وصفوا العرب به من صرف وسلب؟ فلما ذا لم يأتيا بمعارضة للقرآن ، وكان النظّام من الأذكياء والماهرين كما يشهد له تلميذه الجاحظ ، والمرتضى مشهود له أنه كان من فرسان البلاغة والبيان) [١]. ويذيّل هذا المبحث باستدراكين هامين حول نقد مذهب الصرفة ، الأول للباقلاني والثاني للجرجاني ، يقول الباقلاني : (ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة ، أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة ، لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه) [٢].

ويقول الجرجاني : (... ثم إن هذه الشناعات التي تقدّم ذكرها ، تلزم أصحاب الصرفة أيضا وذلك أنه لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن ، وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز في نفسه ، لكان لأن أدخل عليهم العجز عنه ، وصرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله ، وكان حالهم على الجملة حال من أعدم العلم بشيء قد كان يعلمه ، وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له ، لكان ينبغي ألا يتعاظمهم ، ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمره وتعجبهم منه ، وعلى أنه قد بهرهم ، وعظم كل العظم عندهم ، ولكان التعجب للذي دخل من العجز عليهم ، ولما رأوه من تغير حالهم ، ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلا ، وأن سد دونه باب كان لهم مفتوحا ، أرأيت لو أن نبيا قال لقومه : إن آيتي أن أضع يدي على رأسي ، وكان الأمر كما قال ، ممّ يكون تعجب القوم؟ أمن وضعه يده على رأسه ، أم من عجزهم أن يضعوا أيديهم على رءوسهم) [٣].

وفي خاتمة المبحث يتضح أن الذي ذهب إلى القول بالصرفة ، إنما هو إنسان ماكر مخادع ، جاف في تذوقه لمعاني القرآن العذبة ، ذلك لأن من قرأ القرآن بحسه وروحه ، وعقله وفكره وجد نفسه يعيش في روضة من رياض الجنة ، ويشعر أن كلام الحق يثير في

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص : ٦٠ ، وانظر : مباحث في علوم القرآن ، منّاع القطان ، الرياض ، مكتبة المعارف الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ ، ص : ٢٦٩.

(٢) إعجاز القرآن ، للباقلاني ، ص : ٥٨.

(٣) دلائل الإعجاز ، للجرجاني ، ص : ٣٧٣.

أقاصي نفسه مشاعر الحب والولاء لله تبارك وتعالى ، فضلا عما يساور نفسه من نشوة يجد متعتها وهو يتلو القرآن الكريم ...

زيادة على ذلك فقد صدق من قال : رب ضارّة نافعة ، نعم فلقد كان للقول بالصرفة أثر واضح في دفع العلماء للرد عليه ، وذلك من خلال الاتجاه إلى البحث والكتابة والتأليف في ميادين البلاغة القرآنية ، والكمّ الكبير من كتب البلاغة الذي نراه اليوم ، إنما كان انعكاسا واضحا للمجهود الذي قدمه السلف الصالح ، وهم يردون على القول بالصرفة ، وذلك من خلال دراسة أسرار الإعجاز في كتاب الله تعالى ، والتأمل في أسلوبه البياني ، وإيقاعه النفسي ... فكانت هذه الكتب ثروة ذخرت بها المكتبة العربية والإسلامية ، ويعتقد أن أحدا من الناس اليوم لا يمكن أن يجرؤ على القول بالصرفة أو ينادي به ، لأن من نادى به قديما إنما تذرع بفكرة عدم معارضته من الناحية البيانية ، أما اليوم ، وبعد انكشاف أسرار الكون ، والكشف عن غوامضه وخفاياه ، ووقوف العلماء على الإعجاز العلمي الذي يبرهن على أن ما توصل إليه علماء اليوم من كثير من الحقائق الكونية ، كان القرآن الكريم قد سبقهم لتسطير أسسها وتسجيل قواعدها قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن والدارس لهذا الجانب العلمي من القرآن الكريم بدقة وأناة لا بد إلا وأن يطأطأ الرأس إجلالا وإخباتا لعظمة هذا الكتاب ، على أننا نؤكد أن الجانب البياني إنما هو معجز أبد الدهر وأنه الرباط العام لكل مناحي وأوجه الإعجاز في كتاب الله ...

فالقول بالصرفة وهم لا يستند إلى دليل أو برهان ، بل هو مردود بأدلة نقلية وأخرى عقلية كما ورد ذلك في ثنايا البحث ، كما أنه مردود بتكذيب الواقع التاريخي له ، والذي أوضح سفور الصرفة وبطلانها .... وبإمكاننا الآن وقد طوينا ملف الصرفة ونقدها ، أن ننتقل لموضوع أشمل من هذا ، ألا وهو : أوجه إعجاز القرآن ، والذي سيدرس في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

## المبحث الثالث

## أوجه إعجاز القرآن

اتضح من خلال المباحث السابقة ، أن القرآن الكريم معجزة الدهر ، وأن العرب قد خضعوا لسلطانه ، وأقروا بإعجازه ، واعترفوا أنهم قاصرون عن مطاولته ، وأنهم عاجزون عن الإتيان بأقصر سورة من مثله ، ثم إن هذا الإعجاز نابع من ذاته ، وليس بسبب خارجي عنه ... وإذا كان شأن إعجاز القرآن هذا ، فلما ذا نجد أن العلماء اختلفوا قديما وحديثا في تحديد وجوه إعجاز القرآن والجهات التي منها كان الإعجاز؟.

القرآن معجز ، نعم ، ولا خلاف في ذلك أبدا ، لما دلت عليه البراهين الواضحة ، والدلائل الساطعة ، التي سيقت لإشباع الحديث عن إعجاز القرآن ، ولكن لسائل أن يتساءل فيقول : من أيّ جهة يمكن لنا أن نقف على إعجاز القرآن؟.

### هل من جهة أسلوبه ودقة عبارته وكلامه؟

ولما ذا؟ وكتاب الله لم يندّ على قواعد اللغة العربية ، ولا على تركيب عبارات وجمل وأساليب الكلام العربي الذي استخدموه فيما بينهم ، وأقروه على أنه لغة الخطاب المستعملة فيما بينهم؟.

### أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟

ولما ذا؟ والقرآن كانت صياغته من نفس الألفاظ التي يستخدمها العرب في صياغة خطبهم وأشعارهم ومدائحهم وقصائدهم ، وأفانين الكلام الجذّاب لديهم؟.

### أم أن الإعجاز جاء من جهة المعاني التي تضمنها القرآن الكريم؟

ولما ذا؟ وهل كانت المعاني التي ارتكزت عليها آيات القرآن غريبة على العرب ...؟ عند ما يتحدث القرآن عمّا سلف من قصص الأمم الغابرة ، وما جرى لتلك الشعوب البائدة ، فهل يصعب على العربي فهم القصة ومغزاها ومحتواها؟ وعند ما

يتحدث عن التربية والتهذيب في الأخلاق والسلوك والمعاملات ، فهل يتعسّر على العربي فهم هذه الأخلاقيات المطروحة والمعروفة؟.

وهكذا عند ما يتحدث عن باقي الجوانب الحياتية والتشريعية وغيرهما ، فإن العرب كانوا بسليقتهم الصافية يدركون وبسهولة كل هذه المعاني القرآنية ...

من أين جاء الإعجاز إذن؟ إن القرآن لم يبعد عن كلام العرب ولغتهم ، والمادة التي يتألف منها كلامهم؟

هذا ما يطوف في أذهان كثير من الناس ، ولكن يقرر أن القرآن معجز ... إنّه معجزة خالدة ، مع كل ما ذكر ، فإن العرب قد عجزوا عن الإتيان ولو بأقصر سورة من مثله.

ولهذا الذي ذكر ، فإن العلماء قديما وحديثا انكبّوا على دراسة القرآن ، والكشف عن أسراره ووجوه الإعجاز فيه ، فاتجهت أبحاثهم ودراساتهم الغزيرة لكي يقفوا على السر الذي به كان القرآن معجزة كبرى ، وتبوّأ مكانة سامية وعظيمة تنزوي لديه الرقاب ، وتقصر عن مطاولته النفوس والطمع للوصول إلى عشر معشاره همم جهابذة الناس ، مع أنه كلام من جنس كلامهم ...

وراح العلماء يكتبون في وجوه إعجاز القرآن ، فمن الذين أفاضوا الحديث عن إعجاز القرآن الإمام «الباقلاني» في كتابه «إعجاز القرآن» [١] ، والإمام البلاغيّ الكبير «عبد القاهر الجرجاني» في كتابه «دلائل الإعجاز» [٢] ، وكذلك القاضي «عياض» في كتابه القيّم «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» [٣] فقد تحدث عن وجوه إعجاز القرآن ، والإمام «القرطبي» وغيرهم ... ومن المعاصرين الذين تحدثوا عن وجوه إعجاز القرآن ، حجة الأدب في العصر الحديث «مصطفى صادق الرافعي» ، في كتابه «إعجاز القرآن» [٤] ، وقد أفرد الشهيد «سيد قطب» كتابا كاملا تحدث فيه عن وجه واحد من وجوه إعجاز القرآن هو «التصوير الفني في القرآن الكريم» [٥] ، وغير هؤلاء كثير ممن جنّدوا أقلامهم ، وأسهروا ليلهم ليقعوا على أسرار وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى.

---

(١) إعجاز القرآن ، محمد بن الطيب الباقلاني.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، للإمام البلاغي عبد القاهر الجرجاني.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي.

(٥) التصوير الفني في القرآن الكريم ، لسيد قطب ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٧.

وسيقتصر الحديث على رأي اثنين من العلماء في وجوه الإعجاز ، ثم يبين الراجح من مذاهبهم مع تعقيب ونقد ومناقشة لكل مذهب على حدة ، ثم أقرر وأعدد تعدادا ما قد ألهمني الله إياه في تحديد أوجه إعجاز القرآن الكريم.

**أولا . وجوه إعجاز القرآن كما حددها الإمام الباقلاني** [١] :

ذهب الإمام الباقلاني في تحديده لأوجه إعجاز القرآن إلى ثلاثة أوجه وهي :

(أ . يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل إليه ، ثم أنه قد أدرج تحت هذا البند نوعين من إعجاز القرآن وهما : غيب المستقبل ، والوفاء بالوعد ، وساق طائفة من الأمثلة التي تدل على ما ذهب إليه.

ب . ذكر في هذا الوجه الثاني ، ما يدل على أن القرآن أخبر عن غيوب ماضية ، علما أن الرسول ﷺ كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ.

ج . في الوجه الثالث تحدث عن القرآن من حيث أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه ، ثم إنه قد فصّل الوجه الثالث في عشرة نقاط نذكرها هنا كما أوردها هو ﷺ تعالى.

يقول : منها ما يرجع إلى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفّى ، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى ما يرسل إرسالا فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف ، وإن لم يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل فيه ، ولا يتصنع له ، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق ، ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من

---

(١) ت ٤٠٣ هـ ، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، ولد في البصرة ، وتوفي في بغداد ، من كبار العلماء في علوم القرآن وصاحب كتاب «إعجاز القرآن» الذي يعتبر من أبرز وأهم المراجع في الإعجاز. طبقات المفسرين ، للأدنةوي ، ١ / ٤٣٩ ، وانظر مقدمة الشيخ محمد سكر لكتاب : إعجاز القرآن ، للباقلاني ، ص : ٧ ، بتصرف.

باب مسجع ، ولا فيه شيء منه وكذلك ليس من قبيل الشعر ، لأن من الناس من زعم أنه كلام السجع ، ومنهم من يدعى فيه شعرا كثيرا والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع ، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم ، أنه خارج عن العادة ، وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتميز حاصل في جميعه.

ومنها : أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثير ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر ، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال ، ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف ، ويشملها ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف ، وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قائل : ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ**﴾ [١] وقوله : ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ [٢] فأخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال ، وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره فتأمله تعرف الفصل.

وفي ذلك معنى ثالث وهو : أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج ، وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ، ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور ، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأبين ، ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ ... ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ ، رأيت التفاوت في شعره على حسب

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٢٣.

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٢.

الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ، ووقف دونه ، وبان الاختلاف على شعره وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا ، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف.

ومعنى رابع وهو : أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بيّنا في الفصل والوصل ، والعلو والنزول والتقريب والتبعيد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع ، ألا ترى أن كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره ، والخروج من باب إلى سواه ، حتى إن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب إلى المديح ، وأطبقوا على أنه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشيء ، وإنما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضي وتنقل يستحسن ، وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء والتحول من باب إلى باب ، ونحن نفصل بعد هذا ، ونفسر هذه الجملة ، ونبين أن القرآن على اختلاف فنونه ، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد ، وهذا أمر عجيب تبين به الفصاحة ، وتظهر به البلاغة ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف.

ومعنى خامس وهو : أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس ، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا ، وقد قال الله عزّوجلّ : ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ (١) فإن قيل هذه دعوى منكم وذلك أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن الإتيان بمثله وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله ، وإن كنا عاجزين كما أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة وأسباب غامضة دقيقة لا نقدر نحن عليها ، ولا سبيل لنا للطفها إليها ، وإذا كان كذلك لم يكن إلى علم ما ادعيتم سبيل؟ قيل : قد يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عزّوجلّ ، وقد

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨.

يمكن أن يقال إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن ، وما يروون لهم من الشعر ، ويحكون عنهم من الكلام ، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم ، منقول عنهم ، والقدر الذي نقلوه من ذلك قد تأملناه ، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس ، ولعله يقصر عنها ، ولا يمتنع أن يسمع كلامهم ، ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الأنبياء صلوات الله عليهم ، وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات ، على أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ، ولهم أشعار محفوظة مدونة في دواوينهم.

ومعنى سادس وهو : أن الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصاد ، والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن ، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة وقد ضمنا بيان ذلك من بعد لأن الوجه هاهنا ذكر المقدمات دون البسط والتفصيل.

ومعنى سابع وهو : أن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع وذلك أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والأمر المتقرر المتصور ، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ويراد تحقيقه بأن التفاضل في البراعة والفصاحة ، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر والفصاحة أتم.

ومعنى ثامن وهو : أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام أو تقذف ما بين شعر فتأخذها الأسماع ، وتتشوف إليها النفوس ، ويرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تقرن به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكالياقوتة في واسطة العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادي على نفسه بتميزه ، وتخصصه برونقه وجماله ...

ومعنى تاسع وهو : أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ، ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم ، والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمة أهل العربية ، وبنوا عليها وجوهها.

ومعنى عاشر وهو : أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحشي المستكره ، والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة ، وجعله قريبا إلى الإفهام ، يبادر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس ، وهو مع ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مطمع مع قربه في نفسه ، ولا موهم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يظفر به ، فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبتذل والقول المسفسف ، فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة ، فيطلب فيه الممتنع ، أو يوضع فيه الإعجاز ولكن لو وضع في وحشي مستكره ، أو غمر بوجوه الصنعة ، وأطبق بأبواب التعسف والتكلف لكان لقائل أن يقول فيه ، ويعتذر أو يعيب ويقرع ولكنه أوضح مناره ، وقرب منهاجه ، وسهل سبيله وجعله في ذلك متشابها متماثلا ...) [١].

نلحظ في تقسيم الإمام الباقلاني أنه جمع وألمّ بما قيل في وجوه الإعجاز حتى زمانه ، وتناول أفكارا ذكرت قبله بالنقد والرد ، ولعلّ الجديد الذي جاء به الباقلاني هو التفريع والتفصيل الذي ذكره هنا ، كذلك المناقشة الموضوعية الدقيقة لآراء عرضها ثم بيّن بطلانها ، ويتضح هذا لو تأمّلنا في الموازنة التي أقامها بين الشعر والسجع والقرآن ، ثم نفى الشعر والسجع عن القرآن ، وكذلك المقارنة بين ما ينسبه العرب إلى الجن من أقوال وبين القرآن ...

ثم إننا نأخذ عليه أنه أسهب وبكثرة في الحديث عن الجانب البياني وفروعه وشعبه ، في حين أنه أغفل عددا من وجوه القرآن لم يذكر منها إلا الغيبي ، والحق أن كتابه «إعجاز القرآن» يعتبر أول كتاب مستقلّ تحدث عن إعجاز القرآن ، وهو من خيرة الكتب ، بل من أهم الكتب التي يرجع إليها الدارسون لقضية الإعجاز حتى عصرنا هذا.

---

(١) انظر : إعجاز القرآن ، للباقلاني ، ص : ٦٢.

**ثانيا ـ القاضي عياض ووجوه إعجاز القرآن** [١] :

أورد القاضي عياض ﷺ في كتابه «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» أوجه الإعجاز في أربعة ثم أتبع بها وجهين حكم عليهما بالضعف ، ثم ساق عدة أوجه ولم يعتد بها.

الوجه الأول : (حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة لعادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن ، وفرسان الكلام ، فقد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص غيرهم من الأمم ، وأوتوا من دراية اللسان ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ، ما يقيد الألباب ، جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة ... فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز ، أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه ...) [٢].

الوجه الثاني : (صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت مقاطع آية ، وانتهت فواصل كلماته إليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم ، وتدلهت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم ، أو سجع أو رجز أو شعر) [٣].

الوجه الثالث : (ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع ، فوجد كما ورد ، وعلى الوجه الذي أخبر به) [٤].

الوجه الرابع : (ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع

---

(١) ت ٥٤٤ هـ ، عياض بن موسى السبتي ، أحد مشايخ العلماء المالكية وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، منها الشفا ، وشرح مسلم ومشارق الأنوار ، وله شعر حسن ، وكان إماما في علوم كثيرة كالفقه واللغة ، انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي ١٢ / ٢٢٥ بتصرف.

(٢) الشفا ، للقاضي عياض ، ١ / ٣٥٨.

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٦٩.

(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٣٧٥.

عمره في تعلم ذلك ، فيورده النبي ﷺ على وجهه ويأتي به على نصه ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، وأن مثله لم ينله بتعليم) [١].

أما الوجهان اللذان ألحقهما بالأوجه الأربعة فهما :

(١ ـ الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وأناقة خطره ، وهي على المكذبين به أعظم ، حتى كانوا يستثقلون سماعه وتزيدهم نفورا) [٢].

(٢ ـ كونه آية باقية ، لا تعدم ما بقيت الدنيا ، مع تكفل الله بحفظه) [٣].

أما الأوجه التي ساقها ﷺ ولم يعتد بها ، فهي كما يذكرها هو :

(أن قارئه لا يمله ، وسامعه لا يمجه ، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا ...

وجمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ، ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة ، لمعرفتها ، ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات ، والرد على فرق الأمم ، ببراهين قوية ، وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد ...

وجمعه فيه بين الدليل ومدلوله ، وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن رصفه ، وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فالتالي له يفهم موضوع الحجة والتكليف معا من كلام واحد ، وسورة منفردة.

وجعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ، ولم يكن في حيز المنثور ، لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب ، وأسمع في الآذان ، وأحلى على الأفهام ، فالناس إليه أميل ، والأهواء إليه أسرع.

ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه ، وتقريبه على متحفظيه ، قال الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [٤] وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم ، فكيف الجمّاء على مرور السنين عليهم.

---

(١) المصدر نفسه ، ١ / ٣٧٩.

(٢) الشفا ، للقاضي عياض ، ١ / ٣٨٤.

(٣) المصدر نفسه ، ١ / ٣٨٨.

(٤) سورة القمر ، الآية : ١٧.

ومشاكلة بعض أجزائه بعضا ، وحسن ائتلاف أنواعها ، والتئام أقسامها ، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى ، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد ، وإثبات ونبوة ، وتوحيد وتفريد ، وترغيب وترهيب ، إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله) [١].

ثم يذيّل القاضي عياض عرضه لهذه الأوجه بخاتمة ينبه فيها إلى أن كل ما سرده هنا إنما هو من خواص القرآن وفضائله ، والقول الفصل هو ما حصره في الأوجه الأربعة التي سبق وأن قررها ، يقول في ذلك : (وهذا كله وكثير مما ذكرنا ، أنه ذكر في إعجاز القرآن ، إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته ، فلا يجب أن يعد فنّا منفردا في إعجازه ، إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثيرا مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله ، لا إعجازه) [٢].

يتّضح لنا من خلال عرض رأي القاضي عياض ﷺ في أوجه إعجاز القرآن أنه لم يأت بجديد وإنما أجمل ما ذكره الإمام الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» مع إضافات يسيرة جاء بها كقوله : جمع القرآن علوما ومعارف لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه وغيرها ...

ثم إننا نجد الوجه الثاني «نظم القرآن العجيب» هو الذي دار حوله أكثر العلماء الذين تناولوا قضية إعجاز القرآن ، وما انطوى عليه من أسرار ، لأن نظم القرآن كان متفردا وبديعا ، بحيث لم يقع العرب على مثله من قبله أبدا ، بخلاف الوجه الأول الذي كان محطة نقاش وخلاف بين العلماء ، هل يعتبرونه وجها من أوجه إعجاز القرآن ، أم أنه دليل من دلائل الإعجاز؟.

ومما يلاحظ على القاضي عياض أنه قد حصر أوجه إعجاز القرآن في الأربعة المذكورة ، وألحقها بوجوه قالها الأئمة من قبله ولم يعتبرها هو أوجها إنما اعتبرها من خواص القرآن ، من هذه الملحقات التي لا نوافقه على أنها ملحقة إلحاقا ، وليس وجها من أوجه الإعجاز قوله : ومنها ، أي من وجوه الإعجاز الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته ، لقوة حاله ... والحق أن هذا

---

(١) الشفا ، للقاضي عياض ، ١ / ٣٨٩.

(٢) الشفا ، للقاضي عياض ، ١ / ٣٩٦.

الوجه يعتبر من أهم وأدق أوجه إعجاز القرآن ، لأن الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته ، هي أساس الإعجاز التي قامت وستبقى قائمة في القرآن إلى يوم الدين.

ولقد أورد المصنفون في علوم القرآن أقوالا لعلماء هذه الأمة في إعجاز القرآن ، لا مجال لسردها وإنما نكتفي بما قد أورده ونقله السيوطي في الإتقان عن علماء الأمة يقول : (... اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب ، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره ، فقال قوم : هو الإيجاز مع البلاغة ، وقال آخرون : هو البيان والفصاحة ، وقال آخرون : هو الرصف والنظم ، وقال آخرون : هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر ، مع كون حروفه في كلامهم ، ومعانيه في خطابهم ، وألفاظه من جنس كلماتهم ، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم ، وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم ، حتى إن من اقتصر على معانيه وغيّر حروفه أذهب رونقه ، ومن اقتصر على حروفه وغيّر معانيه أبطل فائدته ، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه ، وقال آخرون : هو كون قارئه لا يكل ، وسامعه لا يمل ، وإن تكررت عليه تلاوته وقال آخرون : هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية ، وقال آخرون هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع ، وقال آخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشقّ حصرها) [١].

### الرأي المختار في تحديد أوجه إعجاز القرآن

يتبيّن من خلال ما عرض من أقوال العلماء في أوجه إعجاز القرآن ، أن سبب اختلافهم في تحديد أوجه الإعجاز ، هو عدم وجود ضابط أو تعريف لمعنى الوجه في القرآن ، ومرد ذلك إلى أن القرآن حمّال لأوجه كثيرة ، وأن هذه الأوجه منها ما هو ظاهر للعيان في كل عصر من العصور كأسلوب البيان في القرآن ، ومنها ما قد يكتشفه ويقع عليه الناس مع مرور الزمن ، وتعاقب الأجيال كالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ثم إن التباين في صفاء النفس ، وارتقائها في مدارج الكمال ، ومن ثم تفاعلها مع كلام الله والعيش في ظلال القرآن ، والكشف عن وجوهه وأسراره ، يعتبر من أهم الدوافع التي تجعل صاحبها يحظى بالتعرف على وجوه جديدة في كتاب الله.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٢ / ٣٢٢.

وسأحاول بعون الله أن أصوغ تعريفا لمعنى الوجه القرآني المعجز ، وذلك من مجموع ما قرأت وأجلت النظر في كتب علماء البلاغة والبيان والتفسير وعلوم القرآن ، ومن خلال ما قد استقرّ في ذهني من تصور للأبعاد والمسالك التي سلكها علماء المسلمين ، وهم يحاولون تقرير وجوه القرآن وكذلك من خلال المرتكزات والقواعد التي نهضوا عليها وهم يشيّدون صرح هذه الوجوه الشامخة بأدلة وبراهين تثبت ما ذهبوا إليه من جهة ، وتدحض شبهات المعاندين من جهة أخرى.

فالوجه القرآني المعجز هو : كل صفة في أسلوب القرآن أو لفظه أو معناه قد ندت عن قدرة البشر ، فعجزوا عن الإتيان بمثلها.

والذي أعنيه بهذا التعريف ، أن الصفة القرآنية الواحدة قد ينضوي تحت إطارها مجموعة من إعجازات القرآن التي أعلن البشر عجزهم عن مجاراتها ، وهذه المجموعة يربطها رابط واحد مشترك يجعلها تندرج تحت هذه الصفة العامة ، ليصدق عليها اسم وجه القرآن المعجز ...

ولكي أوضح ما أردته من هذا التعريف أضرب مثالا على ذلك : الأخبار الغيبية التي وردت في القرآن الكريم ، سواء ما كان منها ماضيا أو مستقبليا ، فإن هذه الأخبار كلها يربطها رابط واحد ألا وهو «الغيب» وبناء على ذلك فإنها تكون وجها واحدا ، لا وجهين كما قسمهما كثير من العلماء القدامى والمعاصرين ، فجعلوا الغيب الماضي وجها ، والغيب المستقبلي وجها آخر ، والحق أن الغيب بمجمله يعتبر وجها واحدا ، لأنه يشترك في وحدة الموضوع ، وذات المقصود ، ومجموع ما أخبر عنه القرآن من أخبار غيبية ، في الماضي والحاضر والمستقبل نعتبرها وجها واحدا ، لأنها تندرج كلها تحت صفة واحدة ألا وهي «الإخبار بالمغيبات» ولم أجد فيما وقفت عليه من مصادر ومراجع للعلماء القدامى الذين أفاضوا الحديث عن إعجاز القرآن ووجوهه ولو تعريفا واحدا لمعنى الوجه ، إذ بالتعريف يتسنّى لنا أن نحدد الضوابط والقيود للقضية المطروحة ...

وبناء على هذا فإننا نستطيع الآن أن نثبت وجوه إعجاز القرآن كحد وسط بين الذين أكثروا وأسهبوا في ذكر الوجه ، حتى خرجوا عن معنى الوجه القرآني إلى غيره ، وبين الذين أقلوا في ذكر الوجوه حتى أغفلوا أهمها وأبرزها ... وهي كما يلي :

١) الأسلوب البياني في القرآن.

٢) الإخبار عن الغيب في القرآن.

٣) الإعجاز التشريعي الشامل في القرآن.

٤) الإعجاز العلمي في القرآن.

٥) التأثير النفسي في القرآن.

وهذه أدق وجوه إعجاز القرآن ، وهي تعتبر حدا وسطا بين الفريقين ، وقبل ذلك فإنها تقوم على مرتكزات وضوابط التعريف الذي أثبتناه آنفا ، وقد مر معنا في ثنايا البحث وغضونه شرحا واضحا وأمثلة كثيرة لكل وجه من هذه الوجوه ... علاوة على المؤلفات الكثيرة التي أفردها العلماء لهذه الأوجه ما عدا الوجه العلمي الذي سنسهب الحديث عنه في التطبيقات المعاصرة من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى ، ولكن هل هو محل اتفاق أي الإعجاز العلمي في القرآن بين العلماء؟ ومن من العلماء قد أقره وما هي أدلته؟ ومن من العلماء رده ، وما هي أدلته؟ وما هو الرأي الراجح في هذه المسألة؟ هذا ما سيدرس في الفصل القادم بعون الله تبارك وتعالى.

# الفصل الثالث

## الإعجاز العلمي

## بين المؤيدين والمعارضين

**تمهيد.**

**المبحث الأول : أبرز المؤيدين من العلماء القدامى لإعجاز القرآن الكريم.**

**المبحث الثاني : أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين لإعجاز القرآن الكريم.**

**المبحث الثالث : أبرز المعارضين من العلماء القدامى والمعاصرين لإعجاز القرآن الكريم.**

**المبحث الرابع : أدلة الفريقين مع الترجيح في مسألة إعجاز القرآن الكريم.**

تمهيد ..... ١٠٦

## تمهيد

القرآن الكريم كتاب هداية ونور ، أنزله الله سبحانه وتعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفرقة والشقاق إلى الوحدة والإخاء ، قال تعالى : ﴿الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١). وهذه الهداية القرآنية عامة وشاملة لكل مناحي الحياة والكون والإنسان ، ذلك أن الله أودع في القرآن من الركائز الإيمانية والثوابت اليقينية ما يحقق اتزان الإنسان ، واستقرار نفسيته وسعادتها وأودع فيه من الشرائع والتوجيهات ما يكفل صلاح المجتمع الإنساني وانضباطه ، وسريان أسباب المودة والرحمة فيه ، وأودع فيه من الأخلاقيات والآداب العامة ما يكفل استمرار الترابط البشري في أعلى أصعدة الإخاء والمحبة والوئام ، كما أنه أودع فيه من المعارف والحقائق الكونية العلمية التي أخذت شوطا كبيرا فيه ما يكفل خلق جوّ نزيه خلال سعي الإنسان لاكتشاف أسرار الكون والبحث عن غوامضه وخفاياه ، لتذليلها وتسخيرها له.

إذن ، هداية القرآن متعددة الأبعاد ، كثيرة الجوانب ، وما ينبغي أن تقصر على جانب دون آخر إلا أن الجانب الأخير الذي ذكر وهو الحقائق العلمية في القرآن ، كان ميدانا للأخذ والرد بين العلماء عبر مرور الأزمان وكرّ الأيام ، فقد طرح التساؤل التالي : هل النصوص القرآنية قد اشتملت على العلوم والمعارف كلها ، أي على علوم الطبيعة ، والفلك ، وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلوم الحياة (البيولوجيا) وعلم الطب والتشريح ، وعلم الوظائف (الفسيولوجيا) ، والرياضيات ... أم أن القرآن كتاب هداية ونور ، جاء ليعزز الإيمان في النفوس ، وليربط الخلق بالخالق وشرعه ، ولا علاقة له بهذه المعارف؟.

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١.

اختلف العلماء إزاء هذه القضية قديما وحديثا إلى طائفتين ، الأولى : ترى أن العلوم والمعارف قد أخذت مساحة كبيرة من القرآن ، وخاصة عند ما يلفت القرآن نظرنا للحديث عن السماء والأرض والجبال والبحار والأنهار والإنسان والنجوم والطيور ... وعلى هذا فإن هناك تطابقا بين الثوابت العلمية التي وصل إليها علماء العصر ، وبين الآيات القرآنية ، غير أن بعضهم بالغ حتى جعل من القرآن الكريم موسوعة علمية تشتمل حتى على المخترعات والمكتشفات بأنواعها.

والثانية : ترى أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور ، وما المعارف العلمية إلا نتيجة من نتاج العقل البشري ، ولا صلة لها بالقرآن.

وسوف تعرض بعون الله تعالى أبرز هذه الآراء من العلماء القدامى والمعاصرين ، سواء من ذهب إلى صحة التفسير العلمي للقرآن الكريم ، أو من عارض تفسير القرآن على أساس العلم ، وبعد استعراض آراء كل طائفة ، ستساق أدلة كل منها على حدة ، ثم يعقد مبحث ختامي لهذا الفصل يثبت فيه الرأي الذي نميل ونطمئن إليه ، مع بعض المناقشة والاستدراكات.

# المبحث الأول

## أبرز المؤيّدين من العلماء القدامى

أبرز من تبنّى فكرة التفسير العلمي للقرآن أبو حامد الغزالي ، وفخر الدين الرازي ، والزركشي والسيوطي ، وسنستعرض آراء كل من هؤلاء الأئمة في هذه القضية على حدة.

### أولا . الإمام أبو حامد الغزالي [١] :

(الكاتبون في هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإمام أبا حامد الغزالي المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ كان إلى عهده أكثر من استوفى هذا القول وأيده ، وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية مما يدل على أن هذه الفكرة كانت موجودة قبل الغزالي منذ أن ترجمت العلوم المختلفة إلى اللغة العربية ودونت العلوم المختلفة ، بل إننا نستطيع أن نقول : إن بذورها كانت موجودة في عصر صحابة رسول الله ﷺ فقد استدل هؤلاء العلماء بقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن ، ولكنها كانت في بدايتها) [٢].

---

(١) ت ٥٠٥ هـ ، حجة الإسلام وزين الأنام ، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وارتحل إلى إمام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى صار أنظر أهل زمانه ، وكان الإمام يحبه باطنا لما يصدر عنه من سرعة العبارة ، وقوة الطبع ، وابتدأ بالتصانيف ، وكان محط رجال العلماء ومقصد الأئمة والفصحاء ، ورجع إلى دمشق وأقام بها عشرة سنين بمنارة الجامع وصنف بها كتبا منها الإحياء ، ثم سار إلى القدس والإسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه طوس فأقبل على التصنيف والعبادة والملازمة للتلاوة ونشر العلم وكانت وفاته بطوس. انظر : طبقات الفقهاء ، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، بيروت ، دار القلم ، تحقيق ، الشيخ خليل الميس د. ت ١ / ٢٤٨ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي الدمشقي ، بيروت ، دار الكتب العلمية د. ت ٢ / ٣٨٣ ، بتصرف.

(٢) التفسير العلمي للقرآن ، أحمد عمر أبو حجر ، دمشق ، دار قتيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ ، ص : ١٤٦.

إلا أن الإمام الغزالي يعتبر أول من أثار هذا الموضوع ، وطرحه في الأوساط ، ولذلك نجده قد عقد في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين» بابا في آداب تلاوة القرآن وعنونه «في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل» والذي قال فيه : (الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم ، قال علي رضي الله عنه : إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ، فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال : إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدّا ومطلعا ، ثم يسوق أثرا عن ابن مسعود فيقول : وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأوّلين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر ، ثم يقول : وبالجملة ، فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك ، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ، ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها ، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره؟) [١].

وفي كتابه «جواهر القرآن» والذي ألفه بعد الإحياء نرى الإمام الغزالي عاد إلى نفس الموضوع ليتوسع فيه ، وقد ذكر في الفصل الأول أن القرآن هو البحر المحيط وينطوي على أصناف الجواهر والنفائس يقول : (أوما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط ، ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها؟) [٢].

وفي الفصل الرابع من نفس الكتاب والذي عنونه بكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها عن الأقسام العشرة المذكورة ، نجده قد قسّم علوم القرآن إلى قسمين :

**القسم الأول** : علم الصّدف ، واعتبر الصدف أول ما يظهر ، ثم يقف بعض الواصلين إلى الصدف على الصدف ، وبعضهم يفتق الصدف ويطالع الدرّ ، فكذلك صدف جواهر القرآن ... وقد جعل منه علوم اللغة والنحو والقراءات ، وعلم مخارج

---

(١) إحياء علوم الدين ، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥ ، ١ / ٢٧٢.

(٢) جواهر القرآن ، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي ، بيروت ، دار إحياء علوم الدين ، تحقيق ، محمد رشيد رضا القباني ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٩٦ ، ص : ٢٣.

الحروف ، وعلم التفسير الظاهر ، ثم رتّبها على أساس القريب والبعيد من القشر واللب.

**القسم الثاني** : علم اللباب ، وهو يتضمّن معرفة قصص القرآن ، وما يتعلق بالأنبياء ، وما يتعلق بالجاحدين والأعداء ، وعلم الكلام ، وعلم الفقه وأصوله ، والعلم بالله واليوم الآخر ، والعلم بالصراط المستقيم ...) [١].

ثم يعنون الفصل الخامس انشعاب سائر العلوم من القرآن فيقول : (ولعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة ، كعلم الطب ، والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه ، وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك ، فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسّر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه ... ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى ، وهو بحر الأفعال وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له ، وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد ، فمن أفعال الله تعالى ، وهو بحر الأفعال مثلا الشفاء والمرض ، كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿**وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [٢] ، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، ومعرفة الشفاء وأسبابه ، ومن أفعاله تبارك وتعالى تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان ، وقد قال الله تعالى : ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ**﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ ما خَلَقَ اللهُ ذلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ ... [٤] ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما ، وولوج الليل في النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر ، إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض ، وهو علم برأسه ، ولا يعرف كمال معنى قوله تعالى : ﴿**يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ**

---

(١) المصدر نفسه ، ص : ٣٥.

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٨٠.

(٣) سورة الرحمن ، الآية : ٥.

(٤) سورة يونس ، الآية : ٥.

﴿ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾ [١] لا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرا وباطنا ، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها ، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها ، وهي من علوم الأولين والآخرين ، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين وكذلك لا يعرف كمال معنى قوله تعالى : ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ [٢] ، من لم يعلم التسوية والنفخ والروح ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق ، وربما لا يفهمونها أن سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ، ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها ، وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة الله تعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل ، وكذلك كل قسم أجملناه ، لو شعب لا نشعب إلى تفاصيل كثيرة ، فتفكّر في القرآن ، والتمس غرائبه ، لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين ، وجملة أوائله وإنما التفكّر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله ، وهو البحر الذي لا شاطئ له) [٣].

ويلاحظ أن هذا المنهج الذي سلكه ورسم أطره الإمام الغزالي ، إنما هو منهج دقيق وصحيح ، ذلك أن من يريد أن يفسر القرآن على أساس العلوم الكونية يجب أن يكون جامعا لأصول العلوم الشرعية واللغة العربية على اختلاف مناحيها ، بجانب إلمامه بالعلوم الطبيعية والكونية والتطبيقية ... فمن جمع بين هذه العلوم يستطيع أن يوضح إشراقات الهداية الربانية في القرآن الكريم ، وبذلك يكون قد أدخل أداة أخرى لعلوم الكونية إلى دائرة الأدوات العلمية ، والتي تتمثّل بالعلوم الشرعية أصولا وفروعا وعلوم اللغة العربية وفروعها ، وعلوم الآلة ، لفهم مقاصد النصوص القرآنية.

### ثانيا ـ فخر الدين الرازي [٤] :

ثم جاء بعد الغزالي الإمام الرازي ، ليقيم موازنة ومقارنة بين ما انتشر في وسطه من

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات ٦ ـ ٨.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩.

(٣) انظر : جواهر القرآن ، للغزالي ، ص ٤٤.

(٤) ت ٦٠٦ هـ ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، العلامة سلطان المتكلمين في زمانه فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل ثم الرازي ، المفسّر المتكلم إمام وقته في العلوم العقلية وأحد الأئمة في علوم الشريعة ، صاحب المصنّفات المشهورة والفضائل الغزيرة المذكورة ، ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقيل سنة ثلاث ، .

علوم ومعارف وثقافة ، سواء كانت وافدة ومترجمة عن الأمم الأخرى أو من تأليف المسلمين ، وبيّن النصوص القرآنية ، والمحور الذي يدور حوله الإمام الرازي من وراء تفسيره للقرآن على أساس العلم إنما هو ترسيخ فكرة التوحيد ، وتقوية دعائم الكمال النفسي والإيمان بالله تعالى ، فكان تفسيره «مفاتيح الغيب» فيّاضا بالاستطرادات العلمية الكونية.

وها هو ذا الإمام الرازي يرد على من اعترض عليه بسبب إكثاره من القضايا الكونية والعلمية في تفسيره فيقول : (وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم ، وذلك على خلاف المعتاد؟ فيقال لهذا المسكين : إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه : الأول : أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وكيفية أحوال الضياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجوم ، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها ، والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها ، والثاني : أنه تعالى قال : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ﴾ [١] فهو تعالى حثّ على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها ، والثالث : أنه تعالى قال : ﴿لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [٢] فبيّن أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس ، ثم أنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [٣]

---

أتقن علوما كثيرة وبرز فيها وتقدّم وساد ، وقصده الطلبة من سائر البلاد ، من مؤلفاته : مفاتيح الغيب ، وكتاب المحصول ، والمنتخب ، ونهاية المعقول ، وكانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر.

انظر : طبقات الشافعية ، للشيرازي ، ٢ / ٦٦ ، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ، ٣ / ٢٢ ، والبداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، بيروت ، مكتبة المعارف ، د. ت ، ١٣ / ٥٥ ، والعبر في خبر من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨ ، ٤ / ٢٨٥ ، بتصرف.

(١) سورة ق ، الآية : ٥.

(٢) سورة غافر ، الآية : ٥٧.

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٢١.

فما كان أعلى شأنا وأعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب ، والرابع : أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً﴾ [١] ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل) [٢].

والحق أن الإمام الرازي قد توسع في ذكر القضايا العلمية في تفسيره ، حتى يخرجك في بعض الأحيان عن مقاصد النص القرآني الذي يبحثه بسبب إسهابه في ذكر المسائل الكونية والعلمية ، ومع غزارة علم هذا الإمام ، والثروة العلمية الهائلة التي تركها لنا في تفسيره ، والتي لا يستغني عنها أي باحث في علوم القرآن وفهم دقائقه ومعانيه ، فإن عددا ليس بالقليل من المسائل العلمية والكونية التي أوردها في تفسيره قد أصبحت اليوم بعد الثورة العلمية غير دقيقة ، لأنه إنما استقاها مما جدّ من ثقافة علمية في عصره وبيئته التي عاش فيها ، وعلى كل حال فإن الإمام الرازي يعتبر من أول من طبق هذا الاتجاه عمليا ، بعد ما أورده الغزالي في «إحيائه» بشكل نظري.

ولسنا بحاجة لإيراد أمثلة من تفسيره تدلنا على التطبيق العملي الذي قام به الرازي من تفسير النصوص القرآنية على أساس العلم ، فتفسيره فياض بذلك ، ولسوف نستشهد بآرائه وفهمه للنصوص القرآنية في الجانب التطبيقي من هذه الرسالة بعونه تعالى.

### ثالثا ـ الإمام الزركشي [٣] :

ثم يأتي الإمام الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» ليقرّر إمكانية استخراج كل شيء من القرآن الكريم.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١.

(٢) انظر : التفسير الكبير ، محمد فخر الدين الرازي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣ ، ١٤ / ٢٧٨.

(٣) ت ٧٩٤ هـ ، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين ، ولد في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وألّف تصانيف كثيرة في عدّة فنون ، وهو عالم في الحديث والتفسير ، ومن مصنّفاته شرح البخاري ، والتنقيح على البخاري ، وشرح التنبيه والبرهان في علوم القرآن ، وتخريج أحاديث الرافعي. انظر : طبقات المفسرين ، للأدنوي ، ١ / ٣٠٢ وانظر ، كشف الظنون للقسطنطيني ١ / ٢٤٠ ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، تحقيق ، عبد الوارث محمد علي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ ، ١ / ١٢٤ ، بتصرف.

ونراه يستدل على ذلك عند ما عقد فصلا في كتابه المذكور وعنونه في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم ، وينقل فيه أقوال بعض الصحابة في ذلك ، كما يسوق آراء الإمام الغزالي من كتابه «الإحياء» مدللا بكل ذلك على ما ذهب إليه.

يقول : (كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق ، لا يصل إلى فهمة إلا من تبحر في العلوم ، وعامل الله بتقواه في السر والعلانية ، وأجله عند مواقف الشبهات ، واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ، فالعبارات للعموم وهي للسمع ، والإشارات للخصوص وهي للعقل ، واللطائف للأولياء وهي المشاهد ، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام ، وللكل وصف ظاهر وباطن ، وحد ومطلع فالظاهر التلاوة ، والباطن الفهم ، والحد أحكام الحلال والحرام ، والمطلع أي الإشراق من الوعد والوعيد ، فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط الموازنة وظهر له حال المعاينة ...

ثم يقول : وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله ، فهذه الأمور تدل على أن فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع ، لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ، والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة ، ولا بد من الإشارة إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أو لا ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب ، فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم ، وما لا بد فيها من استماع كثير ...) [١].

ومما يلاحظ على الإمام الزركشي أنه أوغل في تحميل النصوص القرآنية بجزئيات المسائل الحسابية والفلكية ، مما أخرج نصوص القرآن عن مقاصدها الأساسية التي هي هداية البشر ، والقرآن ذكر أسس وقواعد العلوم وأشار إليها إشارات ، لكنه لم يكن موسوعة علمية تتضمن جزئيات العلوم وفروعه.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٢ / ١٥٣.

**رابعا ـ الإمام السيوطي** [١] :

ثم جاء الإمام جلال الدين السيوطي ليؤكد في كتابيه «الإتقان في علوم القرآن» و «معترك الأقران» ما ذهب إليه من قبله من العلماء ، بأن القرآن يحتوي على علم الأولين والآخرين ، ونراه يسوق طائفة من الآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء ليدلل على ما ذهب إليه.

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿**وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿**وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [٣].

ومن الأحاديث ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنها ستكون فتنة» فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور) [٤].

ومن الآثار : (ما روي عن ابن مسعود أنه قال : من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين ، وعن الحسن قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها

---

(١) ٨٤٩ ـ ٩١١ هـ ، ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي ، إمام وحافظ ومؤرخ وأديب ، كان من الأغنياء والأمراء نشأ في القاهرة يتيما ، مات والده وعمره خمس سنوات ، له نحو ٦٠٠ مصنف منها : الإتقان في علوم القرآن ، والأرج في الفرج ، والأشباه والنظائر ، وغيرها. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٣ / ٣٠١ ، بتصرف ، وكشف الظنون ، للقسطنطيني ، ١ / ٧٥ ، بتصرف.

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.

(٣) سورة النحل ، الآية : ٨٩.

(٤) رواه الترمذي ، ٥ / ١٧٢ ، رقم : (٢٩٠٦) ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وورد في سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، تحقيق ، خالد العلي ٢ / ٥٢٦ ، رقم : (٣٣٣١).

أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان ، وقال الإمام الشافعي : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن ... وقال أيضا : جميع ما حكم به النبي فهو مما فهمه من القرآن ... وعن ابن سراقة أنه حكى في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال : ما شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله فقيل له : فأين ذكر الخانات فيه ، فقال : في قوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ﴾ (١) فهي الخانات ، وقال ابن الفضل المرسي في تفسيره : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها ، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ، ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، وقال ابن سراقة : من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ، ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صادق في قوله ، وأن القرآن ليس من عنده ، إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ، ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة.

ثم يعقب على ما أورده من أقوال العلماء فيقول : وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة ...) (٢).

هذه آراء أشهر العلماء القدامى الذين أيّدوا تفسير القرآن على أساس العلم ، وسننتقل في المبحث القادم إلى أبرز من تناوله من العلماء المعاصرين ودافع عنه.

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢٩.

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٢ / ٢٣٠ ـ ٢٣١.

## المبحث الثاني

## أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين

قبل الشروع في التعرف على أبرز العلماء المعاصرين وعلى رأيهم في هذا الصدد ، يلفت الانتباه إلى أن الهدف الأساسي الذي يسعى المؤيدون للتفسير العلمي لتحقيقه إنما هو : استنباط بعض المعاني الجديدة من الآيات القرآنية على أساس العلوم الكونية ، لكن ضمن إطار النص القرآني ، ودون جرّ الآيات القرآنية إلى النظريات بشكل تعسفي ، أو تحميل النص القرآني ما لا يحتمل ، فإذا كان الأمر كذلك فإننا وجدنا في العصر الحديث من يحاول تفسير النصوص القرآنية تفسيرا تعسفيا قد أخرجها عن مدلولاتها اللغوية ومعانيها الشرعية ، فإذا ما سمع بنظرية علمية أسرع ليجد لها من كتاب الله ما يؤكدها ولا ضير إن ثنى أعناق الآيات وطوعها لهذه النظرية ، أو أنه أقحم هذه النظرية إقحاما قسريا في نصوص القرآن ...

ومن هنا سيعرض في هذا المبحث لطائفتين من أقوال العلماء ، الطائفة الأولى : وهم العلماء المثبتون لقضية الإعجاز ولكن بمغالاة ومنهم : محمد عبده ، عبد الرحمن الكواكبي ، طنطاوي جوهري ، والطائفة الثانية : وهم العلماء المثبتون لقضية الإعجاز ولكن باعتدال ومنهم : مصطفى صادق الرافعي وحيد الدين خان ، محمد جمال الدين الفندي ، مصطفى المراغي ، وسنبدأ بالحديث عن القسم الأول وهم المغالون.

### أولا ـ الإمام محمد عبده [١] :

يعتبر الشيخ محمد عبده من رواد هذا الاتجاه في تفسير القرآن في العصر الحديث ،

---

(١) ١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ، ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ ، محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني ، مفتي الديار المصرية ، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام ، ولد في شنرا من قرى الغربية في مصر ، تعلم بالأزهر وتصوف وتفلسف ، أصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى ، ثم تولى منصب القضاء في مصر عام ١٨٨٨ ، ثم مفتيا للديار المصرية عام ١٣١٧ هـ ، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية ودفن في القاهرة ، له تفسير القرآن الكريم ، ورسالة التوحيد ، والفلسفة والتصوف ، وغيرها. انظر : الأعلام ، لخير الدين الزركلي ٦ / ٢٥٢ بتصرف.

بل من الذين أصدروا فتوى بجواز تفسير نصوص القرآن بمستجدات العصر وما يتمخض عنه من اكتشافات وابتكارات ، وإذا ما رجعنا إلى أفكار الشيخ محمد عبده فلسوف نجد المنهج العلمي التطبيقي الذي سلكه في تحليل آيات القرآن واضحا في تفسيره لجزء «عم» وقد طبع في كتاب منهجي لطلاب المدارس في المراحل المتوسطة ، ومع غزارة علمه ومكانته العلمية المرموقة إلا أنه لم يترك خلفه سوى تفسير جزء عم ، وتفسير واسع لسورة العصر ، وبعض المقالات الإسلامية ، ونحن إذ نعرض طرفا من تفسيره في جزء عم ، فإننا نجد التجاوز الواضح ، بل المغالاة وهو يفسر بعض الآيات الكريمة بما استجد في عصره من علوم ومعارف.

فها هو ذا يفسر قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾ (١) فيقول : (أما تسجير البحار فهو أن يفجر الزلزال ما بينها حتى تختلط وتعود بحرا واحدا ، وهو بمعنى الملء فإن كل واحد منها يمتلئ حتى يفيض ويختلط بالآخر ، وتسجير البحار على هذا المعنى لازم لما سبقه من تقطع أوصال الأرض ، وانفصال الجبال ويدل على رجحان هذا التأويل ظاهر قوله تعالى في سورة الانفطار ﴿وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ﴾ (٢) وقد يكون تسجيرها إضرامها ، فإن ما في بطن الأرض من النار إذ ذاك يظهر بتشققها وتمزق طبقاتها العليا ، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا ، ولا يبقى في البحار إلا النار) (٣).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ (٤) يقول : (انشقاق السماء ... هو فساد تركيبها واختلال نظامها عند ما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه ، وهو يكون بحادثة من الحوادث التي قد ينجر إليها سير العلم ، كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من الآخر فيتجاذبا فيتصادما ، فيضطرب نظام الشمس بأسره ، ويحدث من ذلك غمام وأي غمام! يظهر في مواضع متفرقة من الجوّ والفضاء الواسع ، فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره) (٥).

(وقد انتقده بعض العلماء في هذا التفسير لخراب العالم ، لأن الكون أعظم من أن يختل نظامه بمجرد ضرب كوكب في آخر من المجموعة الشمسية ، فما أكثر

---

(١) سورة التكوير ، الآية : ٦.

(٢) سورة الانفطار ، الآية : ٣.

(٣) تفسير جزء عمّ ، محمد عبده ، بيروت ، دار الهلال ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠.

(٤) سورة الانشقاق ، الآية : ١.

(٥) تفسير جزء عمّ ، محمد عبده ، ص ٣٥.

المجموعات الشمسية التي تتجاوز الأرقام الحسابية التي عرفها البشر! وما أصغر أفكار البشر في شأن مستقبل العالم خرابا أو عمارا فمثل ذلك يجب تفويض الأمر فيه إلى الله تعالى فهو علام الغيوب) [١].

وعند ما يفسر سورة الفيل نجد تجاوزا وتعسفا شديدين في تفسير هذه السورة ، يقول :

(وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبش داء الجدري والحصبة ، قال عكرمة : هو أول جدري ظهر في بلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة : أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام ، ثم يقول : وهذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به ، وقد بيّنت لنا هذه السورة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ... وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها ، هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة ، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته) [٢].

لا أدري من الذي سوّغ للإمام ﷺ أن يقحم الميكروب في تفسير السورة مكان الطير الأبابيل ، وما أظن أن في اللغة العربية ومترادفاتها ما يسوّغ أن نطلق على لفظة الطير بالميكروب ، أو بالجدري أو بالحصبة ... ثم إن حماس الشيخ قد دفعه ليجزم قائلا : هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة ، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته ، وهذا كما هو واضح تحميل للنص القرآني ما لا يحتمل وما لا يطيق أبدا ، وقد أكثر العلماء في الرد عليه ، وأرى أن المسألة من البطلان بحيث لا تستأهل تضييع الوقت في الرد على مثل هذه التعسفات.

### ثانيا ـ عبد الرحمن الكواكبي [٣] :

عند ما يتحدث الكواكبي عن القرآن يصفه بأنه : شمس العلوم وكنز الحكم ، ويعلل

---

(١) التفسير العلمي للقرآن ، أحمد عمر أبو حجر ، ص ١٧٣.

(٢) تفسير جزء عمّ ، محمد عبده ، ص ١٦٢.

(٣) ١٢٦٥ ـ ١٣٢٠ هـ ، ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ ، عبد الرحمن الكواكبي من الكتاب والأدباء ومن رجال الإصلاح ، تعلم في حلب ، وأنشأ فيها جريدة الشهباء فأقفلتها الحكومة ، وجريدة الاعتدال فعطلت ، وأسندت إليه مناصب عديدة ، ثم ضيق عليه أعداء الإصلاح فسعوا به فسجن ، توفي في مصر وله من المؤلفات : أم القرى ، وطبائع الاستبداد. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٣ / ٢٨٩ بتصرف.

السبب الذي جعل العلماء ينصرفون عن تفسير قسمي «الآلاء والأخلاق» من القرآن تفسيرا علميا هو أنهم : (كانوا يخافون مخالفة رأي بعض السلف القاصرين في العلم ، فيكفرون فيقتلون ، وهذه مسألة إعجاز القرآن وهي أهم مسألة في الدين ، لم يقدروا أن يوفوها حقها من البحث ، واقتصروا على ما قاله بعض السلف قولا مجملا من أنها قصور الطاقة عن الإتيان بمثله في فصاحته وبلاغته ، وأخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون ، مع أنه لو أطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات ، لرأوا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز لرأوا فيه كل يوم آية تتجدد مع الزمان والحدثان تبرهن إعجازه بصدق قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ [١] برهان عيان لا مجرد تسليم وإيمان) [٢].

ثم يبدأ بسرد طائفة من الآيات القرآنية ، ويحللها ويفسرها تفسيرا علميا فيقول : (ومثال ذلك أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة ، تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا ، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به في القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه ، وذلك أنهم قد كشفوا أن مادة الكون هي الأثير ، وقد وصف القرآن بدء التكوين فقال : ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾ [٣] وكشفوا أن الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٤] وحققوا أن الأرض منفتقة في النظام الشمسي والقرآن يقول : ﴿السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾ [٥] وحققوا أن القمر منشق من الأرض ، والقرآن يقول : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [٦] ... وحققوا أن طبقات الأرض سبع والقرآن يقول : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ﴾ [٧] وكشفوا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩.

(٢) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، عبد الرحمن الكواكبي ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ ، ص ٤٧.

(٣) سورة فصلت الآية : ١١.

(٤) سورة يس ، الآية : ٤٠.

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

(٦) سورة القمر ، الآية : ١.

(٧) سورة الطلاق ، الآية : ١٢.

وجود الميكروب وتأثيره كالجدري وغيره من المرض والقرآن يقول ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ﴾ [١] أي متتابعة مجتمعة ، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [٢] أي من طين المستنقعات اليابس إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية ، وبالقياس على ما تقدم ذكره يقتضى أن كثيرا من آياته سينكشف سرها في المستقبل في وقتها المرهون ، تجديدا لإعجازه ما دام الزمان) [٣].

(وإذا كان لنا من تعليق على قوله فإننا نقول : إنه قد تأثر بهذا اللون من التفسير تأثّرا كبيرا حتى وصل به الأمر إلى حد الإفراط والمغالاة ، وبسبب ذلك صار يتلمس لكل نظرية نصا من القرآن مدعيا أن هذا وجه من وجوه صدقه ودلائل إعجازه العلمي بعد أن اقتصر علماء السلف على حد قوله على أن فصاحته وبلاغته هي سبب إعجازه ، فانظر إلى استدلاله على أن القمر منشق من الأرض بقوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ فإن هذا المعنى المزعوم لا تدل عليه أي من الآيتين ، وهو معنى بعيد كل البعد عن معناهما ، بالإضافة إلى أنه قد يستدل ببعض آية تاركا ما قبلها وما بعده) [٤]. هذان من أبرز من تناول تفسير القرآن بمغالاة ، وهناك غيرهما كثير مثل عبد العزيز إسماعيل في كتابه «الإسلام والطب الحديث» وعبد الرزاق نوفل في عدة كتب له ، ومن أخطر وأجرأ من تعسف في هذا الصدد هو طنطاوي جوهري في تفسيره «الجواهر» الذي جاء في خمسة وعشرين جزءا ، والذي يتحدث فيه : (لقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون وأثبت فيه غرائب العلوم ، وعجائب الخلق ، مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسموات ولتعلمنّ أيها الفطن أن هذا التفسير نفحة ربانية ، وإشارة قدسية ، وبشارة رمزية ، وأمرت به بطريق الإلهام ، وأيقنت أن له شأنا سيعرفه الخلق ، وسيكون من أهم أسباب رقيّ المستضعفين في الأرض) [٥].

يقول فيه الدكتور حسين الذهبي : (ونجده يضع لنا في تفسيره كثيرا من صور النباتات

---

(١) سورة الفيل ، الآية : ٣.

(٢) سورة الفيل ، الآية : ٤.

(٣) انظر : طبائع الاستبداد ، للكواكبي ، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٤) التفسير العلمي للقرآن ، أحمد عمر أبو حجر ، ص ١٩٢.

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، طنطاوي جوهري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ ، ١ / ٣.

والحيوانات ومناظر الطبيعة ، وتجارب العلوم ، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول ، توضيحا يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس ، ولقد أفرط في ذلك ، وجاز حد المجاز.

ومما يؤخذ عليه : أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم ، وهو حين ينقلها يبدي رضاه عنها وتصديقه بها في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون والأشاعرة.

هذا ، وإنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيرا يقوم على نظريات علمية حديثة غير مستقرة في ذاتها ، ولم تمض فترة التثبت منها ، وهذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف ، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا ، فلا أقل من أن يذهب بروائه وبهائه) [١].

## القسم الثاني : المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال

### أولا . وحيد الدين خان [٢] :

وسوف نقف مع كتابه «الإسلام يتحدى» والذي قدم له الدكتور عبد الصبور شاهين.

عقد وحيد الدين خان في كتابه المذكور مبحثا بعنوان : القرآن والكشوف الحديثة ، تحدّث فيه عن قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ووضع بعض الضوابط لهذا النمط من التفسير ، والتي تدل على اعتدال الرجل واتزانه إزاء هذه القضية ، ثم ساق طائفة من الآيات القرآنية وفسّرها بناء على معطيات الحقائق العلمية ، وبمنهج دقيق لا إفراط فيه ولا مغالاة.

وها هو ذا يبين أهم قيد من القيود التي يرتكز عليها هذا التفسير فيقول : (إن مطابقة كلمات القرآن وألفاظه للكشوف العلمية الحديثة مبنية على أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعة موضوع البحث ، فتوفرت لدينا مواد نافعة لتفسير الإشارات

---

(١) التفسير والمفسرون ، محمد حسن الذهبي ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ ، ٣ / ١٨٤.

(٢) من كبار علماء الهند ومفكّريها في العصر الحديث ، ومن الذين يتولون قضية الإسلام أمام الزحف الفكري المعادي ، له عدة مؤلفات منها ، الإسلام يتحدى ، والدين. انظر : مقدمة الدكتور عبد الصبور شاهين لكتاب الإسلام يتحدى.

القرآنية في ذلك الموضوع ، ولو أن دراسة المستقبل في موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليا أو جزئيا فليس هذا بضائر مطلقا صدق القرآن ، بل معناه أن المفسر أخطأ في محاولته لتفسير إشارة مجملة في القرآن ، وإنني لعلى يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة سوف تكون أكثر إيضاحا لإشارات القرآن ، وأكثر بيانا لمعانيه الكامنة) [١].

ويبدأ بضرب بعض الأمثلة على إعجاز القرآن ، وسبقه في تسجيل الحقائق العلمية التي وصل إليها علماء العصر ، لكن بعد جهد جهيد ، وعمل مضن ومستمر كلفهم أموالا طائلة فضلا عن سهر الليالي الطويل ، فيقول :

(١ ـ ذكر القرآن الكريم قانونا خاصا بالماء في سورتين هما الفرقان والرحمن ، وجاء في السورة الأولى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ [٢] وأما الآية التي وردت في السورة الأخرى فهي تقول : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (١٩) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (٢٠)﴾ [٣].

إن الظاهرة الطبيعية التي يذكرها القرآن في هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور وهي أنه إذا ما التقى نهران في ممر مائي واحد ، فماء أحدهما لا يدخل أي لا يذوب في الآخر ، وهناك على سبيل المثال ، نهران يسيران في «تشاتغام» بباكستان الشرقية إلى مدينة «أركان» في «بورما» ويمكن مشاهدة النهرين ، مستقلا أحدهما عن الآخر ، ويبدو أن خيطا يمر بينهما حدا فاصلا ، والماء عذب في جانب وملح في جانب آخر ، وهذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل ، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث المد البحري ولكنهما لا يختلطان ، ويبقى الماء عذبا تحت الماء الأجاج ، وهكذا شاهدت عند ملتقى نهري «الكنج والجامونا» في مدينة «الله آباد» فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما ويبدو أن خيطا فاصلا يميز أحدهما عن الآخر ...

إن هذه الظاهرة كانت معروفة لدى الإنسان القديم ... ولكنا لم نكشف قانونها إلا منذ بضع عشرات من السنين ، فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة ، يسمى بقانون المط السطحي (surface tension) وهو يفصل بين

---

(١) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، القاهرة ، دار البحوث العلمية ، ترجمة ، ظفر الإسلام خان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ ، ص : ١٤١.

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٥٣.

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان ١٩ ، ٢٠.

السائلين ، لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل إلى آخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله ، وقد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون ، الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه : ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾ وملاحظة هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء ، كما لم تتعارض مع المشاهدة الحديثة.

ونستطيع بكل ثقة أن نقول إن المراد من البرزخ إنما هو المط أو التمدد السطحي الذي يوجد في الماءين والذي يفصل أحدهما عن الآخر) [١].

ثم يستعرض عددا من الأمثلة في عدة جوانب من العلوم مقارنا ذلك مع ما ورد في كتاب الله تعالى ، بدقة وموضوعية ، ثم يقول : (لسنا نملك أمام هذا التوافق المدهش بين ما ورد في الماضي البعيد وما اكتشف بالأمس القريب ، إلا أن نؤمن بأن هذا الكلام صادر عن موجود يحيط علمه بالماضي والحال والمستقبل على السواء) [٢].

**ثانيا ـ الدكتور محمد جمال الدين الفندي [٣] :**

يعرض الدكتور الفندي قضية الإعجاز العلمي في القرآن لكن بتحفظ وتثبت دون مغالاة أو تجاوز ويقف عند حدود النص ومدلولاته اللغوية والشرعية ، ويعتمد المنهج الدقيق الصحيح ، وهو : تفسير القرآن على أساس الحقائق العلمية الثابتة لا النظريات المتغيرة المتبدلة ، ويسوق مجموعة من الأمثلة التي تثبت إعجاز القرآن الكريم ، يقول : (وسوف نوضح كيف تمشّى العلم مع القرآن الكريم منذ نزل وتلك قاعدة عامة طالما كانت التعليقات العلمية أو التفسيرات مبنية على حقائق سليمة علمية وقاصرة على الحقائق بعيدا عن النظريات المتطورة ، ومن غير أن نكلف الآيات ما لا طاقة لها به من مجاز أو كناية) [٤].

---

(١) انظر : الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ص : ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١٥١.

(٣) رئيس قسم الفلك وأستاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم في جامعة القاهرة ، كما أنه عضو في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، له العديد من المؤلفات العلمية والدينية منها : قصة الكون ، والصعود إلى المريخ ، والإسلام وقوانين الوجود. عن مقدمة دار النشر لهذا الكتاب ، الهيئة المصرية العامة للكتب.

(٤) الإسلام وقوانين الوجود ، محمد جمال الدين الفندي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٨٢ ، ص : ٥٥.

ويبدأ بعرض أمثلة يوضح فيها سبق القرآن في تسجيل بعض قواعد العلوم وإعجازه في ذلك ومن هذه الأمثلة التي ذكرها تعقيبه على قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ﴾ (١).

فيقول : (قال الأقدمون في ظل ما كان متوفرا لديهم من حقائق العلم أن ﴿لَواقِحَ﴾ هنا إنما تشير إلى تلقيح الرياح لبعض النباتات لكي تثمر أو يوجد الثمر ، وهذه حقيقة قائمة لم تتغير لأن الرياح كانت ولا زالت وسوف تستمر في تلقيح بعض النباتات لتوجد الثمر ، وفي ظل الآفاق الواسعة التي فتحها أمامنا عصر العلم اتضح للعلماء وثبت لديهم أن الرياح هي التي تثير السحاب وتكونه ، مصدقا لبيانه تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٢) والقرآن الكريم هو أول كتاب على الإطلاق قرر تلك الحقيقة العلمية ، وفي ظل تلك القضايا العلمية الهامة يستمر القرآن الكريم فيفرق بين السحاب الذي يمطر والسحاب الذي لا يمطر معلنا في إعجاز علمي أخّاذ أن نزول المطر إنما يتم عن طريق تلقيح الرياح للسحاب ، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ﴾ ولقد ثبت علميا أن السحب لكي تمطر يجب أن تستمر الرياح وتدأب على تلقيحها أو إمدادها بجسيمات عناصر المطر وهي بخار الماء ونوى التكاثف وبخار الماء عبارة عن جزئيات منفصلة من الماء ، تحملها الرياح من أسطح البحار والمحيطات وتصعد بها إلى مناطق إثارة السحب لكي تتجمع من جديد على جسيمات صغيرة أخرى تذروها الرياح وتعرف باسم «نوى التكاثف».

وهذا التفسير الجديد إنما يربط بين أجزاء الآية الكريمة ويجعلها واضحة المعنى ، حيث تكون الفاء في قوله : ﴿فَأَنْزَلْنا﴾ هي فاء السببية ، أي نجم عن هذا التلقيح إخصاب السحاب ، ومن ثم نزول الماء العذب وهو المطر) (٣).

٢ ـ وعند ما يفسر قوله تعالى : ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤) يقول : (قال الأقدمون : إن هذه الآية الكريمة تشير إلى حقيقة ما لدى الخالق من عظيم القدرة

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٢.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤٨.

(٣) انظر : الإسلام وقوانين الوجود ، محمد جمال الفندي ، ص : ٥٦.

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٤٧.

واتساع الملك رغم ما أودعه في الكون الفسيح من ألوان المادة وأجرام السماء ، أي أن كلمة «موسعون» إنما تشير إلى اليسر والغنى ... وبتقدم آلات الرصد عرفت المجرات ، وأقرب المجرات إلينا مجرة «المرأة المسلسلة» وهي تبعد عن مجرتنا بنحو ٧٠٠ ألف سنة ضوئية [١] ، وما زالت أبعاد الكون تتسع حتى عرف الناس اليوم أن هناك نجوما هي في الواقع مجرات ، تبدو لفرط بعدها عنا على هيئة نقط مضيئة هي أشباه النجوم وتبعد عنا بنحو ١٢ ألف مليون سنة ضوئية!.

إننا مرة أخرى نسلم بحقيقة المعنى الأول لكلمة «موسعون» كما أننا نسلم بصحة التفسير الحديث الذي سقناه ، حيث إنه فعلا اتسعت أبعاد الكون المرئي أمام البشر اتساعا يكاد لا يصدقه العقل بتقدم آلات الرصد والتتبع ، على أن هناك معنى آخر يشير إلى حقيقة أن الكون يتمدد ، أي تزداد أبعاده بمرور الزمن وهذه إحدى نتائج حسابات النسبية ، إلا أن الآية الكريمة إنما تضم هذه التفسيرات والحقائق العلمية السليمة كلها ، ورأينا إذا كيف ساير ركب العلم ما أثاره القرآن الكريم من قضايا العلم العامة ...) [٢].

**ثالثا ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي :**

يعلن الشيخ المراغي في مقدمة تفسيره عن المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن الكريم ، ويدقق على أهمية تلاقح المعرفة ، بحيث يستند المفسر لكتاب الله في قضايا العلم على المختصين في العلوم الكونية والطبيعية ، ليكون لكلامه وزن وثقل ومصداقية ، وأن يواكب العلوم العصرية ومستجداتها ولا يركن إلى ما قيل في قضايا العلم قبل قرون ...

يقول المراغي في مقدمة تفسيره : (وقد سلكنا في الوصول إلى فهم الآيات التي أشارت إلى بعض نظريات في مختلف الفنون استطلاع آراء العارفين بها ، فاستطلعنا آراء الطبيب النطاسي ، والفلكي العارف ، والمؤرخ الثبت ، والحكيم البصير ليدلي كل برأيه فيما تمهر فيه ، لنعلم ما أثبته العلم وأنتجه الفكر ، فيكون كلامنا معتزا بكرامة المعرفة التي تشرف بتفهم كتاب الله ، فرجل الدين حامل لوائها عليه أن يسأل العلم دائما يستبصر بما ثبت لديه ، ويساير عصره ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فإن قعدت به همته

---

(١) السنة الضوئية : (light year) المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة. موجز في تاريخ الزمان ، ستيفن هوكنغ ، ص : ٢٠٨.

(٢) انظر : الإسلام وقوانين الوجود ، محمد جمال الفندي ، ص : ٥٨ ـ ٥٩.

إلى الموروث من قضاياه لدى الماضين ركب شططا وازداد بعدا عن الحقيقة ، وتضاءل أمام نفسه وأمام قارئي بحوثه ومؤلفاته) [١].

وإذا ما أردنا أن نتبين التطبيق العملي لهذا المنهج فلنستعرض بعض الأمثلة التي أوردها في تفسيره وكيف وازن بين آيات القرآن الكريم وبين مستجدات العلم.

ففي تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)﴾ [٢].

يقول المراغي : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض لتثبت عليها الأقدام ، ويتقلب عليها الحيوان ، وينفع الناس بخيراتها وزرعها وضرعها ... ولا شك أن الأرض لعظم سطحها هي في رأي العين كذلك ، وهذا لا يمنع كرويتها التي قد قامت عليها الأدلة لدى علماء الفلك ، ولم يبق لديهم فيها ريب ...

ثم يقول : ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ﴾ أي وجعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرا أو أنثى حين تكونها ، فقد أثبت العلم حديثا أن الشجر والزرع لا يولدان الثمر والحب إلا من اثنين ذكر وأنثى ، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث في شجرة واحدة كأغلب الأشجار ، وقد يكون عضو التذكير في شجرة وعضو التأنيث في شجرة أخرى كالنخل ، ما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة كالقطن ، وإما أن يكون كل منهما في زهرة كالقرع مثلا) [٣].

وفي بيانه تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)﴾ [٤] يقول : (أي والشمس تجري حول مركز مدارها الثابت الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي ، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدّر بمائتي ميل في الثانية ، وهذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده ... ثم يقول : وعلماء الفلك قديما جعلوا الكواكب مركوزة في الأفلاك على ما نراه في كتبهم ، فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه ، بل لا بد له من حامل يحمله وهو الذي يدور به وكيف يسبح ما لا حرية له ، ولا قدرة له على السير بل هو محمول على غيره؟ هكذا كان الرأي عندهم ، ولكن رأي

---

(١) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ١ / ١٨.

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣.

(٣) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ٣١ / ٦٦.

(٤) سورة يس ، الآية : ٣٨.

علماء الفلك المحدثين : أن جميع الكواكب تسير في مدارات في عالم الأثير فهي إذا كأنها سمك في بحر لجي ... ثم يعقب قائلا : فاعجب أيها القارئ الكريم للقرآن كيف أثبت ما دل على صحته الكشف الحديث ، ودحض تلك الآراء التي كانت شائعة عصر التنزيل لدى علماء الفلك من اليونان والهند والصين) [١].

بعد هذه الجولة السريعة في صفحات كتب المثبتين لقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، من العلماء القدامى والمعاصرين ، ننتقل في المبحث الآتي لنتعرف على أبرز المعارضين لتفسير القرآن على أساس العلم من العلماء القدامى والمعاصرين.

---

(١) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ٢٣ / ١٠ . ١١.

## المبحث الثالث

## أبرز المعارضين من العلماء القدامى والمعاصرين

إذا كان قد وجد من العلماء القدامى من دعا وتبنى قضية التفسير العلمي للقرآن ، فإن من العلماء القدامى من قد عارض هذا الاتجاه ورده ، وعلى رأس هؤلاء العالم الأصولي الكبير ، والذي أخذ كتابه «الموافقات» شهرة كبيرة في أوساط العلماء منذ قرون ، إنه الإمام الشاطبي.

### أولا ـ المعارضون من العلماء القدامى :

### الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي [١] :

عرض الإمام الشاطبي في كتابه «الموافقات» لأمية الرسول ، وأمية هذه الأمة ، وساق أدلة على أمية هذه الأمة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وبما أننا أمة أمية فإن الشريعة التي نزلت فينا أمية كذلك؟ على هذا الأساس كان منطلق رده لقضية التفسير العلمي للقرآن.

يقول الإمام الشاطبي : (ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبني عليه قواعد :

١ ـ منها : أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين : من علوم الطبيعيات ، والتعاليم والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا

---

(١) .... ٧٩٠ هـ ... ١٣٨٨ ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي ، أصولي حافظ ، كان من أئمة المالكية ، من مؤلفاته ، أصول النحو ، والاعتصام بالسنة ، والاتفاق في علم الاشتقاق ، والموافقات في أصول الشريعة ، وغيرها. انظر : الأعلام للزركلي ، ١ / ٧٥ ، بتصرف.

أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى ، سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة ، وما يلي ذلك ، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر ، لبلغنا منه ما يدلّنا على أصل المسألة ؛ إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا نعم ، تضمن علوما هي من جنس علوم العرب ، أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه ، والاستنارة بنوره ، أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا) [١].

ثم يشرع الشاطبي رحمة الله بذكر أدلة المجيزين لقضية الإعجاز ويردها ، فيقول : (وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٢] وقوله : ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [٣] ونحو ذلك ، وبفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها ، وربما حكي من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أشياء.

فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد ، أو المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ اللوح المحفوظ ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية.

وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهدا ، كعدد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب ، حسبما ذكره أصحاب السير ، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى ، وغير ذلك.

وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ، ولم يدّعه أحد ممن تقدم ، فلا دليل فيها على ما ادّعوا وما ينقل عن عليّ أو غيره في هذا لا يثبت ، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ، فبه يوصل إلى علم ما أودع من

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ ، ٢ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٨.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.

الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه ، وتقوّل على الله ورسوله فيه ، والله أعلم ، وبه التوفيق) [١].

(ومنطق الشاطبي هنا منطق قوي ، وأدلته لا مطعن فيها ، إلا ما كان من اعتماده على أمية الشريعة ، بناء على أمية الأمة ، ذلك أن أمية الأمة ليست أمرا مطلوبا ولا مرغوبا فيه ، بل بعث الله رسوله في الأميين ليخرجهم من الأمية إلى باحة العلم والنور كما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [٢] فهذه مهمة الرسول ﷺ مع الأميين : التلاوة والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة ، ولا أعجب أن كانت الآيات الأولى من الوحي تنبئ بذلك ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [٣] فالأمية ممدوحة في حقه ﷺ لأنها أدل على الإعجاز ، وليست ممدوحة في حق الأمة ، وعلى الأمة أن تتحرر منها لتتعلم وتتفقه وتنظر في ملكوت السموات والأرض ...) [٤].

## ثانيا . المعارضون من العلماء المعاصرين

### ١ . الشيخ محمود شلتوت [٥] :

لم يخرج شيخ الأزهر محمود شلتوت عن الأطر التي رسمها الشاطبي لمعارضته ، فها هو ذا يعلن معارضته الواضحة لتفسير القرآن على أساس العلم في مقدمة تفسيره فيقول : (وأما الناحية الثانية : فإن طائفة أخرى فهي طائفة المثقفين الذين أخذوا بواف من العلم الحديث ، وتلقنوا أو تلقفوا شيئا من النظريات العلمية والفلسفية وغيرها ،

---

(١) الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي ، ٢ / ٣٩٠.

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٢.

(٣) سورة العلق ، الآية : ١.

(٤) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، يوسف القرضاوي ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ ، ص ٣٧٧ . ٣٧٨.

(٥) ١٣١٠ . ١٣٨٣ هـ ، ١٨٩٣ . ١٩٦٣ ، محمود شلتوت ، فقيه ومفسر ولد في منية بني منصور في البحيرة ، وتخرج بالأزهر عام ١٩١٨ وكان داعية إصلاح نير الفكر ، ومن أعضاء كبار العلماء ، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية ، ثم تعين شيخا للأزهر عام ١٩٥٨ ، إلى وفاته ، له ٢٦ مؤلفا مطبوعا منها : التفسير ، وحكم الشريعة ، والقرآن والمرأة ، وغيرها. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٧ / ١٧٣ ، بتصرف.

أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة ، ويفسّرون آيات القرآن على مقتضاها ، نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (١) فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحا جديدا ، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ، وطبّقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن ، ويرفعون من شأن الإسلام ، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية.

نظروا في القرآن على هذا الأساس ، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن ، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن ، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله ، فإذا مرت آية فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا واستبشروا وقالوا : هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين ، ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح ، وإذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات أو الحيوان وما خلق الله من شيء قالوا : هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعة ، وإذا رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم ، قالوا : هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علمي دقيق ...) (٢).

وبعد استعراضه بعض الآيات التي فسّرت تفسيرا علميا يقول : (إن هؤلاء في عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سافلين فكّروا مثل هذا التفكير ، ولكن على حسب ما كانت توحي به إليهم أحوال زمانهم فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية) (٣).

ثم يبين جوانب الخطأ في هذا الاتجاه فيقول : (هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك ، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.

(٢) تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ ، ص ١١.

(٣) المصدر نفسه ، ص : ١١.

وهي خاطئة : من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم.

وهي خاطئة : لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير ، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة ، لعرضناه للتقلب معها ، وتحمل تبعات الخطأ فيها ، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا في الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلاله ، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ...) [١].

### ٢ . سيد قطب [٢] :

موقف سيد قطب ﷺ تعالى هو نفس موقف الشاطبي وشلتوت ، ولندع لقلمه البليغ أن يعرب عما يعتقده في هذا المجال ، وسوف نقتبس رأيه من تفسيره «الظلال» عند تعليقه على آية الأهلة ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣].

يقول : (القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية ، ولم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه

---

(١) تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، ص : ١٢.

(٢) ١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ ، ١٩٠٦ - ١٩٦٦ ، الشهيد سيد بن قطب بن إبراهيم ، مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية «موشا» في أسيوط ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة ، وعمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة ، أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أمريكا ، ثم انضم إلى الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم ، وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم ، كتبه كثيرة ومطبوعة منها ، النقد الأدبي ، والعدالة الاجتماعية في الإسلام ، والتصوير الفني في القرآن ، وفي ظلال القرآن ، وغيرها. انظر : الأعلام ، للزركلي ٣ / ١٤٨ ، بتصرف.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨٩.

العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم ، إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله ، إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية ، وإن وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود وارتباطه بخالقه ، ولوضع الإنسان في هذا الوجود ، وارتباطه بربه ، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته ، ومن بينها طاقته العقلية التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة ، وإطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمي في الحدود المتاحة للإنسان وبالتجريب والتطبيق ، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال ، إن مادة القرآن التي يعمل فيها هي الإنسان ذاته ، تصوره واعتقاده ومشاعره ومفهوماته وسلوكه وأعماله وروابطه وعلاقاته ، أما العلوم المادية والإبداع في عالم المادة بشتى وسائله وصنوفه فهي موكولة إلى عقل الإنسان وتجاربه وكشوفه وفروضه ونظرياته ، بما أنها أساس خلافته في الأرض وبما أنه مهيأ لها بطبيعة تكوينه ، والقرآن يصحح له فطرته كي لا تنحرف ولا تفسد ويصحح له النظام الذي يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له ، ويزوده بالتصور العام لطبيعة الكون وارتباطه بخالقه وتناسق تكوينه ، وطبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه ، وهو أي «الإنسان» أحد أجزائه ، ثم يدع له أن يعمل في إدراك الجزئيات والانتفاع بها في خلافته ، ولا يعطيه تفصيلات لأن معرفة هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتي ... وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه ، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه ، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها ، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه ، إن القرآن كتاب كامل في موضوعه ، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها ، لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها ، والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان ، والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره ، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه ، وبعد أن يوجد الإنسان السليم التصور والتفكير والشعور ويوجد المجتمع الذي يسمح له بالنشاط ، يتركه القرآن يبحث ويجرب ويخطئ ويصيب في مجال العلم والبحث والتجريب ، وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن أحيانا عن الكون في طريقه لإنشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه وطبيعة التناسق بين

أجزائه ، لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن بفروض العقل البشري ونظرياته ولا حتى بما يسميه حقائق علمية مما ينتهي إليه بطريق التجربة القاطعة في نظره ، إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة ، أما ما يصل إليه البحث الإنساني أيا كانت الأدوات المتاحة له فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة ، وهي مقيدة بحدود تجاربه ، وظروف هذه التجارب وأدواتها ، فمن الخطأ المنهجي بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته ، أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية ، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى علمية ، ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية ، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره ، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه ، وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها ، فهذه كلها ليست حقائق علمية حتى بالقياس الإنساني ، وإنما هي نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يفسّر قدرا أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق ، ومن ثم فهي قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والإضافة ؛ بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة أو حتى بحقائق علمية ، ليست مطلقة كما أسلفنا تحتوي أولا على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى هي : الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس ، وكل ما يصل إليه غير نهائي ، ولا مطلق ، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته ، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة ، تعالج بناء الإنسان بناء يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي ، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله ، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره ويستخدم بعض نواميسه في خلافته ، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب

والتطبيق وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة.

والثالثة هي : التأويل المستمر مع التمحل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر وكل يوم يجد فيها جديد ، وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن كما أنه يحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا ...) [١].

### ٣ ـ محمد عبد العظيم الزرقاني [٢] :

عقد الشيخ الزرقاني في كتابه القيّم «مناهل العرفان في علوم القرآن» بابا بعنوان : موقف القرآن من العلوم الكونية ، وفيه يعلن معارضته للتفسير العلمي للقرآن الكريم ، يقول : (موقف القرآن من العلوم الكونية ... ومعنى هذا أن القرآن روعيت فيه بالنسبة إلى العلوم الكونية اعتبارات خمسة لا يصدر مثلها عن مخلوق ، فضلا عن رجل أمي نشأ في الأميين وهو محمد ﷺ.

أولها : أنه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه ، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء وفي تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو على أفهام العامة ، ثم إن أمرها بعد ذلك هين بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العاثرة وهداية الثقلين إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فالقرآن كما أسلفنا في المبحث الأول كتاب هداية وإعجاز ، وعلى هذا فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شيء من الكونيات فإنما ذلك للهداية ودلالة الخلق على الخالق ، ولا يقصد القرآن مطلقا من ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة والكيمياء ، ولا أن يحل مسألة حسابية أو معادلة جبرية أو نظرية هندسية ، ولا أن يزيد في علم الطب بابا ولا في علم التشريح فصلا ، ولا أن يتحدث عن علم الحيوان أو النبات أو طبقات الأرض إلى غير ذلك ...

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة والعشرون ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ ، ١ / ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) .... ١٣٦٧ هـ .... ١٩٤٨ هـ ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر بمصر ، تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث ، وتوفي بالقاهرة ، من أشهر كتبه ، مناهل العرفان في علوم القرآن. انظر : الأعلام ، للزركلي ، ٦ / ٢١٠ ، بتصرف.

ولكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسّعوا في علوم القرآن ومعارفه ، فنظموا في سلكها ما بدا لهم من علوم الكون ، وهم في ذلك مخطئون ومسرفون ، وإن كانت نيتهم حسنة وشعورهم نبيلا ، ولكن النية والشعور مهما حسنا لا يسوغان أن يحكي الإنسان غير الواقع ، ويحمل كتاب الله على ما ليس من وظيفته ... إن وظيفته في هداية العالم أسمى وظيفة في الوجود ، ومهمته في إنقاذ الإنسانية أعلى مهمة في الحياة ، وما العلوم الكونية بإزاء الهدايات القرآنية؟ أليس العالم الآن يشقى بهذه العلوم ويخترب وينتحر؟ ثم أليست العلوم الكونية هي التي ترمي الناس في هذه الأيام بالمنايا وتقذفهم بالحمم وتظهر لهم على أشكال مخيفة مزعجة من مدافع رشاشة ودبابات فتاكة وطائرات أزازة وقنابل مهلكة وغازات محرقة ومدمرات في البر والبحر وفي الهواء والماء؟ وما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدى الله ووحي السماء بالأنياب والمخالب للوحوش الضارية والسباع الواغلة في أديم الغبراء.

ثانيها : أن القرآن دعا إلى هذه العلوم ما دعا إليه من البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ (١) ، وقال جل شأنه : ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (٢).

ثالثها : أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربوبة له تعالى ومقهورة لمراده ، ونفى عنها ما علق بأذهان كثير من الضالين الذين توهموها آلهة وهي مألوهة وزعموها ذات تأثير وسلطان بينما هي خاضعة لقدرة الله وسلطانه ...

رابعها : أن القرآن حين يعرض لآية كونية في معرضة من معارض الهداية ، يتحدّث عنها حديث المحيط بعلوم الكون ، الخبير بأسرار السموات والأرض الذي لا تخفى عليه خافية في البر والبحر ولا في النجوم والكواكب ولا في السحاب والماء ولا في الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وذلك هو الذي بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونية وأوقع من أوقع منهم في الإسراف ، واعتبار هذه العلوم من علوم القرآن.

خامسها : أن الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية ، أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمت واحد ، بحيث يمر النظم القرآني الكريم على

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠١.

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ١٣.

سامعيه في كل جيل وقبيل فإذا هو واضح فيما سبق له من دلالة الإنسان وهدايته إلى الله ، ثم إذا هو مجمل التفاصيل يختلف الخلق في معرفة تفاريعه ودقائقه باختلاف ما لديهم من مواهب ومسائل وعلوم وفنون ...) [١].

ثم يعقب قائلا : (ولا أحب أن نتوسع في هذا ، فبين أيدينا أمثلة كثيرة ومؤلفات جمة تموج وتضطرب باستنباط علوم الكون من القرآن أو بتفسير القرآن وشرحه بعلوم الكون وأحداثها ، فيما أعلم كتاب تحت الطبع الآن ألفه شاب فاضل مثقف وسماه بين القرآن والعلم وضمنه شتيتا من الأبحاث المختلفة في الاجتماع وعلم النفس وعلم الوارثة والزراعة والتغذية وفيما وراء الطبيعة ، مما لا يتسع المقام لذكره ، ومما لا نرى حاجة إليه خصوصا بعد أن تبين لنا أن العلوم الكونية خاضعة لطبيعة الجزر والمد ، وأن أبحاثا كثيرة منها لا تزال قلقة حائرة بين إثبات ونفي ، فما قاله علماء الهيئة بالأمس ينقضه علماء الهيئة اليوم ، وما قرره علماء الطبيعة في الماضي يقرر غيره علماء الطبيعة في الحاضر ، وما أثبته المؤرخون قديما ينفيه المؤرخون حديثا ، وما أنكره الماديون وأسرفوا في إنكاره باسم العلم أصبحوا يثبتونه ويسرفون في إثباته باسم العلم أيضا ، إلى غير ذلك مما زعزع ثقتنا بما يسمونه العلم ، ومما جعلنا لا نطمئن إلى كل ما قرروه باسم هذا العلم ... ثم هل يليق بعد ذلك كله أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم المادية القلقة الحائرة ، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية القارة الثابتة المتنزلة من أفق الحق الأعلى الذي يعلم السر وأخفى ، ألا إن القرآن لا يفر من وجه العلم ، ولكنه يهفو إلى العلم ويدعو إليه ويقيم بناءه عليه ، فأثبتوا العلم أولا ووفروا له الثقة وحققوه ثم اطلبوه في القرآن ، فإنكم لا شك يومئذ واجدوه ، وليس من الحكمة ولا الإنصاف في شيء أن نحاكم المعارف العليا إلى المعارف الدنيا ، ولا أن نحبس القرآن في هذا القفص الضيق الذي انحبست فيه طائفة مخدوعة من البشر ، بل الواجب أن نتحرّر من أغلال هذه المادة المظلمة ، وأن نطير في سماوات القرآن حيث نستشرف المعارف النورانية المطلقة ، والحقائق الإلهية المشرقة ...) [٢].

### ٤ . محمد رشيد رضا :

يعتبر محمد رشيد رضا الناطق العام ، والمدافع الأول عن أفكار شيخه محمد عبده ،

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، ٢ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، ٢ / ٢٥٩.

لكننا نجده هنا يخالفه ويأخذ بالملامة على الذين يفسرون القرآن بالعلم ، ففي مقدمة تفسيره يقول :

(كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما يكتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية ، والهداية السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ، ونكت المعاني ومصطلحات البيان ، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين ، وتخريجات الأصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات ، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازي ، صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية ، وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت في عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة ، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن) [1].

هذا هو رأي المعارضين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وسوف يتحدث المبحث القادم بعون الله عن أدلة الفريقين مع ذكر الترجيح.

---

(١) تفسير المنار ، رشيد رضا ، ١ / ٧.

## المبحث الرابع

## أدلة الفريقين

### أولا ـ من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي :

استدل المؤيدون للتفسير العلمي بأدلة كثيرة نذكر منها :

١ ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات :

كبيانه تعالى : ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١) وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٣) وقوله سبحانه : ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤) ، وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

٢ ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار :

كحديث أن رسول الله ﷺ قال : «أنها ستكون فتنة» فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا يزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٨.

(٣) سورة ق ، الآية : ٦.

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

الرشد فآمنا به ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور» [١].

٣ ـ (وقالوا : إن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وكيفية الضياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجوم ، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزا لما ملأ الله كتابه منها.

٤ ـ أن العلم الحديث قد يكون ضروريا لفهم بعض المعاني القرآنية ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهما دقيقا متوقفا على تقدم بعض العلوم ، فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى ، فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية.

٥ ـ تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي منها :

أ ـ إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب ـ استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي ، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ج ـ امتلاء النفوس إيمانا بعظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظيم سلطانه وقدرته ، بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن) [٢].

### ثانيا ـ من أدلة المعارضين للتفسير العلمي

(واستدل المعارضون للتفسير العلمي بأدلة منها :

١ ـ أن للتفسير شروطا وقيودا قررها العلماء ينبغي الالتزام بها ، فلا يكون تفسير القرآن مباحا لكل من حصّل علما من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر ، ومن ذلك عدم تحميل ألفاظ القرآن معان وإطلاقات لم توضع لها ولم تستعمل فيها.

---

(١) رواه الترمذي ، ٥ / ١٧٢ ، رقم : (٢٩٠٦) ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، ورواه الدارمي ، ٢ / ٥٢٦ رقم : (٣٣٣١).

(٢) انظر : دراسات في علوم القرآن الكريم ، فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، وانظر : التفسير العلمي للقرآن ، أحمد عمر أبو حجر ، ص ١٠٣.

٢ ـ أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم ونظرياته ودقائق الاكتشافات والمعارف ، ومن طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

٣ ـ أن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعارضين ، لأن عملية التوفيق تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء ، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء.

٤ ـ أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة ، فيتعجّل تلمّس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع.

٥ ـ أن ما يكشف من علوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائما للتغير والتبديل والتعديل والنقض والإضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب ومن ثم فلا يصح أن تعلّق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية) [١].

هذه هي أدلة المؤيّدين والمعارضين ، ومن خلال ما ثار بين الفريقين من مدّ وجزر ، وأخذ ورد ، ونفي وإثبات ، يتّضح لنا أن الجميع يريد أن يثبت أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزّه عن النقص والتناقض ، وأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى ...

**الترجيح :**

بعد التأمل في وجهة نظر الفريقين والوقوف على ما أوجزنا من أدلتهم ، يمكن لنا أن نخلص إلى نتيجة فنقول : دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا تقتصر على الجانب البلاغي والبياني منه فهو تحدّى العرب إبان نزوله وهم أصحاب الفصاحة وفرسان البلاغة ، وطالبهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وفشلوا ... والقرآن خاطب الإنسانية جمعاء لأنه منزّل عليها كلها على اختلاف الألسنة واللغات ، وأمرها بإعلان الدينونة والولاء له ، ولذلك كان لزاما أن نبرز جوانب الإعجاز في القرآن لكل البشر ، ونوضح لهم أسرار القرآن في الكون والحياة ، ولكي يتحقق ذلك فإننا نرى أن الله قد وضع في القرآن آيات علمية كونية يتضح الإعجاز فيها في كل عصر من العصور ...

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم ، فهد الرومي ، ص : ٢٩٣.

وخلال عرضنا لنواحي الإعجاز في القرآن الكريم ، ننبه إلى أن عملنا هذا لا يهدف إلى إبراز الحقائق العلمية الكونية ، ومن ثمّ للتدليل بها على إثبات مصداقية القرآن الكريم ، وأنه تنزيل الحكيم العليم ، فكتاب الله لا يدلل بشيء في الوجود على صحته ، لأن كل حرف فيه ناطق على أنه منزل من لدن حكيم خبير ، إنما سيكون عملنا شرحا وتفصيلا لآيات القرآن الكريم ، فكما أن المفسرين القدامى فسروا القرآن على ضوء اللغة ، أو ما أثر عن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين ، فكذلك نحن نفسر الآيات العلمية بما يتناسب معها وينسجم مع منطوقها أعني الكشوفات العلمية ، وهذا المنهج لا يلوي أعناق الآيات ويخضعها لحقائق العلم ، ولا يحمّل النص القرآني ما لا يحتمل ، وبالمقابل فإنه لا يحاول إقحام المعارف الكونية إقحاما قسريا لشرح آية من كتاب الله ، معاذ الله ، لا هذا ولا ذاك ، إنما يعتمد هذا المنهج على وضوح الحقيقة العلمية وثباتها وعند ما نقول : «ثباتها» أي إنها غير قابلة للتغيير أو التبديل ، آنذاك نعرض من القرآن ما قد قرره في هذا الصدد وأثبته فتظهر المعجزة ، من ذلك : حداثة الكون وخلقه ، إنها حقيقة علمية غير قابلة للتبديل ، فلم يعد هناك بعد الكشوفات العلمية أحد يقول بأزلية الكون ، إن حداثة الكون أصبحت حقيقة واضحة قطعية ، آنذاك وقبل ذلك ندلل على هذه الحقيقة بآيات القرآن الكريم التي يتحدث فيها الخالق على خلق الكون من العدم وإيجاده ، ومن ذلك دوران الأرض ، وانشقاق القمر ، وارتباط وجود الماء بالجبال الشامخات ... الخ ، فكل هذه وغيرها كثير ، حقائق ارتقت إلى مستوى القطعية والثبات.

وأيضا فإن مما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور ، وليس كتاب علوم كونية ، فالله سبحانه وتعالى جعل الهداية التامة والحق المبين بين دفّتي القرآن الكريم الذي أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور العباد إلى عدل الإسلام ، ومن وهدة الفجور ومستنقعات المعاصي إلى اليقين والهدى ، قال تعالى ﴿**الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [1] وقال تعالى : ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ**

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١.

﴿الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [١] وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٢] فالله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم نورا للقلوب وحياة للنفوس وضبطا للسلوك ودستورا للمجتمعات ، قال الله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ [٣].

ومنهج الهداية الربانية في القرآن الكريم تبرز عند ما تتناول آياته المباركة نفس الإنسان بالتربية والتهذيب والتقويم والإصلاح ، وهذه الآيات التي تتحدث عن الوعد والوعيد والجنة والنار والدنيا والآخرة ، وتلك التي تتحدث عن أخبار الأمم الغابرة ، التي سادت ثم بادت بعد حين من الزمن ، وأخرى تتحدّث عن قصة وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض وكيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال والفناء ، وتلك التي تنظّم حياة الفرد وتقوم سلوكه وتضبط معاملاته بضوابط الشرع وأحكامه البينات ... ومنها ما فيه حديث عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم والأسس التي ينبغي أن تسير وفقها الأمة الإسلامية في معاملاتها مع غيرها ... وهكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتّى ومتعددة كلها تصب في النهاية في بوتقة واحدة ألا وهي هداية الإنسان إلى الحق المبين.

لكن مع هذه الهداية في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك ، نجد أن في القرآن الكريم صنفا آخر من أصناف الهداية ، ألا وهو وجود آيات كونية وحقائق علمية وضعها الحق ﷻ في صفحات كتابه المجيد لتكون مؤشرا على عظمة الخالق ولتكون دليلا على أن هذا القرآن هو وحي السماء إلى الأرض وبذلك يزداد المؤمن إيمانا ، ويتنبه غير المسلم إلى حقائقه العلمية التي سبقت ركاب العلم وأساطين المعرفة ، فيخضع لسلطانها وينقاد لصدقها فيعلن ولائه لله سبحانه وتعالى ، فالقرآن إذا ليس كتاب فلك ولا كتاب طب أو جيولوجيا ... لا ، إنما هو كتاب هداية ونور ، وما الحقائق العلمية في القرآن والإشارات الكونية ، إلا سبيلا من سبل الهداية ، ومدخلا واسعا لرحاب الحق ورياض الإيمان.

ومن أهم ما ينبغي أن يسترعي انتباهنا ونحن ندعو إلى الله في هذا الميدان ، أن

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٩.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٨٩.

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤.

التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم ، إنما يخضع لتلك الضوابط والقيود التي نصّ عليها المفسرون وستذكر فيما بعد.

وأعجب في هذا الصدد لمن يحاول إنكار قضية الإعجاز في القرآن أو السنة ويريد أن يحصر الإسلام في قضايا التشريع والمعاملات والخلق ...

وخلال التوصيف نقول لمثل هؤلاء الأحباب المخلصين : ثمة آيات كثيرة في كتاب الله نجانب الصواب إن لم نفسرها على أساس العلم ، فعلى سبيل المثال ، كيف لنا أن نفسّر قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ (١).

لما ذا نرفض أن تفسّر هذه الآية طبق الواقع المناخي الذي يحدثنا بل وقد صوره لنا علماء المناخ وأرونا الجبال السائرة في كبد السماء «جبال البرد» وصوّروا لنا السحب الركامية وطبقاتها.

وكيف لنا أن نفسّر قول الله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٢).

لقد أثبت العلم صور الأمواج السطحية والأمواج الداخلية واقتران هذه الأمواج بالبحار التي تلبّدت سماؤها بالغيوم الكثيفة ... لما ذا لا نفسر هذه الآية بالمعطيات العلمية التي ارتقت إلى مستوى القطعية والمشاهدة والرؤيا؟! وهكذا في سائر الآيات الكونية التي اتضحت حقائقها العلمية.

ويلفت النظر إلى أن الذين عارضوا تفسير القرآن على أساس العلم ، لو سألنا أحدهم أو لو رجعنا إلى تفاسيرهم ونظرنا فيها كيف يفسرون الآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون والحياة والإنسان؟ لمعرفة ذلك نفتح تفسير «في ظلال القرآن» لشهيد الإسلام سيد قطب ﷺ ، فمما هو معلوم أن سيد قطب من المعارضين لقضية الإعجاز العلمي كما مر معنا ، فلقد سلك منهجا في التفسير حاول فيه التحفظ والابتعاد عن الإعجاز

---

(١) سورة النور ، الآية : ٤٣.

(٢) سورة النور ، الآية : ٤٠.

العلمي في القرآن ، لكننا نجده عند ما يفسر قول الله تعالى : ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾ [١] نجده يقول ما نصه : (وهنا يقف الإنسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرا بعد تقدم علم الأجنة التشريحي ، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم ، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولا في الجنين ، وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾ فسبحان العليم الخبير) [٢].

وكم وبخ محمد رشيد رضا ، ـ كما رأينا ـ الذين يؤيّدون الإعجاز العلمي ، ولو رجعنا إلى تفسيره فلسوف نجده مولعا بتفسير الآيات تفسيرا علميا!.

ففي بيان الحق سبحانه تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ [٣] يقول :

١ ـ إن المادة التي خلقت منها السموات والأرض كانت دخانا ، أي مثل الدخان.

٢ ـ إن هذه المادة الدخانية كانت واحدة فتق الله رتقها ، أي فصل بعضها من بعض ، فخلق منها هذه الأرض والسموات السبع العلى.

٣ ـ إن خلق الأرض كان في يومين ، وتكون اليابسة والجبال الرواسي فيهما ، ومصادر القوت ، وهي أنواع النبات والحيوان في يومين آخرين تتمة أربعة أيام.

٤ ـ إن جميع الأحياء النباتية والحيوانية خلقت من الماء.

فيعلم من هذا أن اليوم الأول من أيام خلق الأرض هو الزمن الذي كانت فيه كالدخان حين فتقت من رتق المادة العامة التي خلق منها كل شيء مباشرة ، أو غير مباشرة ، وإن اليوم الثاني هو الزمن الذي كانت فيه مائية بعد أن كانت بخارية أو دخانية ، وإن اليوم الثالث هو الزمن الذي تكونت فيه اليابسة ، ونتأت منها الرواسي فتماسكت بها ، وإن اليوم الرابع هو الزمن الذي ظهرت فيه أجناس الأحياء من الماء وهي النبات والحيوان ، فهذه أزمنة الأطوار من الخلق قد تكون متداخلة وأما السماء العامة ، وهي

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤ / ٢٤٥٩.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤.

العالم العلوي بالنسبة إلى أهل الأرض فقد سوى أجرامها من مادتها الدخانية في يومين أي : زمنين كالزمنين اللذين خلق منهما جرم الأرض.

ثم يقول : هذا التفصيل الذي يؤخذ من مجموع الآيات يتفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر ، من أن المادة التي خلقت منها هذه الأجرام السماوية ، وهذه الأرض كانت كالدخان ويسمونها «السديم» (١) وكانت مادة واحدة رتقا ، ثم انفصل بعضها عن بعض ، ويصورون ذلك تصويرا مستنبطا مما عرفوا من سنن الخلق ، إذا صح كان بيانا لما أجمل في الآيات ، وإذا لم يصح كله أو بعضه لم يكن ناقصا لشيء منها ، فهم يقولون : إن تلك المادة السديمية كانت مؤلفة من أجزاء دقيقة متحركة ، وأنها قد تجمع بعضها ، وانجذب إلى بعض ، بمقتضى سنة الجاذبية العامة ، فكان منها كرة عظيمة تدور على محور نفسها ، وأن شدة الحركة أحدثت فيها اشتعالا فكانت ضياء ، أي نورا ذا حرارة ، وهذه الكرة الأولى من عالمنا هي التي نسميها الشمس ، ويقولون أيضا : إن الكواكب الدراري التابعة لهذه الشمس فيما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفتقت من رتقها ، وانفصلت من جرمها وصارت تدور على محاورها مثلها ، ومنها أرضنا هذه فقد كانت مشتعلة مثلها ... وبعد استطراد في ذكر المسائل العلمية يختم كلامه قائلا : كل ذلك تفصيل لخلق العوالم أطوارا بسنن ثابتة وتقدير منظم لم يكن منه شيء جزافا ، وقد أرشد الكتاب الحكيم إلى هذه الحقائق العامة الثابتة في نفسها وإن لم يثبت كل ما قالوه من فروعها ومسائلها) (٢).

إذا ، يتحتّم على الإنسان عند تفسيره لآية كونية أن يفسرها حسب ما يقتضيه حالها ، والجو القرآني الذي سيقت فيه ، وإلا فسيكون تفسيرها بعيدا عن هدفها ومقصدها ...

إن هذه اللغة ، لغة العلم هي الرابط المشترك بين الناس جميعا ، فلا يستطيع أحد أن ينكرها ، ومن أجل تحقيق أهداف الدعوة ونجاحها كان لا بد أن نسلك منهج العلم في زمن العلم ، ونخاطب الناس باللغة التي يفهمون واللهجة التي يعرفون ...

---

(١) السدم ، nebulak ، وهي عبارة عن لطع مضيئة منتشرة في عدة أماكن من رقعة السماء على شكل سحب ، غازية التكوين. انظر : الموسوعة الفلكية ، زينب منصور ، عمان ، الأهلية للنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ ، ص ٢١ ، وانظر : المحيط الكوني وأسراره ، نجيب زبيب ، بيروت ، دار الأمير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص ٤١١.

(٢) تفسير المنار ، رشيد رضا ، ٨ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

وإلى هنا نأتي إلى نهاية الحديث عن الإعجاز القرآني في دراسته التاريخية ، ولسوف تكون الفصول القادمة مركزة على التطبيقات المعاصرة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

# الفصل الرابع

# الإعجاز القرآني

# في علم الفلك

**تمهيد.**

**المبحث الأول : بين الإسلام والعلم.**

**المبحث الثاني : مولد الكون ونشأته بين العلم والقرآن.**

**المبحث الثالث : تمدّد الكون وتوسعه بين العلم والقرآن.**

**المبحث الرابع : نهاية الكون وفناؤه بين العلم والقرآن.**

تمهید ..... ۱۵۲

## تمهيد

من أجلّ ما أقرّ به القاصي والداني ، أن الإسلام دين يحترم العلم ويدعو إليه ، بل يفرض على معتنقيه أن يتزوّدوا من العلوم النافعة التي تؤهلهم للكشف عن أسرار الكون والحياة ، والاستفادة من خيرات الأرض وما حوت ، وذلك بدراسة العلوم الكونية ، فضلا عن العلوم الشرعية التي تنور لهم سبل حياتهم الدنيوية والأخروية ، ولذلك كان لزاما على أبناء الأمة أن يعرضوا الإسلام بصورته المضيئة التي تؤكد على وجود مؤشرات قرآنية واضحة ، تنسجم مع حقائق العلم القطعية التي يكتشفها العلماء ، حتى يتبين للجميع أن ديننا يدعم مواكبة المستجدات ويؤكدها ، طبعا بشروط وضوابط سترد في ثنايا هذا الفصل.

كما ستتناول مباحث هذا الفصل الحديث عن تضافر أبحاث علماء الفلك ودراساتهم ، حول نشأة الكون ومولده ، وحول توسعه ونهايته ، وما أفرزته هذه الدراسات من المؤلفات سواء في القديم أو في الحديث ، ولسنا بصدد استعراض الأفكار التي كانت سائدة لدى الأقوام الغابرة ونظرتهم للكون والحياة ، وما شاع بينهم من أساطير حول الكون وما حوى ، وتشخيص ذلك من خلال مقاييس العلم وموازينه ، ولا بتفنيد ظاهرة التنجيم التي قد امتدّ سلطانها يومذاك على تلك الشعوب وخاصة الوثنية منها ، التي كانت تدين بالولاء والخضوع للكواكب والنجوم ، وتربط عقيدتها ومصيرها ارتباطا وثيقا بالأجرام السماوية ... كذلك لن نتعرض إلى المجهود القيّم الذي بذله علماء الفلك في العصور الوسطى دراسة أو نقدا وتعقيبا ، إنما سنحاول الخوض في علوم الفلك المعاصرة التي تطوّرت تطورا هائلا حتى فاقت معداتها ووسائلها والاهتمام بها كل ميادين الحياة ومرافق العلم.

ولنبدأ الحديث عن مولد الكون ومنشئه من خلال الآيات القرآنية الكثيرة ، التي تضافرت ألفاظها ومعانيها لترسم لنا الصورة الكونية الأولى ، ثم نصغي إلى أقوال

المفسرين حول هذه الآيات ، وإلى دلالات الكلمات القرآنية وأبعادها من خلال المعاجم ، ومن ثم نرى ما ذا يطالعنا أصحاب العلوم الفلكية البحتة عن المادة الأولى التي تشكل منها كوننا الواسع الرحيب؟ وما ذا يحدثنا من امتدت أروقة علومهم في آفاق السماء الشاسعة ، وعلى التحديد أولئك الذين يكتشفون أسرار الكون ، وتتكشف لهم حقائقه يوما بعد يوم؟ كما سيبين هذا الفصل موضوع انتشار الكون وتوسعه ، وعن نهايته وفنائه بين معطيات القرآن وحقائق العلم ، ثم نقف على التوفيق والربط بين الإشارة القرآنية التي أصّلت الحقيقة المدروسة وسجلتها في صفحات القرآن الكريم ، لتكون بذلك سابقة لأساطين العلم والمعرفة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

إن القراءة الدقيقة في كتب علماء الفلك هؤلاء تظهر كيف تحدثنا أقلامهم ، وتخط في صفحات كتبهم عظمة الله في خلقه وكونه ، والدقة البالغة في انسجام الكون وتناسق أجرامه ، والنظام الباهر الذي سطع إماضه ، وتألّق في ملكوت الله ، بعد جولة في صفحات القرآن الكريم.

## المبحث الأول

## بين الإسلام والعلم

ويتناول في هذا المبحث ثلاثة قضايا وهي :

### أولا . الإسلام دين العلم

إن مما تميز به الإسلام عن غيره من الشرائع السماوية ، أنه توج رسالته بالعلم ، وأول كلمة نزلت من السماء إلى الأرض وعلى قلب النبي الكريم محمد بن عبد الله هي كلمة ﴿اقْرَأْ﴾ (١) ، فكانت تاجا وضعه الحق تبارك وتعالى فوق رأس هذه الأمة ، فكان الإسلام بهذا مفرق الطريق ، أو مفصلا في تاريخ الإنسانية ، لظاهرة العلم التي برزت فيه وحركة النشاط الفكري التي دفعت المجتمع البشري الذي نزل فيه الإسلام إلى الأمام فضلا عن مزاياه الأخرى المتعددة.

والمعيار الدقيق لكمال الإنسان أو نقصانه ، بيّنه الحق ﷻ بقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ، وأولى القرآن الكريم العلم وأهله مكانة سامية بقوله : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾ (٣).

غير أن الحق تبارك وتعالى وضع تصورا دقيقا وأساسا واضحا ينهض عليه العلم وتشاد عليه ركائزه ، وأول هذه الركائز ، التدبر في معرفة العلم الذي ستأخذه وذلك عند ما قال ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ (٤) والاقتفاء هو التتبع و ﴿ما﴾ من أدوات الشمول والعموم ، أي عموم ما لم تعلم حقيقته وتدرك كنهه وتتبصر فيه الغث من السمين لا تتبعه ، وما ذلك إلا لأن

---

(١) سورة العلق ، الآية : ١.

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٩.

(٣) سورة المجادلة ، الآية : ١١.

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦.

الأدوات التي تتحصّل من خلالها على العلوم والمعارف ستسأل عنها يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾ ومنهج القرآن متفرد في هذا الصدد ، لأنه يحث الناس على اقتفاء العلم النافع وهجر ما لا ينفع ، ومن هنا كان يقول النبي الكريم ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» [١].

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الحق ﷻ لا يقبل إيمان عبد قد اكتسبه بوسيلة المحاكاة والتقليد للآباء والأجداد ، دون إدراك حقيقة الإيمان الذي ينبع من معين العلم والعقل والطاقة المبصرة النيرة والولاء المطلق لرسالة الإسلام ، قال تعالى : ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [٢].

بل إن القرآن قد جعل الإيمان ثمرة من ثمرات العلم الحق ، لأن الأصل في الطريق إلى الله وإلى الإيمان هو العلم ، قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ﴾ [٣] فالعلم قد تقدم على التوحيد ، لأن صاحب العلم الحق يقوده علمه إلى مراتع الإيمان ورياض التوحيد ، أما العلم الذي يجعل صاحبه خاضعا لنزوات الحمأ المسنون لديه ، وعقله تبعا لعصبياته وأهوائه ، فإنه يوم القيامة من النادمين الذين يقرون ويعترفون أن بعدهم عن الإيمان في الدنيا ما كان إلا لأنهم ما عقلوا سر الحياة وما أدركوا قصة وجودهم في الكون ، وبالتالي غابت عنهم حقيقة العبودية لله ﷻ ، فأصبحوا أشبه ما يكونوا بالمجانين وفي ذلك يحكي القرآن عن هؤلاء فيقول سبحانه : ﴿وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ [٤] نعم لو أنهم سمعوا الهدى وانقادوا لمستلزماته ، وأعملوا عقولهم وفكروا فيها لما تخبّطوا في أوحال الشرك ودياجير الظلام.

يقول ابن القيم : (إن كل ما سوى الله مفتقر إلى العلم ، ولا قوام له بدونه ، فإن الوجود وجودان وجود الخلق ووجود الأمر.

والخلق والأمر مصدرهما علم الرب وحكمته ، فكل ما ضمّه الوجود من خلقه وأمره

---

(١) رواه مسلم ، ٤ / ٢٠٨٨ ، رقم : (٢٧٢٢) ، ورواه الحاكم في المستدرك ، ١ / ١٨٥ ، رقم : (٣٥٤).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠.

(٣) سورة محمد ، الآية : ١٩.

(٤) سورة الملك ، الآية : ١٠.

صادر عن علمه وحكمته ، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم ، ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم ، ولا عبد الله وحده وحمد وأثني عليه ومجّد إلا بالعلم ، ولا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم ، ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم) [١].

ومن دأب القرآن الكريم أنه يربي المسلم وينبه كل الناس على دوام التفكير ، والتبصر في هذه المكونات التي زجّ الإنسان في داخلها ، فإذا ما حدّق الإنسان البصر وأجال النظر في هذه المخلوقات ورأى الإبداع في خلقها ، والدقة في تناسقها ، والتساوق في ارتباطها ، فإنه بلا أدنى شك سينطق بلسان حاله ومقاله : ﴿**رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ**﴾ [٢].

ولما انقاد الرعيل الأول سلفنا الصالح لمقتضيات هذه الآيات ، حفزهم إيمانهم بالله للعلم والتعليم والعمل بما يتعلمون ، ولذلك تجد في تاريخ الإسلام المجيد قد برز كبار العلماء في الكونيات والطبيعة من علماء المسلمين والفقهاء ، وقدم هؤلاء للإنسانية العلوم النافعة في الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك ... والعالم في الغرب والشرق يعترف بفضلهم وما قدموه كان سببا في نهضة الغرب وحضارته.

(وقد أثبت التقدم الفكري الحديث أن القرآن الكريم كتاب دعا إلى العلم دعوته إلى الدين ، وأنه دعا صراحة إلى دراسة مختلف العلوم ، وأنه حوى أصول هذه الدراسات في مختلف قطاعات العلم ويبلغ عدد الآيات العلمية في القرآن الكريم ما يقرب على ٧٥٠ آية تشمل مختلف العلوم) [٣].

(دين كهذا يكرم العلم ويحض على التعلم ويدعو إلى معرفة الخالق عن طريق معرفة مخلوقاته كيف وجدت وكيف نشأت ، لهو الصراط السوي حيث لا لبس ولا غموض بل دراسة وتعلم وبحث وتفكير ... ثم يقول : ومنه يتضح أن الدين الإسلامي والعلم توأمان ، وأن الدين لا يقف عقبة في سبيل العلم بل يدعو إليه ويعتمد عليه ، ويشجع على

---

(١) فضل العلم والعلماء ، لابن قيم الجوزية ، جمع وترتيب صالح الشامي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ ص ٣٥.

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١.

(٣) القرآن الكريم أضواء على الشرق والغرب ، محمد قبيسي ، بيروت ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، ص ١٤٦.

البحث ، ويرغب في التعلم ، بل ويجعل العلم هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله سبحانه وتعالى ، والوقوف على عظمته وقدرته) [١].

ثم إن جمال الإسلام يكمن في أنه حث على العلم الذي ينفع البشرية ، بغض النظر عن المعتقدات والأديان ، وهذه الحقيقة التي نفتخر بها ، قد ذابت عند الغربيين واضمحلت ، ذلك أن ما توصلوا إليه من طغيان مادي وعلم طبيعي أردى في كثير من الأحيان بالبشرية إلى الخراب ، فقد اخترع لهم علمهم القنابل النووية والراجمات والطائرات القاصفة والمدرعات والدبابات ، فكانت أداة للتدمير والتشريد والتقتيل وسفك الدماء البريئة ، وهدم البنيان ، فأصبح الطفل يقتل وهو رضيع في حضن أمه والعجوز يذبح وأعين أولاده ترمقه ، ومدن بأكملها تشطب معالمها من ساحة الوجود؟!.

### ثانيا . الإعجاز العلمي سبيل من سبل الدعوة

إن سبل الدعوة إلى الله متعددة ومتنوعة ، وسبب هذا التعدد أن لكل مقام مقالا ينسجم معه ويتوافق مع الجو الذي يجب أن تحقق فيه الدعوة أهدافها.

ويظهر هذا الذي نقول من خلال المناهج التي سلكها الدعاة من رسل وغيرهم ، عند ما قاموا بإعلان دعوة الحق ودحض الباطل والضلال ، ولقد سجّلها القرآن الكريم في صفحاته لتكون الأسوة التي تحتذى ، والقدوة التي يسير وفق برنامجها كل من باع نفسه لله ولدين الله.

ولقد أيّد الحق تبارك وتعالى الرسل والأنبياء بالدلائل والبيانات التي تثبت صدق دعوتهم وأنهم مبعوثون من عند الله ، كما أن هذه البيانات تنسجم مع البيئة والمحيط الذي ظهرت فيه ، وهي تتناسب مع المستوى العقلي والعلمي لدى القوم الذين خوطبوا بها ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ﴾ [٢] ، فبينة موسى كانت من جنس ما قد انتشر في قومه ألا وهو السحر ، وبينة عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، وذلك لأن الطب كان من أبرز ما اشتهر به قوم عيسى عليه السلام ، فأثبت موسى صدق رسالته بمعجزته العصا ، لما أبطل عمل السحرة ، وأثبت عيسى صدق رسالته لما أحيا

---

(١) هذا خلق الله ، عبد الحليم كامل ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ص ١٥ ،

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٥.

الموتى بإذن الله ، وهذا ما عجز عنه قومه ، إلا أن تلك المعجزات المادية كانت حياتها مرتبطة بحياة أصحابها من الأنبياء ، فلما رحل الأنبياء إلى دار القرار ، ذهب وجه الإعجاز لتلك البينات من حيز الواقع المشاهد والمرئي ، ولم يبق منها إلا النقول والأخبار عبر كتب السماء.

ويأذن الخالق جل جلاله بظهور المعجزة الخالدة القرآن الكريم ، المعجزة المتجددة عبر الزمان ، فلكل جيل من الأجيال نصيب وافر منها ، ومهما تطورت العلوم المادية وتجددت الاكتشافات العصرية ، فإن إعجاز القرآن الكريم مواكب لهذه المستجدات ، مبين أنه قد تحدث عن بعض حقائقها وقت نزوله ولم يكن أحد قد أدركها بعد.

(ونظرا لكون عصرنا الحاضر هو عصر العلم و (التكنولوجيا) ، وأن لغة العصر الحالي هي لغة العلم ، ولكون القرآن الكريم هو كتاب هداية للناس كافة ، وليس مقتصرا على العرب فقط أو الناطقين باللغة العربية الذين يفهمون إعجازه اللغوي والبلاغي ، فأصبح من اللازم على المسلمين إظهار أوجه إعجازه المتعددة الأخرى ، وخاصة البرهان العلمي الذي أصبح أكثر وضوحا في الوقت الحاضر نتيجة التقدم الحاصل في العلم و «التكنولوجيا») [١].

كما أن (تقديم الخطوط العريضة لشريعة الحياة من أجل الإنسان ، وما ينضحان به أحيانا من بوارق من الإعجاز العلمي الباهر المتجدّد تجدد الحضارة والإنسان هي عطايا من اللطيف الخبير لتطمئن به نفوس المؤمنين ولترعوى نفوس المشككين ، وليتراجع عن غيّهم السادرون ، وليتقاصر غرور المفتونين بنتائج العلم الحديث ... فالإعجاز القرآني بكل أنواعه ، ولا سيما العلمي منه ، بوابة كبيرة مشرعة الأبواب لكل من يبصر الطريق العلمي القرآني لولوج تلك الأبواب) [٢].

إننا دخلنا في القرن الواحد والعشرين ، ونحن أمام إرث علمي هائل قد خلّفه لنا القرن الراحل فلقد ترك لنا ثروة علمية أو ثورة علمية عجيبة مدهشة ، فهلّا جعلنا تدريس

---

(١) العلوم في القرآن ، محمد جميل الحبال ومقداد الجواري ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ، ص ١٦.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، سليمان الطراونة ، عمان ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ ، ص ١٢١.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم سبيلا من سبل الدعوة إلى الله ، لا بل من أهم ما ينبغي أن يدرّس ويركز عليه.

إن الآيات الكونية والعلمية في القرآن الكريم تنادينا وتستنهض هممنا وتقول لنا : يا أتباع محمد أنا المعجزة المادية العلمية في عصر المادة ، فلئن كان أجدادكم العرب وهم أصحاب الفصاحة وفرسان البلاغة قد ذهلوا عند سماعهم القرآن الكريم لما انطوى عليه من بلاغة وبيان ودقة ، فخضعوا لسلطانه واستسلم أكثرهم لأوامره ، فمتى يا مسلمون تبينون الجانب الكوني والعلمي في آيات القرآن؟.

فإلى كل داع إلى الله ، وإلى كل داعية إلى الحق المبين ، أن تكون دعوته قائمة على دعائم وركائز العلم والمعرفة ، وأن يبرز الحقائق العلمية التي قد سجلها القرآن وسبق أصحاب العلوم الذين يدعون أنهم هم أول من اكتشفها وتحدث عنها ، عساهم أن ينصاعوا إلى الحق والإيمان.

إن المسئولية تقع على عاتق كل مسلم دون استثناء ، وأخص منهم العلماء والحكام ، الذين ملكوا زمام أمور المسلمين ، وأقول لهم : يا قادتنا إن أصحاب الباطل يروّجون لباطلهم في الليل والنهار وكبار رؤساء الدول الغربية يدعمون حملات التنصير والاستشراق دعما باهظا لترويج بضاعة الصليبيين وأباطيل الماسونيين ... فهلّا قمتم يا حكام العرب والمسلمين بتجهيز الدعاة إلى الله وإلى الحق ، لعرض أوجه الإعجاز العلمي في القرآن على أساطين العلوم في الغرب ، وأن تعلنوا للغرب أن الإسلام ليس دين إرهاب وسفك للدماء ، إنما هو دين العلم ، دين متابعة التكشفات العلمية والمستجدات العصرية لتقيموا الحجة وتثبتوا المعجزة؟

إذا كان أصحاب الباطل يدعون لباطلهم ، فلما ذا نستحي من دعوتنا إلى الحق؟.

إذا كانت وسائل الإعلام غربا قد شوّهت صورة الإسلام ، وأقنعت أبناءها هناك أن المسلمين ما تخلفوا إلا بالإسلام ، لأنه دين الحرب والتقتيل والدمار ، فأصبح الغربيون يعرضون عن الإسلام إعراض المشمئز الكاره له ، فلما ذا لا نقوم بتصحيح هذه الأفكار المغلوطة ، ونبين لهم وجه الحق والصواب؟ إذا كنا نحن ضعفاء بمقومات حياتنا المادية ، وبصناعاتنا وإنتاجاتنا المحلية ، وكنا شعبا مستهلكا لما يصدره لنا الغرب في شتى جوانب الحياة ، فإننا بحمد الله أقوياء في عقيدتنا ، أقوياء في علومنا ومعارفنا لكن هل من مبلّغ؟.

إن توجّه الدعاة بهذه البضاعة النضرة المتألقة يعني فتحا وانتصارا ، وإن كل داعية متسلح بهذه العلوم هو خير من الأسلحة الثقيلة وأقوى من الصواريخ والدبابات ، وعرضنا لهذه الحقائق نبتغي من ورائه هداية الناس خاصة أولئك الذين توغّلوا في المادة فنسوا الله والدار الآخرة ، وهدايتهم تعني إحياءهم وبث روح الإيمان في قلوبهم وعقولهم ، فالإسلام هو دين الحياة.

**ثالثا . ضوابط التفسير العلمي للقرآن**

وضع العلماء قيودا وضوابط لتفسير القرآن على أساس العلوم العصرية وهي :

**١ . الاعتماد في تفسيرنا العلمي على الحقائق لا الفرضيات :**

البعد في تفسيرنا عن الفرضيات والتخمين والنظريات ، لأن الفرضيات هي آراء يحاول أصحابها من الباحثين تفسير ظاهرة شاهدوها في مجال الطبيعيات والكونيات وفي شتّى الميادين وكما هو معلوم أن أي فرض علمي قابل للصحة والبطلان أو التعديل ، والحكم في ذلك هو التجربة والواقع وإذا ما انتقل الفرض إلى حيز النظرية فإنه لا يزال كذلك قابلا للأخذ والرد ، لكن عند ما يرقى إلى مستوى الحقيقة العلمية وصعيد اليقين الجازم يومذاك يكون تفسيرا قويا لآيات القرآن الكريم ، ونحن لا نجيز تفسير الآيات بالنظريات والفرضيات ، بل الدعامة العلمية التي ننهض عليها هي تفسير القرآن بحقائق العلم القطعية ، وذلك توصيدا لباب الشك والريب هنا ، فكم من نظرية ذاع صيتها وراجت بين الناس ثم أهيل عليها التراب فيما بعد وطويت في صفحات الزمن المنسي وأصبحت من الوهميات.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : (أن نستخدم من نتائج العلوم ما استقر عند أهله ، وغدا حقيقة علمية يرجع إليها ، ويعوّل عليها ، ولا نعوّل على الفرضيات والنظريات التي لم تثبت دعائمها حتى لا نعرض فهمنا للقرآن للتقلب مع هذه الفرضيات ، فليكن اعتمادنا على الحقائق المقررة ، ولا يقال : إن العلم ليس فيه حقائق ثابتة إلى الأبد ، فكم من قضايا علمية كانت يوما ما بل ظلت قرونا وقرونا حقائق مقدسة ، ثم ذهبت قدسيتها العلمية ، وأثبت التطور العلمي عكسها ، وهذا صحيح ومعروف ، ولكن حسبنا الثبات النسبي للحقائق ، فهذا هو الذي في مقدورنا بوصفنا بشرا ، وقد قيل في تعريف التفسير هو : بيان المراد من كلام الله بقدر الطاقة البشرية) [١].

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، يوسف القرضاوي ، ص ٣٨٢.

**٢ . عدم التعارض بين الحقيقة العلمية والقرآن.**

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا تعارض بين نصوص القرآن والحقائق العلمية ، فإنه من المستحيل أن يتعارض نص قرآني قطعي الدلالة مع حقيقة علمية ، لأن القرآن حق ، والحقيقة العلمية حق وكلاهما مصدرهما واحد وهو الحق تبارك وتعالى القائل : ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (١).

(ويستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية لأنهما من مشكاة واحدة ، وينبغي أن يكون من المسلّمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات إذا كانت قطعية الدلالة لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل الجهد البشري إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية) (٢).

(إن الحقيقة العلمية إن لم يكن في القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعا ما يعارضها ، نعم قد يكون هناك خلاف بين القرآن وبين بعض النظريات العلمية التي لم تبحث ولم تدرس بعد دراسة كاملة وعلى ذلك فمن أراد أن يفهم من القرآن مبدءا علميا فعليه أن يتخصص في ذلك العلم ويدرسه دراسة كاملة مستوفية ، ثم بعد ذلك يأتي للقرآن فيجده قد سبق البحث الحديث والحقائق العلمية وأتى بالحقائق الرائعة التي لا تقبل شكا ولا جدلا ، لأنه تنزيل الذي يعلم السر في السموات والأرض سبحانه) (٣).

**٣ . التمكن من علوم اللغة العربية وعلوم الآلة.**

بحيث يكون تفسيرنا للآيات القرآنية خاضعا لدلالات اللغة العربية وقواعدها ، وعلم الصرف وأصول الاشتقاق ، بالإضافة إلى علم البلاغة وأصول الفقه.

(وأن يكون الباحث ملتزما بالمعاني اللغوية في اللغة العربية للآيات التي يريد إيضاح إشاراتها العلمية ، لأن القرآن عربي ، كما أنه ينبغي أن يراعي التأليف بين الآيات وتناسبها ومؤاخاتها ، فيربط بينها لتكون وحدة موضوعية متكاملة) (٤).

---

(١) سورة الملك ، الآية : ١٤.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص ١٥٥.

(٣) التفسير العلمي للقرآن ، أحمد عمر أبو حجر ، ص ١١٩.

(٤) أصول التفسير وقواعده ، خالد عبد الرحمن العك ، ص ٢٢٤.

### ٤ . عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة.

العالم الذي زوده الله بالعلوم الشرعية أو الكونية ، مهما ارتقى في سلم المعرفة والاستنباط فينبغي أن يعلم أن هناك حدودا ينبغي أن يقف عندها ، وأن الإحاطة بمراد كلام الله بشكل مطلق أمر محال فالباحث في هذا الميدان يحاول توأمة الحقيقة العلمية القاطعة بالآية القرآنية بوجه من الوجوه المترجمة ولا يكون جازما بأن مراد الله هذا الذي وصل إليه.

(وعند إحاطتنا بالدلالات اللغوية الحقيقية والمجازية واستعمالات العرب لها ، إن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات ، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية على أن لا نحكم بالبطلان والفساد على الدلالات الأخرى للكلمة من جهة ، وأن لا نحصر معنى الآية على الدلالة التي رجّحناها من جهة أخرى ، فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية ، وظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا ، إلا أن العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى ، فمثلا قوله تعالى : ﴿**بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ**﴾ [١] كان إلى ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة تسوية البنان نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات ، إلا أننا لا نبطل كلام السلف في معنى الآية ، فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه ... وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل ، وكذلك فإن شعورنا في صنعة كلام الخالق سبحانه وتعالى وحكمته سليم وصحيح ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول : إن معنى الآية هو هذا فحسب ، وليس بعد فهمنا لها فهم آخر ، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية ، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين ، واستنباط المفكرين ، وبصمة إعجاز على جبين العصور) [٢].

### ٥ . أهمية التخصص العلمي :

من الأهمية بمكان أن يكون المتحدث في قضايا الإعجاز من أهل الاختصاص ، بحيث يكون متمكّنا من العلوم الشرعية واللغوية ، وكذلك متمكنا بأساسيات وأبجدية

---

(١) سورة القيامة ، الآية : ٤.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، ص : ١٥٤ . ١٥٥.

العلوم الكونية والطبيعية التي يفسر بها النصوص القرآنية ، أو يكون معتمدا فيما يطرحه على مختصين في كلا الميدانين ، لكي لا يقع في الزلل والتأرجح ، وبسبب عدم الالتزام بهذا القيد فإن كثيرا ممن كتب وتحدث في قضايا الإعجاز قد تعسف في تفسيره للنص القرآني ، مما أدى للخروج عن مدلول النص ومعناه ، كما أنه يأتي بالحقيقة العلمية لكن بشكل معكوس لأنه غير مختص في هذا المجال ، مما دفع كثيرا من العلماء أن ينادوا بمنع هذا النمط من التفسير.

### ٦ . القرآن الكريم كتاب هداية ونور.

وأيضا فإن مما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم كتاب هداية ونور ، وليس كتاب علوم كونية فحسب فالحق سبحانه وتعالى جعل الهداية التامة والحق المبين بين دفّتي القرآن الكريم الذي أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن وهدة الفجور ومستنقعات المعاصي إلى اليقين والهدى ، قال تعالى : ﴿**الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (١) وقال تعالى : ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ (٢) فالله عزّ وجلّ جعل القرآن الكريم نورا للقلوب وحياة للنفوس وضبطا للسلوك ودستورا للمجتمعات ، قال الله تعالى : ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ**﴾ (٣).

ومنهج الهداية الربانية في القرآن الكريم تبرز عند ما تتناول آياته المباركة نفس الإنسان بالتربية والتهذيب والتقويم والإصلاح ، وهذه الآيات التي تتحدّث عن الوعد والوعيد والجنة والنار والدنيا والآخرة ، وتلك التي تتحدّث عن أخبار الأمم الغابرة ، التي سادت ثم بادت بعد حين من الزمن ، وأخرى تتحدث عن قصة وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض وكيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال والفناء ، وتلك التي تنظم حياة الفرد وتقوم سلوكه وتضبط معاملاته بضوابط الشرع وأحكامه البينات ... ومنها ما فيه حديث عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم والأسس التي ينبغي أن تسير وفقها

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١.

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٩.

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤.

الأمة الإسلامية في معاملاتها مع غيرها ... وهكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتى ومتعدّدة ، كلها تصب في النهاية في بوتقة واحدة ألا وهي هداية الإنسان إلى الحق المبين ، لكن مع هذه الهداية في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك ، نجد أن في القرآن الكريم صنفا آخر من أصناف الهداية ، ألا وهو وجود آيات كونية وحقائق علمية وضعها الحق جل جلاله في صفحات كتابه المجيد لتكون مؤشرا على عظمة الخالق ولتكون دليلا على أن هذا القرآن هو وحي السماء إلى الأرض وبذلك يزداد المؤمن إيمانا ، ويتنبه غير المسلم إلى حقائقه العلمية التي سبقت ركاب العلم وأساطين المعرفة ، فيخضع لسلطانها وينقاد لصدقها فيعلن ولائه لله سبحانه وتعالى ، فالقرآن إذا ليس كتاب فلك ولا كتاب طب أو (جيولوجيا) ... لا ، إنما هو كتاب هداية ونور ، وما الحقائق العلمية والاشارات الكونية إلا سبيلا من سبل الهداية ، ومدخلا واسعا لرحاب الحق ورياض الإيمان.

## المبحث الثاني

## مولد الكون ونشأته بين القرآن والعلم

الآيات التي تتحدّث عن خلق الكون ، وما بث في تضاعيفه من مكونات ومخلوقات كثيرة جدا كما أن هناك عددا ليس بالقليل من هذه الآيات تسترعي انتباه الناس ، وتدعوهم إلى التفكير والتأمل في خلق السموات والأرض ، والدافع الحقيقي لهذا التأمل هو التعرف على عظم هذه المخلوقات وأسرار خلقها ، وعجائب تكوينها ، وبالتالي الوقوف على عظمة الخالق ، وروعة إبداعه في صنعه وخلقه يقول تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (١) وبقوله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) ويقول تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

هذه الآيات وغيرها تأمرنا أن نستخدم مدركاتنا ، ووسائل الإدراك والنظر التي هي امتداد لمدركاتنا ، وما منحنا الله من مستجدات تقنية وعلمية لنتعرف على قضية الخلق ، ومراحل الخلق وكيف بدأ الخلق وما تنطوي عليه السموات والأرض من عجائب الخلق والتدبير ، والسبيل الأوحد إلى ذلك هو ما أشار إليه الحق ﴿قُلِ انْظُرُوا﴾ فبالنظر والتأمل والاستدلال يتوصل الإنسان للكشف عن حقائق الخلق.

وما أجمل هذا الحث القرآني على دراسة الأرض ومكوناتها لنتعرف من خلال ذلك على بداية الخلق وعلى النشأة الأولى للكون ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) ، وهذا لا يتنافى أبدا مع

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ١٩.

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٠.

(٣) سورة يونس ، الآية : ١٠١.

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٠.

قوله تعالى : ﴿ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [١] لأن الحق هنا يقرر ضعفهم وتفرده في الخلق والإيجاد ، ولكنه لا ينفي أبدا أن يفتش الإنسان عن المفردات العلمية والكونية ليعلم ماهية بداية الخلق والتكوين.

ولقد عرض لنا القرآن الكريم بداية خلق الكون والمراحل التى مر بها عرضا بيانيا دقيقا ، يصور كل طور من أطوار الخلق بوضوح وجلاء دون لبس أو غموض ، وسوف نستعرض الآيات القرآنية التي تتحدّث عن كل مرحلة ، ونزيّلها بفهم علماء التفسير واللغة ، ثم نحدّد معطياتها ، لنرى مدى التوافق الدقيق بينها وبين ما وصل إليه علماء الفلك والكون في عصرنا الحاضر.

## مراحل الخلق

### أولا . مرحلة الرتق والفتق

يقول تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢].

الآية هنا تسترعي انتباه العباد ، وتخلق فيهم الباعث الذي يولد في كينونتهم ، ويثير في ساحة الإدراك والتفكير لديهم حب الاستطلاع والرغبة في البحث والتنقيب عن سرّ انتقال هذا الكون العظيم من دنيا الفناء وعالم اللاشيء ، إلى طور التخلق فالقرار ثم الحياة ، ثم إن انبلاج هذا الكون من تلافيف العدم إلى حيّز الوجود وميدان الإدراك ، ليتطلّب من البشر أن يسخّروا ما أوتوا من قوة عقلية وعلمية ومادية ، في سبيل التعرف على خلق هذا الكون ، والوقوف عند المادة الأم التي تشكل الكون منها بأسره.

والآية تشير إلى أن السموات والأرض ، أي الكون وما بثّ في أرجائه من نجوم ومجرات وكواكب وشموس وأقمار كان شيئا واحدا ، كان مادة واحدة ، كتلة واحدة ثم انشطرت هذه المادة وفتقت وتفجرت ، فانفصلت السموات عن الأرض ، وتباعدت أجزاؤها وأصبحت عالما عظيما مترامي الأطراف ، بعيد المدى ، واسع الرحاب ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾ تعبير دقيق ومشهد رائع ، يأخذ بالألباب

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥١.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

والعواطف والأحاسيس ، لأنه يصور لنا المشهد الأول ، واللقطة الأولى من الكون ساعة الانفصال.

وبجولة سريعة في كتب المفسرين ، يتكامل التصور الدقيق حول هذه المرحلة من خلال شرحهم لهذه الآية الكريمة ومعطياتها.

ففي «جامع البيان» : (يقول تعالى ذكره : أولم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم فيروا بها ، ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقا ، يقول : ليس فيهما ثقب ، بل كانتا ملتصقتين يقال منه : رتق فلان الفتق إذا شدّه ، فهو يرتقه رتقا ورتوقا ، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم : رتقاء ، ووحد الرّتق ، وهو من صفة السماء والأرض ، وقد جاء بعد قوله تعالى : ﴿كانَتا﴾ لأنه مصدر ، مثل قول الزّور والصوم والفطر ، وقوله : ﴿وَجَعَلْنا﴾ يقول : فصدعناهما وفرجناهما ، ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله تعالى السموات والأرض بالرتق ، وكيف كان الرتق ، وبأيّ معنى فتق؟ قال ابن عباس : كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض ...

وكان الحسن وقتادة يقولان : كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء ، وقال آخرون : بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة ، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات ، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة ، ففتقها فجعلها سبع أرضين) [١].

وفي تفسير «القرطبي» : (وقال : ﴿رَتْقاً﴾ ولم يقل رتقين ، لأنه مصدر ، والمعنى كانتا ذواتي رتق ... والرتق السد ضد الفتق ، وقد رتقت الفتق أرتقه فارتتق أي التأم ، ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج ، قال ابن عباس وغيره : يعني أنها كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء ، وكذلك قال كعب : خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها ، وجعل السموات سبعا والأرضين سبعا) [٢].

وفي «الجلالين» (كانتا رتقا ، سدّا بمعنى مسدودة : ﴿فَفَتَقْناهُما﴾ جعلنا السماء سبعا

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، ١٧ / ١٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن فرح القرطبي ، تحقيق ، أحمد عبد العليم البردوني ، القاهرة ، دار الشعب ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٢ هـ ١١ / ٢٨٢ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٥ / ٦٩٢.

والأرض سبعا وفتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت ، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت) [١].

وفي «أضواء البيان» عدة أقوال منها : (الأول : أن معنى : ﴿رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾ أي كانت السموات والأرض متلاصقة بعضها مع بعض ، ففتقها الله وفصل بين السموات والأرض ، فرفع السماء إلى مكانها ، وأقر الأرض في مكانها ، وفصل بينهما بالهواء الذي بينهما كما ترى.

القول الثاني : أن السموات السبع كانت رتقا ، أي متلاصقة بعضها ببعض ، ففتقها الله وجعلها سبع سماوات ، كل اثنتين منها بينهما فصل ، والأرضون كذلك كانت رتقا ففتقها ، وجعلها سبعا بعضها منفصل عن بعض) [٢].

ونجد نفس المعاني في تفسير «البيضاوي» : ﴿كانَتا رَتْقاً﴾ ذات رتق أو مرتوقتين ، وهو الضم والالتحام ، أي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ، ﴿فَفَتَقْناهُما﴾ التنويع والتمييز ، أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكا ، وكانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم ، وقيل ﴿كانَتا﴾ بحيث لا فرجة بينهما ففرج) [٣].

وقال الرازي : (الرتق في اللغة : السد ، يقال ارتتق الشيء فارتتق ، والفتق : الفصل بين الشيئين الملتصقين ، والرتق مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق ... وعن ابن عباس رضي الله عنه أن المعنى كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ، ففصل الله بينهما ، ورفع السماء إلى حيث هي وأقرّ الأرض) [٤].

يقول صاحب «الكشاف» : (أي كانتا رتقا ، ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة

---

(١) تفسير الجلالين ، محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين السيوطي ، القاهرة ، دار الحديث ، الطبعة الأولى ، د. ت ، ص ٤٢٩.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، بيروت ، عالم الكتاب ، د. ت ، ٤ / ١٠٢.

(٣) أنوار التنزيل ، عبد الله بن عمر البيضاوي ، تحقيق ، عبد القادر عرفات ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ ، ٤ / ٩٠.

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، ١١ / ١٦٣.

بالأرض لا فضاء بينهما ، أو كانت في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد ، وأن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل) [١].

ولتوخّي الدقة وزيادة الضبط نفتح المعاجم اللغوية للتعرف على معاني بعض الكلمات القرآنية من حيث أصلها اللغوي واشتقاقاتها ، ليصبح وجه الاستدلال بها منسجما مع المقارنة الكونية للآية القرآنية.

يقول ابن منظور : ﴿كانَتا رَتْقاً﴾ (والرتق ضد الفتق ، والرتق إلحام الفتق وإصلاحه) [٢].

وفي «القاموس المحيط» : (الرتق ضد الفتق ، ارتتق التأم السموات متلاصقات وكذلك الأرض لا فرج بينها ففتقها الله وفرّج بينها ... فإن قلت : متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما أنه وارد) [٣].

ولربما يخطر في البال هاهنا سؤال فيقول صاحبه : ما هي المادة التي تكونت الكتلة الكونية الأولى التي تم رتقها وفتقها؟

هذا السؤال قد حيّر علماء الفلك والمتخصصين في الفيزياء الكونية ، فراحوا ينسجون تصورات نظرية حول هذه المادة وطبيعتها إلى أن اتفقوا على أن أصل المادة عبارة عن سدم ، لكننا نجد القرآن الكريم قد أجاب على هذا السؤال بكل وضوح ، وأشار إلى أن المادة الكونية الأولى للكون إنما هي من «الدخان» كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾ [٤] فالمادة التي تشكل منها كوننا العظيم إنما هي من الدخان.

ولنا أن نستخلص مما سبق ، ومن خلال التصور القرآني عن المرحلة الأولى لخلق الكون ما يلي :

١ ـ أن السموات والأرض في لحظة الخلق الأولى وبداية النشأة ، كانتا كتلة واحدة متلاصقة ثم انفصلت وتوزعت.

٢ ـ طبيعة هذه المادة التي تشكل الكون منها إنما هي الدخان.

---

(١) الكشاف ، محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ ، ٢ / ٥٧٠.

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ٥ / ١٣٢.

(٣) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، ٣ / ٢٤٣.

(٤) سورة فصلت ، الآية : ١١.

### ثانيا ـ مرحلة خلق السموات والأرض

قال تعالى : ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١)﴾ [١].

كان الحديث في الآية الأولى عن طبيعة المادة الكونية الأولى وماهيتها ، وكيف أنها كانت كتلة واحدة ثم انفصلت ، أما هنا فالآية تتحدث عن أطوار خلق السموات والأرض ، والمراحل التي اعترتها بعد عملية انفصال المادة الأولى.

وهذه الآية الكريمة تقرر حقيقة كونية ثابتة وقطعية الدلالة وهي ، أن الأرض بعد عملية فتق الرتق خلقت أولا ، ثم تمّ تشكيل السماء وبناؤها من الدخان ، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين ، ولقد وقع في الخطأ والخلط من حاول أن يقدم مرحلة خلق السموات على الأرض ، بسبب رغبة شديدة دفعته إلى توأمة هذا النص القرآني مع التخمينات النظرية التي تحدث عنها بعض الفلكيين ، من أن السموات خلقت قبل الأرض ، وهذا الكلام لا يستند إلى دليل لا من النصوص القرآنية ولا من المعطيات العلمية الثابتة ، وهذا ما سيوضح بعد إلقاء نظرة حول هذه الآية في كتب التفاسير.

ففي «أنوار التنزيل» : (﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ في مقدار يومين ، أو نوبتين ، وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ، ولعل المراد من ﴿الْأَرْضِ﴾ ما في جهة السفل من الأجرام البسيطة ومن خلقها ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أنه خلق لها أصلا مشتركا ، ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا ، ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ﴾ قصد نحوها من قولهم : استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوي على غيره ، والظاهر أن ثم تفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخي في المدة لقوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها : ﴿وَهِيَ دُخانٌ﴾ أمر ظلماني ، ولعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التي كتب منها : ﴿فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا﴾ بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة ، أو : ﴿أَتَيْنا﴾ في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة ، أو الإخبار أو إتيان

---

(١) سورة فصلت ، الآيات ٩ ـ ١١.

السماء حدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوة ، وقد عرفت ما فيه أو لتأت كل منكما الأخرى في حدوث ما أريد توليده منكما) [١].

وفي «روح المعاني» : (الكلام على التقديم والتأخير والأصل ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾ إلخ ، ﴿فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا﴾ إلخ ، وهو أبعد عن القيل والقال ، إلا أنه خلاف الظاهر ، أو كوّنا وأحدثا على وجه معين وفي وقت مقدّر لكل منكما ، فالمراد إتيان ذاتهما وإيجادهما ، فالأمر للتكوين على أن خلق وجعل وبارك وقدر بالمعنى الذي حكيناه عن إرشاد العقل السليم ، ويكون هذا شروعا في بيان كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير ، ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وما فيها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادئ معايشهم قبل خلقهم ما يحملهم على الإيمان ، ويزجرهم عن الكفر والطغيان ، وخص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه إليهما معا اكتفاء بذكر تقدير الأرض وتقدير ما فيها كأنه قيل : فقيل لها وللأرض التي قدر وجودها ووجود ما فيها كونا وأحدثا ، وهذا الوجه هو الذي قدمه صاحب الإرشاد وذكره غيره احتمالا ، وجعل الأمر عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل من غير أن يكون هناك آمر ومأمور) [٢].

وفي «بحر العلوم» : (ثم استأنف فقال : ﴿سَواءً لِلسَّائِلِينَ﴾ ومن قرأ بالنصب يعني قدرها سواء صار نصبا على المصدر ، ومعناه : استوت استواء ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ﴾ أي صعد أمره إلى السماء ، وهو قول الله : ﴿كُنْ﴾ ويقال : عمد إلى خلق السماء ﴿وَهِيَ دُخانٌ﴾ يعني بخار الماء كهيئة الدخان ، وذلك أنه لما خلق العرش ، لم يكن تحت العرش شيء سوى الماء كما قال تعالى : ﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾ ثم ألقى الحرارة على الماء حتى ظهر منه البخار ، فارتفع بخاره كهيئة الدخان ، فارتفع البخار ، وألقى الريح الزبد على الماء ، فزيد الماء ، فخلق الأرض من الزبد ، وخلق السماء من الدخان) [٣].

---

(١) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٥ / ١٠٥ ـ ١٠٦ ، وانظر : جامع البيان ، للطبري ، ٢٤ / ٢٦.

(٢) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٤ / ١١٧ ـ ١١٨ ، وانظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، ٧ / ٣١٣.

(٣) بحر العلوم ، نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق ، محمود مطرجي ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٧ ، ٣ / ٢١٧ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ١٥ / ٣٤٢ ، وانظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، ٧ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

وفي «مختار الصحاح» : (الدخان : دخان النار معروف وجمعه دواخن ، كعثان وعواثن ، على غير قياس ، ودخنت النار ارتفع دخانها ، وبابه قطع وخضع ، وادخنت مثله ، ودخنت النار إذا فسدت بإلقاء الحطب عليها حتى هاج دخانها ، ودخن الطبيخ إذا تدخنت القدر ، والدخن الجاورس والدخنة كالذريرة تدخن بها البيوت) [١].

وفي «مفردات ألفاظ القرآن» نجد أن الدخان هو : (المستصحب للهيب ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾ أي هي مثل الدخان ، إشارة إلى أنه لا تماسك لها ، ودخنت النار تدخن كثر دخانها ، والدخنة منه ، لكن تعورف فيما يتبخر به من الطيب) [٢].

ويستخلص من معطيات النص القرآني ما يلي :

١ ـ تم خلق الأرض بعد فتقها من الكتلة الدخانية في يومين ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

٢ ـ تم تسوية السموات السبع في يومين كما قال تعالى : ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وذلك بعد فتقها والانفجار والانفصال الذي اعتراها بعد ما كانت دخانا ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾.

٣ ـ تمّ تدبير الأرض وتهيئتها وتسخيرها لتعيش عليها المخلوقات في يومين ﴿وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها﴾ أي الجبال التي تساعد على توازن واستقرار الأرض ﴿وَبارَكَ فِيها﴾ أي زاد فيها الخير والزرع والماء وغير ذلك ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها﴾ من أرزاق وأسباب المعيشة.

وينبه إلى أن المقصود بالأيام هنا هي المراحل والحقب الزمنية ، وليست الأيام المعروفة لدينا كما أشار إلى ذلك كثير من المفسرين كما سبق ، ولأن الزمن شيء نسبي كما هو معلوم ، فيوم الأرض ليس كيوم الشمس وليس كيوم المجرة وهكذا ...

### ثالثا ـ مرحلة دحو الأرض

قال تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (٢٧) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (٣٠)﴾ [٣].

---

(١) مختار الصحاح ، للجوهري ، ١ / ٨٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق ، صفوان داودي ، دمشق ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ ، ص : ٣١٠.

(٣) سورة النازعات ، الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

هذه هي المرحلة الثالثة من مراحل الخلق حسب تصوير القرآن لذلك ، فالمرحلة الأولى كانت مرحلة تفجير الكتلة الدخانية «الرتق والفتق» والمرحلة الثانية كانت مرحلة خلق الأرض لكنها غير مدحوة ، وتسوية السموات وتشكيلها ، ثم جاءت المرحلة الثالثة التي هي مرحلة دحي الأرض.

لكن قد يستشكل أحدنا أو يجول في خاطره سؤال مفاده ، أيهما خلق أولا السموات أم الأرض؟ ففي الآية السابقة عرفنا بنص قرآني واضح وصريح أن الأرض خلقت قبل السماء ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١)﴾ [1] وهنا نجد أن الحق يخبرنا أن الأرض خلقت بعد السماء ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ أي بعد خلق السموات ، فكيف يكون ذلك؟.

إن الجواب على هذا السؤال أو الاستشكال سهل للغاية ، وقد عرض هذا السؤال على ابن عباس رضي الله عنه وأجاب عليه ، كما ورد في صحيح البخاري : (قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ... قال تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها﴾ إلى قوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض ، ثم قال تعالى : ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ ...﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ... فقال ابن عباس رضي الله عنهما : خلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحى الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله تعالى : ﴿دَحاها﴾ وقوله : ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلق السموات في يومين ... فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلا من عند الله عَزَّوَجَلَّ ) [2].

وعلى هذا النسق سار المفسرون ، ففي إرشاد العقل السليم : (فهي وما في سورة البقرة من قوله سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى

---

(١) سورة فصلت ، الآيات ٩ ـ ١١.

(٢) رواه البخاري ، باب التفسير ، رقم : (٤٥٣٧) ، ٤ / ١٨١٥.

﴿السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ [١] تدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها ، وعليه إطباق أكثر أهل التفسير ، وقد روي أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ، ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان ، فأما الزبد فبقي على وجه الماء ، فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها أرضين ، وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات ، ... وقيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات ، لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ ولما روي عن الحسن ﷺ ، من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ، ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها ، وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى : ﴿كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما﴾ وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الآمر بالإتيان إنشاءها وإحداثها بل إنشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص ، كأنه قيل : ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه ، ائتي يا أرض مدحوّة قرارا ومهادا لأهلك ، وائتي يا سماء مقبّبة سقفا لهم) [٢].

وعند الطبري : (عن ابن عباس ، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سماوات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ [٣].

وعند ابن كثير : (أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل) [٤].

وفي تفسير القرطبي : (أن الله تعالى خلق أوّلا دخان السماء ثم خلق الأرض ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسوّاها ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، ومما يدل على أن الدخان خلق أوّلا قبل الأرض ما روي عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٩.

(٢) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ٨ / ٥ ـ ٧.

(٣) جامع البيان ، للطبري ، ٣٠ / ٤٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٨ / ٣١٧.

رسول الله ﷺ في قوله عزّ وجلّ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ قال : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه ، فسمّاه سماء ، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين) [١].

(فالكلمتان «دحاها ـ طحاها» تدلان على معنى البسط ، دحا الأرض يدحوها ، بسطها ، قال شمّر : فأنشدتني أعرابية : الحمد لله الذي أطاقا بنى السماء فوقنا طباقا ثم دحا الأرض فما أضاقا والأدحوّة ، مبيض النعام في الرمل ... ومدحى النعام ، موضع بيضها) [٢].

هذه هي مراحل الخلق حسب معطيات القرآن الكريم ودلائله ، ولا شك أن هذا التفصيل لمراحل خلق الكون عسير على العلم بل من المستحيل أن يصل إليه ، لأنه من المغيبات التي لا تخضع لمدركات الإنسان ، لكن يمكن للعلم أن يصل إلى حقائق كونية ثابتة عن أصل الكون والخلق ، لكنها مجملة وليست مفصلة بهذه الدقة القرآنية العجيبة ، والدليل على ذلك أنهم حقا توصلوا إلى حقائق علمية تدل على أصل الكون ومنشئه.

والعودة لملف علم الفلك ، والنظر في أقوال علماء الكون ، تظهر أن ما توصلوا إليه من حقائق كونية علمية ثابتة بعد جهد جهيد من الدراسة والبحث ، هي ذاتها التي أشار إليها القرآن الكريم بوضوح القول وصريح العبارة ، وأن ما كشفوا عنه اليوم هو الذي سبقهم إليه كتاب الله تعالى وسطّر ملامحه وأطره في صفحاته قبل أكثر من أربعة عشر قرنا.

الكون الذي يحوي في ثناياه النجوم والكواكب والمجرات ، وما يتبعها من غازات ومعادن وصخور وتراب وحيوانات ونباتات وإنسان ، وغير ذلك من المخلوقات الأخرى ، كان مثار اهتمام لدى الإنسان عبر مرور الأحقاب ، سواء كان هذا الاهتمام مبنيا على الخرافة والوهم ، كما عند بعض الناس في القدم ، والذين اعتقدوا بأزلية الكون ، وربطوا تصوراتهم العقائدية بأجسام عدة من الكون كالشمس والشجر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١ / ٢٥٠.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٤ / ٣٠٣ ، وانظر : مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٥١٧.

والنار ... وجعلوها آلهة لهم ، أو كان مرتكزا على الدراسات الصحيحة التي تعتمد على الرصد والحسابات الفلكية والرياضية.

وإذا ما طوينا صفحة الخيال أو الخرافة التي كانت سائدة ومسيطرة على عقل الإنسان في معظم الحضارات القديمة ، واتجهنا إلى التعرف على الدراسات الحديثة التي شهدها الإنسان في بداية القرن العشرين ، فإننا نجد تطورا هائلا في مجال الفلك بسبب الاكتشافات الكبيرة لأسرار الكون ، عبر المراصد الضخمة ، ومن خلال النظريات العلمية الجديدة.

وقبل الشروع في عرض وبيان آراء العلماء حول مولد الكون ونشأته ، ينبه إلى أن هناك العديد من النظريات التي أعلنت حول أصل الكون ، إلا أن معظمها خفت صوتها وغيّبت ، عند ما ظهرت أحدث نظرية حول مولد الكون والتي تدعى بالانفجار العظيم (big bang) بل والتي أجمع على صحتها جمهور علماء الفلك ، مما دفع بعض الفلكيين إلى القول بأنها حقيقة قطعية كما سيأتي.

وبوسعنا الآن أن نستعرض طائفة من دراسات الفلكيين حول الانفجار الكوني العظيم ، لنرى مدى التوافق بين ما أثبتوه ، وبين الحقائق القرآنية التي سبق وأن قرر من خلالها الحق نشأة الكون.

**الحقائق العلمية :**

(توصل عالم الفلك البلجيكي «جورج إدوارد لوميتر» [١] إلى نتيجة الانفجار العظيم ، وأعلنها في عام ١٩٢٧ ، وقد افترض في مستهل الأمر أن المادة الكونية كانت كلها مضغوطة في حجم ضئيل للغاية أسماه البيضة الكونية ، ثم تعرض ذلك الجسم لتمدد مفاجئ سريع وما زال يتمدد ، ولما طرح «هبل» [٢] قانونه في عام ١٩٢٩ ، وشرح

---

(١) جورج إدوارد لوميتر ، ١٨٩٤ ـ ١٩٦٦ ، كاهن بلجيكي كان رائدا في علم الرياضيات ، عمل أستاذا في جامعة لوفان ، أهم أبحاثه التي أدت إلى نظرية الضربة الكونية الكبرى عن تكوين الكون ، ظهرت في عام ١٩٢٧ ، خدم في الجيش البلجيكي ، وربح ميدالية الحرب وقتها. انظر : موسوعة غينيس في علم الفلك ، باتريك موور ، ترجمة ، مركز التعريب والبرمجة ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص : ٢٨٤.

(٢) أدويل هبل ، ١٨٨٩ ـ ١٩٥٣ ، فلكي أمريكي معاصر ، قام برصد ملايين النجوم من مرصد جبل بالومار ، وقام بتصنيفها في مجموعات ، أعلن أن الكون أكبر مما يتصور العلم آنذاك. الأطلس الفلكي ، عصام الميداني ، دمشق ، دار دمشق ، ١٩٩٦ ، ص : ٨٨.

المشاهدات التى استند إليها ، بدا واضحا أن ذلك يجسد تماما ما ينبغي أن يكون من شأن كون في حالة تمدد ، وكون كل المجرات تبتعد عنا بمعدل أسرع كلما كانت أكثر بعدا ، أمر ليس له أي دلالة خاصة تتعلق بنا وبمجرتنا ، فما دام الكون في حالة تمدد فهذا يعني أن كل مجراته تتباعد عن بعضها ، وقد التقط الفيزيائي «جورج جاموف» [١] فكرة البيضة الكونية وعممها ثم أطلق على عملية التمدد الأولى اسم (الانفجار العظيم) ، وما زال ذلك الاسم مستخدما حتى الآن ويشير «جاموف» إلى أن الإشعاعات التي صاحبت الانفجار العظيم ، لا بد أن يكون لها الآثار حتى الآن ما يمكن رصده من أي اتجاه على هيئة موجات (ميكروويف) ضعيفة ، لها من المواصفات ما يمكن تقديره حسابيا ، وبهذا الاكتشاف انتهى علماء الفلك إلى الاقتناع بوجود الانفجار العظيم ، ومن المتفق عليه الآن أن الكون قد بدأ بجسم ضئيل انفجر منذ خمسة عشر بليون سنة ، وما زال تحديد عمر الكون على وجه الدقة قيد البحث ، ولكنه يصعب أن يقل عن عشرة بلايين سنة ، ولن يزيد على الأرجح على عشرين بليون سنة) [٢].

وهذا ما أكّده كثير من علماء الكون (يدرس علماء الكون الزمن الغابر باستقراء خارجي للشروط السائدة في الكون حاليا ، بمعنى أنهم يستعملون قوانين الفيزياء لاستنباط الكيفية التي كان الكون عليها حين نشأته وبداية تكوينه ، فلقد تبين أن الكون كان في بدايته حارا وكثيفا ، وكان غازيا وكانت مادته وإشعاعه ممتزجين معا امتزاجا يختلف فيه تماما عما نعرفه عنهما من حيث تميزهما الواضح عن بعضهما ، ويعود سبب الامتزاج إلى أنه في غاز ذي درجة حرارة مرتفعة يحمل الإشعاع طاقة هائلة ، الأمر الذي يوفر إمكان تحوله إلى مادة ، وهكذا فالإشعاع والمادة في بداية نشأة الكون سلكا سلوكا لا يكاد يميّز أحدهما عن الآخر ... وهم يعتقدون أن درجة حرارته كانت عالية جدا مما أدى إلى الانفجار العظيم) [٣].

---

(١) جورج جاموف ، ١٩٠٤ ـ ١٩٦٨ ، الأمريكي الروسي الأصل ، مؤسس نظرية الانفجار الكبير لنشوء الكون ، وصاحب المصطلح الذي أصبح الآن من أكثر الفرضيات إثارة للجدل في تاريخ العلم ، وتنبأ بوفرة عنصر الهيليوم ، وبانتشار الأشعة الباردة. انظر : مفكرون من عصرنا ، سامي خشبة ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ ، ص : ٣١١.

(٢) الشموس المتفجرة ، إسحاق عظيموف ، ترجمة السيد عطا ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص : ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) مقدمة في علم الفلك ، توماس آربي ، ترجمة ، د. أحمد الحصري ، دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، ص : ٧٠٢.

ويؤكد هذا المعنى العالم «جون فايفر» [١] فيقول : (لقد كانت الظلمات السائدة حينذاك نقطة بداية لا نقطة نهاية ، عند ما تكونت فيها سحابة لا تشبه سحب اليوم أبدا ، فقد بدأت المادة تتجمّع بالغريزة كما تتجمع قطعان الأغنام ، وهكذا بدأت كثافة السحابة تزداد ، وبدأت الظلمة تنقشع ويبدو فيها بصيص من النور ، ولقد كان هذا النور بداية تكون النجوم) [٢].

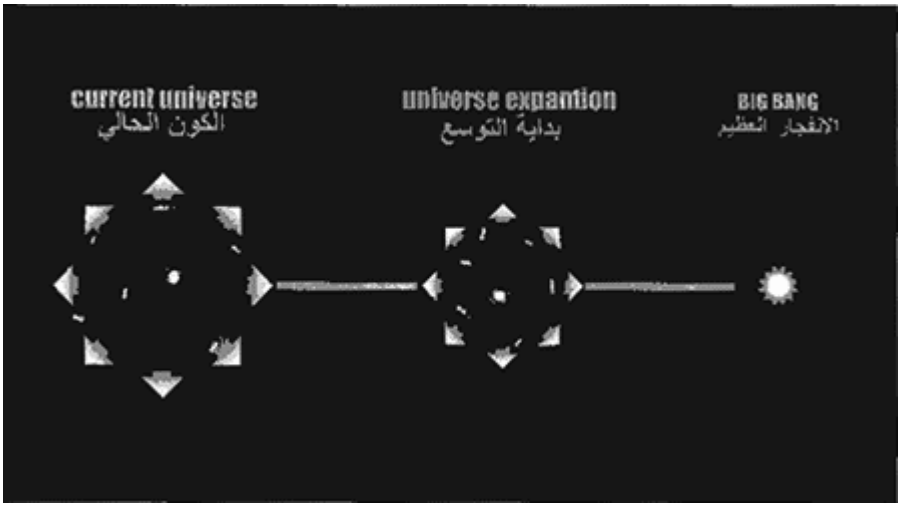


رسم يبين عملية الانفجار العظيم وتوسع الكون وهذا ما أثبته العلماء في أوائل القرن العشرين وذكره القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام بأن السماء والأرض كانتا رتقا ففتقناهما.

(وفي اللحظات الأولى للكون عند ما كانت الكثافات هائلة ، ودرجات الحرارة

---

(١) جون فايفر أحد أئمة كتاب العلوم ، وقد كرس نفسه أساسا لتقديم صورة عامة دقيقة عن نتائج البحث العلمي ، وكان المحرر العلمي والطبي لمجلة «نيوزويك» والمدير العلمي لإذاعة وتلفزيون كولومبيا ، له عدة مؤلفات منها : العلم في حياتك ، والعقل البشري ، والكون الصغير.

انظر : مقدمة المترجم ، ص : ٢.

(٢) بداية الكون ، جون فايفر ، ترجمة ، د. محمد الشحات ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٥ ، ص : ٩.

عالية ، لا بد من أن الكون كان معتما ، فلم تكن (فوتونات) [١] أشعة تستطيع التحرك إلا لمسافة قصيرة جدا ، وبعدها ترتطم إما بجسيم أو (بفوتون) آخر ، ولكن عند ما أخذ الكون بالاتساع أخذت الأطوال الموجية (للفوتونات) في الكرة النارية الأولية بدورها بالاستطالة شيئا فشيئا ، وازدياد الأطوال الموجية يعني انخفاض الطاقة التي يحملها كل (فوتون) ، وبانخفاض الطاقة المحمولة في كل (فوتون) بدأت درجة حرارة الكرة النارية بالهبوط وابتدأ الكون بعدها بالبرودة ... وقد لعبت (الإلكترونات) [٢] الحرة المنطلقة حول الكرة النارية ، عند ما كان الكون في بدايته ساخنا ، دورا مهما في الإبقاء على عتمة الكون ، فقد كانت (الإلكترونات) الحرة تستطيع بسهولة وكفاءة تشتيت (الفوتونات) ، إذ لم يكن لأي (فوتون) المجال للتحرك بعيدا ، إذ كان ولا بد أن يرتطم (بالإلكترونات) السائبة) [٣].

ويقول صاحب كتاب «قصة الكون» : (إن الكون قد بدأ على شكل كتلة ساخنة جدا من المادة ، ولم يكن شبيها كليا بالمادة كما نعتقد ، بل كانت توجد فيه على الأقل كتلة من الجسيمات الذرية الأولية مزدحمة مع بعضها ، وقد قدر أن قطر هذه المادة لم يكن يتعدى بضع ملايين من الأميال ، أي أنه كان من الممكن أن يوضع في مدار الأرض حول الشمس ، ولا بد أن كثافة هذه المادة كانت مائة مليون طن لكل سنتيمتر مكعب ،

---

(١) الفوتون : photon ، عبارة عن كمية الطاقة الضوئية المرئية أو غير المرئية ، ويمتلك الفوتون طاقة وكمية حركة ، ويتمتع بكتلة تساوي طاقته مقسومة على مربع سرعة الضوء ، غير أنه ليس له كتلة سكون ، فهو دائم الحركة بسرعة تساوي سرعة الضوء ، وهو جسيم ليس له أي شحنة كهربائية.

انظر : الموسوعة الفلكية ، خليل بدوي ، عمّان ، عالم الثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ ، ص ٨٤.

(٢) الإلكترون : nortcele ، مشتق من الكلمة اليونانية ، nortktron ، والتي تعني الكهرمان ، وهو جسيم ذو شحنة كهربائية سالبة يدور حول نواة الذرة ، توجد الإلكترونات في الحالة الاعتيادية في مداراتها الرئيسية المستقرة في الذرات ، وبما أن عدد الإلكترونات يساوي عدد البروتونات في ذرة ما ، فإن شحنة الذرة تساوي صفرا. انظر : موسوعة الكويت العلمية للكيمياء ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ، ١ / ٣٢٥ ، و ١ / ٦٢٦.

(٣) المجرات والكوازرات ، وليام كاوفمان ، ترجمة ، عبد الكريم السامرائي ، بغداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ، وانظر : الانفجار الكبير ، أميد شمشك ، ترجمة ، أورخان محمد علي ، عمّان ، دار البشير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ ص ٢٧ ، وانظر : الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون ، ستيفن ونبرغ ، ترجمة ، وائل الأتاسي ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٨٦ ص : ٨١.

أي أكثف من نواة الذرة ، كما كانت درجة حرارتها بلا شك عالية إلى حوالي عشرة بلايين درجة ، ومثل هذه الكتلة يمكن أن تكون غير مستقرة جدا فتنفجر عند وقت ما ، ومع درجة الحرارة العالية لا بد أن الانفجار كان قويا ، اندفعت بمقتضاه كل مادة الذرة الضخمة إلى الخارج ، وفي جزء من الثانية أصبح للكون وجود) [١].

ويؤكد هذه القضية «كارل ساغان» [٢] في كتابه «الكون» فيقول : (ونعلم الآن أن كوننا يبلغ من العمر نحو ١٥ أو ٢٠ مليار سنة ، وهذا الزمن محسوب منذ ذلك الحدث التفجيري الاستثنائي ، الذي يعرف بالانفجار الكبير ، وفي بداية الكون لم تكن هناك مجرات أو نجوم أو كواكب أو أي نوع من الحياة أو حضارات ، بل مجرد كرة نارية مشعة منتظمة الشكل تملأ الفضاء كله) [٣].

**الإعجاز :**

لا أرى داعيا في سرد المزيد من دراسات علماء الفلك والكون ، والتي تصور بمجملها أصل الكون ومولده ، وتؤكد على أن الكون كان كتلة متماسكة حارّة ، ثم بدأ

---

(١) قصة الكون عجب وبهاء ، كليفورد سيماك ، ترجمة ، د. عبد القوي عياد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ص ١٩٥ وانظر : آفاق فلكية ، فوزية محمد الرويح ، الكويت ، جامعة الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص : ٢٨١.

(٢) كارل ساغان ، أستاذ الفلك وعلم الفضاء بمعهد دافيد دنكان ، ومدير معمل دراسات الكواكب بجامعة كورنيل ، قام بدور بارز في رحلات سفن الفضاء ، له نحو ستمائة ورقة بحثية علمية ، بالإضافة للعديد من الكتب. انظر : مقدمة المترجم ، ص : ٣ ، وانظر : الفضاء والشهب ، محمد فتحي عوض الله ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٧٣ ، ص : ٢٠ ، وانظر : بلوغ سنّ الرشد في المجرة ، تمثي فرس ، ترجمة ، هنري مطر ، عمّان ، مركز الكتب الأردني ، ١٩٩٠ ، ص ٣٨٣ ، وانظر : الكون البحث عن لحظة الميلاد ، هوبرت ريفز ، ترجمة ، درويش الحلّوجي ، القاهرة ، المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، ص : ٧١ ، وانظر : أجمل تاريخ للكون ، جويل دوروني وآخرون ، ترجمة ، موسى خوري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٦ ، ص : ٢٢.

(٣) عالم المعرفة ، الكون ، كارل ساغان ، ترجمة ، نافع أيوب لبس ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ ، ص : ٣٦ ، وانظر رحلة في الكون والحياة ، أحمد محمد عوف ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ ، ص : ١٢٣ ، وانظر : نشأة الكون ، السموات السبع ، محمد جمال الدين الفندي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص : ١٤٢.

بانفجار مدو عظيم أدى إلى انفصال الكتلة الملتحمة ، وتفرقت أجزاؤها في أنحاء الفضاء ، وكانت درجة الحرارة وقتها عالية جدا ثم تبردت وانخفضت ...

هذا ما توصل إليه علماء الكون [١] بعد دراسات حثيثة ومضنية ، كلفتهم ما الله به عليم من الجهد والوقت والمال ، لكننا نجد أن القرآن الكريم قد سبقهم لتسطير هذه الحقيقة حول أصل الكون ومولده ، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ، حيث قال الله جل جلاله : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢] ، ما أعظمها من آية وما أدق بيان الحق فيها ، فهي تصور لنا أن السموات والأرض كانتا ﴿رَتْقاً﴾ أي كتلة واحدة ملتصقة متماسكة ﴿فَفَتَقْناهُما﴾ أي فصلنا أجزائهما من مجرات وكواكب ونجوم ... وهذا ما كشف عنه العلم المعاصر اليوم ، أو ليس هذا التوافق داعيا البشر ليطأطئوا الرءوس إجلالا وتعظيما لهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) ما يؤخذ على القول (بالانفجار العظيم) ونرده ولا نقبله هو (الانفجار) لأن الانفجار يدل على العشوائية وعدم الرتابة والانضباط ، لذلك نرى أن تستبدل هذه اللفظة ، وهذا المصطلح بالمصطلح القرآني (الرتق والفتق) لأنه أدق في التعبير عن بداية خلق الكون ، وأفصح وأوضح لغة وحقيقة.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

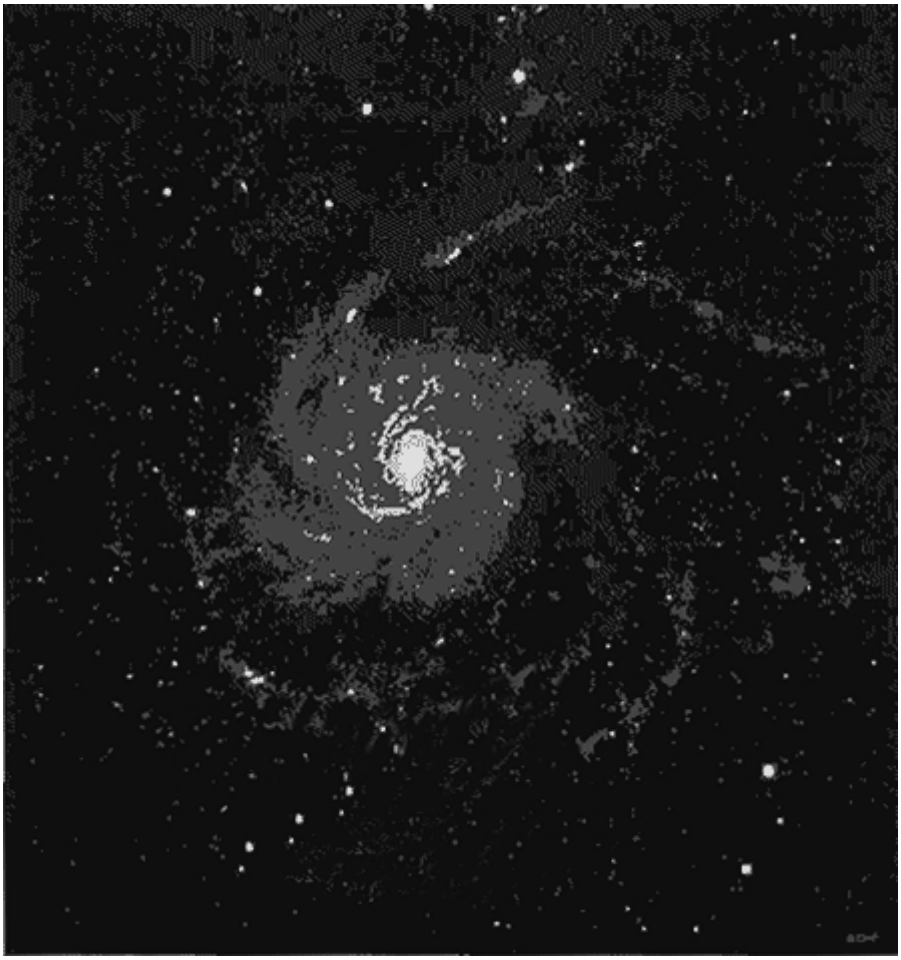

صورة رقم : (٢) (مجرة إم ١٠١ أو مجرة المروحة)

إحدى أضخم وألمع المجرات المعروفة والتي تسمى إم ١٠١ ، أو مجرة المروحة نسبة لشكلها العام والتي تمتد على قطر يبلغ مائتين ألف سنة ضوئية ، وتقع على مسافة اثنين وعشرين سنة ضوئية عن مجرتنا ، كما أنها تخلف موجات من الكتل العالية ، وتكثف الغاز ليدور حول مركز المجرة ، وهذه الموجات تضغط على الغازات الموجودة وتسبب نشوء النجوم ، وهذه الصورة التقطتها ناسا الفضائية الأمريكية في ١٠ / ٣ / ٢٠٠٣ [١].

---

(١) ترجم هذا النص ، وأخذت هذه الصورة من موقع ناسا :

lmth ٣٠٣١. pa / dopa / vog. asan. cfsg. pr wtna :/ / ptth

## المبحث الثالث

### تمدد الكون وتوسعه

يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (١).

تعطينا هذه الآية الكريمة مشهدا آخر من مشاهد تخلق الكون وتطوره ، وهذا هو الطور الثاني الذي مرت به حركة الكون ، فبعد أن طرأ عليه الانفجار العظيم ، هبطت درجة حرارته المرتفعة ، وبدأ بالتبرد ، والتوسع ، والانتشار ، والتمدد الدءوب المستمر ... وإن هذا التوسع وذاك التمدد ، لم يسر عبر مسالك مستوعرة ، وطرق وساحات قد ازدحمت بالفوضى والاضطراب ... ليست الحالة كذلك بل كما عبّر القرآن الكريم ﴿بَنَيْناها﴾ والبناء يقتضي هندسة دقيقة ، ويستلزم تصميما تشيع بين جنباته الرّتابة المتألقة.

وبإلقاء نظرة في كتب المفسرين حول معاني هذه الآية ، وما تصور لنا من معطيات كونية وعلمية نجد ما يلي :

يقول القرطبي : (في السماء آيات وعبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال ، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان ، ومعنى ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة وقدرة ، عن ابن عباس وغيره : ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس : لقادرون ، وقيل : أي وإنا لذو سعة ، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده ، وقيل : أي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا ، ومنه أيضا ، وإنا لموسعون الرزق بالمطر وقيل : جعلنا بينهما وبين الأرض سعة) (٢).

ويقول البيضاوي : (وإنا لموسعون ، أي لقادرون ، من الوسع ، بمعنى الطاقة ، والموسع : القادر على الإنفاق ، أو لموسعون السماء ، أو ما بينها وبين الأرض ، أو الرزق) (٣).

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٧ / ٥٢.

(٣) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٥ / ٢٤١.

وفي «روح المعاني» : (والسماء ، أي وبنينا السماء بنيناها ، بأييد : أي بقوة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، ومثله الآد ، وليس جمع يد ، وجوزه الإمام ، وإن صحت التورية به ، وإنا لموسعون ، أي لقادرون ، من الوسع بمعنى الطاقة ، فالجملة تذييل إثباتا لسعة قدرته ﷻ كل شيء ، فضلا عن السماء ، ... واليد بمعنى النعمة لا الإنعام ، وقيل : أي لموسعوها بحيث أن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها محلقة في فلاة ، وقيل : أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة ، والمراد السعة المكانية) [١].

وفي تفسير «فتح القدير» : (وإنا لموسعون ، الموسع : ذو الوسع والسعة ، والمعنى إنا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها ، لا نعجز عن ذلك ، وقيل : لقادرون ، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة ، وقيل : إنا لموسعون الرزق بالمطر) [٢].

ويقول ابن عاشور : (والموسع : اسم فاعل من أوسع ، إذا كان ذا وسع ، أي قدرة ، وتصاريفه جائية من السعة ، وهي امتداد مساحة المكان ضد الضيق) [٣].

ويقول سيد قطب رحمة الله : (والأيد : القوة ، والقوة أوضح ما ينبئ عنه بناء السماء الهائل المتماسك المتناسق ، بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء ، سواء كانت تعني مدارات النجوم والكواكب ، أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة ، وتحوي مئات الملايين من النجوم والكواكب ... والسعة كذلك ظاهرة ، فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة والتي تعد بالملايين ، لا تعد أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرهيب) [٤].

فكلمة تشير إلى الاستمرارية في البناء المتناسق ، وهذا نفي لكل ما قد يمور في سراديب عقل إنسان ، من أن الكون جامد ثابت لا حراك فيه ولا حركة ، وأنه ملازم صفة واحدة لا ينفك عنها.

وإذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة وفتشنا عن معنى كلمة (موسع) وعن الأبعاد التي تعطينا إياها فسوف نجد ما يلي :

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٧ / ١٧.

(٢) فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، ٥ / ٩١.

(٣) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، بيروت ، مؤسسة التاريخ ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ ، ٢٧ / ٣٦.

(٤) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ٦ / ٣٣٨٥.

(وسعه الشيء بالكسر يسعه سعة بالفتح ، والوسع والسعة بالفتح الجدة والطاقة ، وأوسع الرجل صار ذا سعة وغنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي أغنياء قادرون ويقال : أوسع الله عليك ، أي أغناك ، والتوسيع خلاف التضييق ، تقول : وسع الشيء فاتسع واستوسع أي صار واسعا ، وتوسعوا في المجلس تفسحوا) [١].

وفي لسان العرب : (... في أسمائه سبحانه وتعالى الواسع ، وهو الذي وسع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء ، وغناه كل فقر ، ويقال : الواسع المحيط بكل شيء ... والسعة ، نقيض الضيق واستوسع الشيء ، وجده واسعا وطلبه واسعا ، وأوسعه ووسعه ، صيره واسعا ، وقوله تعالى : ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أراد جعلنا بينها وبين الأرض سعة ، جعل أوسع بمعنى وسع ، وقيل : أوسع الرجل صار ذا سعة وغنى ، وقوله : ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي أغنياء قادرون) [٢].

هذا هو النبأ والقرار القرآني الصريح حول استمرارية الكون في عملية البناء الموسعة ، فمن معطيات الآية الكريمة أن الكون في حالة اتساع مستمرة ، وأنه غير ثابت محجم ومحجر ، فما ذا يقول علماء الفلك في هذا؟ وما ذا توصلوا في أبحاثهم حول توسع الكون؟.

**الحقائق العلمية :**

المتتبع للمستجدات العلمية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، يجد تنافسا هائلا بين العلماء فيمن يحظى بأسبقية تدوين اكتشافه حول حركة الكون وتوسعه.

فلقد (لاحظ العالم النمساوي «دوفلر» [٣] في سنة ١٨٤٢ ، أن الموجات الصوتية والضوئية الصادرة عن جسم متحرك ، تغير أطوالها وذبذباتها تبعا لحركاتها بالنسبة لراصدها ، فهي تقصر فتزداد حدة إذا كانت صادرة عن جسم يتحرك نحو الراصد ، أو

---

(١) مختار الصحاح ، فخر الدين الرازي ، ١ / ٢١٠.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٨ / ٣٩٢.

(٣) كريستيان جوهان دوفلر ، doppler ، فيزيائي فلكي نمساوي ، اكتشف ظاهرة دوفلر ، وهي تغيّر الطول الموجي الضوئي أو الكهرومغنيطي المنبعث من جسم متحرك. انظر : علم الفلك ، هاشم أحمد ، بيروت ، هلابون ، د. ت ، ص : ٨٤.

تطول فتخف حدتها إذا كانت صادرة عن جسم يبتعد عن راصده ، هذه الظاهرة المعروفة في الفيزياء باسم ظاهرة «دوفلر» ، وقد اكتسبت نظرية «دوفلر» هذه أهمية كبرى في علم الفلك عام ١٨٦٨ ، عند ما استخدمت في دراسة الخطوط الطيفية المنفصلة ، فقد برهن العلماء في ذلك العام أن في الخطوط المظلمة من أطياف بعض النجوم إزاحة بسيطة نحو الأحمر أو الأزرق مقارنة مع طيف الشمس) [١].

ثم جاء «أنيشتاين» [٢] بنظريته النسبية (والتي تمثل مراجعة شاملة لقوانين الفيزياء التقليدية ، فعند ما فرغ أنيشتاين من صياغة النظرية النسبية العامة في عام ١٩٢٥ ، حاول استغلال نظريته في بناء نموذج نظري للكون ، ولا بد من الإشارة إلى أن النظرية النسبية هي نظرية للجاذبية ، تطبق على الأنظمة الحركية المنتظمة وغير المنتظمة ، ويعتبر أنيشتاين بنظريته النسبية أن الجاذبية تمثل انحناء أو تحدبا في النسيج الزمكاني «الزمان والمكان» وبغياب الجاذبية يصبح كل من الزمان والمكان مسطحا ، وفي حالة وجود مجال جذبي ينحني الزمان والمكان ... ورغم أن نظرية أنيشتاين حول الجاذبية أكثر دقة ، إلا أنه لم يكن متأكدا من صحة ما توصل إليه في بناء النماذج النظرية للكون ، ولم يكن أحد في ذلك الحين أيضا يظن أو يشك بوجود حركات كبرى في الكون ، ولذلك اتجه أنيشتاين في أبحاثه إلى وضع نماذج ثابتة للكون ، وقد تعرضت جهوده في هذا المجال للإحباط الشديد ، فكلما سعى إلى بناء نموذج رياضي للكون يجد أن عمله يؤدي إلى كون ينكمش ، وبدلا من أن يتابع ما توصل إليه في حساباته ويوافقها إذ كانت صيغته الرياضية تقوده دائما إلى حقيقة تدل على أننا لا نحيا في كون ثابت ، ولذلك بدأ

---

(١) الكون وأحجار الفضاء ، محمد فتحي عوض ، دمشق ، دار الوثبة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ ، ص : ٤١ ، وانظر : المحيرات الفلكية ، عبد الرحيم بدر ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ ، ص : ٣٠.

(٢) أنيشتاين ، ١٨٧٩ ـ ١٩٥٥ ، فيزيائي ألماني ، صاحب نظرية النسبية المشهورة التي لا يفهمها إلا نفر ضئيل ، وهو من علماء الرياضيات ومن أعمق المفكرين ، أتم دراسته الثانوية في ميونخ ، وأخذ الجنسية السويسرية ، واستقر في برلين وعين عضوا في أكادمية العلوم فيها عام ١٩١٣ ، ونشر نظرية النسبية. انظر : مشاهير القرن العشرين ، محمد بوذينة ، تونس ، مطبعة تونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ص : ٨٩ وانظر : أعلام الحضارة ، سمير شيخاني ، بيروت ، مؤسسة عز الدين ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ ، ص : ٢٣٨ ، وانظر : الأطلس الفلكي ، محمد عصام الميداني ، ص : ٨٧.

الشك والحيرة تصيبه في صحة معادلاته ، وعلى ذلك أضاف إلى معادلاته مقدارا محددا أطلق عليه «الثابت الكوني» بحيث يمنع الثابت كون «أنيشتاين» من الانكماش ، وبمعادلاته الخاطئة في بناء نماذج كونية ثابتة فوت «أنيشتاين» الفرصة في تعجيل اكتشاف «هبل» ، بما لا يقل عن عشر سنوات ، وبحلول عام ١٩٢٩ ، أصبح جليا أننا نحيا في كون يتمدد ، ولم يعد هناك أي تحفظ جديد ، ولقد ندم «أنيشتاين» كثيرا في السنوات الأخيرة التالية لإضافته الثابت الكوني في معادلاته الأصلية في النسبية العامة ، وأشار إلى ذلك بقوله : لقد كان ذلك هو أكبر خطأ وقعت به في حياتي) [١].

ثم استنتج العالم الفلكي الأمريكي «هبل» (أن المجرات تتباعد عن بعضها بعضا بسرعات تتناسب مع المسافة بينها ، يشبه ذلك قليلا قالب الحلوى الذي نضعه في الفرن ، فكلما انتفخ تباعدت فيه حبات الزبيب عن بعضها بعضا ، وهذه الحركة لمجمل المجرات والمسماة توسع الكون) [٢].

يقول «ستيفن هوكنغ» [٣] : (صورتنا الحديثة عن الكون يرجع تاريخها فقط إلى ١٩٢٤ ، عند ما برهن عالم الفلك الأمريكي «إدوين هبل» على أن مجرتنا ليست المجرة الوحيدة ، والحقيقة أن هناك مجرات كثيرة أخرى ، بينها قطع فسيحة من فضاء خاو ، وحتى يثبت ذلك فإنه احتاج إلى تحديد المسافات إلى هذه المجرات الأخرى ، وهي

---

(١) نحن والكون ، عبد الوهاب سليمان ، الكويت ، مؤسسة الكويت التقدم العلمي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، ص : ٩٤ ، وانظر : المجموعة الشمسية ومجال الجاذبية الكونية ، الأمين محمد كعورة ، القاهرة ، المكتب المصري الحديث ، د. ت ، ص : ٢٤.

(٢) أجمل تاريخ للكون ، جويل دوروني وآخرون ، ص ٢٢ ، وانظر : هل من كائنات عاقلة خارج الأرض ، نزار دندش ، بيروت ، دار المؤلف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ ، ص : ١٨ ، وانظر : الكون والطاقة ، إعداد المكتب العالمي للبحوث ، بيروت ، المكتب العالمي ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٩ ، ص : ٩ ، وانظر : علم الفلك وفلسفة النسق الكوني ، فائز فوق العادة ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ ، ص : ٣٣٥.

(٣) ستيفن هوكنغ ، ملّاح بارع يجوب أفاقا عجيبة في علم الكون والفيزياء ، مستندا إلى موهبة علمية فذة ، وسعة أفق خلاقة ، ومن الشيق أنه رجل معوق ألزمه مرض أعصابه وعضلاته كرسيه ذا العجلات طيلة العشرين سنة الأخيرة من عمره ، الذي بلغ التاسعة والأربعين ومع ذلك فهو يعد أبرز المنظرين في الفيزياء منذ أنيشتاين ، ويشغل الآن كرسي أستاذ الرياضيات الذي كان يشغله إسحاق نيوتن في كمبردج. انظر : مقدمة المترجم ، ص : ٢.

بعيدة جدا بحيث إنها بخلاف النجوم القريبة التي تبدو في الواقع ثابتة ، واضطر «هبل» بسبب ذلك إلى استخدام وسائل غير مباشرة لقياس المسافات ، وقام «هبل» بحساب المسافات إلى تسع مجرات مختلفة ، ونحن نعرف الآن أن مجرتنا ليست إلا واحدة من مجرات يناهز عددها مائة ألف مليون مما يمكن رؤيته باستخدام (التلسكوبات الحديثة) ... واكتشاف أن الكون يتمدد هو إحدى الثورات الثقافية العظيمة في القرن العشرين) [١]

ويقول «ستيفن هوكنغ» أيضا : (بعد انقضاء ساعات قليلة على الانفجار العظيم يكون توليد (الهليوم) [٢] والعناصر الأخرى قد توقف بعد ذلك ، وحتى لفترة مليون سنة تلت أو نحو ذلك يكون الكون قد استمر في توسعه من دون حدوث ما هو ذو شأن يذكر ، وأخيرا عند ما تكون الحرارة قد انخفضت إلى آلاف قليلة من الدرجات ، ولم يعد (للإلكترونات) وللنوى ما يكفي من الطاقة للتغلب على الجاذبية الكهرومغناطيسية فيما بينها ، تأخذ هذه (الإلكترونات) والنوى بالتكتل لتكوين الذرات ويكون الكون ككل قد استمر في التوسع والتبرد) [٣].

ثم إن (المراقبين في سائر المجرات النموذجية ، يرون دفعة مادية واحدة وفي جميع الاتجاهات ، وفي أثناء هذا التوسع تزداد أطوال موجات الأشعة الضوئية متناسبة مع المسافة بين المجرات ، ولا يظن أن هذا التوسع هو نتيجة لقوة كونية دافعة ، بل إنه ببساطة سرعة انفلات وهروب اكتسبتها الأجرام عند حدوث انفجار سابق ، وهذه السرعة تتناقص تدريجيا تحت تأثير الجاذبية) [٤].

ولقد أكدت قياسات «هبل» (أن جميع المجرات ، حتى الموغلة في الأعماق السحيقة من الكون تتحرك مبتعدة عنا وبسرعات هائلة ، وتبدو لأعيننا وكأن الكون ينفتح

---

(١) موجز في تاريخ الزمان ، ستيفن هوكنغ ، ترجمة ، مصطفى فهمي ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١ ، ص : ٤٤ ، وانظر : علم الفلك العام ، مرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ ، ص : ٢٧٥.

(٢) الهليوم ، أخف العناصر وأكثرها وفرة بعد الهيدروجين ، كل ذرة هليوم تحتوي إلكترونين حول نواتها. الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون ، ستيفن وينبرغ ، ص : ١٨٨.

(٣) موجز في تاريخ الزمان ، ستيفن هوكنغ ، ص : ١٤٢.

(٤) الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون ، ستيفن وينبرغ ، ص : ٦٣.

أمام ناظرينا ، وعلى الرغم مما لوحظ من تباعد عام لجميع المجرات عن مجرتنا ، إلا أنه تم الكشف عن استثناء وحيد في ذلك ، وهو مجرة (المرأة المسلسلة) التي تبدو وكأنها تتحرك نحونا ، ولقد عرف السبب الحقيقي لذلك منذ وقت قريب ، وهو أن حركة شمسنا في مدارها حول مركز مجرتنا تقع في اتجاه مجرة المرأة المسلسلة) [١].

(ويقوم العلماء حاليا باستعمال مطيافات شديدة القوة والفاعلية لتحليل ضوء النجوم ، وبعد دراسات طويلة توصلوا إلى التأكد من أن الخطوط الطيفية تميل دائما إلى الاحمرار ، وعند ما يبتعد مصدر ضوئي عن المرصد الموجود على الأرض نجد أن تردد الضوء يتضاءل ، وبما أن اللون يحدد تردد الموجات الضوئية ، وأن اللون الأحمر يكون تردده أقل ، فإن العلماء قد استنتجوا أن ميل الخطوط الطيفية إلى الإحمرار إنما يدل على أن كل الأجرام تبتعد عن بعضها ، مما ينتج عنه امتداد للكون بشكل عام) [٢].

**الإعجاز :**

هذه هي الحقائق العلمية عن توسع الكون ، التي قد توصل إليها العلماء في عصرنا الحاضر ، وأثبتوا كما رأينا من تضافر أبحاثهم ، أن الكون ليس ثابتا جامدا ، إنما هو كون متحرك متوسع ، وهذا الذي وصلوا إليه بعد كل الدراسات الشاقة والأبحاث المضنية ، نجد أن القرآن الكريم الذي نزل على نبيّ أمّيّ ﷺ وعلى أمة بدائية تعيش بين بحار من الرمال في فناء الصحراء الواسع ، قد سبق العلماء في إثبات هذه الحقائق العلمية ، وسطرها في صفحاته المجيدة ، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لتكون سراجا مضيئا يتبصر بها جمهرة البشر معالم بناء حضارتهم ، وسبل الوصول إلى الحق فاليقين ، وليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق ، وأنه تنزيل العزيز الحميد.

---

(١) قصة نشوء الكون ، مخلص الريس وعلي موسى ، دمشق ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، ص : ٤١.

(٢) موسوعة الكون والفضاء والأرض ، موريس شربل ورشيد فرحات ، بيروت ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ ، ص : ٢٠ وانظر : طرائف علم الفلك ، فيكتور كوماروف ، ترجمة عبد الله حبة ، موسكو ، دار مير ، ١٩٨٥ ، ص : ٢٤ ، وانظر : أحاديث حول اللامرئي ، جان أودوز وآخرون ، ترجمة ، نور الدين عبيد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، دمشق ، مكتبة الأهلي ، ص : ٦٦ ، وانظر : احتمالات نهاية الكون ، إعداد قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد ، دمشق ـ بيروت ، دار الرشيد ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ ، ص : ٢٧.

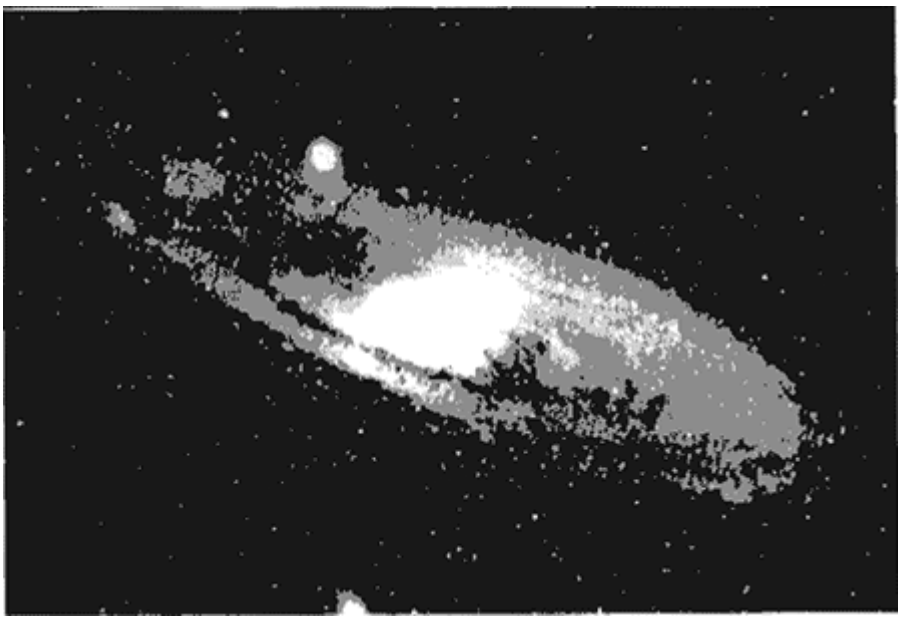

صورة رقم : (٣) ، مجرة (أندروميدا).

مجرة أندروميدا ، قرص مستدير ذو هيئة لولبية ، ولها ذراعان يتكونان من مليارات النجوم ، وهي أقرب مجرة أساسية لمجرتنا ، وهذه المجرة انطلق ضوؤها قبل اثنين مليون سنة ليصلنا ، وهي في حالة توسع وانتشار ، التقطت (ناسا) الفضائية هذه الصورة في ٢٤ / ٧ / ١٩٩٥ [١].

---

(١) ترجم هذا الكلام وأخذت هذه الصورة من موقع :

htpp // : antwrp. gsfc. nasa. gov / apod / ap ٤٢٧٠٥٩. html

صورة رقم : (٣) ، مجرة (درب التبانة).

وهذه مجرتنا (درب التبانة) ، التي تحتوي على ملايين النجوم ، والضوء المشع هو من أقرب النجوم لمركز المجرة ، التقطتها (ناسا) في ١٣ / ٦ / ١٩٩٦ [١].

---

(١) ترجم هذا الكلام وأخذت هذه الصورة من موقع :

http // : planetscapes. com / solar / cap / ds / milkyway. htm

## المبحث الرابع

## نهاية الكون بين القرآن والعلم

إن الإيمان المقدس الذي شرفنا الله سبحانه وتعالى به ، له متعلقات هامة ينبغي أن تكون ماثلة دائما في الأذهان والنفوس ، ومستلزمات لا ينبغي أن تنفك عنه قيد أنملة ، وأول ثمرة من مقتضيات الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، أن يشرق في نفس العبد إماض التوحيد الناصع ، ويستقر في سويداء قلبه أن الذي أبلج الكون من العدم ، وفلقه من ظلام اللاشيء هو الله الخالق العظيم.

وهذه الحقيقة الشامخة هي المقوم الأول من مقومات الدين ، والدعامة الأولى التي ينهض على أساسها صرح الإسلام الشاهق السامي.

فإذا ما تكاملت التصورات السديدة حول هذه الحقيقة ، وتساوقت المعاني المتلازمة في سبيل ترسيخ هذا التصور في أعماق النفس والفؤاد ، آنذاك نقف على مفرق الطريق ، بين من حفلت نفوسهم بهذه الحقيقة فآمنوا بهذا وانصاعوا بشوق وحب لمتعلقاتها ، وبين من تنكّب طريق هذه الحقيقة فارتكس على وجهه قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

النزعات البشرية التي يصدرها الهوى كثيرة ، إلا أن أخطرها تلك النزعات المسعورة التي تبناها جمهرة من الذين لا يقرّون بوحدانية الخالق لهذا الكون ، فراحوا يروجون بين الناس أن الكون أزلي سرمدي ، لا أول لأوّله ، وسخروا لبث هذه الأفكار المسمومة أمة هائلة من البشر ، وإمكانات ضخمة من القوة والمال ، فأوغلوا في الجحود وإنكار الذات العليا ، واكتسى هذا الإلحاد أثوابا متعددة فتارة يعلنون كفرهم بالله وإنكارهم أن للكون خالقا باسم الشيوعية ، وتارة باسم العلم والتمدن وهذه المسميات نتسامع عنها بين الفينة والأخرى ، وتظهر بصور وأشكال متعددة ، إلا أن جوهرها وحقيقتها واحدة ألا وهي إنكار وحدانية الله وتصرفه في الكون.

هذه المزاعم العتيقة لم يبق من يعيرها اهتماما ، بعد ما أثبتت البحوث العلمية أن

الكون حادث وليس بأزلي ، وهذا الصلف الذي روجوه ، قد تصدى للرد عليه العلماء في شتى تخصصاتهم ، وأثبتوا أن الكون تفجر من العدم.

ينص القانون (للديناميكا) الحرارية على أنه (من المحال أن يكون وجود الكون أزليا فهو ينص على أن الحرارة تنتقل من الأجسام الساخنة إلى الباردة ، وحيث إنه لا يمكن أن يحدث العكس ، أي انتقال الحرارة من الأجسام الباردة إلى الحارة بدافع ذاتي ، فإن الكون يسير إلى درجة تتساوى وتتناسب فيها حرارة جميع الموجودات ، وينطفئ وهج الطاقة ويغور معينها ، وتقف التفاعلات الكيميائية في الكون كله ، لكن بما أن العمليات الكيميائية ما تزال مرئية وواقعية نعيشها في الكون من سطوع الشمس ، ودوران الأرض ، وحركة النجوم والأفلاك ، فهذا دليل على أن الكون ليس أزليا ، إذ لو كان الكون أزليا لفقد طاقته منذ أعصار بعيدة ، بناء على هذا القانون فإن الحياة التي تدب في الموجودات ، تسير نحو الانكسار والتقويض حتى تنتهي تلقائيا ، وتتوقف الحركة ويسود الفناء) [١].

(إن الاكتشاف العظيم في هذا القرن هو أن الكون ليس مستقرا ولا أبديا ، كما كان يفترض معظم علماء الماضي ، نحن اليوم مقتنعون بذلك تمام الاعتقاد ، فللكون تاريخ وهو لا ينفك يتطور بتناقض كثافته وابتراده وتشكل بناه ، وتسمح لنا أرصادنا ونظرياتنا بإعادة تشكيل (السيناريو) وبالرجوع في الزمن ، وهي تثبت لنا أن هذا التطور مستمرّ منذ ماض بعيد جدا يقع بين ١٠ مليارات و ١٥ مليار سنة وفق التقديرات) [٢].

ويصرح «ستيفن هوكنغ» بوجود بداية ونهاية للكون فيقول : (إذن ليس مفاجئا أن يكون الكثير من العلماء غير مبتهجين لهذا الاستنتاج المنطوي على وجود متفرد لانفجار أعظم ، وبالتالي على وجود بداية للزمن) [٣].

---

(١) انظر : الحرارة والديناميكا الحرارية ، مارك وزنماسكي وريتشارد ديثمان ، ترجمة ، محسن سالم رضوان ، القاهرة ، دار ماكجروصيل الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص : ١٨٠ ، وانظر : الديناميكا الحرارية ، فرانسيس وستون سيرس ، ترجمة ، رضا جاد جرجس وطاهر مجيد الشريتي ، البصرة ، طبع كلية التربية جامعة البصرة ، د. ت ، ص : ١٨٣ ، وانظر : الديناميكا الحرارية ، أبوت فان هيس ، ترجمة ، أحمد فؤاد باشا وسعيد بسيوني الجزائري ، القاهرة ، الدار الدولية للنشر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨ ، ص : ١٧٦.

(٢) أجمل تاريخ للكون ، جويل دوروني ، وآخرون ، ص : ١٦.

(٣) الثقوب السوداء والأكوان الطفلة ، ستيفن هوكنغ ، ترجمة ، حاتم النجدي ، دمشق ، دار المعارف للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ ، ص : ٧٨.

هذا هو القرار العلمي الذي توصل إليه الدارسون ، وهذا هو الواقع الذي ينطق الكون به ، لأن الكون متغير وكل ما قد خضع لقانون التغير والتبدل ، فإنه حادث مصيره الفناء ولو بعد حين.

ونزيد في التأكيد على نهاية الكون من الناحية العلمية ، باستعراض نتائج ما استقر في دراسات الباحثين حول هذه القضية ، يقول «ستيفن وينبرغ» : (وسيقف توسعه عند حد يتبعه بعدئذ انكماش متسارع ، وستهبط درجة حرارة الخلفية الكونية (للفوتونات) و (النوترينوات) [١] ، ثم ترتفع تبعا لانتقال الكون من طور التوسع إلى طور الانكماش ، وستتغير دائما بتناسب عكسي مع قدر الكون ... وستبدأ الجزئيات في أجواء النجوم والسيارات بالتفكك إلى ذراتها المكونة لها ، وستنفصل (إلكترونات) الذرات عن نواها لتصبح حرة طليقة ، ثم تذوب النجوم والسيارات في حساء كوني من الإشعاع ...) [٢].

(وأثناء استمرار هذا التوسع تبتعد المجرات بالتدريج ، ويخبو نورها حتى تصبح غير مرئية ، وكل مادة منها ما لم تبتلعها الثقوب السوداء ستبرد ببطء حتى تبلغ درجة حرارة الفضاء الصقيعية إلى الأبد ... حتما وهناك في العلم وضع تنبؤات تولد كآبة لا تقل عمقا عن كآبة موت العالم الحي) [٣].

(وفي نهاية المطاف يتحول النجم المتقلص إلى بؤرة غير مرئية ، يحيطها مجال جذبي شديدة القوة يمتص ويبتلع كل ما يمر جواره من أجسام مادية أو (فوتونات ضوئية) ، أو نجوم هرمة مكدسة ومنكمشة ، ويرافق النجم المنهار المتقلص ازدياد في شدة المجال

---

(١) النوترينوات ، neutrino ، جسيم أولي من المادة ، خفيف الوزن للغاية ، وربما من دون كتلة ، يتأثر بالقوة الضعيفة وبالجاذبية دون سواهما. انظر : موجز في تاريخ الزمان ، ستيفن هوكنغ ، ص : ٢١١.

(٢) الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون ، ستيفن وينبرغ ، ص : ١٩٨.

(٣) المكان والزمان في العالم الكوني الحديث ، ب. د. ديفيس ، ترجمة ، أدهم السمان ، دمشق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ ، ص : ٢٠٥ ، وانظر : أعماق الكون ، سعد شعبان ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، د. ت ، ص : ٣٥٠ ، وانظر : من الذرة إلى المجرة ، محمد صالح المحب ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، د. ت ، ص : ٩٤.

الجذبي قرب سطحه لتصبح أعظم من أي قوة أخرى في النجم ، والقادرة على اختفائه من الوجود وتحويله إلى ثقب أسود ذي درجة حرارة عالية) [١].

(والإنسان يرى نفسه على مرآة المرصد في النهاية حسب نظرية «أنيشتاين» ، على أن الكون مغلق وأحدب أي مكور كالكرة أو البيضة ، وكما للكون بداية فإن له نهاية ، والمخلوقات والكائنات الحية على الكرة الأرضية تتوالد وتموت ثم تنشأ من جديد ، والشمس وكواكبها تسير نحو الهرم ، والمجرة جميعها مع مكوناتها من نجوم وسحب كونية وسدم ستنكدر ، وتنطفئ جذوتها ، وتفقد خواصها ، وما سيصيب المجرة [٢] سيصيب المجرات الأخرى والتي ستخلق من جديد سيصيبها كلها ما أصاب قبلها من موت وفناء) [٣].

يتضح لنا مما سلف من دراسات العلماء ، أن الكون صائر إلى نهاية محتومة ، وفناء مؤكد ، وقد تضافرت أبحاث العلماء حول نهاية الكون ، وركزت على تصورين للنهاية الكونية ، وقد ذكرناهما في ثنايا سرد أقوال العلماء وهما :

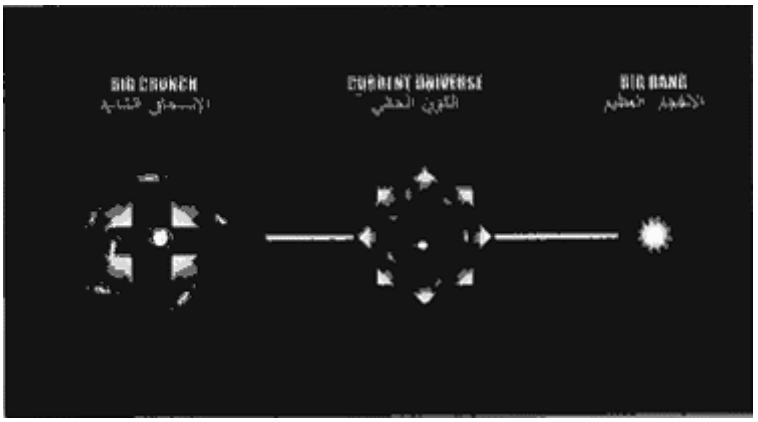


---

(١) علم الفلك والكون ، عواد الزحلف ، عمان ، دار المناهج ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ، ص ١٨٤ ، وانظر : عالم المعرفة ، النهاية فرانك كلوز ، ترجمة ، مصطفى إبراهيم فهمي ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص ٣٠٨.

(٢) المجرة «galaxy» تجمع نجمي ، تضم مليارات من النجوم والغبار والغازات ، لكن لها أشكال وأحجام مختلفة. انظر : الموسوعة الكاملة الكون ، بيروت نوبيلس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ٢ / ٥٦.

(٣) من الذرة إلى المجرة ، حمادة العائدي ، عمان ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص ٤٠٧ ، وانظر : الكون ذلك المجهول جلال عبد الفتاح ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص : ١٢٢.

١ ـ الانكماش العظيم ونهاية الكون : وصاحب هذا الاتجاه هو العالم «ستيفن وينبرغ» والذي أسهب في الحديث عن نهاية الكون ، وأنه كما بدأ بانفجار عظيم ، كذلك فإنه سيعود وينكمش على نفسه كما بدأ ، وقد أثبتنا تصوره هذا آنفا ، وكان قد سجل هذا الاستنتاج في كتابه «الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون» ثم جاء «ستيفن هوكنغ» وأكد هذه الفكرة ، وأطلق على نهاية الكون بناء على دراساته الفلكية ب (الانكماش العظيم) وذلك في كتابه «تاريخ موجز للزمان» ويعتبر هذا الاتجاه من أقوى ما سجل حول نهاية الكون.

٢ ـ الثقوب السوداء والنهاية الكونية : وهذا التصور حول نهاية الكون ، لا يختلف عن سابقه من حيث المضمون ، فكلاهما ينص على النهاية الأكيدة للكون ، إلا أن الاختلاف ناشئ من جهة الحيثية والملابسات التي تعتري أطوار النهاية.

ولا بد من التركيز قليلا على قضية «الثقوب السوداء» [١] ، لما لها من الأهمية البالغة في دراسات الفلكيين ، وكذلك لأن اقتناع عدد ليس بالقليل من العلماء بأن مصير الكون ونهايته إنما سيتم ضمن مقبرة النجوم في السماء ، ألا وهي الثقوب السوداء ، فما هي تصورات العلماء حول هذه الثقوب؟ وما هي طبيعتها؟ وكيف تتم عملية جذب الكواكب والنجوم إلى داخلها وكيف تكون النهاية؟.

يقول «ستيفن هوكنغ» : (وبعد عشرة مليارات سنة أو نحوها ، ستكون معظم النجوم في الكون قد احترقت ، والنجوم ذات الكتل المشابهة لكتلة الشمس سوف تتحول إما إلى أقزام بيضاء ... أما النجوم ذوات الكتل الأكبر ، فتتحول إلى ثقوب سوداء ، وهذه أصغر من النجوم (النيوترونية) [٢] وتمتلك حقلا ثقيلا شديدا يمنع الضوء ، وكل شيء آخر من الخروج منها ... ويتجمع في النهاية ليكون ثقبا أسودا عملاقا في مركز المجرة ، وما قلناه عن مجرتنا ينسحب على المجرات الأخرى ، ومهما تكن المادة

---

(١) الثقب الأسود «black hole» ، جسم فائق التقلص ، يملك جاذبية قوية جدا إلى درجة أنها تمنع الضوء نفسه من الإفلات. انظر : الموسوعة الكاملة ، ٢ / ٥٦.

(٢) النجم النيوتروني ، neutron star ، نجم بارد ، مدين ببقائه للتنافر بين النيوترونات في مبدأ الاستبعاد. انظر : موجز في تاريخ الزمان من الانفجار العظيم إلى الثقوب السوداء ، ستيفن هوكنغ ، ص ٢١١.

المظلمة في المجرات ومجموعات المجرات فيتوقع أنها ستسقط في هذه الثقوب السوداء الضخمة أيضا) [١].

(ولقد تنبأت نظرية (أنيشتاين) نفسها في النسبية العامة ، أن الزمكان (الزمان ، المكان) بدأ مع الانفجار العظيم ، وبأنه سوف ينتهي إما مع تفرد الانهيار العظيم ، إذا ما عاد الكون بكامله إلى الانسحاق والتقوض ، أو مع تفرد داخل ثقب أسود ، إذا ما كان لمنطقة محلية كالنجم مثلا أن تنسحق ، فأي مادة تقع داخل الثقب ، سوف تدمر بالتفرد ، ولا يبقى منها أي شيء محسوس سوى تأثير جاذبية كتلتها ، من جهة أخرى فعند ما تؤخذ تأثيرات الكمّ بالحسبان ، وأن الثقب الأسود وكذلك أي تفرد في داخله سوف تتبخر تلاشيا ، ويختفي في النهاية) [٢].

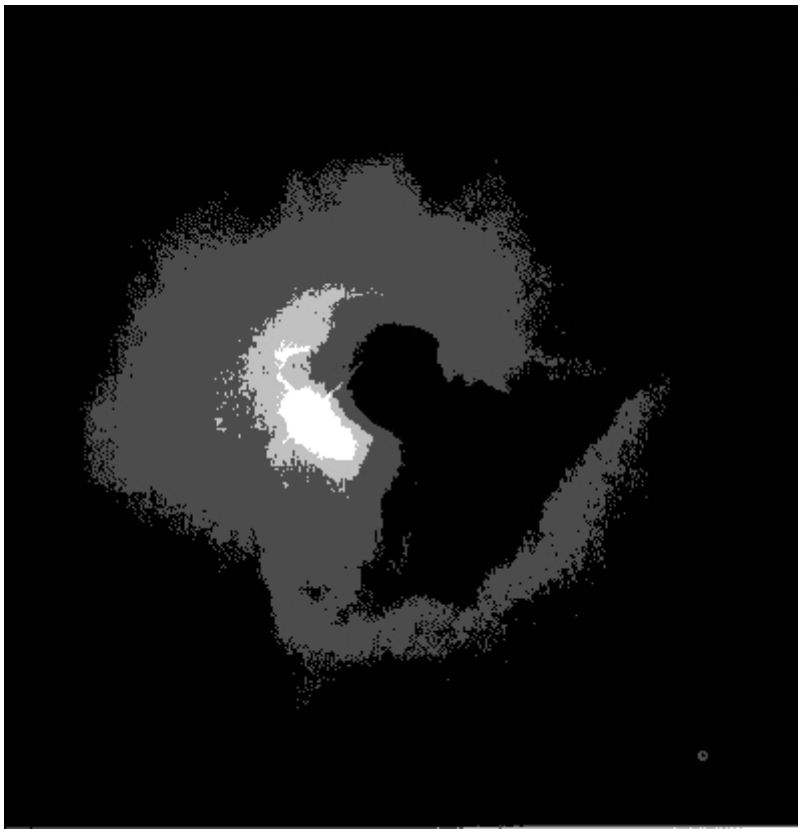

صورة لثقب أسود يبتلع ما حوله . صورة التقطت بواسطة تلسكوب هابل

---

(١) الثقوب السوداء والأكوان الطفلة ، ستيفن هوكنغ ، ص : ١٢٣.

(٢) موجز في تاريخ الزمان من الانفجار العظيم إلى الثقوب السوداء ، ستيفن هوكنغ ، ص : ١٣٩.

إن هذه الثقوب السوداء التي تبتلع الكواكب والنجوم والأجرام السماوية ، وتلتهم الكون بجاذبيتها التي لا يفلت من قبضتها شيء حتى الضوء نفسه يكون لقمة سائغة عند ما يقع في شباكها قد أماط العلماء اللثام عن بعض خصائصها العلماء ، وهاك هذه الخصائص :

(مراكز معظم المجرات بما فيها مجرتنا درب التبانة ، تحتوي على ثقوب سوداء يقدر العلماء وجود حوالي نصف مليون ثقب أسود في مجرتنا.

. أن حوالي ٨٠ إلى ٩٠ خ من الكتلة الإجمالية في الكون ، متوارية عن الأنظار على هيئة ثقوب سوداء.

. حسب بعض العلماء الوزن النوعي «الكثافة» للثقب الأسود ، ووجدوا أنه قد يصل إلى ١٧٨٠٠ طن لكل سم مكعب واحد.

. وزن الإنسان ، أي قوة جذبه الواقف على سطح الثقب الأسود ، سيصل عندها إلى ١١٣ مليار طن!.

. إن حد الأمان أكبر من ٣٠٠٠٠ ميل ، فلو اقترب نجم إلى هذه المسافة فيكون قد وقع في فخ الثقب الأسود) [١].

أما عن ماهية الثقب الأسود وطبيعته ، فقد وضع العلماء تصورا نظريا عن الثقوب السوداء وتخيلات نسجوها من خلال ما توفر لديهم من معلومات مجردة حولها ، فقد تصور العلماء (سفينة فضائية تقترب من ثقب أسود ، كتلته تعادل ١٠ كتل شمسية ، أول ما يلاحظه رواد السفينة تعاظم قوة جذبهم ، كلما صغرت المسافة التي تفصلهم عن الثقب الأسود ، ينظر الرواد من نافذة مركبتهم فيرون قرصا حلزونيا من الغازات ، يدور حول الثقب الأسود ، قام الثقب الأسود بشفطها من نجم قريب ، وتنطلق أثناء ذلك دفعات غزيرة من الطاقة ، معظمها بشكل «أشعة سينية» [٢] قوية ، تلك الأشعة قوية

---

(١) الثقب الأسود ، محمد رضوان المصري ، دمشق ، دار المعارف للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ، ص : ٣٦ ، وانظر : الثقوب السوداء والأكوان الطفلة ، ستيفن هوكنغ ، ص : ٨٧ ، وانظر : الكون هوبرت ريفرز ، ترجمة درويش الحلوجي ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، ص : ٣٣٠.

(٢) أشعة سينيةx . rays ، وتسمى أيضا أشعة رونتجن ، وهي قصيرة الموجات ، تحتاج إلى طاقة كبيرة لإطلاقها. انظر : المحيرات الفلكية ، عبد الرحيم بدر ، ص : ١١٢.

الاحتراق ، التي تمر عبر عضلات الإنسان ولحمه ، وكأنها تخترق الهواء لا يوقفها إلا العظم ، ينظر الرواد عبر مرصدهم الفلكي المحمول على متن السفينة ، فيشاهدون ضوء النجوم البعيدة يحيط بمنطقة داكنة لا تسمح بمرور أي شعاع ضوئي ، هي ستار مسرح الأحداث المحيط بالثقب الأسود والذي يقارب قطره ٣٧ ميلا ، إن ما يقع ضمن مسرح الأحداث لا يمكن رؤيته أو سماعه من قبل أي شخص ينظر إليه من الخارج ، أما إذا دخل المشاهد مسرح الأحداث عندها يكون قد فات الأوان ، انطلاقا من هذه التصورات وجد العلماء أن قوة الجاذبية الخارقة للثقب الأسود ، هي ذات آثار يمكن كشفها ، فهي قادرة على أسر نجم قريب ووضعه في مدار حول الثقب الأسود ، يطلق النجم المأسور أثناء ذلك إشعاعات قوية ، وما على العلماء في هذه الحالة إلا كشف صرخات الاستغاثة التي يطلقها النجم المأسور ليشكل إشعاعات سينية ، و «فوق بنفسجية» [١] كي يستدلوا على وجود الثقب الأسود المتواري عن الأنظار) [٢].

وفي إطار دراسات العلماء حول الثقوب السوداء هذا المقال : (ساهم ارتفاع مفاجئ للمعان سحابة غازات عالية الحرارة بمركز مجرة درب التبانة ، في دعم الفكرة القائلة بوجود ثقب أسود غاية في الشساعة وسط هذه المجرة ، ويعتقد غالبية علماء الفلك أن ذلك الشيء يوجد فعلا هناك ، لكن الأدلة المقدّمة لغاية الآن ، والمبنية على تحركات في نجوم مجاورة ، لم تصل إلى خلاصات حاسمة ، وقد تمكنت عمليات مراقبة أجريت أخيرا لمركز المجرة ، من رصد طاقة ناجمة عن وميض من (أشعة إكس) ظل يلمع ويفتر مدة عشر دقائق ، وهذه الفترة إذا ما أضيفت إلى دلائل سابقة تسمح لعلماء الفلك بقياس كتلة وحجم الثقب الأسود المحتمل ، وقد كانت المحصلة هي كتلة تفوق مليوني أضعاف كتلة الشمس ، ويعتقد العلماء أن التفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو وجود ثقب أسود هناك.

---

(١) أشعة فوق بنفسجيةultraviolet rays ، وهي أمواج كهرومغناطيسية ، لها تردد أكبر من تردد الأشعة البنفسجية ، وهي أشعة غير مرئية تستخدم لأغراض التعقيم ، ولها دور مهم في تكوين فيتامين «د» في الجسم ، ولكن إذا تعرض الجسم لهذه الأشعة لفترة طويلة تؤدي إلى حدوث سرطان الجلد.

انظر :

http // : www. schoolarabia. net / kemya / general chemistry / glossary / chem I / chem. htm

(٢) انظر : مجلة العربي ، الكويت ، العدد ٣١٣ ديسمبر ، ١٩٨٤ ، مقال لسمير صلاح الدين شعبان ، ص : ١١٥ ، وانظر : الثقوب الكونية السوداء فائز فوق العادة ، دمشق ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ ، ص : ١٧٥.

ومن بين النظريات التي تحاول تفسير ما يعتري النجوم الواقعة بمركز المجرة من حركة سريعة ، ما يذهب إلى القول بوجود شكل غير مرئي من المادة التي تشبه عنقودا من النجوم الداكنة ، وأيا كان نوع التفسير ، فإن ما يوجد هناك له من الضخامة ما يجعله قادرا على جذب أقرب النجوم المرئية بسرعة خارقة تصل إلى خمسة ملايين كيلومتر في الساعة ، وما يجعلنا نكاد نجزم بأن ما يجري الجدل حوله هو ثقب أسود ، يجد سنده في شيء ما يحدث في أطرافه) (١).

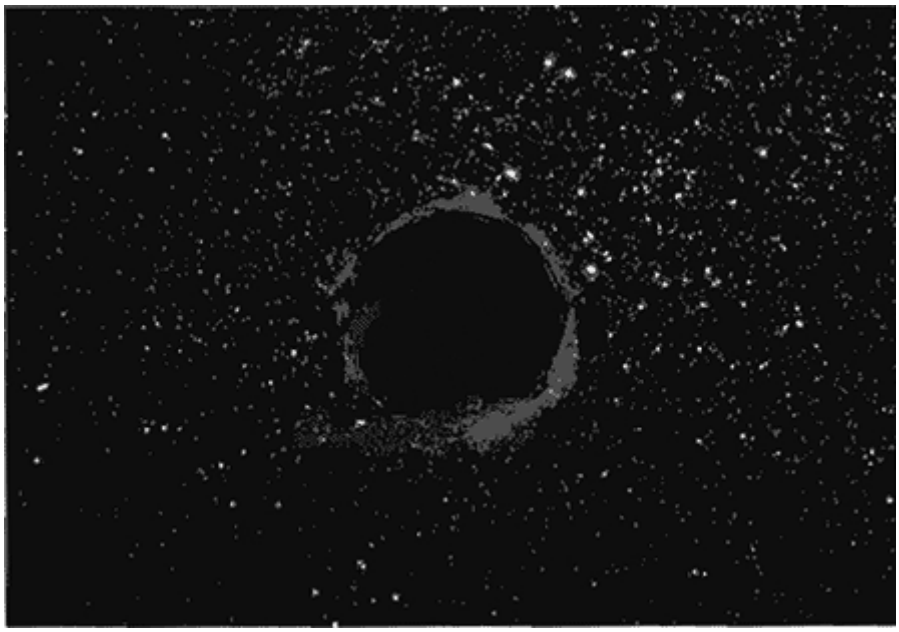

صورة متخيلة لمادة وضوء يدوران حول ثقب أسود هائل.

**الإعجاز :**

هذه هي الصورة العلمية التي توصل إليها العلماء والباحثون عن نهاية الكون وفنائه ، وقد فنّدوا بهذا هراء الإلحاد الذي يزعم بخلود العالم وعدم فنائه ...

ومن الملفت للانتباه ، بل من المثير حقا ، أننا نجد من خلال سرد ما توصل إليه العلماء في أبحاثهم أنهم قد قرروا أن للكون نهاية ، وهذه النهاية صوروها بالانكماش

---

(١) مقال في موقع bbc ، بقلم : دفيد وايتهاوس.

العظيم ، أي بانطواء الكون على نفسه ، وعودته إلى نقطة البداية وشكله الأولي ، أو بالثقوب السوداء التي تقوم بشفط وضغط الكواكب وإعادتها إلى غازات كتلك التي منها نشأ الكون ... فكل التصورات العلمية التي تبناها الفلكيون في عصرنا ترسم السيناريو الواضح لنهاية الكون ، وارتداده إلى صورته التي كان عليها يوم وجد ونشأ ، والله أعلم.

وليت شعري لو أن هؤلاء العلماء ، أو المتخصصين من علماء الإسلام ، عكفوا على كتاب الله تعالى ودرسوه من جهة تخصصاتهم دراسة متأنية ، لوجدوا الخطوط البيانية والرئيسية التي ترسم أطر النهاية الكونية بكل وضوح ...

إنه التوافق العجيب بين معطيات العلوم الحديثة وحقائق القرآن الكريم ، فالعلماء اتفقوا على أن الكون سينتهي على شكل الصورة التي بدأ منها ، وهذه الحقيقة لطالما قررها مولانا تبارك وتعالى في كتابه المجيد ، قال جل جلاله : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

وكيفما كان وجه الصورة لنهاية الكون وتآكله ثم فنائه ، ونحن لا نجزم إلا بالصورة القرآنية التي أخذت مساحة كبيرة في القرآن الكريم وهي تقرر حقيقة النهاية ، فإن الذي يعنينا من ذلك أن القرار الواضح الذي لم يعد يتسرب إليه شك أو مواربة أن سلطان الفناء والخراب سيمتد ليطوق الكون بأسره ، ثم ليحيله إلى العدم ، وهذه الحقيقة كما أسلفنا ، هي أصل من أصول الدين والعقيدة لدى كل مؤمن ، ولقد قررها القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة ، ولنستعرض طائفة من الآيات القرآنية التي تصور لنا المشهد الأخير من قصة الكون ووجوده في مسرح الحياة الفانية.

قال تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٢٧.

(٣) سورة التكوير ، الآيات ١ ـ ٦.

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [١] ، في هذه الآية إيحاء وتصوير لمشهد الطمس الذي أسلفنا الحديث عنه ، ألا ترى أن الكواكب عند ما تبتلعها الثقوب السوداء تطمس طمسا فلا ترى أبدا والله أعلم.

ويتحدث سيد قطب عن نهاية الكون فيقول : (هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود والثورة الشاملة لكل موجود ، الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية ، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة ونفوس البشر وأوضاع الأمور ، حيث ينكشف كل مستور ، ويعلم كل مجهول وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب ، وكل شيء من حولها عاصف وكل شيء من حولها مقلوب) [٢].

إن هذه الأحداث المرعبة التي تضفي على الكون صورة الخراب والاضطراب ، وتجعل من الكون المتساوق في أجرامه ، المتسق في حركته وجريانه ، المنضبط في مساره ، الرصين في إحكام بنائه ، تجعل منه أنكاثا متناثرة ، وأوزاعا متفرقة.

ويصف الإمام الرازي النهاية فيقول : (وتكوير الشمس هو انطفاؤها وخمدان لهيبها وتجمدها وانكدار النجوم وانفراطها من عقدها الفريد ، وتناثرها من نظامها الدقيق ... أما الجبال ، فاعلم أن الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة ، ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله ، وهو أن أول أهوالها الاندكاك وهو قوله سبحانه : ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً﴾ [٣].

والحالة الثانية لها أن تصير كالعهن المنفوش ، وذكر الله تعالى ذلك في قوله : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)﴾ [٤].

---

(١) سورة المرسلات ، الآية : ٨.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦ / ٣٨٣٧.

(٣) سورة الحاقة ، الآية : ١٤.

(٤) سورة القارعة ، الآيتان ٤ ، ٥.

والحالة الثالثة : أن تصير كالهباء ، وذلك أن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (٥) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا (٦)﴾ (١).

والحالة الرابعة : أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة مارة في مواضعها ، والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها وهو المراد من قوله تعالى : ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾ (٢).

والحالة الخامسة : أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتصيرها شعاعا في الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها ، من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامدة ، فهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها مندكة متفتتة وهي قوله : ﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾ (٣).

ثم تبين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره فقال سبحانه : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (٤).

الحالة السادسة : أن تصير سرابا ، بمعنى لا شيء ، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد منها شيئا ، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان فيه لم يجده شيئا والله أعلم) (٥).

كذلك فإن الحديث عن السماء يأخذ بالألباب ، ويثير الرعب والهلع في النفوس ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (٦).

وقال سبحانه : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ (٧).

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان ٥ ، ٦.

(٢) سورة طه ، الآية : ١٠٥.

(٣) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٤٧.

(٥) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٦ / ١٢.

(٦) سورة الروم ، الآية : ٢٥.

(٧) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤.

وهكذا فإن كل شيء في هذا الوجود سيشيّع إلى مثواه الأخير ، ويرقد في كفن الموت ، فالحق هز المخلوقات التي يضمها الكون بين جنباته هزا عنيفا ، وأوحى إليهم أن نواميس الدنيا المعهودة وقوانين الحياة المعروضة ، والمقاييس التي عشناها وتفاعلنا معها قد سقطت الآن في رحى القيامة ، والجميع سيمثل بين يدي الديان ، ليحاسب على الصغير والكبير والفتيل والقطمير.

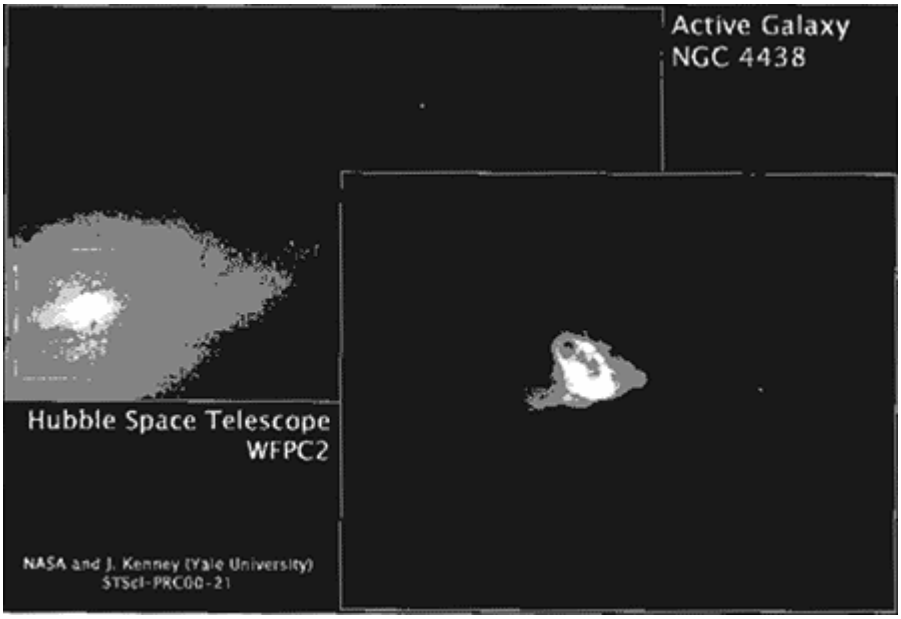


صورة التقطت بواسطة التلسكوب الفضائي هابل ، وتظهر ثقبا أسود.

والسيناريو الذي وضعه العلماء لنهاية العالم سيكون طاقة هائلة قاتمة تنمو وتتوهج إلى كمية كبيرة ، بحيث مجرتنا لا يمكن لها أن تبقى متماسكة ، والنجوم والكواكب وحتى الذرات لا يمكن أن تتحمل القوة الداخلية المتزايدة ، وقديما كان يقال نهاية العالم بالضغط الشديد أما الآن فبالانفجار والتمزق العظيم ، ناسا بتاريخ ، ٣ / ٣ / ٢٠٠٣ [١].

---

(١) ترجم هذا الكلام ، وأخذت هذه الصورة من : http / /: hubblesite.org

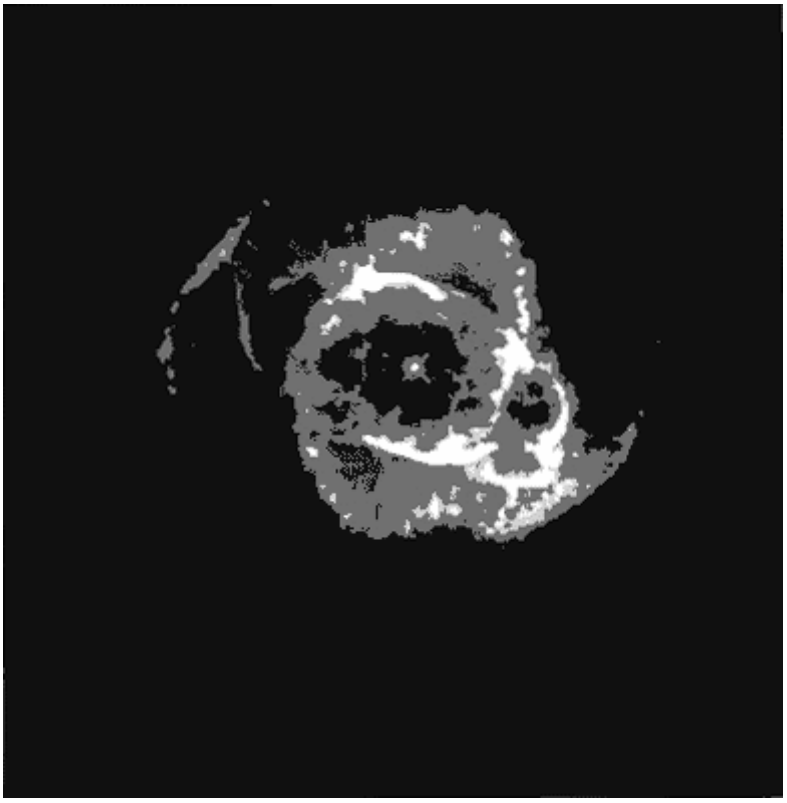

نجم يموت وينفث الأشعة الملتهبة من داخله.

كما أن هذه الصورة تجسيد حي لقوله سبحانه وتعالى : ﴿**فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**﴾ [١] ، أخذت هذه الصورة من ناسا ، والتقطت بتاريخ ، ٢٨ / ٦ / ١٩٩٥ [٢].

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٣٧.

(٢) http // : antwrp. gsfc. nasa. gov / apod / ap ٨٢٦٠٥٩. html

# الفصل الخامس

## الإعجاز القرآني في الشمس

**تمهيد :**

**المبحث الأول : تحركات الشمس وانتقالاتها بين القرآن والعلم.**

**المبحث الثاني : الشمس متوهجة ملتهبة بين القرآن والعلم.**

**المبحث الثالث : تعدد الشموس والأقمار بين القرآن والعلم.**

**المبحث الرابع : موت الشمس ونهايتها بين القرآن والعلم.**

تمهيد ..... ٢٠٨

## تمهيد

قال تعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١).

الشمس آية من آيات الله ، فهي نجم متألق في قبة السماء ، وصديق حميم لعامة المخلوقات التي أودعها الله فوق رحب هذه الأرض وفي جنباتها ، إذ منها يستمد الكائن الحي ، سواء الإنسان أم المخلوقات الأخرى ، الطاقة الإشعاعية التي من شأنها أن تغذي الكائنات الحية ، وذلك بالحفاظ على عوامل نموها ونجاحها ، وهي سبب في الاستحالة المائية حولنا ، فعن طريقها يتحول الماء إلى بخار ماء ثم يتكاثف بعد ذلك بصور مختلفة منها المطر والبرد والثلج ... وهذه الظواهر الطبيعية من ضروريات الحياة ، بل هي المقومات الأساسية التي تنهض عليها الحياة بأسرها.

نظرا لفوائدها الكثيرة التي لا مجال لسردها هنا ، فإننا سنتعرف بعون الله تعالى على تركيب هذا النجم الوهاج ، وخصائصه الفيزيائية ، لنقف على مشاهد الروعة والإبداع في خلق الله العجيب.

ثم سنتحدث عن بعض جوانب الإعجاز في الشمس ، والتي سجّلها القرآن الكريم وقررها ، قبل أن يكشف عنها ويصل إلى أسرارها العلماء ، كحركة الشمس وجريانها ، وكيف أن القرآن الكريم ركّز في كل آياته على أن الشمس سراج وهّاج مضيء ، وليس منيرا كالقمر والإعجاز في ذلك ، ثم نتحدث عن أسبقية القرآن في تقرير أن هناك كثيرا من الشموس والأقمار وليست شمسا واحدة ، ولا قمرا واحدا كما كان يظن ، ثم يطوى ملف الشمس في التعريج على نهايتها ، وخمدان لهيبها ، وانطفاء ضيائها بين القرآن والعلم.

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٧.

## المبحث الأول

## تحركات الشمس وانتقالاتها

قبل أن نشرع في الحديث عن الإعجاز في تحركات الشمس وتنقلاتها ، يشار إلى بعض خواص الشمس الفيزيائية ، وذلك للأهمية في هذا المبحث.

كشف العلماء عن بعض أسرار خلق الله في الشمس ، وأطلعونا عليها وذلك : (عن طريق استخدام المطياف الذي يحلل أشعة النور إلى أطياف ، بواسطة الموشور الزجاجي ، الموجود أمام عدسة المطياف ، أمكن معرفة مركبات الشمس ودرجة الحرارة فيها ، إذ أن لكل عنصر يكون على شكل غاز متوهج لونا خاصا به ، يميزه عن غيره ، ويدلنا على مقدار درجة حرارته ، ونوع المادة التي يتألف منها ، ومن تحليل الطبقة السطحية من الشمس إلى خطوط طيفية ، تبين أن تركيب تلك الطبقة يكون على الشكل التالي وبالنسبة المحددة بجانب كل عنصر :

| | |
|---|---|
| الهيدروجين | ونسبته أقل بقليل من ٧٠ خ. |
| الهليوم | ونسبته أقل بقليل من ٢٤ خ. |
| الأوكسجين | ونسبته أقل بقليل من ١ خ. |
| الفحم | ونسبته أقل بقليل من ٤ ، ٠ خ. |
| الحديد | ونسبته أقل بقليل من ١٦ ، ٠ خ. |
| السيليس | ونسبته أقل بقليل من ١ ، ٠ خ. |
| الآزوت | ونسبته أقل بقليل من ١ ، ٠ خ. |
| المغنيسيوم | ونسبته أقل بقليل من ٩ ، ٠ خ. |
| النيون | ونسبته أقل بقليل من ٠٧ ، ٠ خ. |

وعند ما نبلغ الطبقة الوسطى من الشمس نجد أن غاز الهيدروجين ، يأخذ بالتناقص لتصبح نسبته ٦٥ خ بينما ترتفع نسبة الهليوم حتى تصبح ٣٤ خ ، وعند بلوغنا سطح

الطبقة المركزية أي النواة ، يزداد تناقص الهيدروجين حيث لا تزيد نسبته هناك على ٣٤ خ ، بينما ترتفع نسبة الهليوم لتصبح ٦٥ خ ، وعند ما نقترب من مركز الشمس يختفي الهيدروجين تماما ، وتصبح نسبة الهليوم هناك ٩٩ خ ويبقى ١ خ للعناصر المعدنية التي تدخل في تركيب الشمس) [١].

وأما قطرها فيبلغ (٤ ، ١ مليون كيلومتر تقريبا ، ومعدل بعدها عن الأرض ١٥٠ مليون كم ومعدل درجة الحرارة الداخلية ٢٠ مليون درجة «سنتغريد» ، أكبر من الأرض ب ١٢٠٠٠٠٠ مرة ، واللون أصفر ، ومسافة الشمس من مركز المجرة ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية ، وسرعة الشمس حول مركز المجرة ٢٢٠ كلم في الثانية ، وتدور حول نفسها مرة كل ٢٥ يوما من أيام الأرض ، وتسيطر الشمس بقوة جاذبيتها على الكواكب العشرة التي تدور حولها ، كما أنها تفقد في الدقيقة الواحدة ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ طن من المادة لتتحول إلى طاقة) [٢].

بعد هذه اللمحات والمعلومات السريعة عن الشمس ، نأتي للحديث عن بعض جوانب الإعجاز القرآني حول هذا النجم الكبير ، والحقائق العلمية التي سجلها كتاب الله في هذا الشأن ، ثم كيف تكشفت بعد ذلك للعلماء في ميدان الفلك حديثا.

## تحركات الشمس وانتقالاتها

قال تعالى : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [٣].

وقال سبحانه : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ﴾ [٤].

وقال سبحانه : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٥].

نلاحظ أن هذه الآيات تقرر قرارا صريحا وواضحا أن الشمس تجري وتسبح في فلك السماء فهي ليست ثابتة كما كان يعتقد الناس قديما ، فكانوا يعتقدون أن الشمس

---

(١) الشمس ، إبراهيم غوري ، بيروت ، دار الشرق العربي ، د. ت ، ص ١٤.

(٢) موسوعة غينيس في علم الفلك ، باتريك موور ، ص : ٧.

(٣) سورة لقمان ، الآية : ٢٩.

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٣.

(٥) سورة يس ، الآية : ٣٨.

مسمرة ثابتة في كبد السماء ، لا يعتريها زوال ، وتستهجن الحركة والمسير ، وتركن إلى الاستقرار والجمود ...

لكن الله سبحانه وتعالى قرر أنها تجري ، والفعل ﴿تَجْرِي﴾ فيه إعجاز عظيم ، لأنه لا يدل على حركة الشمس الظاهرية التي يبصرها الناس عند ما تشرق الشمس شيئا فشيئا ، ثم ترتفع وتتوسط السماء ، ثم تزول وتأوي إلى مهدها في الغياب ، ثم تتوارى عن أنظار الخلائق ... بل هو يدل ويعبر عن حركة واقعية أثبتتها الأرصاد ، وحركتها العظيمة هذه يعبر عنها الفعل ﴿تَجْرِي﴾ بالسرعة الهائلة التي تقطعها الشمس خلال جريانها ، لأن الجري أسرع من المشي أو السير ، ولذلكم فإن جريان الشمس السريع هذا المقرون بجاذبية الشمس يجر معه الكواكب السيارة التي تدور حولها ، ولقد أشرنا إلى المسافة الكبيرة التي تقطعها الشمس في الثانية ، والتي توضح لنا تألق دقة التعبير القرآني بالفعل ﴿تَجْرِي﴾ الذي حمل الإعجاز الشمسي في أحرفه الرصينة.

وبنظرة دقيقة في كتب التفسير حول هذه الآيات نجد ما يلي :

ففي تفسير الطبري : (وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم ، كل يجري ، يقول : كل ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم وأجل محدود ، إذا بلغه كورت الشمس والقمر ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) [١].

وعند ابن كثير : (وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى ، قيل : إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة ، وكلا المعنيين صحيح) [٢].

وقال الإمام البيضاوي : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات ، وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم) [٣].

وفي تفسير «معالم التنزيل» : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، يجريان فيما يعود

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، ٢١ / ٨٣ ، وانظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق ، صفوان داودي ، دمشق دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ، ٢ / ٨٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٣ / ٤٥٣ ، وانظر : التفسير الواضح الميسر ، محمد علي الصابوني ، بيروت ، مؤسسة الريان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ ، ص : ١٠٢٢.

(٣) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٣ / ٣٥٠.

إلى مصالح العباد ولا يفتران ، قال ابن عباس : دءوبهما في طاعة الله ﷻ ، وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة) [١].

وفي تفسير «زاد المسير» : (وسخر لكم الشمس والقمر لتنتفعوا بهما ، وتستضيئوا بضوئهما دائبين في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره لا يفتران ، ومعنى الدءوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه) [٢].

وروي عن ابن عباس أنه (قرأ لا مستقر لها ، أي جارية لا تثبت في موضع واحد) [٣].

(والشمس أي وآية لهم الشمس تجرى لمستقر لها ، وفيه أربعة أقوال ، أحدها : إلى موضع قرارها روى أبو ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال : «مستقرها تحت العرش» وقال : «إنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها ، فتستأذن في الطلوع فيؤذن لها» [٤] ، والثاني : أن مستقرها مغربها لا تجاوزه ولا تقتصر عنه قاله مجاهد ، والثالث : لوقت واحد لا تعدوه قاله قتادة وقال مقاتل : لوقت لها إلى يوم القيامة ، والرابع : تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لا تجاوزه ، ثم ترجع إلى أول منازلها) [٥].

إذن ، يصرّح القرآن الكريم بأن الشمس تجري باتجاه معين ، وهذا (ما قرره علماء الفلك بأن للشمس حركة حقيقية في الفضاء معلومة المقدار والاتجاه ، وكشف النقاب عن ذلك بعد ألف ومائتي سنة من نزول هذا الكتاب الحكيم وأوضح علم الفلك ، أن الشمس لها مجموعة من الكواكب والأقمار والمذنبات ، تتبعها دائما ، وتخضع لقوة

---

(١) معالم التنزيل ، حسين بن مسعود البغوي ، تحقيق ، خالد العك ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ ، ٣ / ٣٦.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ ، ٤ / ٣٦٣.

(٣) معاني القرآن الكريم ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق ، محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، نشر جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ ه / ٤٩٣.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : والشمس تجري لمستقر لها ، ٤ / ١٨٠٦ ، رقم : (٤٥٢٤).

(٥) زاد المسير ، لابن الجوزي ، ٧ / ١٧.

جاذبيتها ، وتجعلها تدور من حولها في مدارات متتابعة بيضاوية الشكل ، وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية) [١].

ولو فتشنا في المعاجم عن معنى ﴿دائِبَيْنِ﴾ لوجدنا ما يلي :

في لسان العرب : (الدءوب ، المبالغة في السير ، وأدأب الرجل الدابة إدآبا ، إذا أتعبها ، والفعل اللازم دأبت الناقة تدأب دءوبا ، ورجل دءوب على الشيء ... يقال : دأبت أدأب دأبا ودءوبا ، إذا اجتهدت في الشيء ، والدائبان : الليل والنهار) [٢].

وفي مختار الصحاح : (دأب في عمله ، جد وتعب ، وبابه قطع وخضع ، فهو دائب ، بالألف لا غير والدائبان : الليل والنهار) [٣].

يستخلص من معطيات النصوص القرآنية ما يلي :

١ ـ أن الشمس تجري في الفضاء بسرعة منتظمة.

٢ ـ ستتوقف الشمس عن الجري في وقت ما ، وسيكون لها مستقر محدد لا يعلمه إلا الحق سبحانه وتعالى.

**الحقائق العلمية :**

ما ذا قال العلماء عن حركة الشمس وجريانها؟.

لقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الأجرام كلها تجري في الفضاء ، ولكل كوكب أو جرم فلك خاص به يدور حوله ولا يحيد عنه أبدا ، والشمس من هذه الأجرام السيارة ، ولها ثلاث حركات تقوم بها معا.

## حركات الشمس

**الدورة المحورية :**

(وتتمها الشمس حول نفسها في زمن متوسط قدره ٣٠ يوما ، ونقول في زمن متوسط ، لأن جسم الشمس الغازي لا يتصرف عند دورته المحورية تصرف الأجسام

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام ، محمد كامل عبد الصمد ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ، ص : ٤٢.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ١ / ٣٦٨.

(٣) مختار الصحاح ، للرازي ، ١ / ٨٣.

الصلبة ، كالأرض فالمنطقة الاستوائية في الشمس تتم دورة كل ٢٥ يوما ، بينما تحتاج المنطقة الواقعة عند درجة عرض ٣٠ من سطح الشمس إلى ٤ ، ٢٦ يوما كي تتم الدورة ، أما عند درجة عرض ٦٠ من سطح الشمس ، فإن المنطقة هناك تحتاج إلى ٣٢ يوما لإتمام الدورة ، والمنطقة الواقعة عند درجة عرض ٨٠ من سطح الشمس تحتاج إلى ٣٥ يوما كي تتم دورتها ، وقد أمكن التأكد من دوران الشمس حول نفسها عن طريق رصد الكلف الشمسية ، التي كانت تدور مع سطح الشمس والتي احتاجت إلى ١٥ يوما حتى أتمت نصف دورة من الدورة الكاملة للشمس.

**الدورة الانتقالية للشمس :**

تقوم الشمس مع كل منظومتها بدورة انتقالية حول مركز مجرتنا ، ولما كانت المنظومة الشمسية واقعة قرب حافة المجرة ، وتبعد عن مركزها بمقدار ٣٠ ألف سنة ضوئية ، فإنها تحتاج إلى ٢٥٠ مليون سنة كي تتم دورتها حول المجرة ، علما بأن سرعتها لا تقل عن ٢٠٦ . ٢٢٠ كيلومتر في الثانية ، أي ما يعادل ٧٤١٦٠٠ كم في الساعة.

**الحركة التباعدية أو الانتشارية :**

لقد ثبت أن المجرات تنطلق في الكون متباعدة عن بعضها ، وقد دعا العلماء هذه الظاهرة باسم «الانتشار الكوني» وقدرت سرعة مجرتنا وضمنها شمسنا ، وهي تبتعد عن غيرها من المجرات في الكون بمقدار ٩٨٠ كيلومترا في الثانية ، أي ما يعادل ٣٥٢٨٠٠٠ كيلومترا في الساعة) [١].

وفي «الموسوعة الفلكية» نجد (أن الشمس تدور حول محورها مرة كل خمسة وعشرين يوما وتقاس حركتها بمراقبة البقع الكبيرة المظلمة على سطحها والتي تعرف باسم الكلف الشمسية) [٢].

ولكي نفهم الآيات القرآنية التي سلف عرضها ، يجب علينا النظر في موقع الشمس داخل مجرتنا درب التبانة ، وأن نستعين بمعطيات العلم الحديث التي تقول : (تتكون مجرتنا من عدد هائل من النجوم موزعة على أسطوانة أكثر تماسكا في المركز منها على

---

(١) انظر : الشمس ، إبراهيم حلمي غوري ، ص : ١٨.

(٢) الموسوعة الفلكية ، خليل بدوي ، ص : ٢١.

المحيط ، ويصل عدد النجوم إلى ١٣٠ بليون نجم «شمس» ، وتحتل النجوم موقعا يبعد عن مركز الأسطوانة ، وبما أن المجرة تدور حول نفسها ، وكأن محورها مركزها ، فإن ناتج ذلك هو أن الشمس تدور حول نفس هذا المركز في مدار دائري ... والشمس تستغرق ٢٥٠ مليون سنة تقريبا لتدور في فلكها دورة واحدة حول مركز المجرة ، وتجري الشمس في هذه الحركة بسرعة تقريبية قدرها ٢٥٠ كم / ثا ، تلك هي الحركة المدارية للشمس والتي صرح بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، وهي الآن علامة من مكتشفات العلم الحديث ولاحظ التعبير القرآني الدقيق ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فقد لوحظ أن لكل نجم فلكا خاصا به يجري فيه حول مركز المجرة ، ويذكرنا الخالق سبحانه عدة مرات في القرآن الكريم بالحقيقة التالية ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ وهذه الآية تدل على أن الشمس تتحرك حركة انتقالية بالإضافة إلى سباحتها في فلك خاص بها) [١].

**الإعجاز :**

هذا موجز للمفاهيم العلمية التي تتوافق مع التصورات والحقائق الإعجازية في القرآن الكريم والمتأمل في قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ وقوله جلّ جلاله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يجد التطابق العلمي المدهش مع هذه النصوص القرآنية ، حول جري الشمس الحقيقي في الفضاء وليس الظاهري ، وعن تعبير القرآن على الدورة المدارية للشمس حول مجرتنا ، وبيان الحق المعجز هذا ، في التعبير عن تحركات الشمس ودورانها بيان يدهش أولي العقول والعلوم والألباب ، ويدفع المنصفين للإقرار بعظمة هذا الكتاب العظيم.

وأما بيانه تعالى : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٢].

(فكل كوكب ، وكل نجم ، وكل مذنّب ، يسبح في فلكه الذي قدّر له ، لا يتحول عنه ولا يحيد ، وفي نفس الوقت الكل في وحدة متماسكة مترابطة بفعل الجاذبية ، التي تنطق

---

(١) من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، موسى الخطيب ، القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ص : ٢٧٣.

(٢) سورة يس ، الآية : ٤٠.

بوحدانية الله خالق هذا النظام ومبدعه ، ولكي تحتفظ الأجرام السماوية بأبعاد ثابتة فيما بينها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فيما بينها تجاذبا صغيرا محدودا ، بحجم كل منها وكتلته وبعده عن الشمس ، ووفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فيما بينها ثابتة ، والأجرام وشمسها على مسافات وأبعاد تتحقق للجميع سبحا وطوافا دون تماس أو صدام ... إنه ميزان الله الدقيق الذي أودعه في قانونه الأعظم للكون) [١] ، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [٢].

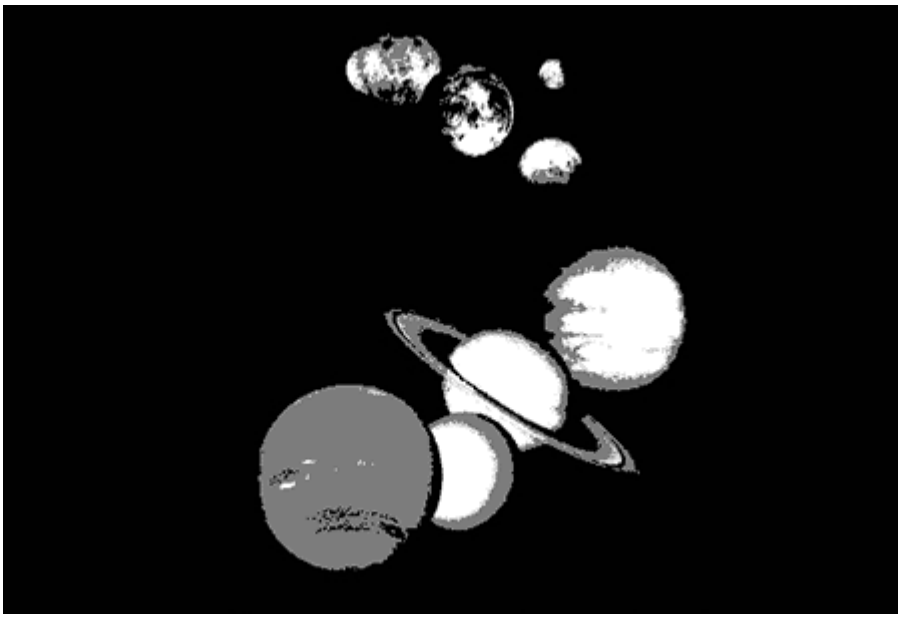

صورة تمثل اتزان المجموعة الشمسية.

قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ، والميزان من الاتزان ، ومن الملاحظ أن الكواكب التسعة في المجموعة الشمسية على مستوى واحد وكأنّها طبق موزون.

---

(١) المنهج الإيماني للدراسات الكونية ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، جدة ، الدار السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ ، ص : ٣٣.

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٧.

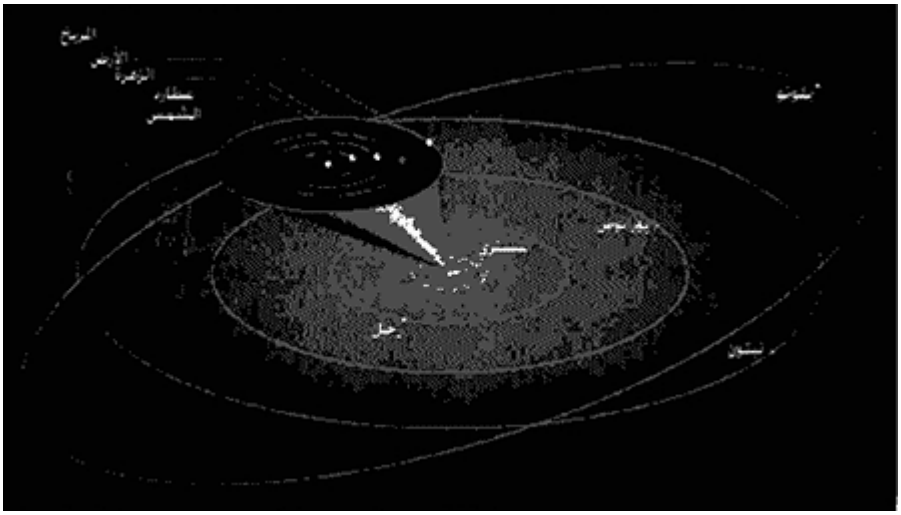

صورة رقم : (٩) ، تمثل جذب الشمس للمنظومة الشمسية.

إن قانون الجاذبية وقانون التوازن ، يعملان بإحكام وإتقان في النظام الشمسي ، وفي النظام النجمي الذي يلف المجرات والكون بأسره ، وكذلك يعملان في أدق وأصغر الأشياء ، في الذرة التي تحتوي على نظام الدوران العجيب الموجود ذاته في النظام الشمسي والنظام المجري والنظام الفلكي العام ، إنها قدرة الله التي خلقت كل شيء موزون ، وبقدر ...

## المبحث الثاني

### الشمس متوهجة ملتهبة

قال تعالى : ﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾ (٢).

وقال سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً﴾ (٤).

تثبت هذه الآيات المعجزة حقيقة علمية رائعة ، ألا وهي أن الشمس جرم متوهج ملتهب ، وإذا ما رجعنا إلى أقوال المفسرين في صفات الشمس هذه ، وإلى المعاجم اللغوية ، فإننا سنجد ما يلي :

يقول الشوكاني : ﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً﴾ المراد به الشمس ، وجعل هنا بمعنى خلق ، والوهّاج الوقّاد ، ويقال : وهجت النار تهيج وهجا وو هجانا ، قال مقاتل : جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحرارة) (٥).

﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً﴾ : (أي كالمصباح لأهل الأرض ليتوصلوا بذلك إلى التصرف في ما يحتاجون إليه من المعاش) (٦).

وعند الرازي : (الوهج مجمع النور والحرارة ، فبيّن الله سبحانه وتعالى أن الشمس

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٦١.

(٢) سورة نوح ، الآية : ١٦.

(٣) سورة يونس ، الآية : ٥.

(٤) سورة النبأ ، الآية : ١٣.

(٥) فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، ٥ / ٣٦٤.

(٦) المصدر نفسه ، ٥ / ٢٩٩.

بالغة إلى أقسى الغايات في هذين الوصفين ، وهو المراد بكونها وهّاجا ، والوهج ، حر النار والشمس ، وهذا يقتضي أن الوهاج هو البالغ في الحر) [١].

ويقول الزمخشري : ﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً﴾ : (أي متلألئا وقّادا ، يعني الشمس ، وتوهجت النار ، إذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها) [٢].

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾ هي (الشّمس لقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾ وقرئ ، سرجا وهي الشّمس والكواكب الكبار ﴿وَقَمَراً مُنِيراً﴾ مضيئا بالليل ، وقرئ قمرا أي ذات قمر ، وهي جمع قمراء ، ولما أنّ اللّيالي بالقمر تكون قمراء أضيف إليها ثمّ حذف وأجري حكمه على المضاف إليه القائم مقامه) [٣].

ويفرّق الألوسي تفريقا نفيسا بين الضوء والنور هاهنا فيقول : (وقيل : وسمي بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب ، وفي الصحاح لبياضه ، وفي وصفه ما يشعر بالاعتناء به ، وعلى الفرق المشهور بين الضوء والنور يكون في وصفه بمنير دون مضيء ، إشارة إلى أن ما يشاهد فيه مستفاد من غيره وهو الشمس) [٤].

ويسبق الرازي الألوسي بهذه الحقيقة وهذا التفريق فيقول : (ونقول : النور اسم لأصل هذه الكيفية ، وأما الضوء ، فهو اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية ، والدليل عليه أنه تعالى سمى الكيفية القائمة بالشمس ﴿الشَّمْسَ ضِياءً﴾ والكيفية القائمة بالقمر ﴿نُوراً﴾ ولا شك أن الكيفية القائمة بالشمس أقوى وأكمل من الكيفية القائمة بالقمر) [٥].

ولو بحثنا في المعاجم عن معاني بعض المفردات الواردة في الآيات القرآنية ، لنرى أبعادها اللغوية من مثل «سراج ، منير ، ضياء» فلسوف نجد التالي :

في لسان العرب : (السراج : المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل ، والشمس سراج النهار ، المسرجة بالفتح ، التي توضع فيها الفتيلة والدهن ، كما أنه بضوء السراج يهتدي الماشي ، السراج : الشمس ، وفي التنزيل : ﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً﴾ [٦].

---

(١) التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، ٣١ / ٨.

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ٤ / ٢٠٧.

(٣) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود العمادي ، ٦ / ٢٢٢.

(٤) روح المعاني ، للآلوسي ، ٥٠ / ١٩.

(٥) التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، ١٧ / ٢١٠.

(٦) لسان العرب ، لابن منظور ، ٢ / ٢٩٧.

(والسراج ، الزاهر الذي يزهر بالليل ، والمسرجة التي توضع فيها الفتيلة ، وأسرجت الدابة والشمس ، سراج النهار ، والهدى سراج المؤمنين) [١].

وأما منير ، ففي لسان العرب : (النور ضد الظلمة ، وفي المحكم النور : الضوء أيا كان ، وقيل : هو شعاعه وسطوعه ، والجمع أنوار ونيران ، وقد نار نورا واستنار) [٢].

وفي المصباح المنير : (النور ، الضوء وهو خلاف الظلمة ، والجمع أنوار ، وأنار الصبح إنارة أضاء ونور تنويرا واستنار استنارة كلها لازمة ، ونار الشيء ينور نيارا بالكسر ، وبه سمي أضاء أيضا فهو نير) [٣].

وأما معنى الضياء ، فالضوء : (بالضم ، الضياء وضاءت النار تضوء ضوءا وضوءا ، وأضاءت أيضا وأضاءت غيرها يتعدى) [٤].

من خلال هذا العرض يمكن لنا استخلاص معطيات الآيات القرآنية كما يلي :

أولا : تبين لنا أن الشمس قد وصفت بأنها «سراج ومضيء» والقمر دائما يوصف بأنه منير.

ثانيا : من المعلوم أن السراج تتقد فيه الحرارة المتوهجة فيرسل معها ضياء حراريا ، وهذا هو شأن الشمس ، أما الإنارة ، فهي التي تملأ الحيز نورا وضياء دونما حرارة ، وهذا هو شأن القمر ، فالقرآن إذا عرض الشمس وصفها بأنها سراج مضيء ، لأن حرارتها تنبعث من داخلها ، وإذا عرض القمر وصفه بأنه منير لأن إنارته وضياءه مستمد من الشمس لا من ذاته ، لأن القمر جرم قد برد مع مرور الزمن بعد تكوينه من الغبار ، كما سيؤكّده لنا علماء الفلك.

**الحقائق العلمية :**

هذا البيان القرآني المعجز ، الذي وصف به حقيقة كلّ من الشمس والقمر ،

---

(١) كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق ، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، بيروت ، دار الهلال ، د. ت ، ٦ / ٥٣.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٥ / ٢٤١ ، وانظر : القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ١ / ٦٢٨.

(٣) المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، بيروت ، المكتبة العلمية ، د. ت ، ٢ / ٦٢٩.

(٤) مختار الصحاح ، أبو بكر الرازي ، ١ / ١٤٤.

والخصائص والسمات التي ينطوي عليها كلّ منهما ، قد كشف عنه العلم مؤخرا بعد إثبات القرآن له ، وتحدث العلماء عن مصدر الطاقة الشمسية وعن التفاعلات النووية التي تحدث في داخلها وعن النتائج التي تفرزها تلك التفاعلات.

ففي الوقت الذي جاء فيه «أنيشتاين» بنظريته (النسبية الخاصة ، التي أثبت فيها تحول الكتلة إلى طاقة ، فتحت أمام العلماء آفاقا جديدة أطلوا منها على الشمس ، وبدراسة الشمس توصلوا إلى أن مصدر حرارة الشمس ونورها هو حدوث تفاعلات نووية داخل جرم الشمس ، تؤدي إلى دمج أربع نويات من الهيدروجين ، أي أربع (بروتونات) مكونة نواة واحدة من غاز (الهيليوم) ، وبما أن كتلة نواة غاز (الهيليوم) هي أصغر من الكتلة التي ألفتها نويات غاز (الهيدروجين) الأربعة بمقدار ٠٠٧ ، ٠ فإن هذه الكتلة الفائضة ، تتحول إلى طاقة من الحرارة والنور ، تطلقها الشمس نحو الفضاء المحيط بها وبمجموعتها الشمسية) [١].

ويحدثنا نفس الكتاب «الشمس» عن توهج الشمس ولهيبها : (... وسطح الشمس دائم الاضطراب والصخب ، إنما يلاحظ أن ذلك الاضطراب يزداد ويشتد خلال فترة الهياج الشمسي ، ومن أهم مظاهر الاضطراب الشديد اندفاع ألسنة من اللهب ، قاعدة كل منها تزيد مساحته على عدة ملايين الكيلومترات المربعة ، وتبلغ تلك الألسنة ارتفاعات كبيرة ، إذ يتجاوز بعضها مسافة ٣٥٠ ألف كم كما أن اندفاعها يكون خاطفا ... وقد تنطلق تلك الألسنة على شكل فوّارات عمودية من اللهب بينما يتخذ بعضها شكل أقواس نارية ، وتكون بعض الأقواس من الطول والضخامة إلى درجة تنعطف معها باتجاه سطح الشمس حيث تتصل به مؤلفة قنطرة مهيبة ... ومن مظاهر الهياج الشمسي الشواظ الشمسي ، والذي يبدو على شكل كتل غازية مضيئة ، تلاحظ في الطبقة التاجيّة من الشمس وقد قذفت بعيدا عنها إلى مسافة تزيد أحيانا على ٥٠٠ ألف كيلومتر ، ليتبدد بعضها في الفضاء ، بينما يرتد بعضها الآخر إلى سطح الشمس على شكل همرات [٢] ، أو كتل من الوهج) [٣].

---

(١) الشمس ، إبراهيم حلمي غوري ، ص : ٢٧ ، وانظر : دليل فيليب للنجوم والكواكب ، باتريك مور ، ترجمة ، عبد القوي عياد ، الرياض ، النشر العلمي والمطابع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ ، ص : ٦٢.

(٢) همرات : نوع من أنواع النشاط الشمسي.

(٣) الشمس ، إبراهيم حلمي غوري ، ص : ٣٢ ـ ٣٣.

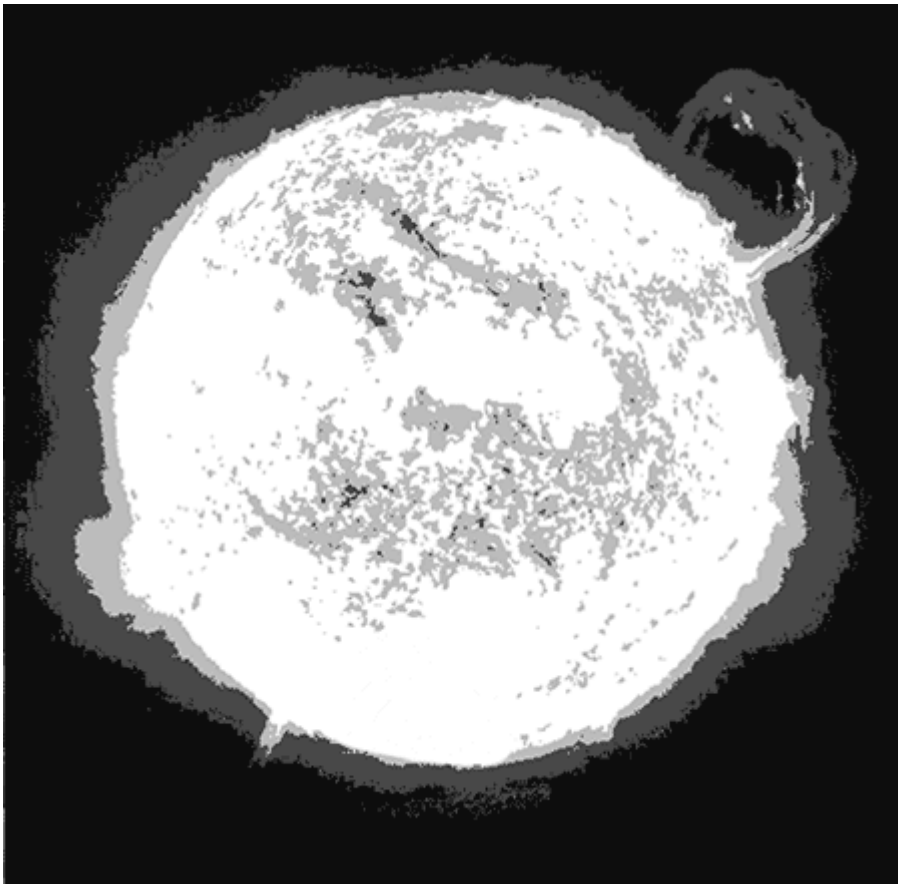

صورة للشمس تظهر التفاعلات النووية ، وألسنة اللهب تنطلق منها.

وألسنة اللهب هذه تعتبر (من أبرز المظاهر الشمسية ، وهي كتل غازية متوهجة يمكن رصدها بسهولة عند حافة الشمس ، وتوجد منها أصناف عديدة ، فمنها ألسنة اللهب الهادئة حيث تهبط الغازات ببطء على امتداد خطوط المجال المغناطيسي ، وألسنة اللهب الأنشوطية ، ومنها الألسنة المتفجرة وهي الأقل شيوعا وفيها يقذف الغاز بعنف بعيدا عن الشمس ، أما الوميض الشمسي فهو من أعنف مظاهر النشاط الشمسي ، وهي تظهر كومضات لامعة تمكث من ثانية وحتى ما يقارب الساعة ، وهي تنتج من التحرر المفاجئ لقدر كبير من الطاقة كان مختزنا في المجال المغناطيسي) [١].

---

(١) علم الفلك العام ، مرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، ص ٢١٠ ، وانظر : علم الفلك ، عبد السلام غيث ، عمان ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٢ ، ص : ٩٦.

ولقد مكّنت الدراسات النظرية المعتمدة على (تجارب مختبرات الفيزياء النووية ، من معرفة التفاعلات التي تتم في داخل الشمس وما ينجم من طاقة متولدة عن تلك التفاعلات : تفاعلات الاندماج (الهيدروجينية) وانتقال تلك الطاقة إلى السطح ، وإشعاعها بعد ذلك في الفضاء ... وسطح الشمس في حالة نشاط مستمر ، إذ تكثر العواصف الشمسية ، والبقع الشمسية ، و (الفوتونات) ، وألسنة اللهب والخيوط المنبثقة من السطح) [١].

كما يلاحظ (بالقرب من أطراف قرص الشمس مناطق فاتحة اللون «مشاعل» وتمثل هذه الظاهرة مناطق الغازات الشديدة التسخن ، والمرتفعة إلى الطبقات العليا من الغلاف الجوي للشمس وتظهر هذه الظاهرة في أغلب الأحيان عند ما تحتل البقع الشمسية أطراف القرص الشمسي ، عندها نشاهد المشاعل محيطة بالقرص ، وهي لهيب وألسنة نارية متوهجة) [٢].

وأما القمر فهو : (ثاني الأجرام سطوعا بعد الشمس ، ولكنه لا ينبعث منه ضوء من تلقاء نفسه لأنه ليس ملتهبا متوهجا توهجا ذاتيا كالشمس ، ولكنه بارد ينير كالمرآة يعكس جزءا من ضوء الشمس الساقط عليه) [٣].

ولقد ثبت للعلماء أن القمر : (يعكس الضوء كالمرايا ، ذلك الضوء الذي يأتيه من الشمس والقمر ليس جسما ملتهبا كالشمس كي يكون مضيئا بنفسه ، فقد نزل عليه رواد الفضاء من الأمريكيين وأثبتوا أنه جسم صخري قليل الصلابة ، وتتميز صخور القمر باللون الرمادي الغامق الداكن ، وتشبه في ذلك لدرجة كبيرة لون الصخور الأرضية ، أما تربته التي تعكس ضوء الشمس فتتخذ درجات الأسود الغامق ... والدراسات كلها تؤكد أن قشرة القمر أسمك كثيرا من قشرة الأرض ، بل يحتمل أن يكون القمر صلبا في

---

(١) المنظومة الشمسية ، علي موسى ومخلص الريس ، دمشق ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ ، ص : ٤٧ ، وانظر : مبادئ الطاقة الشمسية وتطبيقاتها ، سهيل فاضل وإلياس الكبة ، بيروت ، دار الحداثة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ ، ص : ٣٢.

(٢) الجغرافية الفلكية ، أمين طربوش ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ ، ص : ٣١٤.

(٣) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ، ص : ١٦٢.

جميع طبقاته حتى المركز ، على اعتبار أنه برد إلى درجة عظيمة بمعدل أسرع مما بردت به أرضنا نظرا لصغر كتلته ، فما معنى هذا كله؟ ... هذا معناه وجود الأدلة المادية من صخور القمر قد حللها العلماء بالفعل على الأرض ، بما يؤكد أنه صخري وليس نارا ملتهبة مثل الشمس وينبني على ذلك أن القمر ليس مصدرا للضوء مثل الشمس وإنما هو عاكس فقط له) [١].

**الإعجاز :**

سبحان الله ، هذا ما وصل إليه علماء عصرنا بعد أكثر من أربعة عشر قرنا ، غير أن الحق سبحانه وتعالى قد سجل هذه الحقيقة العلمية في كتابه العظيم ، لقد قرر القرآن منذ نزوله على النبي الأمي ﷺ أن الشمس جسم ملتهب ، وكرة نارية تصدر عنها الحرارة والضوء ، بخلاف القمر الذي يستمد نوره من ضوء الشمس ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿**تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً**﴾ [٢] ، وقال سبحانه : ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً**﴾ [٣] ، وقال سبحانه : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً**﴾ [٤].

فما ينبغي لذي عقل منصف أن يقول : هناك تعارض بين العلم والدين ، أو أن يقول :الدين أفيون الشعوب أو سبب تخلفها ، لأن القرآن الذي حفظه الله تعالى ، حقائقه وقوانينه الكونية تخرج هي وحقائق العلم من مصدر ومشكاة واحدة ألا وهي علم العليم جل جلاله.

---

(١) المنهج الإيماني للدراسات الكونية ، عبد العليم خضر ، ص : ١٥٤.

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦١.

(٣) سورة نوح ، الآية : ١٦.

(٤) سورة يونس ، الآية : ٥.

## المبحث الثالث

### تعدد الشموس والأقمار

قال تعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١).

تشير هذه الآية الكريمة من خلال قوله تعالى : ﴿خَلَقَهُنَ﴾ إلى تعدد الشموس والأقمار في هذا الكون ، فالحق سبحانه وتعالى أتى بضمير الجمع المؤنث بدلا من ضمير المثنى ، وكان مساق الآية يقتضي حسب قواعد اللغة أن يقول : (خلقهما) إشارة إلى شمسنا وقمرنا ، لكنه عدل عن المثنى إلى الجمع ليسطّر معجزة قرآنية كونية هنا ، وهي أن الله سبحانه وتعالى خلق شموسا وأقمارا كثيرة وهذا ما أثبته العلم وقرره الحق.

وبإلقاء نظرة دقيقة في تفاسير العلماء ﷺ تعالى ، يتبين لنا إدراكهم لبعد هذه الإشارة القرآنية المعجزة.

يعلق الإمام الطبري على الآية فيقول : (يقول تعالى ذكره : ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته ، وعظيم سلطانه ، اختلاف الليل والنهار ، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه والشمس والقمر ، لا الشمس تدرك القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكلّ في فلك يسبحون ، لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر ، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم ، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما ، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما ، أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرّا وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم ، فله فاسجدوا ، وإياه فاعبدوا دونها ، فإنه إن شاء طمس ضوءهما ، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ، ولا تبصرون شيئا ... وقيل : واسجدوا لله الّذي

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٧.

خلقهنّ ، فجمع بالهاء والنون ، لأن المراد من الكلام ، واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، وذلك جمع ، وأنث كنايتهن) [١].

وعند القرطبي : (قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ﴾ علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ وقد مضى في غير موضع ، ثم نهى عن السجود لهما ، لأنهما وإن كانا خلقين فليس ذلك لفضيلة لهما في أنفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله ، لأن خالقهما هو الله ولو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما : ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَ﴾ وصورهنّ وسخرهنّ ، فالكناية ترجع إلى الشمس والقمر والليل والنهار ، وقيل : للشمس والقمر خاصة ، لأن الاثنين جمع ، وقيل : الضمير عائد على معنى الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وإنما أنث على جمع التكثير ، ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لأنه فيما لا يعقل) [٢].

وفي تفسير الرازي : (ولما بيّن أن الشمس والقمر محدثان ، وهما دليلان على وجود الإله القادر قال : ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ يعني أنهما عبدان دليلان على وجود الإله ، والسجدة عبارة عن نهاية التعظيم فهي لا تليق إلا بمن كان أشرف الموجودات ، فقال : ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما عبدان مخلوقان ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ الخالق القادر الحكيم ، والضمير في قوله : ﴿خَلَقَهُنَ﴾ لليل والنهار والقمر ، لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث ، يقال للأقلام بريتها وبريتهن ، ولما قال : ﴿وَمِنْ آياتِهِ﴾ كن في معنى الإناث فقال : ﴿خَلَقَهُنَ﴾ ، وإنما قال : ﴿كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر ، كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة ، وأمروا أن لا يسجدوا إلا لله الذي خلق الأشياء) [٣].

وفي تفسير «روح المعاني» : ﴿وَمِنْ آياتِهِ﴾ الدالة على شئونه الجليلة جل شأنه تعالى : ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾ في حدوثهما وتعاقبهما وإيلاج كل منهما في الآخر ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ في استنارتهما واختلافهما في قوة النور والعظم والآثار والحركات مثلا ،

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، ٢٤ / ٧٦ ، وانظر : قبس من نور القرآن ، محمد علي الصابوني ، بيروت ، مؤسسة الريان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ ، ١١ / ٢٤٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٥ / ٣٦٣.

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٧ / ٥٧٠.

وقدم ذكر الليل قيل : تنبيها على تقدمه مع كون الظلمة عدما ، وناسب ذكر الشمس بعد النهار لأنها آيته وسبب تنويره ، ولأنها أصل لنور القمر بناء على ما قالوا من أنه مستفاد من ضياء الشمس ، وأما ضياؤها فالمشهور أنه غير طارئ عليها من جرم آخر ، وقيل : هو من العرش ، لأنها من جملة مخلوقاته سبحانه وتعالى المسخرة على وفق إرادته تعالى مثلكم ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَ﴾ الضمير قيل للأربعة المذكورة ، والمقصود تعليق الفعل بالشمس والقمر ، لكن نظم معهما الليل والنهار إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ضرورة أن الليل والنهار كذلك ، ولو ثنى الضمير لم يكن فيه إشعار بذلك) [١].

وفي «أنوار التنزيل» : ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَ﴾ الضمير للأربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فإن السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به) [٢].

رأينا كيف أن المفسرين ﷺ تعالى ، حاولوا أن يعيدوا الضمير ﴿خَلَقَهُنَ﴾ للأربعة «الليل والنهار والشمس والقمر» ، والحق أن الضمير في ﴿خَلَقَهُنَ﴾ يرجع للشمس والقمر فقط ، لأن المشركين كانوا يعبدون من جملة ما يعبدون الشمس والقمر ، ولذلك وبخهم الحق في كثير من الآيات ونهاهم أن يعبدوهما ، ولم يرد قط أن المشركين عبدوا طبيعة الليل أو طبيعة النهار؟.

وعلى هذا فإن الجمع هنا ﴿خَلَقَهُنَ﴾ جاء آية معجزة كشف عنها علماء عصرنا ، عند ما تحقّقوا بالدليل العملي والمرئي أن في كوننا ملايين من الشموس ، والكثير من الأقمار.

**الحقائق العلميّة :**

أما عن تعدّد النجوم فقد وجد العلماء أن : (النجوم على أنواع مختلفة ، وهي برغم ظهورها للعين نقاطا لامعة في السماء ، إلا أنها شموس مثل شمسنا ، وتظهر هكذا

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٤ / ١٢٥.

(٢) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٥ / ١١٦ ، وانظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٣ / ٢٢٤.

لبعدها عنا ، حيث أن أقرب نجم إلينا يبعد مسافة تزيد على أربع سنوات ضوئية ، وهو نجم (الشعرى) ولبعض النجوم كتلة تقل عن كتلة الشمس ، ولبعضها الآخر كتلة تزيد بمائة ضعف وأكثر على كتلة الشمس) [١].

ثم إن النجوم التي تتكشّف لنا ليلا (تكون جزءا من مجموعات نجمية هائلة ، وبطبيعة الحال فإن الشمس هي أقرب النجوم إلى الأرض ، وإن كان ضوؤها يستغرق حوالي ٨ ، ٥ دقائق ليصل إلينا وفيما عدا النجوم القريبة من الشمس ، وهي التي تكون مضيئة ، ويمكن رؤيتها بوضوح بالعين المجردة فهناك نجوم أخرى تبعد عنا مسافات بالغة ، لدرجة أننا نشاهدها على هيئة سحب ضوئية تختلف شدتها ، ويمكن للراصد في ليلة صافية أن يرى حوالي ٢٧٥٠ نجم في الكرة السماوية بالعين المجردة كما أن هناك العديد من النجوم التي لا نستطيع رؤيتها بسبب ما يفصل بيننا وبينها من السحب الغازية) [٢].

ولقد اتضح أن شمسنا إحدى (نجوم مجرة تدعى (سكة التبانة) وهي عبارة عن تجمع نجمي هائل يحتوي على ١٣٠ بليون نجم (شمس) وأن الكون يحتوي على أكثر من ٢ بليون مجرة ، أي أن عدد النجوم في الكون أكثر من مائة بليون بليون نجم (شمس) ، وأن هذه النجوم تتعدّد أنواعها حسب قوة إضاءتها ودرجة حرارتها وكتلتها ، إلى أنواع تتدرّج تنازليا في هذه الصفات إلى النوع الأزرق ـ الأبيض المزرق ـ الأبيض ـ الأبيض المصفر ـ الأصفر ـ الأصفر البرتقالي ـ الأحمر ، وأن شمسنا من النوع الأصفر فهي نجم متوسط ، وهناك نجوم أخرى عملاقة تدعى العمالقة الحمراء ، ونجوم أخرى أقزام تدعى الأقزام البيضاء) [٣].

وأما عن تعدد الأقمار فقد ثبت وتحقق وجود الكثير من الأقمار (وأغلب كواكب المجموعة الشمسية لها توابع تدور حولها ، كما يتبع القمر الأرض ويدور حولها ، فالتوابع كالكواكب أجسام باردة غير ملتهبة ولكن تصغرها حجما ، وترتبط معها برباط

---

(١) خلق الكون ، محمد باسل الطائي ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ، ص : ٦٢.

(٢) الميكروكمبيوتر وعلم الفلك ، محمد رشاد الدين مصطفى ، بيروت ، دار الراتب ، د. ت ، ص : ٢٢.

(٣) الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، منصور حسب النبي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١ ، ص : ١٥٧.

الجاذبية فتدور حولها ، فهي أقمارها ولكن ليست كل كواكب المجموعة الشمسية في مثل قناعة الأرض تكتفي بجذب تابع واحد وهو القمر ، فكثير من الكواكب الأخرى لها أكثر من تابع ، والمشتري على ضخامته له [١٢] تابعا يدور حوله) [١].

وزيادة لتأكيد القضية والفائدة في آن واحد ، نورد أرقاما وجداول بالأقمار.

وللمريخ (قمران هما «فوبوس وديموس» يدور الأول حوله ثلاث مرات في اليوم الواحد ، أما الثاني فإن دورته بحدود ٣٠ ساعة ، وكلا القمرين صغير جدا إذ يبلغ قطر الأول ١٣ كيلومتر ، وقطر الثاني ٨ كيلومترات فقط) [٢].

(وأقمار المريخ مظلمة جدا ، درجة القدرة على عكس نور الشمس هي ٥ خ وموادها التكوينية يمكن أن تكون مشابهة للمواد الفحمية وكل منها مغطّى بطبقة سطحية من المواد الصخرية المفكّكة بسماكة عدة مليمترات) [٣].

وأما المشتري فعدد أقماره : (ستة عشر قمرا ، تقع ثمانية منها على أبعاد صغيرة من الكوكب لا تتعدى مليون كيلومتر ، بينما تتزايد أبعاد أربعة منها ١٢ مليون كيلومتر ، أما الأربعة الأخرى فتدور على مسافات بين ٢١ ـ ٢٤ مليون كيلومتر في اتجاه عكسي وفي مستويات ذات ميل كبير ، وقد اكتشفت حول المشتري حلقة رقيقة تدور حول الكوكب من حصوات صغيرة الحجم) [٤].

---

(١) أعماق الكون ، سعد شعبان ، ص ٧٩ ، وانظر : السماء في الليل ، عبد القادر عابد وعلي عبندة ، عمان ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ ، ص : ٢٢.

(٢) خلق الكون ، محمد باسل الطائي ، ص : ٤٩.

(٣) موسوعة غينيس في علم الفلك ، باتريك موور ، ص : ٧١.

(٤) علم الفلك العام ، مرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، ص : ١٥٣.

| التسلسل | القمر | سنة الاكتشاف | قطره | بعده عن المشتري |
|---|---|---|---|---|
| ١ . | ميتس Metis | ١٩٧٩ | ٤٩ كلم | ١٧٢ ، ٦٠٠ كلم |
| ٢ . | ادراستيا Adrastea | ١٩٧٩ | ٣٥ كلم | ١٣٤ ، ٠٠٠ كلم |
| ٣ . | امالثيا Amalthea | ١٨٩٢ | ١٦٦ كلم | ١٨١ ، ٣٠٠ كلم |
| ٤ . | ثيبي Thebe | ١٩٧٩ | ٧٥ كلم | ٢٢٢ ، ٠٠٠ كلم |
| ٥ . | آيو Io | ١٦١٠ | ٣٦٣٢ كلم | ٤٢١ ، ٦٠٠ كلم |
| ٦ . | أوروبا Europa | ١٦١٠ | ٣١٢٦ كلم | ٦٧٠ ، ٩٠٠ كلم |
| ٧ . | غانيميد Ganymede | ١٦١٠ | ٥٢٧٦ كلم | ١ ، ١ مليون كلم |
| ٨ . | كاليستو Callisto | ١٦١٠ | ٤٨٢٠ كلم | ١ ، ٩ مليون كلم |
| ٩ . | ليدا Leda | ١٩٧٤ | ١٦ كلم | ١١ ، ١ مليون كلم |
| ١٠ . | هيماليا Himalia | ١٩٠٤ | ١٨٦ كلم | ١١ ، ٥ مليون كلم |
| ١١ . | لايسثيا Lysithea | ١٩٣٨ | ١٩ كلم | ١١ ، ٧ مليون كلم |
| ١٢ . | إلارا Elara | ١٩٠٥ | ٨٠ كلم | ١١ ، ٧ مليون كلم |
| ١٣ . | أنانكي Ananke | ١٩٥١ | ٣٠ كلم | ٢٠ ، ٧ مليون كلم |
| ١٤ . | كارمي Carme | ١٩٣٨ | ٤٠ كلم | ٢٢ ، ٤ مليون كلم |
| ١٥ . | باسيفاي Pasiphae | ١٩٠٨ | ٥٠ كلم | ٢٣ ، ٣ مليون كلم |
| ١٦ . | سينوب Sinope | ١٩١٤ | ٣٦ كلم | ٢٣ ، ٧ مليون كلم |

جدول رقم : (١) ، يبين سنة اكتشاف القمر وقطره وبعده عن المشتري [١].

أقمار زحل وحلقاته : (ويدور حول زحل ١٨ قمرا و ٧ حلقات ترى منها على الأرض ٣ حلقات ، وأكبر أقمار زحل هو القمر «تيتان» وهو ثاني أقمار المجموعة الشمسية بعد «جانيمن» ، ثم يلي تيتان في الكتلة ٨ أقمار متوسطة ، والباقية أقمار صغيرة أشكالها غير

---

(١) المصدر نفسه ، ص : ١٥٣.

منتظمة ، وأبعد أقمار زحل يسمى «فوب» يبعد تقريبا ٤ أمثال بقية الأقمار ويتحرك حركة تقهقرية) [١].

| التسلسل | القمر | سنة الاكتشاف | قطرة | بعده عن زحل |
|---|---|---|---|---|
| ١ . | بان Pan | ١٩٩٠ | ٢٠ كلم | ١٣٣ ، ٥٧٠ كلم |
| ٢ . | أطلس Atlas | ١٩٨٠ | ٣٠ كلم | ١٣٧ ، ٦٧٠ كلم |
| ٣ . | بروميثوس Prometheus | ١٩٨٠ | ٢٢٠ كلم | ١٣٩ ، ٣٥٣ كلم |
| ٤ . | باندورا Pandora | ١٩٨٠ | ٩٠ كلم | ١٤١ ، ٧٠٠ كلم |
| ٥ . | ابيميثوس Epimetheus | ١٩٦٦ | ١١٩ كلم | ١٥١ ، ٤٢٢ كلم |
| ٦ . | جانوس Janus | ١٩٦٦ | ١٩٠ كلم | ١٥١ ، ٤٧٢ كلم |
| ٧ . | ميماس Mimas | ١٧٨٩ | ٣٩٠ كلم | ١٨٥ ، ٦٠٠ كلم |
| ٨ . | انسيلادوس Enceladus | ١٧٨٩ | ٥٠٠ كلم | ٢٣٨ ، ١٠٠ كلم |
| ٩ . | تيثز Tethys | ١٦٨٤ | ١٠٥٠ كلم | ٢٩٢ ، ٣٤٢ كلم |
| ١٠ . | تيليستو Telesto | ١٩٨٠ | ٢٢ كلم | ٢٩٤ ، ٧٠٠ كلم |
| ١١ . | كاليبسو Calypso | ١٩٨٠ | ٢٥ كلم | ٢٩٤ ، ٦٧٠ كلم |
| ١٢ . | ديون Dione | ١٦٨٤ | ١١٢٠ كلم | ٣٧٧ ، ٥٠٠ كلم |
| ١٣ . | هيليني Helene | ١٩٨٠ | ٣٢ كلم | ٣٧٨ ، ٠٦٠ كلم |
| ١٤ . | ريا Rhea | ١٦٧٢ | ١٥٣٠ كلم | ٥٢٧ ، ٢٠٠ كلم |
| ١٥ . | تيتان Titan | ١٦٥٥ | ٥١٥٠ كلم | ١ ، ٢ مليون كلم |
| ١٦ . | هيبريون Hyperion | ١٨٤٨ | ٢٥٠ كلم | ١ ، ٥ مليون كلم |
| ١٧ . | يابيتوس Iapetus | ١٦٧١ | ١٤٦٠ كلم | ٣ ، ٦ مليون كلم |

جدول رقم : (٢) ، يبين سنة اكتشاف القمر وقطره وبعده عن زحل [٢].

---

(١) علم الفلك العام ، مرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، ص : ١٥٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١٥٤.

(أقمار أورانوس الخمسة عشر) [١].

| التسلسل | القمر | سنة الاكتشاف | قطره | بعده عن أورانوس |
|---|---|---|---|---|
| ١ . | كورديليا Cordelia | ١٩٨٦ | ٤٠ كلم | ٧٠٠ ، ٤٩ كلم |
| ٢ . | اوفيليا Ophelia | ١٩٨٦ | ٥٠ كلم | ٨٠٠ ، ٥٣ كلم |
| ٣ . | بيانكا Bianca | ١٩٨٦ | ٥٠ كلم | ٢٠٠ ، ٥٩ كلم |
| ٤ . | جولييت Juliet | ١٩٨٦ | ٦٠ كلم | ٨٠٠ ، ٦٤ كلم |
| ٥ . | ديسديمونا Desdemona | ١٩٨٦ | ٦٠ كلم | ٧٠٠ ، ٦٢ كلم |
| ٦ . | روزالند Rosalind | ١٩٨٦ | ٨٠ كلم | ٩٠٠ ، ٦٩ كلم |
| ٧ . | بورتيا Portia | ١٩٨٦ | ٨٠ كلم | ١٠٠ ، ٦٦ كلم |
| ٨ . | كريسيدا Cressida | ١٩٨٦ | ٦٠ كلم | ٩٠٠ ، ٦٩ كلم |
| ٩ . | بيلندا Belinda | ١٩٨٦ | ٦٠ كلم | ٣٠٠ ، ٧٥ كلم |
| ١٠ . | بوك Puck | ١٩٨٥ | ١٧٠ كلم | ٠٠٠ ، ٨٦ كلم |
| ١١ . | ميراندا Miranda | ١٩٤٨ | ٤٨٠ كلم | ٢٨٢ ، ١٢٨ كلم |
| ١٢ . | آرييل Ariel | ١٩٥١ | ١١٦٠ كلم | ٩٠٠ ، ١٩٠ كلم |
| ١٣ . | امبريال Umberial | ١٩٥١ | ١١٩٠ كلم | ٠٠٠ ، ٢٦٦ كلم |
| ١٤ . | تيتانيا Titania | ١٧٨٧ | ١٦١٠ كلم | ٣٠٠ ، ٤٣٦ كلم |
| ١٥ . | أوبيرون Oberon | ١٧٨٧ | ١٥٥٠ كلم | ٤٠٠ ، ٥٨٣ كلم |

جدول رقم : (٣) ، يبين سنة اكتشاف القمر وقطره وبعده عن أورانوس [٢].

(وهذه حلقات نبتون بالإضافة إلى منبسط ما يسمى في بعض الأحيان الحلقة

---

(١) علم الفلك العام ، مرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، ص : ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١٥٨.

«١٩٨٩ 4N» الحلقة التي تقع داخل حلقة (أدامز) تتحرك في المدار نفسه لمدار القمر الصغير «غالاتيا» الذي تم اكتشافه حديثا) [١].

| اسم الحلقة | المسافة من مركز نبتون (كلم) | العرض |
|---|---|---|
| غال | ٩٠٠ ، ٤١ | ٥٠ |
| لوفيرييه | ٢٠٠ ، ٥٣ | ٥٠ |
| المنبسط | ٢٠٠ ، ٥٣ ـ ١٠٠ ، ٥٩ | ٤٠٠٠ |
| أدامز | ٩٠٠ ، ٦٢ | ٥٠ |

جدول رقم : (٤) ، يبين اسم الحلقة ، والمسافة من مركز نبتون ، والعرض [٢].

## أقمار نبتون الثمانية

| التسلسل | القمر | سنة الاكتشاف | قطره | بعده عن نبتون |
|---|---|---|---|---|
| ١ . | نایاد Naiad | ١٩٨٩ | ٥٠ كلم | ٤٨ ، ٠٠٠ كلم |
| ٢ . | ثالاسا Thalassa | ١٩٨٩ | ٩٠ كلم | ٥٠ ، ٠٠٠ كلم |
| ٣ . | دسينيا Despina | ١٩٨٩ | ١٨٠ كلم | ٥٢ ، ٥٠٠ كلم |
| ٤ . | غالاتيا Galatea | ١٩٨٩ | ١٦٠ كلم | ٦٢ ، ٠٠٠ كلم |
| ٥ . | لاريسا Larissa | ١٩٨٩ | ٢٠٠ كلم | ٧٣ ، ١٠٠ كلم |
| ٦ . | بروتيوس Proteus | ١٩٨٩ | ٤٢٠ كلم | ١١٧ ، ٦٠٠ كلم |
| ٧ . | ترايتون Triton | ١٨٤٦ | ٢٧٠٠ كلم | ٣٥٤ ، ٧٦٠ مليون كلم |
| ٨ . | نيريد Nereid | ١٩٤٩ | ٣٤٠٠ كلم | ٥ ، ٥ مليون كلم |

جدول رقم : (٥) ، يبين سنة اكتشاف القمر وقطره وبعده عن نبتون [٣].

---

(١) موسوعة غينيس في علم الفلك ، باتريك موور ، ص : ١١٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص : ١١٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص : ١١٦.

**الإعجاز :**

تلك هي أقمار المجموعة الشمسية التي يتربع على عرشها نجم الشمس الكبير ، وتطوف حوله تسعة كواكب سيارة ومجموعة أقمار لها ، إضافة إلى آلاف الكويكبات وملايين المذنبات التي تحفها.

ورأينا أن لكل كوكب مداره الخاص ، وفلكه الذي يطوف فيه بدقة ونظام قد حدده خالق الأكوان جل جلاله ف ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ (١).

وما تلك النجوم المرصعة في كبد السماء والتي تصل إلى المليارات المليارات ما هي إلا شموس كشمسنا وإن اختلفت في الحجم والإشعاع ، لكن طبيعتها واحدة ، لأنّ خالقها سبحانه تعالى واحد إنها آيات الله في الآفاق وفي الأكوان ، وكلها ناطقة بالوحدانية ، فالجمع في قوله : ﴿**خَلَقَهُنَ**﴾ جاء ليترجم هذه الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء في تعدد الشموس والأقمار ، ولكنها أسبقية سطّرها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا.

وما حدثنا عنه علم الفلك هو شيء يسير جدا ، ويكاد لا يذكر أمام الكون العظيم المجهول ومهمة الإنسان أن يسير في الأرض معتبرا ، وينظر في السماء دارسا وباحثا عن آيات الله في الآفاق قال تعالى : ﴿**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُ**﴾ (٢).

---

(١) سورة يس ، الآية : ٤٠.

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

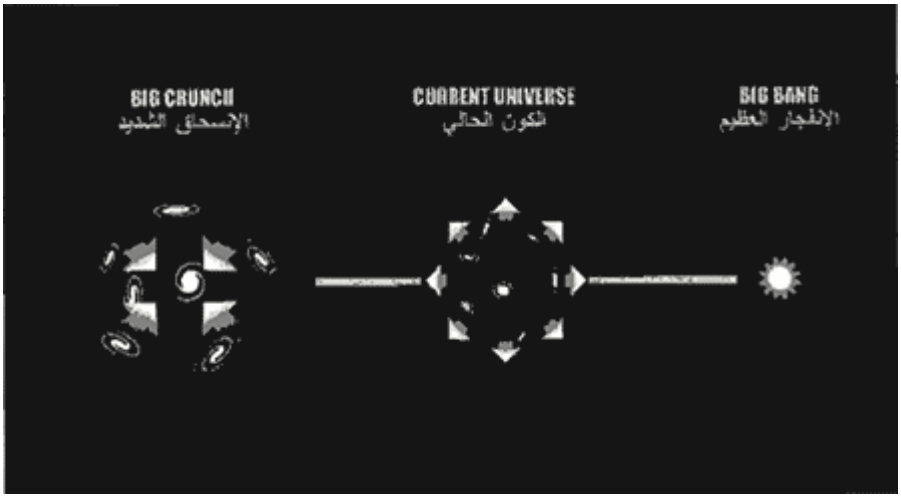


صورة توضح بعض أقمار الكوكب العملاق المشتري [١]

---

(١) أخذت هذه الصورة من موقع :

http // : antwrp. gsfc. nasa. gov / apod / ap ٨١١١٠٠. html

## المبحث الرابع

### موت الشمس ونهايتها بين القرآن والعلم

يقول مولانا تبارك وتعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١).

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٢).

ويقول جل جلاله : ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ﴾ (٣).

كثير ممن أعلنوا التمرد على الإيمان والتوحيد ، وانغمسوا في حمأة الإلحاد ، ظنوا أن الحياة الدنيا هي خلود أبدي ، وأن الذي يمسك بزمام الأحياء إنما هي الطبيعة والدهر ، وراحوا ينسجون تصورات بالية ، وخيالات وهمية حول ذلك ، وكان من جملة هذه المعتقدات أن الشمس لن تموت ، بل إن بعضهم قد جعلها إلها وعبدها!.

وتدور حركة الزمان ، وتتهاوى تلك الخرافات بل وحتى تلك النظريات التي تتحدث على استمرارية الشمس في الحياة إلى اللانهاية ، ويقتنع العلماء ويجمعون ، كما سنرى على أن الشمس أمضت أكثر من نصف عمرها ، وأن نهايتها محتومة ، وانطفاؤها آت لا محالة.

وهناك نصوص قرآنية كثيرة تشير إلى أخطر الأحداث التي ستطرأ على الشمس وعلى الكون بأسره ، إنها النهاية التي سيمتد سلطانها على المكونات جميعا ، حيث ينفرط عقد الشمس المنتظم وتكور الشمس ، وينطفئ لهيبها ، وتخمد وتقع واقعتها ...

إنها نهاية رهيبة عبّر عنها القرآن بالفناء ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾ (٤) ، ولسيد قطب رحمه الله وصف وتعليق رائع على الآية فيقول : (في ظل هذا النص القرآني تخفت الأنفاس ، وتخشع

---

(١) سورة التكوير ، الآية : ١.

(٢) سورة القيامة ، الآية : ٩.

(٣) سورة الرحمن ، الآية : ٣٧.

(٤) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦.

الأصوات وتسكن الجوارح ، وظل الفناء يشمل كل حي ، ويطوي كل حركة ، ويغمر آفاق السموات والأرض ، وجلال الوجه الكريم الباقي يظلل النفوس والجوارح ، والزمان والمكان ، ولا يملك التعبير البشري أن يصور الموقف ، ولا يملك أن يزيد شيئا على النص القرآني الذي يسكب في الجوانح السكون الخاشع ، والجلال الغامر ، والصمت الرهيب ... الصمت الذي يرسم مشهد الفناء الخاوي) [١].

وفي تفسير القرطبي : (قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس : تكويرها ، إدخالها في العرش ، وقال الحسن : ذهاب ضوئها ، وقال سعيد بن جبير : عوّرت ، وأبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة ، تلف فتمحي ، قلت : وأصل التكوير : الجمع ، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أي لاثها وجمعها ، فهي تكوّر ويمحى ضوؤها ، ثم يرمى بها في البحر ، والله أعلم) [٢].

ويقول الطبري : (اختلف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك إذا الشمس ذهب ضوؤها ، فعن أبيّ بن كعب ، قال : ستّ آيات قبل يوم القيامة : بينا الناس في أسواقهم ، إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك ، إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك ، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، فتحرّكت واضطربت واحترقت ، وفزعت الجنّ إلى الإنس ، والإنس إلى الجنّ ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش ، وماجوا بعضهم في بعض ، و ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ، اختلطت و ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ، قال : أهملها أهلها : و ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ، قال : قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر قال : فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هي نار تأجّج قال : فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة ، إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم ، وعن مجاهد : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال : اضمحلت وذهبت ، وعن قتادة ، في قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال : ذهب ضوؤها فلا ضوء لها) [٣].

وكذلك قال ابن كثير : (معنى قوله تعالى : ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمي بها وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها) [٤].

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦ / ٣٤٥٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٩ / ٢٢٧.

(٣) جامع البيان ، للطبري ، ٣٠ / ٦٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٨ / ٣٢٨.

ويعلق الإمام الرازي على النهاية تعليقا جميلا فيقول ﷺ : (ما معنى قوله تعالى : ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾؟ نقول : المشهور أنها في الحال تكون حمراء ، يقال : فرس ورد إذا أثبت للفرس الحمرة ، وحجرة وردة أي حمراء اللون ، وقد ذكرنا أن لهيب النار يرتفع في السماء فتذوب فتكون كالصفر الذائب حمراء ، ويحتمل وجها آخر وهو أن يقال : وردة للمرة من الورود ، كالركعة والسجدة والجلسة والقعدة ، من الركوع والسجود والجلوس والقعود ، وحينئذ الضمير في ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ واحدة ، أي الحركة التي بها الانشقاق كانت وردة واحدة ، وتزلزل الكل وخرب دفعة والحركة معلومة بالانشقاق لأن المنشق يتحرك ، ويتزلزل ، وقوله تعالى : ﴿كَالدِّهَانِ﴾ فيه وجهان أحدهما : جمع دهن ، وثانيهما : أن الدهان هو الأديم الأحمر ، فإن قيل : الأديم الأحمر مناسب للوردة فيكون معناه كانت السماء كالأديم الأحمر ، ولكن ما المناسبة بين الوردة وبين الدهان؟ نقول : الجواب عنه من وجوه الأول : المراد من الدهان ما هو المراد من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [١] ، وهو عكر الزيت وبينهما مناسبة ، فإن الورد يطلق على الأسد فيقال : أسد ورد ، فليس الورد هو الأحمر القاني ، والثاني : أن التشبيه بالدهن ليس في اللون بل في الذوبان ، والثالث : هو أن الدهن المذاب ينصب انصبابة واحدة ويذوب دفعة ، والحديد والرصاص لا يذوب غاية الذوبان ، فتكون حركة الدهن بعد الذوبان أسرع من حركة غيره ، فكأنه قال : حركتها تكون وردة واحدة كالدهان المصبوبة صبا ، لا كالرصاص الذي يذوب منه ألطفه وينتفع به ويبقي الباقي ، وكذلك الحديد والنحاس ، وجمع الدهان لعظمة السماء وكثرة ما يحصل من ذوبانها لاختلاف أجزائها فإن الكواكب تخالف غيرها) [٢].

إذن ، لا حاجة لمزيد من الآيات التي تصف نهاية الشمس والكون ، ولا لأقوال العلماء والمفسرين التي ملأت آلاف المجلدات وهي تتحدث على مشاهد الخراب والدمار الذي سيلف الكون بأسره ، فإن هذه القضية من مسلّمات الإيمان لدى الإنسان المؤمن ، ويتسنّى لنا الآن أن نصغي إلى نتائج أبحاث العلماء حول نهاية الشمس وموتها.

---

(١) سورة المعارج ، الآية : ٨.

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٩ / ٣٦٨.

**الحقائق العلمية :**

أفاض العلماء في الحديث عن نهاية الشمس ، وعن الصورة الرهيبة التي ستنتقل إليها وتتلوّن بها عند أنفاسها الأخيرة ، واعتبروا الشمس : (مثل أي إنسان لها مولد وبداية ، ثم شباب ، ثم شيخوخة ، ثم موت ... إن الشمس تتقلّص بتأثير الجاذبية ، وهكذا تنقلب الطاقة إلى أشعة ، وبناء على ذلك ستصل الطاقة الشمسية إلى نهاية محتومة ، وحسب هذه الحقيقة ستتقلص الشمس ، وبالتالي يتركز حقل الجاذبية في حجم أصغر ، وبالتالي يزداد التركيز أكثر ، ويتسارع التقلص فيزداد إنتاج الطاقة ، ويتناقص رصيد الشمس منها بالتدريج ، حتى تخمد وتتوقف عن التقلص حتى تموت ، بعد أن ينفد مصدر طاقتها ، ولا تجد إشعاعا ترسله إلى ما حولها ... لقد قضت الشمس ٢٥ مليون سنة حتى بلغت حجمها الحالي ، ولا ندري كم ستحتاج من الوقت حتى تبلغ مرحلة العدم ، صحيح أن الطاقة النووية تعطي القدرة للشمس ، وبما أنها معين هائل فإنها تؤخر حدوث الكارثة ، ولكن تبقى الحقيقة المؤلمة وهي أن الشمس ستصل إلى نقطة ختام ، حتى ولو بعد ملايين السنين) [١].

(إن ضوء الشمس في ازدياد بشكل بطيء ، وسيستمر الازدياد دون توقف في المستقبل ، إلى أن ينتهي (الهيدروجين) الموجود في مركزها ، وعند ما تأخذ عملية نشوئها وقعا سريعا ، وسيحدث ذلك بعد خمسة مليارات من السنين ، وهذا يفسّر على أنه بمرور الزمن فإن الشمس تزداد حجما وسرعة إضاءة ثم تنتفخ عند جوانبها ، وتأخذ في البرودة إلى أن تصبح عملاقة حمراء ، وعندها سيكون في مقدور طبقتها الجوية الرقيقة الهائلة ، أن تبتلع كوكب عطارد ثم الزهرة ، ومن الممكن الأرض ، ولكن عند نمو احمرارها ، فإن بروزها يقارب وصوله إلى الأرض ، وعندها سوف لن يكون في إمكان الشمس التهام أكثر من شعبة صخرية ملتهبة ، وبعد ذلك يأتي زمن اختفاء الشمس من المشهد المعلوم ، حيث تنكمش وتصير غير مستقرّة ، وفي النهاية لا يبقى منها إلا أطلالها ، حيث تنكمش مادتها حول مركزها ، وتتحوّل بعد كل ذلك إلى قطعة قزمة بيضاء ، وتكون نجمة الشمس عندها قد ماتت) [٢].

---

(١) الزلزال الكوني الأعظم ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، جدة ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ ، ص : ٣٢.

(٢) الأجرام السماوية ، غيدو روجيري ، ترجمة ، عبد اللطيف أبو عرقوب ، طرابلس ، الدار الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ ، ص : ٢٣٩.

ويعتقد العلماء (أنه مع مرور الزمن ستحرق الشمس وقودها بسرعة أكبر ، بسبب الانكماش المستمر للنجوم من فئتها وتعاظم حرارتها الداخلية ، وبالتالي تسريع التفاعلات النووية ، لذلك لا يقدّر لها العيش أكثر من خمسة مليارات سنة أخرى ، فعند ما تتعاظم الإشعاعات تسخن الشمس لدرجة تبدأ معها مياه البحار بالغليان ، ويقدر أن الشمس في طورها الأخير ستمر بحالة العملاق الأحمر ، ولكن عندها قد تكون الحياة قد زالت عن الأرض منذ زمن طويل ، عند ما ينفذ الوقود نهائيا تعود الشمس وتنكمش على نفسها بشكل نجم صغير جدا «قزم أبيض» ، بعد ذلك تموت نهائيا بانطفاء كامل) [١].

وأجواء الموت التي ستخيم على (المجموعة الشمسية حتى فيما بعد كوكبنا الأرضي ، وموت الشمس ذاتها ، هي بلا شك أحداث بالغة الدرامية بالمقاييس الإنسانية ، أما على الصعيد الكوني فلا ترتدي تلك الأحداث أية أهمية خاصة ، ليس فقط لأن الشمس نجم من آلاف ملايين النجوم في المجرة ، ووجوده أو موته لن ينقص أو يزيد في محتويات تلك الحجرة في المجرة ، بل لأن موت الشمس ذاتها على الرغم من كل شيء ، هو موت هادئ ، وهو أشبه بالشمعة المحترقة إلى جانب التفجيرات النووية ، وذلك بالمقارنة مع موت النجوم الأخرى ... وإذا تابعنا حياة نجم من هذا الصنف نجد أنه يحرق وقوده النووي المركزي ، ويستنفذه بسرعة خلال عدة ملايين من السنين فقط ، ويتحول من ثم إلى عملاق أحمر ، وبدلا من أن يتبع بعد ذلك مسلكا متدرجا في تحوله إلى قزم أبيض لا يعاني خلاله من أي اضطراب إلا فيما ندر ، نجده يحرر طاقة ثقالية هائلة عبر انهياره الهادف لبدء دورات جديدة من الاحتراق النووي ، الذي ينتهي بتكوين الفحم في باطنه ... وعند ما يسود الفحم في نواة النجم تتقلص الطبقات الداخلية للنجم بعد ذلك ، بينما تتمدد طبقاته الخارجية متحولة إلى غلاف جوي رقيق ودافعة بتيارات من المادة عبر الفضاء ، يصبح النجم مرة أخرى عملاقا أحمر ، ولكنه يبقى حتى تلك المرحلة قادرا على تجديد نفسه والدخول في دورات جديدة من تفاعلات الاندماج النووي لتصنيع عناصر متدرجة في الثقل ، عبر أطوار

---

(١) المنظومة الشمسية ، سمير عازار ، بيروت ، دار النهار ، ١٩٩١ ، ص : ٣٤ ، وانظر : هل نحن وحدنا في هذا الكون ، محمد عبده يماني ، المنامة ، بيت القرآن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ ، ص : ٦١.

متتابعة من النبض والانهيار ، حتى تتحول النواة برمتها إلى الحديد ، وإذ ذاك تتوقف كل نشاطات النجم ، ولا يبقى من خيار أمام النواة بعد ذلك إلا التبرد والانهيار) [١].

**الإعجاز :**

رأينا أسبقية القرآن الكريم في تدوين وتقرير موت الشمس ، لكن من المدهش حقا أن يأتي العلماء الفلكيون ، وخاصة الغربيون منهم الذين لا يؤمنون بهذا القرآن العظيم ، يقرروا نفس النتيجة لا من حيث موت الشمس فحسب ، بل في الكيفية التي ستئول إليها الشمس عند الموت.

لقد قال الفلكيون كما سبق : إن الشمس في نهايتها ستتحول إلى عملاق أحمر ، ولم يكتفوا بهذا بل زادوا على ذلك بأن قالوا : ستعود الشمس وتنكمش على نفسها بشكل نجم صغير جدا ، وبعد ذلك تموت نهائيا بانطفاء كامل ...

وهذا هو المعنى الدقيق للتكوير ، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لأن تكوير الشمس يعني انكماشها على نفسها وانطفاء لهيبها ، فلا إله إلا الله ما أعظم هذا القرآن وما أدق بيانه ، حقائق علمية يتوصل إليها العلماء بعد أبحاث مضنية وسهر ليالي ، نجد القرآن المعجز عبّر عنها بكلمة واحدة.

---

(١) النجم الغريب مولد الشمس وموتها ، جون غريبين ، ترجمة : فائز فوق العادة ، دمشق ، دار الشيخ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، ص : ٩٠.

# الفصل السادس

## الإعجاز القرآني في الأرض

**تمهيد.**

**المبحث الأول : كروية الأرض.**

**المبحث الثاني : دوران الأرض.**

**المبحث الثالث : جاذبية الأرض.**

**المبحث الرابع : الغلاف الجوي ومنافذه للأرض.**

تمهيد ..... ٢٤٤

## تمهيد

الأرض هي الكوكب الثالث من مجموعتنا الشمسية ، وفوق رحبها أوجدنا الله سبحانه وتعالى إلى حين معلوم ، ومنها خلقنا سبحانه وفيها يعيدنا ومنها يخرجنا يوم القيامة تارة أخرى ، إلى دار الحساب وموطن الثواب والعقاب ، ولقد بثّ الحق سبحانه في الأرض دلائل وآيات تنبّه الإنسان إن هو ضلّ عن طريق الحق ، وتنكّب مسلك الإيمان ، على وحدانية الله وإفراده في الخلق والأمر ، وفي هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (١).

وعطاء هذه الآيات مستمر لا ينقطع ، وهذا العطاء يرفد العقل البشري في كل زمان حسب طاقته في استيعاب الحقائق التي تكشفت للإنسان ، فأصبح بمقدوره أن يهضمها ويتفاعل معها ، وبالتالي ينتقل إدراكه لهذه الحقائق من عالم الذهن النظري التجريدي ، إلى إشراقات اليقين الذي استقر في قلبه وشاهده في الواقع.

وهذه الآيات التي ذكرتها الآية الكريمة آنفا والتي تغذي عقل المؤمن وقلبه باليقين ، سيتحدث إن شاء الله عن طرف منها ، قد أماط اللثام عنه العلم الحديث ، وأشار إليه كتاب الله المعجز ، وسيتمحور هذا البحث للحديث عن كروية الأرض ، تلك المسألة التي دار حولها نقاش طويل عبر الأزمنة والأحقاب ، حتى توصل العلماء إلى اليقين الجازم بكرويتها ، إلا أن القرآن الكريم حسم القضية منذ نزوله على قلب الحبيب ﷺ وأشار إلى كرويتها ، كما سيتطرق للحديث عن دوران الكرة الأرضية وكيف أن الحق أشار في القرآن الكريم أن الأرض تدور ، ثم توصلت دراسات العلماء لهذه الحقيقة ، وكذلك سيركّز على قضية الجاذبية الأرضية ، هذا القانون الرباني الذي يلف العالم بأسره من كبيره إلى صغيره ، نجد أن الحق تبارك وتعالى أثبته في صفحات قرآنه المجيد ثم جاء العلماء فكشفوا عنه وقرروه ، ثم يعرج للحديث عن الغلاف الجوي للكرة الأرضية وإشارات القرآن لمسألة المنافذ في الغلاف الجوي ، هذه المسألة التي أصبح لها أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر.

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٢٠.

## المبحث الأول

### كروية الأرض

يقول الله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (١).

ويقول جل جلاله : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

ويقول سبحانه : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ (٣).

إن من نافلة القول أن يشار هاهنا ، إلى أن القرآن الكريم بلغ من الإعجاز في شتى وجوهه درجة لا يمكن أن يصل إليها طوق أحد من الخلق أبدا ، وتتجلى هذه الحقيقة في شتّى أصعدة الحياة وكذلك هنا ، فلو أن القرآن الكريم إبان نزوله صرح تصريحا قاطعا بكروية الأرض فقال : (والأرض كوّرناها) لأحدث ذلك نزاعا وشقاقا شديدين في المجتمع المسلم الوليد آنذاك ، لأن مدارك الناس وقدراتهم العقلية لا يمكن أن تستوعب مسألة كهذه ، لأنهم ينظرون فيرون الأرض أمامهم ممدودة مبسوطة ساكنة لا تتحرك ، فكيف لهم أن يذعنوا لهذا الخبر ويعتقدوا بكروية الأرض ، بل لربما أدى ذلك لارتداد بعضهم عن الهدى والإيمان ، فلذلك كان من الحكمة الربانية ، والإعجاز البياني المتألق أن يشير الحق إلى كروية الأرض إشارة ، ويضمّن النصوص القرآنية قضية تكوير الأرض من ناحية المعنى وليس صراحة وقطعا ، فإذا ما تقدم العلم واتضحت غوامض الكون ، وتبين للناس كروية الأرض من خلال الأقمار الصناعية وغيرها ، عندها نجد في

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥.

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣.

(٣) سورة النازعات ، الآية : ٣٠.

معاني النصوص القرآنية ما يدل على هذه الحقيقة العلمية ، فنحن تحققنا من كروية الأرض بسبب التقنية العلمية المستجدة ، وهم فهموا المعنى العام للآيات القرآنية ، وبوقوفنا على فهم المفسرين للنصوص الكريمة ، يظهر لنا أنهم أدركوا كروية الأرض من حيث المعنى.

ففي «أنوار التنزيل» : (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، يغشى كل واحد منهما الآخر ، كأنه يلفه عليه لف اللباس باللابس ، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة ، أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة) [١].

وعند القرطبي : (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، أي يلقى هذا على هذا ، وهذا على هذا ، وهذا على معنى التكوير في اللغة ، وهو طرح الشيء بعضه على بعض ، يقال : كور المتاع أي بعضه على بعض ، ومنه كور العمامة ، وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الآية قال : ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [٢] وقيل : تكوير الليل على النهار ، تغشيته إياه حتى يذهب ضوؤه ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته) [٣].

وفي تفسير «الجواهر الحسان» : (أي يعيد من هذا على هذا ، ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض ، فكان الذي يطول من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره ، وكأن الآخر الذي يقصر يلج في الذي يطول فيستتر فيه) [٤].

وفي «أضواء البيان» : (والتّكوير هو التدوير ومنه قيل : كار العمامة وكورها ، ولهذا يقال للأفلاك كروية الشكل ، لأن أصل الكرة ، كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، وقال : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ﴾ [٥] وهذا إنما يكون فيما يستدير من أشكال الأجسام دون

---

(١) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٥ / ٥٨ ، وانظر : معاني القرآن ، للنحاس ، ٦ / ١٥١.

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٥ / ٢٣٤.

(٤) الجواهر الحسان ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، د. ت ، ٤ / ٤٨.

(٥) سورة الملك ، الآية : ٣.

المضلعات من المثلث أو المربع أو غيرهما ، فإنه يتفاوت لأن زواياه مخالفة لقوائمه ، والجسم المستدير متشابه الجوانب والنواحي ، ليس بعضه مخالفا لبعض ... ولا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة ، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين ، أحدهما في الشمال ، والآخر في ناحية الجنوب ، ويدل على ذلك أن الكواكب جميعها تدور من المشرق تقع قليلا على ترتيب واحد في حركتها ومقادير أجزائها ، إلى أن تتوسط السماء ، ثم تنحدر على ذلك الترتيب ، فكأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورا واحدا ، وهذا محل القصد بالذات ، وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة ، وفكرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء ، كالنقطة في الدائرة ، يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء ، على قدر واحد ، فيدل ذلك على بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد ، فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء) [١].

وأما قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً﴾ ، فيقول ابن كثير : (أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض) [٢].

ونفس المعنى في تفسير «الوجيز» : (وهو الذي مد الأرض ، بسطها ووسعها ، وجعل فيها رواسي أوتدها بالجبال ...) [٣].

وصاحب تفسير «روح المعاني» يدلل على كروية الأرض ، ويزيل الإشكال الذي قد يخطر بالبال حول كونها كروية وكونها ممدودة فيقول : (وأنت تعلم أن أرباب التعليم يكتفون بالكرية الحسية في السطح الظاهر ، فلا يتجه عليهم السؤال عن المغمور ، ولا يليق بهم الجواب بالرجوع إلى البساطة والحق الذي لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل أن ما ظهر منها كرى حسا ، ولذلك كرية الفلك تختلف أوقات الصلاة في البلاد ، فقد

---

(١) أضواء البيان ، للشنقيطي ، ٩ / ٥٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٢ / ٥٠١ ، وانظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد ابن عمر نووي الجاوي ، تحقيق ، محمد أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ ، ١ / ٥٧٨.

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للواحدي ، ١ / ٥٦٥ ، وانظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، بيروت ، دار النفائس ، د. ت ، ٢ / ٢٠٩.

يكون الزوال ببلد ولا يكون ببلد آخر ، وهكذا الطلوع والغروب وغير ذلك ، وكرية ما عدا ما ذكر لا يعلمها إلا الله تعالى ، نعم إنها لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة وقطر منها كأنه مسطح ، وهكذا كل دائرة عظيمة ، وبذلك يعلم أنه لا تنافي بين المد وكونها كروية) [١].

وفي تفسير «إرشاد العقل السليم» : (أي في تعاقبهما في وجه الأرض ، وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الأرض ، أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده ، باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قربا وبعدا بحسب الأزمنة أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة ، أما في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب الشماليّ أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها ، وأما في أنفسها فإن كروية الأرض تقتضي أن يكون بعض الأماكن ليلا وفي مقابله نهارا ، وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا أو عصرا أو غير ذلك) [٢].

ونجد الأمر ذاته في تفسير «التحرير والتنوير» مع زيادة تأكيد يقول : (والليل اسم لعرض الظلمة والسواد الذي يعمّ مقدار نصف من كرة الأرض الذي يكون غير مقابل للشمس ، فإذا حجب قرص الشمس عن مقدار نصف الكرة الأرضية بسبب التقابل الكروي ، تقلّص شعاع الشمس عن ذلك المقدار من الكرة الأرضية ، فأخذ النور في الضعف وعادت إليه الظلمة الأصلية التي ما أزالها إلّا شعاع الشمس ، ويكون تقلص النور مدرجا من وقت مغيب قرص الشمس عن مقابلة الأفق ابتداء من وقت الغروب ، ثم وقت الشفق الأحمر ثم الشفق الأبيض إلى أن يحلك السواد في وقت العشاء حين بعد قرص الشمس عن الأفق الذي ابتدأ منه المغيب ، وكلّما اقترب قرص الشمس من الأفق الآخر أكسبه ضياء من شعاعها ابتداء من وقت الفجر إلى الإسفار إلى الشروق إلى الضحى ، حيث يتم نور أشعة الشمس المتجهة إلى نصف الكرة تدريجا ، وذلك الضياء هو المسمى بالنهار وهو النور التام المنتظم على سطح الكرة الأرضية ، وإن كان قد يستنير سطح الكرة بالقمر في معظم لياليه استنارة غير تامة وبضوء بعض النجوم استنارة

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ١٣ / ٩٠.

(٢) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ٢ / ١٢٧.

ضعيفة لا تكاد تعتبر ، فهذا هو المراد باختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما وخلف أحدهما الآخر) [١].

وأما قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحاها﴾ فقد بسطنا الحديث عن هذه الآية في مراحل خلق الكون سابقا ، ولكن نأخذ تفسيرا واحدا لها : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحاها﴾ (أي بسطها ، والعرب تقول : دحوت الشيء أدحوه دحوا ، إذا بسطته ، ويقال لعش النعامة أدحيّ ، لأنه مبسوط على وجه الأرض) [٢].

ويمكن لنا أن نأخذ بعض المفردات الواردة في هذه الآيات القرآنية ، لنرى أبعادها اللغوية والتي تساعدنا على الإلمام بالمعنى المراد ، ونأخذ معنى : كور ، ومدّ ، ودحى.

ففي «مختار الصحاح» : (كار العمامة على رأسه أي لاثها ، وكل دور كور ، والكور بالضم الرحل بأداته والجمع أكوار وكيران ... وتكوير المتاع ، جمعه وشده ، وتكوير العمامة ، كورها وتكوير الليل على النهار تغشيته إياه ، وقيل : زيادته في هذا من ذاك) [٣].

وفي «لسان العرب» : (الكور ، لوث العمامة ، يعني إدارتها على الرأس ، وقد كورتها تكويرا ، وكل دارة من العمامة كور وكل دور كور ، وتكوير العمامة ، كورها وكار العمامة على الرأس يكورها كورا ، لاثها عليه وأدارها) [٤].

وفي «المغرب في ترتيب المعرب» : (وكار العمامة وكورها ، أدارها على رأسه ، وهذه العمامة عشرة أكوار وعشرون كورا) [٥].

وأما المد ، فمعناه البسط : (مد الأرض يمدها مدا ، بسطها وسواها ، وفي التنزيل العزيز : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [٦].

---

(١) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، بيروت ، مؤسسة التاريخ ، الطبعة الأولى ، ١٢٤٠ هـ / ٢٠٠٠ ، ٢ / ٧٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٩ / ٢٠٣.

(٣) مختار الصحاح ، أبو بكر الرازي ، ١ / ٢٤٢.

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، ٥ / ١٥٦.

(٥) المغرب في ترتيب المعرب ، ناصر الدين بن علي المطرز ، تحقيق ، محمد فاخوري وعبد المجيد مختار ، حلب ، مكتبة أسامة بن زيد ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ، ٢ / ٢٣٥.

(٦) لسان العرب ، لابن منظور ، ٣ / ٣٩٧.

وأما الدحو ، فيعني كذلك البسط : (دحا الأرض يدحوها ، بسطها ... والأدحوّة : مبيض النعام في الرمل ، ومدحى النعام ، موضع بيضها) [١].

وأما الطحو : (فالطحو كالدحو ، وهو بسط الشيء والذهاب به ، قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ وَما طَحاها﴾ [٢]) [٣].

وفي «لسان العرب» : (طحاه طحوا وطحوا ، بسطه ، وطحى الشيء يطحيه طحيا ، بسطه أيضا والطحو كالدحو وهو البسط ، والطاحي المنبسط) [٤].

وفي «معجم البلدان» : (طحا بالفتح والكسر ، الطحو والدحو بمعنى وهو البسط وفيه لغتان طحا يطحو ويطحى ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ وَما طَحاها﴾ [٥].

هذا عرض موجز للنصوص القرآنية ، ولآراء المفسرين ، وما ورد في المعاجم حول الكلمات القرآنية التي تشير إلى كروية الأرض ، ولنا أن نتساءل الآن لما ذا استخدم الحق سبحانه وتعالى كلمة يكوّر ، ولم يقل يبسط الليل والنهار ما دامت الأرض منبسطة ظاهريا ، أو يغير الليل والنهار ، أو أي لفظ آخر؟ والجواب هو (إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة فتقول : أنك كورت هذا الشيء وحيث إن الغلاف الجوي للأرض يحيط بالأرض ، وحيث إن ضوء النهار ينشأ بالتشتت على ذرات وجسيمات هذا الغلاف ، فإن النهار والليل متكوران على الأرض ، وبهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى كروية الأرض بدليل كروية غلافها الجوي بنهاره وليله ، وكذلك تشير إلى عملية التبادل بين النهار والليل نتيجة دوران الأرض حول نفسها ، وأن النهار والليل موجدان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية ، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارا والنصف الآخر يكون ليلا ، ولن يسبق أحدهما الآخر ، فعند ما تدور الأرض حول نفسها يصبح النهار ليلا ويصبح الليل نهارا) [٦] ، وهكذا يتعاقبان كما في قوله تعالى : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [٧].

---

(١) المصدر نفسه ، ١٤ / ٢٥١.

(٢) سورة الشمس ، الآية : ٦.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ٥١٧.

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، ١٥ / ٤.

(٥) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ٤ / ٢٢.

(٦) الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، منصور حسب النبي ، ص ١٥٠.

(٧) سورة يس ، الآية : ٤٠.

ويمكن لنا أن نستخلص من معطيات الآيات القرآنية ما يلي :

١ ـ الآيات القرآنية تضمنت معنى كروية الأرض ، ولكن عن طريق الإشارة والمعنى دون التصريح.

٢ ـ الكلمات التي يدور بحثنا حولها وهي «كوّر ، ودحى ، وطحى ، ومدّ» تدل على كروية الأرض من خلال المد والانبساط ، لأن الإنسان أينما كان يرى الأرض أمامه مبسوطة وممدودة ، في أي قارة من القارات ، وفي أي دولة من الدول نرى الأرض ممدودة ، ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا كان شكل الأرض كرويا ، إذ لو كانت الأرض على شكل مضلع أو مثلث أو مسدس أو غيرها من الأشكال لوصل الإنسان يقينا إلى حدود وحافة للأرض ، وبما أننا لا نصل إلى حافة للأرض ، فالوضع الأكيد للأرض الذي نراه مبسوطا أمامنا هو الشكل الكروي ، وفي هذا دليل قاطع على كروية الأرض من خلال الكلمات القرآنية.

إذن من هنا يفسّر الإشكال عند البعض حول هذه الحقيقة العلمية القرآنية الرائعة ، التي سبقت العلم في إثبات كروية الأرض ، هذا الإشكال الذي لربما يطوف في ساحة الإدراك الذهني لدى واحد منا فيتساءل قائلا : إذا كان القرآن الكريم قد أثبت كروية الأرض بصريح قوله تعالى : (ويكوّر) ثم جاء العلم فكشف عن هذه الحقيقة وأثبتها ، إذن ، ما معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها﴾ (٢)؟ ألا يدل قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها﴾ على انبساط الأرض وهو في نفس الوقت يدل على كروية الأرض؟.

وعند ما يقرأ الإنسان المؤمن الآية الكريمة : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٣) ، يدهش عند كلمة عميق!.

(إن كلمة عميق هذه تشهد بعظمة القرآن الكريم وهي من الإعجاز العلمي فيه فلو كانت الأرض مستوية مسطحة لقال القرآن : «يأتين من كل فج بعيد» تفيد المسافة بين شيئين على مستوى واحد ... ولكن الأرض كروية فالقادمون إلى مكة المكرمة يأتون

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ١٩.

(٣) سورة الحج ، الآية : ٢٧.

من بقاع عميقة بالنسبة لها ، وذلك بحسب انحناء الأرض الكروي لذا جاءت ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [١].

**الحقائق العلمية :**

سبق وأن أشرنا أن كروية الأرض أصبحت من الحقائق العلمية القطعية ، والتي لا يمكن أن يستريب بها أحد من الناس أبدا ، ذلك لأنها قد صورت عبر الأقمار الصناعية وشاهدها الناس ورأوها رأي عين ، ولكن لا حرج إن أوردنا بعضا من أبحاث العلماء التي تحتوي على طائفة من الأدلة العلمية التي تثبت كروية الأرض.

ففي «موسوعة الكون والفضاء والأرض» : (اعتقد الأقدمون بأن الأرض مسطحة ، رغم أن كثيرا من الشعوب القديمة عرفت كرويتها ، وحاولت إثباتها بأدلة علمية مثل شعوب بلاد ما بين النهرين ، ثم اليونان وبعدهم العرب ، لكن كروية الأرض لم تثبت بالشكل العلمي القاطع إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادي ... فقد أصبحت كرويتها أكيدة ولا مجال للشك فيها ، إذ يكفي أن رواد الفضاء رأوها بأم أعينهم وزودونا بالصور والمعلومات الثابتة عن هذه الناحية ، إذا شكل الأرض كروي مفلطح عند القطبين مع انتفاخ عند خط الاستواء ، وذلك نتيجة لقياس قطري ومحيطي الأرض) [٢].

(وفي يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٨ ، أظهرت شاشات الإذاعات المرئية صورا تركت أثارا عميقة في نفوس المشاهدين ، حيث كانت سفينة الفضاء (أبولو ٨) في طريقها نحو القمر ، وآلات تصويرها موجهة نحو الأرض ، لقد ظهر كوكبنا الأرضي على جميع شاشات الأجهزة العاملة ، كما يبدو من بعيد تبعا لكبر حجمه ، وكما شاهده الناس بمظهره الجديد ، دائرة مضيئة مرتسمة في نهاية الظلمة كان يبدو كالنجم ، وقد وصلت فيما بعد الصور التي التقطت بواسطة الأجهزة والآلات ، والتي عملت على إبراز الحقيقة المظهرية ذات الوضوح العظيم ، وبذلك أمكن تحويل الدائرة الأرضية ، وظروف هيكلها السماوي إلى حقيقة نابضة ، بعد ما عاشت تغلفها التأكيدات العائدة لآلاف السنين) [٣].

---

(١) الإنسان بين العلم والدين ، شوقي أبو خليل ، بيروت / دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ ، ص ١١٤.

(٢) موسوعة الكون والفضاء والأرض ، موريس شربل ورشيد فرحات ، ص ١٠٦.

(٣) الأجرام السماوية ، غيدو روجيري ، ترجمة عبد اللطيف أبو عرقوب ، ص ٧ ـ ٨.

(ثم أخذت الأدلة والبراهين ، التي تثبت كروية الأرض تتعدد ومنها :

أولا : إننا عند ما نكون في مرفإ ، فإننا أول ما نشاهده من السفن القادمة من عباب البحر نحو ذلك المرفأ أعلاها ، ومع تزايد اقترابها منا نرى القسم الأوسط منها ، ثم نراها بكاملها ، وعند إقلاع البواخر من ذلك المرفأ فإن أول ما يغيب عن عيوننا بعد ابتعادها الأقسام السفلى منها ، ثم وسطها وعند ابتعادها كثيرا يختفي أعلاها.

ثانيا : رؤية ظل الأرض على شكل دائرة ، على صفحة البدر صيف الكسوف [١].

ثالثا : اختفاء بعض كوكبات السماء كلما اتجهنا جنوبا أو شمالا على سطح الأرض ، وظهور كوكبات جديدة لم نكن نراها بسبب تحدب سطح الأرض.

رابعا : استدارة الأفق من حولنا عند ما نكون في عرض البحر ، أو في صحراء أو في بادية مترامية الأطراف.

خامسا : اختلاف التوقيت الزمني بين بلدان العالم الذي يكشفه لنا المذياع أو الاتصال الهاتفي وكيف أنه عند ما يكون الوقت لدينا نهارا ، يكون في نفس اللحظة في دولة أخرى ليلا ، ولو كانت الأرض منبسطة لغمرت كلها بالنور دفعة واحدة عند شروق الشمس فعمّها النور ، ولغمرت كلها بالظلمة دفعة واحدة بعد غياب الشمس فعمّها الليل.

سادسا : وأنه إذا قدر لنا أن نرتفع في الجو حتى علو ٣٠ ألف كلم ، لاستطعنا أن نرى الأرض عندها دفعة واحدة ، بشكلها الكروي ، علما بأن بلوغ هذا الارتفاع لا تحققه لنا إلا المركبات الفضائية التي يمتطيها رواد الفضاء اليوم) [٢].

**الإعجاز :**

ولا أرى حاجة في إيراد المزيد من الأدلة العلمية على كروية الأرضية ، لأن العلماء والذين قد اخترقوا أجواء السماء بسفنهم الفضائية ، قد صوروا الأرض واتضحت كرويتها لكل ذي لب.

تلك هي الحقيقة التي أثبتها العلم ، وكشفتها سفن الفضاء وقررها كتاب الله قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ، فهل بعد هذه الحقائق العلمية الساطعة يقال بأن القرآن من تأليف

---

(١) تعني كسوف الشمس الذي يقع في فصل الصيف.

(٢) انظر : الأرض ، إبراهيم حلمي غوري ، بيروت ، دار الشرق العربي ، د. ت ، ص ٥٠ ـ ٥١.

محمد ﷺ ؟! هل كان ﷺ يمتلك أقمارا صناعية أو أجهزة تصوير ضخمة ليرى كروية الأرض ، ثم يعرضها على الناس أو يثبتها في القرآن الكريم؟ ، إنه كلام السماء ووحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

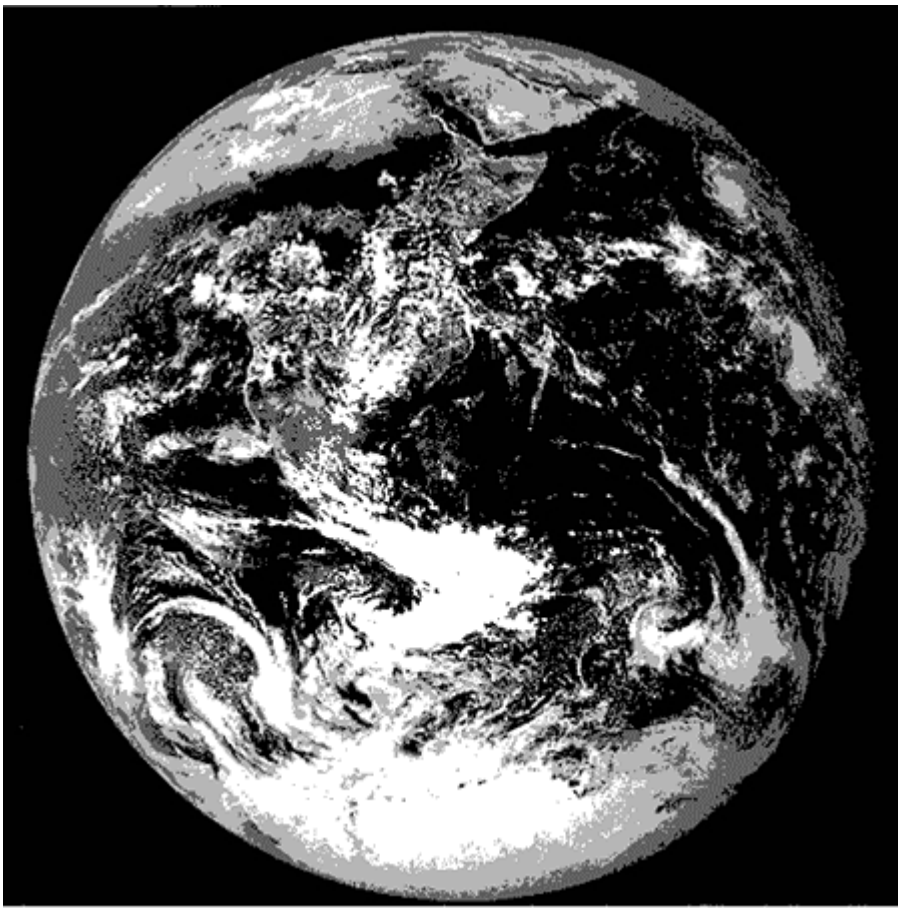

صورة تظهر كروية الأرض كما صوّرتها رحلة أبولو ١٧ ، في عام ١٩٧٢ ،
وتظهر فيها شبه الجزيرة العربية وقارة افريقيا.

## المبحث الثاني

### حركة الأرض ودورانها

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً﴾ (١). وقال سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٢).

وقال جل جلاله : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوارِ الْكُنَّسِ﴾ (١٦) (٣).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (٥).

تشير هذه الآيات القرآنية إلى أن الكون وما رصّع في سماءه من نجوم ، وما بثّ في آفاقه الواسعة والقاصية من مجرات وشموس وكواكب ... كلها تتحرك وتسبح في ملكوت الله ، لا كما ظن القدامى أن الأرض جامدة لا حراك يعتريها فقوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ صريح الدلالة على حركة ودوران النجوم والكواكب في أفلاكها وسبلها المنظمة الدقيقة ، لأن السبح هو المرّ السريع في الماء أو الهواء ، ثم إنه استعير لمر النجوم في الفلك نحو : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ والتنوين في ﴿كُلٍ﴾ كما هو معلوم عند علماء اللغة هو تنوين عوض عن كلمة ، والتقدير : كل جسم أو جرم في فلك السماء

---

(١) سورة الفرقان ، الآيتان ٤٥ ، ٤٦.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٣.

(٣) سورة التكوير ، الآيتان ١٥ ، ١٦.

(٤) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٥.

يسبح ويتحرك حركة دائبة مستمرة ، ونظرة في تفاسير العلماء حول هذه الآيات لنرى الاستنباطات أو الفهم الذي استلهموه منها.

يقول الإمام الرازي : (إذا كان ﴿كُلٍ﴾ بمعنى كل واحد منهم ، والمذكور الشمس والقمر فكيف قال : ﴿يُسَبِّحُونَ﴾؟ نقول الجواب عنه من وجوه أحدها : ما بينا أن قوله : ﴿كُلٍ﴾ للعموم ، فكأنه أخبر عن كل كوكب في السماء سيار ، ثانيها : أن لفظ : ﴿كُلٍ﴾ يجوز أن يوحد نظرا إلى كونه لفظا موحدا غير مثنى ولا مجموع ، ويجوز أن يجمع لكون معناه جمعا ، وأما التثنية فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى ، ثالثها : لما قال : ﴿وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ﴾ والمراد ما في الليل من الكواكب قال : ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ، والمسألة الثالثة : الفلك ما ذا؟ نقول : الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة ، لأن أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها ... ولكل كوكب فلك لاختلاف سيرها بالسرعة والبطء والمر ، فإن بعضها يمر في دائرة وبعضها في دائرة أخرى ، حتى في بعض الأوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الأوقات يكسفه ، فلكل كوكب فلك ، ثم إن أهل الهيئة قالوا : كل فلك هو جسم كرة ، وذلك غير لازم ، بل اللازم أن نقول : لكل فلك هو كرة أو صفحة أو دائرة يفعلها الكوكب بحركته ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ والظاهر أن حركة الكواكب على هذا الوجه ، وأرباب الهيئة أنكروا ذلك وقالوا : لا تجوز الحركة على هذا الوجه ، لأن الكوكب له جرم فإذا شق السماء وتحرك فإما أن يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم ، كالماء تحركه السمكة أو لا ينشق ولا يلتئم ، بل هناك خلاء يدور الكوكب فيه ، لكن الخلاء محال والسماء لا تقبل الشق والالتئام) [١].

وفي «روح المعاني» : (جعل الله تعالى السموات ساكنة ، وخلق فيها سبحانه نجوما ، وجعل لها في عالم سيرها وسباحتها في هذه السموات حركات مقدرة لا تزيد ولا تنقص ، وجعلها عاقلة سامعة مطيعة ، وأوحى في كل سماء أمرها ، ثم أنه ﷻ لما جعل السباحة للنجوم في هذه السموات حدثت لسيرها طرق لكل كوكب طريق ، وهو قوله تعالى : ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾ [٢] فسميت تلك الطرق أفلاكا ، فالأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب ، وهي سريعة السير في جرم السماء الذي هو مساحتها ، فتخرق الهواء

---

(١) التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، ٢٦ / ٢٨٥.

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٧.

المماس لها فيحدث لسيرها أصوات ونغمات مطربة لكون سيرها على وزن معلوم ، فتلك نغمات الأفلاك الحادثة من قطع الكواكب المسافات السماويّة ، فهي تجري في هذه الطرق بعادة مستمرة ، قد علم بالرصد مقادير ودخول بعضها على بعض في السير ، وجعل سيرها للناظرين بين بطء وسرعة ، وجعل سبحانه لها تقدما وتأخرا في أماكن معلومة من السماء ، تعينها أجرام الكواكب لإضاءتها) [١].

وفي تفسير «التحرير والتنوير» : (وقد جمعت الآية استدلالا وامتنانا ، فهي دليل على عظم قدرة الخالق ، وهي أيضا تذكير بنعمه ، فإن في اختلاف الليل والنهار آيات جمّة لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس ، ومن دقة نظام خلق الشمس ، ولما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس ...) [٢].

ويقول سيد قطب ﷺ : (والخنس الجوار الكنس ، هي الكواكب التي تخنس أي ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختفي ، والتعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الظباء ، وهي تجري وتختبئ في كناسها وترجع من ناحية أخرى ، فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيق الأنيق عن هذه الكواكب ، وهناك إيماء شعوري بالجمال في حركتها ، في اختفائها وفي ظهورها ، في تواريها وفي سفورها ، في جريانها وفي عودتها) [٣].

وأما قوله تعالى : ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ (حال من ضمير الجبال في تحسبها ، أو في جامدة أي تراها رأي العين ساكنة ، والحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التي تسيرها الرّياح سيرا حثيثا ، وذلك أنّ الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها) [٤].

(أي وترى الجبال رأي العين ساكنة ، والحال أنها تمر في الجو مرّ السحاب التي

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٣ / ٣١ ، وانظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٣ / ١٢٠.

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ١٩ / ٦٧.

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦ / ٣٨٤١.

(٤) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ٦ / ٢٩٣ ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٤ / ٢٧٩.

تسيرها الرياح سيرا حثيثا ، وذلك أن الأجرام المجتمعة المتكاثرة العدد على وجه الالتصاق ، إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تبين حركتها) [١].

ويعلّق الإمام الرازي على آية الظل في سورة الفرقان فيقول : (وهو أنه سبحانه وتعالى لما خلق الأرض والسماء وخلق الكواكب والشمس والقمر وقع الظل على الأرض ، ثم إنه سبحانه خلق الشمس دليلا عليه ، وذلك لأن بحسب حركات الأضواء تتحرّك الأظلال فإنهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما ، فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر ، وكما أن المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه ، فكذا الأظلال كأنها مهتدية وملازمة للأضواء فلهذا جعل الشمس دليلا عليها ، وأما قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً﴾ فأما أن يكون المراد منه انتهاء الأظلال يسيرا يسيرا إلى غاية نقصاناتها ، فسمى إزالة الأظلال قبضا لها ، أو يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض أسبابها وهي الأجرام التي تلقي الأظلال ، فهذا هو التأويل المخلص) [٢].

وفي «بدائع التفسير» : (أخبر تعالى أنه بسط الظل ومدّه ، وأنه جعله متحركا تبعا لحركة الشمس ولو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك ، إما بسكون المظهر له والدليل عليه ، وإما بسبب آخر ، ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضا يسيرا ... وفي الآية وجه آخر وهو أنه سبحانه وتعالى مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ، ودحى الأرض تحتها ، فألقت القبة ظلها عليها ، فلو شاء سبحانه لجعله ساكنا مستقرا في تلك الحال ، ثم خلق الشمس ونصبها دليلا على ذلك الظل) [٣].

هذه الآيات توضح أن جميع الكواكب سيارة متحركة ، ومن ضمن هذه الكواكب كوكبنا الأرض ، وهو بالتالي متحرك سابح في الفضاء مع إخوانه الكواكب في

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٠ / ٤٣ ، وانظر : تفسير القرآن ، لأبي مظفر السمعاني ، تحقيق ، ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم ، الرياض ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ ، ٤ / ١١٧.

(٢) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٢٤ / ٤٧٤ ، وانظر : تفسير القرآن الكريم ، محمد علي الدرة ، دمشق ، دار الحكمة ، ١٩٨٢ ، ١٠ / ٣٦.

(٣) بدائع التفسير ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق ، يسرى السيد أحمد ، الرياض ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ ، ٣ / ٢٩٦.

المجموعة الشمسية التي هي جزء من مجرتنا درب التبانة ، وهذا الذي وقف عليه المفسرون من دوران الأرض وحركتها ، إنما هو نابع عن فهم معاني النصوص القرآنية ودلالاتها اللغوية ، ولنا أن نستخلص من معطيات الآيات ما يلي :

أولا : تشير الآيات القرآنية إلى حركة الأرض ودورانها ، لأن تعاقب الليل والنهار من أبرز الأدلة على دوران الأرض حول نفسها.

ثانيا : وصف الحق الجبال بأنها تمر مر السحاب ، وهذا لا يكون إلا إذا كان شأن الأرض كذلك لأن الجبال تبع للأرض ، فهذا دليل على سرعة الأرض الهائلة في دورانها.

وهذه الآية الكريمة : ﴿**وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ (١) تكاد تكون صريحة في دلالتها على حركة الأرض حول الشمس ، وليس من المستغرب أن يغيب هذا المعنى العلمي على أصحاب العلم والفضل من المفسرين القدامى ، لأنهم ما عاشوا عصر الثورة العلمية والتقنية العجيبة التي نعيشها اليوم ، فراحوا يخضعون دلالات هذه الآية العلمية وعطاءاتها الإعجازية لعوالم القيامة ومشاهد النكبة والهلع التي ستخيم على الكون ، فجعلوا هذه الآية من نصيب يوم القيامة وأهوالها وأحداثها الجسام ، التي ستنسف خلالها الجبال وتتوارى عن عالم المشاهدة بل والحياة.

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن خطاب الله لرسوله ولكل تال لكتاب الله ، يستثير بواعث التفكير والتأمل في كينونتنا ، ويخلق في ساحة العقل ومواطن الإدراك البشري ، دوافع التمحيص لكشف أسرار هذه الآية ، ألا ترى في نهاية الآية كيف أنه يسترعي انتباهنا ويحفّز ملكاتنا العقلية إلى التدقيق والتأمل في صنعه المتقن المحكم في خلقه ، وكأنّ الله سبحانه وتعالى يقول لنا : انظروا إلى الجبال من حولكم وأمعنوا في تصميمها الدقيق فستظنون أنها جاثمة جامدة لا تتحرك ، إلا أن الحقيقة غير ذلك ، فهي تمرّ مرّ السحاب ، وهذا من بديع صنع الله وإتقانه في ربط قوانين الحياة ونواميس الكون بعضها مع بعض ، ليتكامل تنسيق الكون ، ويتألق جماله البديع فالجبال التي يظنها الإنسان ثابتة هي في الواقع متحركة ، لأنها محمولة وراسية على الأرض ، والأرض تتحرك وتدور حول الشمس كذلكم الجبال وكل ما حوته الأرض يتحرك معها بحكم الجاذبية.

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

وأما قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً﴾ ، ففي هاتين الآيتين برهان قوي على دوران الأرض حول نفسها ذلك لأن (الأرض لو كانت غير متحركة لسكن الظل ولم يتغير طولا أو قصرا ، وهذا الدوران رحمة من عند الله ولولاه لظلت الشمس مسلطة على نصف الأرض ، بينما يظل النصف الآخر ليلا دائما مما يؤدي إلى هلاك البشر من شدة الحر أو البرد ، كما تشير الآية إلى دور ضوء الشمس كمؤشر للظل نظرا لاختلاف نفاذية الضوء خلال الأوساط المادية المختلفة ، ولاختلاف الموقع الظاهري للشمس خلال النهار ، بسبب دوران الأرض حول نفسها بمعدل يؤدي إلى نسخ الظل تدريجيا ، بمقدار متناسب مع مرور الزمن وليس دفعة واحدة ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى : ﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾ وبهذا يتّضح كيفية مد الظل وارتباطه بدوران الأرض ، ولو شاء الله لجعل الظل ساكنا بإيقاف دوران الأرض حول نفسها أو بجعلها تدور حول محورها بنفس معدل دورانها حول الشمس ، أي يجعل اليوم يساوي سنة أرضية ، وهذه أمور لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى) [١].

**الحقائق العلمية :**

أفاضت كتب الفلك وكتب وموسوعات الجغرافيا ، الحديث عن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، وأسهبوا عما تنتجه هذه الدورات من تعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة وغير ذلك ، وسنقف عند بعض ما قاله العلماء المختصون في هذا الشأن.

(الفصول الأربعة سخّرت من حركة الأرض أمام الشمس مع ميل المحور لمنفعة الإنسان حتى يتمكن من القيام بمهمة الخلافة في الأرض ، فالأرض تقطع أثناء دورتها حول الشمس مرة كل سنة «٣٦٥ يوما» مسافة ٩٦٠٠ مليون ك. م ، وهذه الحركة هي السبب في حدوث ظاهرة الفصول الأربعة ويلاحظ أن هذا المدار بيضوي الشكل وبذلك يتغير متوسط بعد الأرض عن الشمس البالغ ٦ ، ١٤٦ مليون ك. م بمقدار ٠٠٠ ، ٩٩١ ، ٤ ك. م على مدار السنة ، ومعنى هذا تغير في زاوية سقوط الأشعة الشمسية على مناطق الأرض بعدا مختلفا منها على مدار السنة ، حين سلكوها هذا المدار البيضوي الشكل حول الشمس ، وهذا هو سبب حدوث الفصول الأربعة) [٢].

---

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ، منصور حسب النبي ، ص ١٥٤.

(٢) المنهج الإيماني للدراسات الكونية ، عبد العليم خضر ، ص ٢٩١.

وهناك نوعان من الحركات للأرض (حركة ظاهرية وحركة حقيقية ، الحركة الحقيقية هي مدار الأجرام في أفلاكها في دورات موقوتة منتظمة ، والحركة الظاهرية ما نشاهده من حركات نسبية بين الأجرام على القبة السماوية بالنسبة لبعضها البعض ، والدورة اليومية المحورية ، حيث تدور الأرض حول محورها دورة واحدة خلال فترة زمنية قدرها ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة ، و ٤ ثوان أمام النجم البعيد وينتج عن هذه الدورة ما يسمى باليوم النجمي ، بينما تتم الأرض دورتها حول الشمس خلال ٢٤ ساعة ، وهو ما يسمى باليوم الشمسي ، ومن أهم نتائج الدورة المحورية لكوكب الأرض تعاقب الليل والنهار ، وأما الدورة الانتقالية ، فتدور الأرض حول الشمس بمدار إهليلجي ، تحتل الشمس إحدى بؤرتيه بسرعة مدارية قدرها ٧٩ ، ٢٩ كم / ث ، ويميل محور الأرض على مستوى دورانها حول الشمس بزاوية ثابتة مقدارها ٤ ـ ٢٣ ، وتتم الأرض دورتها خلال فترة زمنية قدّرها العلماء ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ٤٥ ، ٩ ثانية ، وينتج عن هذه الدورة تعاقب الفصول الأربعة ، حيث يبقى محورها متجها نحو النجم القطبي خلال تلك الدورة) [١].

وفي كتاب «العالم الذي نقطنه» : (الأرض وحدها هي التي تتم دورة كاملة على ذاتها بيوم واحد فتكشف عن القبة السماوية قليلا فقليلا ، وتمر أمام الشمس التي تنيرنا ومن ثم تعيدنا إلى الليل وعند ما تغمر الشمس السماء بنيرانها طيلة النهار ، فإنها تحجب عنا رؤية النجوم التي تكمل مع ذلك دورتها) [٢].

وفي «موسوعة الجيولوجيا» تعرف الأرض بأنها دائمة الحركة : (الأرض هي عبارة عن كوكب دائم الحركة ، فلو استطعنا أن نعود مليون سنة إلى الوراء أو أكثر ، لوجدنا أن سطح الأرض مختلف تماما عما هو عليه اليوم ، ولوجدنا أنه كان للقارات أشكال مختلفة أو أنها تقع في مواقع مختلفة عما هي عليه الآن) [٣].

ويقول مجموعة من البحاث في علم (الجيولوجيا) : (يولد دوران الأرض على

---

(١) آفاق فلكية ، فوزية الرويح ، ٧٥.

(٢) العالم الذي نقطنه ، رينيه غوير ، ترجمة ، خليل الفريجات ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٨١ ، ص : ١٦.

(٣) الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، تاربون لوتجنز ، ترجمة ، عمر سليمان حمودة وآخرون ، مطبعة مالطا ، مالطا ، ١٩٨٤ ، ص : ٣٧.

محورها قوة مركزية طاردة هي عند خط الاستواء أقوى منها في أي مكان آخر ، فيسبب ذلك انتفاخا بسيطا عند خط الاستواء ، وتسطح عند القطبين وهذا ما يجعل قطر الأرض عند خط الاستواء أطول مما هو عليه بين القطبين) [١].

وتجدر الإشارة إلى أن كلا من «كوبرنيكوس» [٢] ، و «جوهانس كيبلر» [٣] ، و «جاليليو جاليلي» [٤] كان لهم الفضل في التحقق من دوران الأرض بشكل علمي.

**الإعجاز :**

سبحان الذي خلق فسوّى وقدر فهدى ، إنها آيات الله الناطقة بالحقائق العلمية الناصعة ، فكروية الأرض ودورانها وحركتها ، حقائق قرآنية أثبتها القرآن قبل دهر سحيق مضى ، وفي هذا الزمان كشف عنها الإنسان الضعيف ، فقررها «كيبلر» في قانونه الأول الذي يتحدث فيه عن دوران الكواكب والأرض حول الشمس ، و «نيوتن» في حديثه عن قانون الجاذبية ، ومن بعدهما أثبتوا ذلك كذلك ، قوانينهم هذه كلها ما هي إلا توضيح وتفسير لبعض الآيات القرآنية.

---

(١) بهجة المعرفة ، موسوعة علمية مصورة ، الأرض ، ليبيا ، الشركة العامة للنشر ، ١٩٨٣ ، ص : ٥١.

(٢) كوبر نيكوس ، ١٤٧٣ ـ ١٥٤٣ ، فلكي بولندي من أصل ألماني ، درس الطب واللاهوت والرياضيات ، وضع مبادئ النظام الشمسي ودوران الأرض حول الشمس ، كما قال ببعد النجوم عن أرضنا بعدا سحيقا ، فساهمت نظريته في شرح كيفية تعاقب الفصول وبيان أزمنة الاعتدال الشمسي. انظر : موسوعة الكون والفضاء والأرض ، موريس شربل ورشيد فرحات ، ص : ١٠٨.

(٣) جوهانس كيبلر ١٥٧١ ـ ١٦٣٠ ، عالم ومكتشف ألماني ، اهتم بعلم الفلك وعلم البصريات الهندسي ، وقد وضع القانون المعروف باسمه ، والذي يتناول حركة الكواكب حول الشمس.

المصدر نفسه ، ص : ١٠٨.

(٤) جاليليو جاليلي ١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ ، عالم إيطالي من فلورنسا ، درس في جامعة بيزا ، أيد نظرية كوبر نيكوس القائلة بدوران الأرض حول الشمس ، مما جعله في حرم كنسي أظلم حياته ، لكن إنجازاته في المنفى حول دراسة الآليات والقوى المتحركة ، وتطبيقه التحليل الرياضي على المعضلات الطبيعية كانت استكمالا للثورة التي بدأت مع كوبر نيكوس. المصدر نفسه ، ص : ١٠٨.

## المبحث الثالث

## جاذبية الأرض

قال تعالى : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً﴾ [١].

وقال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً﴾ [٢].

وقال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (٢٥) أَحْياءً وَأَمْواتاً (٢٦) وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً (٢٧)﴾ [٣].

يبرز الله سبحانه تعالى في هذه الآيات طرفا من الآلاء والنعم التي قد أرفدها علينا ونعمنا بها ، ومن بين هذه النعم التي يشير إليها القرآن الكريم نعمة الجاذبية ، الجاذبية الأرضية التي من شأنها أن تقر الأشياء على الأرض ، ويكون هذا الاستقرار مناسبا ومنسجما مع حجم هذه الأجسام التي تقلها الأرض ، وبذلك تتحقق الحياة عليها ، وتثبت توابعها وتكون ملازمة لها دائما في دورانها حول نفسها وحول أمّها الشمس.

فقانون الجاذبية قانون عام شامل يعمل في الكون كله ، حيث إن الكائنات كلها تتجاذب وإن لم نر نحن القوة الرابطة بين المتجاذبين ، إلا أننا تعرفنا عليها من نتيجة أثر الجسم الكبير في الصغير ، ورأينا فيما مضى كيف أن الشمس تجذب منظومتها كلها ، والأرض كذلك تجذب كل من عليها بما في ذلك القمر ، والغلاف الجوي خاضع لقانون الجاذبية ولو لا الجاذبية لفرّ ولتلاشت الأحياء ، وهكذا فإن هذا القانون عام وشامل ، وسيحدثنا عنه العلماء وعن هذه القضايا التي أومأنا إليها ، غير أن هذا القانون

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٦١.

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٤.

(٣) سورة المرسلات ، الآيات ٢٥ ـ ٢٧.

الذي اكتشفه «نيوتن» [١] وأماط اللثام عنه ، قد قرره الحق تبارك وتعالى في كثير من آيات القرآن المجيد ، ولسوف نقف الآن عند ما قاله المفسرون واللغويون حول هذه النصوص القرآنية.

يقول ابن كثير : (يقول تعالى : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً﴾ أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة ، بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك) [٢].

وعند الطبري يقول ﷺ : (الله الذي له الألوهية خالصة أيها الناس ، الّذي جعل لكم الأرض التي أنتم على ظهرها سكان قرارا تستقرون عليها ، وتسكنون فوقها ، والسّماء بناء ، بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم ، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم) [٣].

وفي «التفسير الكبير» يقول الرازي : (كونها قرارا وذلك لوجوه ، الأول : أنه دحاها وسواها للاستقرار ، الثاني : أنه تعالى جعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة ، فليست في الصلابة كالحجر الذي يتألم الإنسان بالاضطجاع عليه ، وليست في الرخاوة كالماء الذي يغوص فيه ، الثالث : أنه تعالى جعلها كثيفة غبراء ليستقر عليها النور ، ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها ، ولو لم يستقر النور عليها لصارت من شدة بردها بحيث تموت الحيوانات ، الرابع : أنه سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الكل ، بحيث تبعد تارة وتقرب أخرى من سمت الرأس ، ولو لا ذلك لما اختلفت الفصول ، ولما حصلت المنافع) [٤].

---

(١) إسحاق نيوتن ، ١٦٤٢ ـ ١٧٢٧ ، فلكي بريطاني ، اكتشف قانون الجاذبية ووضع لها ثلاثة قوانين ، كان لها أثر كبير في دراسة علم الفلك ، والتنبيه إلى اهتزاز حركة الكواكب وعدم انتظامها ، كما اكتشف طريقة الحصول على طبيعة الأجسام المضيئة عن طريق تحليل الضوء إلى طيف بواسطة الموشور الزجاجي. انظر : الأطلس الفلكي ، محمد عصام الميداني ، ص ٨٧ ، وانظر : الأوائل ، علي جمعة الخويلد ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ، ص ١٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٦ / ١٨٣.

(٣) جامع البيان ، للطبري ، ٢٤ / ٥٢.

(٤) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٢٤ / ٥٦٦.

وفي «روح المعاني» : (أي جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب ، بإبداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم ، فقرارا بمعنى مستقرا لا بمعنى قارة غير مضطربة) [١].

وأما قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً﴾ ، (فالكفات اسم جنس أو اسم آلة ، لما يكفت أي يضم ويجمع ، من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع) [٢].

(وإنما معنى الكلام ، ألم نجعل الأرض كفات أحيائكم وأمواتكم ، تكفت أحياءكم في المساكن والمنازل ، فتضمهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم في بطونها في القبور ، فيدفنون فيها ، وجائز أن يكون عني بقوله : ﴿كِفاتاً أَحْياءً وَأَمْواتاً﴾ تكفت أذاهم في حال حياتهم ، وجيفهم بعد مماتهم) [٣].

ولو رجعنا إلى معنى : ﴿قَراراً﴾ في اللغة لوجدناها تعطينا معنى الثبات والاستقرار ، يقول ابن منظور : (قرارا ، بطون الأرض قرارها ، لأن الماء يستقر فيها ، ويقال : القرار ، مستقر الماء في الروضة وقراره ومستقرّه ، تناهى وثبت) [٤].

ونجد في «مفردات ألفاظ القرآن» : (قرّ في مكانه يقرّ قرارا ، إذا ثبت ثبوتا جامدا ، وأصله من القرّ ... قال تعالى : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً﴾ [٥].

وأما معنى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً﴾ ، (فالكفات ، الموضع الذي يضمّ فيه الشيء ويقبض ، والكفت ، القبض والجمع) [٦].

(أي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم ، وقيل : معناه تضم الأحياء التي هي الإنسان والحيوانات والنبات ، والأموات التي هي الجمادات من الأرض والماء وغير ذلك) [٧].

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٠ / ١٦ ، وانظر : التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، القاهرة ، مطبعة الاستقلال ، الطبعة السادسة ١٩٦٩ ، ٢٩ / ٨٠٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥ / ٢٨.

(٣) جامع البيان ، للطبري ، ٢٩ / ٢٢٥.

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، ١١ / ١٢٤.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص ٦٦٢.

(٦) لسان العرب ، ابن منظور ، ١٢ / ١١٧.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ٧١٤.

إذن ، يتضح من معطيات ما سبق أن ﴿قَراراً﴾ و ﴿كِفاتاً﴾ كلمتان تدلان على الضمّ والجمع وهذا هو المعنى العلمي الدقيق للجاذبية ، إذ الجاذبية من شأنها أن تضم وتجمع إليها ما أحاط بها من أجسام ...

فأيّ تعبير أدق من تعبير القرآن الكريم ، وهو يصف حال الكرة الأرضية وهي تسير في فلكها الذي رسم لها من قبل الخالق العظيم ، وفي آن واحد تضم المخلوقات التي أوجدها الله سبحانه وتعالى عليها ضمّا قد حشي بالرحمة والحنان والعطف ، وكأنها أمّ رءوم بأبنائها ، فلا تؤذيهم حال دورانها حول نفسها والشمس ، ولا تقذف بهم في دوّامة التيه والفوضى ، بل إنها تقلّهم بين حناياها وتكفتهم بذراعيها بعامل الجاذبية الذي أشار الله إليه بقوله : ﴿قَراراً﴾ و ﴿كِفاتاً﴾.

فما أرحمك يا خالقنا وما أعظم لطفك وحنانك بنا ، فالأرض تدور وتجري بسرعة كبيرة ونحن نعيش بين تضاعيفها وننعم بأرزاقها وظلالها الوارف ، ولا يصيبنا أيّ أذىً ولا نشعر بأيّ خوف أو قلق ، فسبحان الذي خلق كلّ شيء بقدر ، ثم إن قوة الجاذبية لا تقتصر على كوكب الأرض وما حوى ، بل إنها تلف الأجرام وحتى المجرات السماوية بأسرها ، ذلك أن الجزر النجمية الضخمة العظيمة في الكون ، مهما كانت متباعدة إلا أنها متماسكة فيما بينها بسبب قوة الجاذبية التي تربط أجرامها ببعض ، وتمنعها من التفكك والتناثر ، كما مرّ فيما مضى ، وكيف أن قوة الجاذبية على عظمها لا يمكن أن ترى أبدا ، ولقد أشار ربنا سبحانه وتعالى إلى الجاذبية الكونية ، وأن السماء مبنية بناء دقيقا ومتماسكا على أعمدة غير مرئية ، ولنتأمل في هذا قول الله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (١) ، كما أن الحق عزّ وجلّ أمرنا أن نجيل النظر في السماء ، لنرى كيف بنيت وكيف رفعت ، وفي هذا يقول ربنا جل جلاله : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٢) وقوله سبحانه : ﴿وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٣) ، وقوله سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٠.

(٢) سورة ق ، الآية : ٦.

(٣) سورة الغاشية ، الآية : ١٨.

(٤) سورة الحج ، الآية : ٦٥.

هذه الآيات تشير بكل وضوح إلى أن هناك أعمدة منتشرة في السماء ، وأن السماء بنيت عليها إلا أن هذه الأعمدة لا ترى ، وهذه الأعمدة هي قوة الجاذبية التي لا تخضع للرؤية كما سنرى بعد قليل من أقوال العلماء.

يقول القرطبي : (لها عمد ولكنا لا نراه ، قال ابن عباس : لها عمد على جبل قاف ويمكن أن يقال على هذا القول : العمد قدرته التي يمسك بها السموات والأرض وهي غير مرئية لنا) [١].

وفي «التفسير الشامل» : (خلق السموات العلى على غاية ما يكون عليه الاتساع والامتداد والفخامة ، وعلى أكمل ما يكون عليه الاتساق والتوازن والانتظام ، خلائق كبيرة وكثيرة ، وأجرام هائلة مبثوثة في أجواء الفضاء ، يضمها نظام دقيق ومنضبط لا يعرف الخلل أو العشوائية أو الفوضى تلك هي السموات الشامخات الكبريات ، قد رفع الله بناءها ، وجعلها منسجمة رفيعة لا تستند إلى ما يمسكهن من الأعمدة المنظورة ، ولكن الله قدر لها من النظام الكوني الوثيق ما يكفل لها تمام الدوران والحركة والاستمرار) [٢].

**الحقائق العلمية :**

حقيقة الجاذبية التي قررها القرآن ، وأنزل الآيات التي تتحدث عنها على قلب النبي ﷺ كشف عنها روّاد العلم بعد عصور طويلة فحدثونا عنها ، ويرجع الفضل في اكتشاف قانون الجاذبية إلى (إسحاق نيوتن) ، والذي يعرف الجاذبية فيقول : (إن جميع الأجسام والأجرام في هذا الكون تجذب بعضها البعض ، بقوة يتوقف مقدارها على كمية الكتلتين المتجاذبتين ، وعلى بعد المسافة بينهما وتزداد القوة ، أي تتناسب طرديا مع مقدار حاصل ضرب الكتلتين ، وتقل ، أي تتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما ، ويمكن أن نقول ببساطة : إن القوة تزداد مع مقدار الكتلتين وتقل كلما بعد المسافة بينهما ، والقانون أو الناموس الحاكم في حالة التفاحة والأرض هو :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٩ / ٢١٨ ، وانظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، ٤ / ٣٠٢ ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، ٣ / ٦ وانظر : حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير الإمام البيضاوي ، تحقيق ، محمد شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ ، ٥ / ٩٠.

(٢) التفسير الشامل ، أمير عبد العزيز ، القاهرة ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ ، ٣ / ١٧٧٨.

قوة الجاذبية الأرضية ثابت x كتلة الأرض x كتلة التفاحة / مربع المسافة

والثابت هو : ثابت الجذب الكوني ، وأما المسافة ، فهي المسافة بين مركز أو وسط التفاحة ومركز الأرض ، ويسري القانون على جميع الكائنات والأشياء فوق الأرض ، بل على جميع الأجرام الكونية فهناك قوة جذب بين الشمس والتسعة كواكب السيارة التي تدور حولها بما في ذلك كوكب الأرض والكواكب تجذب بعضها البعض ، والأرض والقمر يتجاذبان) [١].

وفي موسوعة «بهجة المعرفة» : (الجاذبية هي التجاذب بين جسمين ، وتتوقف قوتها على كتلتي الجسمين وعلى المسافة بينهما ، تتوقف إذن قوة مجال الجاذبية الأرضية على كتلة الأرض ، الجاذبية سبب جميع عوامل التعرية الرئيسية تقريبا ، فالمطر المتساقط تحت تأثير الجاذبية وكذلك التيارات والأنهار) [٢].

والجاذبية العامة (قانون كوني موجود في طبيعة الأشياء كلها ، ويعمل في صمت في الأرض والسماء ، ولقد كان «لنيوتن» الفضل في اكتشاف قانون الجاذبية ولقد قال «نيوتن» نفسه : إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس ، وهي تشد ، أي تجذب مادة أخرى دون أي رباط بينها وتعمل الجاذبية في كل الأشياء كبيرها وصغيرها ، فالكل يتجاذب وإن لم يظهر إلّا أثر الكبير في الصغير ، فالشمس تجذب الأرض ، والأرض تجذب القمر ، بل وتجذب كل شيء قريب منها بقوة نشعر بها جميعا وأنت نفسك سجين الجاذبية ، لأنك لا تستطيع أن ترتفع عن الأرض لأنها تجذبك إليها وأنت أيضا تجذب الأرض لك ، ولكن شتان ما بين كتلتك وكتلة الأرض ، ورغم هذا الجذب فإنك تستطيع التحرك على الأرض نظرا لضئلة قوة الجذب بينك وبين الأرض ... والطائر عند ما يموت يقع على الأرض ، ورفع الحجر عن الأرض يتطلب مجهودا والصعود على الجبل أشق من النزول منه بسبب الجاذبية ، ومن فضل الله علينا أن الجاذبية الأرضية قد احتفظت لنا بغلاف جوي يحيط بأرضنا ولو لا هذه الجاذبية لهرب الهواء وانعدمت الحياة على كوكبنا) [٣].

---

(١) المجموعة الشمسية ومجال الجاذبية الكونية ، أمين محمد كعورة ، ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) بهجة المعرفة ، الأرض ، ص ٥٠ ، وانظر : دائرة معارف القرن الواحد والعشرين ، القوى الفيزيائية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، د. ت ٣ / ٢٤.

(٣) الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، منصور حسب النبي ، ص ٦١.

إذا يمكن القول : إن جاذبية الأرض هي التي (تقدم لنا نقط الاستهداء فيما نقوم به من أعمال المساحة والهندسة ، فإذا ربطنا جسما ثقيل الوزن بسلك ليّن تحمله نقطة ثابتة ، نجد أن ليونة السلك تدفع به في اتجاه الخط الذي يتبعه الجسم مدفوعا إليه نحو الأرض بقوة الجاذبية ، وهو ما يستعمله البنّاءون للتأكد من استقامة البناء ، ويسمى الفادم ، كما أنه يجسد خطوط جاذبية الأرض ، وهذه الجاذبية التي تدفع الأجسام للسقوط نحو سطح الأرض ، ليست قوة خاصة بل هي حالة خاصة من حالات الجاذبية العامة ، والجاذبية التي يمارسها جسمان تخضع لمبدأ الجاذبية المعروف وهو : أن الأجسام تتجاذب بالنسبة إلى مقدار مادة كل منها ، وبمقدار معاكس لمربع أبعادها ، ولما كان كوكب الأرض كروي الشكل تقريبا ، وهو خاضع لقانون الجاذبية ، وتفوق مواده مواد الأجسام المحيطة به ، فإن الجسم الذي يخضع لجاذبية الأرض يندفع نحو سطحها باتجاه مركزها الوسطي ، وهو ما يمكن مشاهدته في كل حين تأكيدا لصحة مبدأ الجاذبية المذكورة آنفا المسيطر على تحركات الفضاء) [١].

**الإعجاز :**

رأينا كيف أن قانون الجاذبية يشمل الكون بأسره ، ويعمل بخفاء ولطف لتعود منافعه على الخلائق كلها ، فسبحان الذي بحكمته رتب قوانين الحياة على هذا النسق ، ويسرها كلها للإنسان وسجلها آيات معجزة في قرآنه ببيان واضح قبل أن يكتشفها العلماء ، ليظل الإنسان شاكرا ومعترفا بفضل ذي الجلال والإنعام.

---

(١) الأرض في رحاب الكون ، يمنى زهار ، بيروت ، دار الآفاق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ ، ص ٦٢.

# المبحث الرابع

## الغلاف الجوي ومنافذه للأرض

قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)﴾ (٢).

في الآية الأولى وصف الحق تبارك وتعالى السماء بأنها بمثابة السقف للأرض ، وتتجلّى قمة البلاغة القرآنية ، والإعجاز العلمي عند ما زاد هذا الوصف للسقف بأنه محفوظ ، وهذا هو شأن الغلاف الجوي للأرض (atmosphere) فلقد جعله الله سقفا محيطا وحاميا للأرض من كل أسباب الهلاك والخراب كما سيأتي ، وفي الآية الثانية إعجاز علمي رائع ، حيث أوضح ربنا أن للسماء أبوابا ومنافذ يمكن أن ينفذ من خلالها البشر ، والطريق إليها ليس مستقيما إنما فيه انحناءات وتعرجات للخروج من إطار الأرض وجاذبيتها ، وهناك تختل موازين الرؤيا البصرية ... ولنبدأ مع المفسرين لنرى فهمهم لهاتين الآيتين.

ففي «أنوار التنزيل» : ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ عن الوقوع بقدرته أو الفساد والإخلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته ، أو استراق السمع بالشهب ، ﴿وَهُمْ عَنْ آياتِها﴾ عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته ، التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكرين) (٣).

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٢.

(٢) سورة الحجر ، الآيتان ١٤ . ١٥.

(٣) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٤ / ٩٠ ، وانظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق بن حسن القنوجي ، صيدا ، المكتبة العصرية ١٩٩٢ ، ٨ / ٣٢٣.

وعند القرطبي : (قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ أي محفوظا من أن يقع ويسقط على الأرض) [١].

وعند الطبري : (أي ، سقفا مرفوعا ، وموجا مكفوفا) [٢].

ويقول الرازي : (فيها مسألتان ، المسألة الأولى : سمى السماء سقفا لأنها للأرض كالسقف للبيت ، المسألة الثانية : في المحفوظ قولان ، أحدهما ، أن محفوظ من الوقوع والسقوط الذين يجري مثلهما على سائر السقوف) [٣].

وأما بالنسبة للآية الثانية ، ففي «إرشاد العقل السليم» : ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ﴾ أي على هؤلاء المقترحين المعاندين ﴿باباً مِنَ السَّماءِ﴾ أي بابا ما ، لا بابا من أبوابها المعهودة كما قيل ، ويسرنا لهم الرّقيّ والصعود إليه ﴿فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في ذلك الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ بآلة أو بغيرها ، ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول ، أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم ﴿لَقالُوا﴾ لفرط عنادهم وغلوّهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق ﴿إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا﴾ أي سدّت من الإحساس من السكر ، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمد ﷺ كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة) [٤].

وفي «بحر العلوم» : ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أي فصاروا يصعدون فيه وينزلون ، يعني : الملائكة ، ويراهم المشركون ، وهم أهل مكة ﴿لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا﴾ يقول : أخذت وغشيت أبصارنا ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ أي ، ولقالوا : سحرنا فلا نبصر ، و ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد أي ، غشّيت ، ومنه يقال : سكّر النهر إذا سدّ ، ومنه يقال : سكر الشراب وهو الغطاء على العقل ، ومن قرأ ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتخفيف يعني ، سحرت يعني ، إنهم لا يعتبرون به كما لم يعتبروا بانشقاق القمر حين رأوه معاينة) [٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١١ / ٢٨٢.

(٢) جامع البيان ، للطبري ، ١٧ / ١٦.

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٢ / ١٤٢.

(٤) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ٣ / ٦٥ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤ / ٤٥٣.

(٥) بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٢ / ٢٦١ ، وانظر : تفسير القرآن ، لعز الدين بن عبد السلام الدمشقي ، بيروت ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ ، ٢ / ١٧١.

يمكن لنا أن نستخلص من معطيات ما سلف ما يلي :

أولا : أن الله سبحانه وتعالى جعل للكرة الأرضية سقفا يحيط بها ، ويكون سببا في حمايتها من كل سوء ، وحافظا لها من كل مكروه.

ثانيا : أن هذا الغلاف الجوي للأرض قد جعل الله فيه أبوابا ومنافذ يتسنى للإنسان أن يعبرها ويخرج من محيط الأرض ، ولقد أكد الحق تبارك وتعالى وجود أبواب للسماء في العديد من الآيات القرآنية من ذلك قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (١) وقوله : ﴿فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (٢).

ثالثا : منافذ الغلاف الجوي للأرض ، الطريق إليها ليست مستقيمة إنما هي طرق مستوعرة متعرجة.

ولقد وصف ربنا سبحانه السماء بأنها ذات طرق ، قال تعالى : ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾ (٣) أي إن في السماء طرقا كثيرة ، (ولكل طريق أبواب عدة ، ولم ينفذ علماء الفلك من الغلاف الجوي الأرضي ويسبروا شيئا من أقطار السموات والأرض ، إلا من خلال الأبواب والطرائق الموجودة في الغلاف الجوي للأرض والفضاء الخارجي ، فكل مركبة فضائية يجب أن تنطلق في زاوية معينة وفي مسار معين كي تستطيع النفاذ من نطاق جاذبية الأرض إلى الفضاء الخارجي ، وهناك آلاف الأدمغة الألكترونية التي تصحح سير المركبة كلما ضلت عن مسارها ، كما أن على المركبات الفضائية خلال عودتها إلى الأرض من الفضاء الخارجي ، الدخول والسلوك من فتحات وطرائق معينة في الغلاف الجوي الأرضي وإلا بقيت في الفضاء الخارجي أو احترقت قبل وصولها إلى الأرض) (٤).

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٠.

(٢) سورة القمر ، الآية : ١١.

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٧.

(٤) من علم الفلك القرآني ، عدنان الشريف ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧ ، ص : ١٣٢.

**الحقائق العلمية :**

لقد قرر ربنا تبارك وتعالى أنه أحاط الأرض بسقف يحفظها من كل سوء ، وهذه الحقيقة القرآنية أثبتها العلم الحديث وقرر أن للأرض غلافا جويا يحيط بها ، وله من المنافع والفوائد الشيء الكثير.

ففي موسوعة «عالم المعرفة» : (الغلاف الجوي : هو مزيج من الغازات ، ويتألف بالدرجة الأولى من (النيتروجين) ٧٨ خ و (الأوكسجين) ٢١ خ وكمية قليلة من (الأرغون) ، وبعض (ثاني أكسيد الكربون) ، وقد يحتوي أيضا على بعض من بخار الماء ، أما الهواء الجاف فلا يحتوي على بخار مياه ، كما يحتوي الغلاف الجوي على ثلاث طبقات أساسية.

الطبقة السفلى : وهي (التروبوسفيرtroposphere).

والطبقة الوسطى : وهي (الستراتوسفيرstratosphere) وتتراوح سماكة طبقة (التروبوسفير) ما بين ١٨ ، ٨ كلم والغيوم تطفو فيها ، وكثير من الطائرات تطير في أسفل (الستراتوسفير) فوق الغيوم.

أما الطبقة الثالثة الموجودة فوق (الستراتوسفير) فتدعى الغلاف (الأيّوني) ، وهي مهمة للناس لأنها تعكس الموجات اللاسلكية إلى الأرض ما يسمح للموجات بالدوران حول سطح الأرض المقوس) [١].

وحتى يتجسّد الإعجاز في قوله تعالى : ﴿سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ نورد بعض فوائد الغلاف الجوي للأرض لنرى كيف جعله الحق سبحانه حافظا لها.

(هذا الغلاف الجوي يعدّل ويلطف مستويات الحرارة القصوى من ساخنة أو باردة ، فيعمل كسقف دفيئة ، ويقلل من تغيرات مستوى الحرارة بين الليل والنهار ، أو بين الصيف والشتاء ، عند النهار تسخن الشمس سطح الأرض وتنقل هذه الحرارة إلى الجو ، حيث تخزن وتقي من البرد الشديد عند ما تغيب الشمس ، وبالعكس يقي الغلاف الجوي عند النهار من الحرارة الشديدة بامتصاصه قسما من أشعة الشمس ، ويقي الجو سطح الأرض من قصف النيازك ، إذ يقدر أن الأرض تتلقى كل يوم ما يقارب المائة

---

(١) موسوعة عالم المعرفة ، الأرض ، نوبليس ، ص : ٣٤٦.

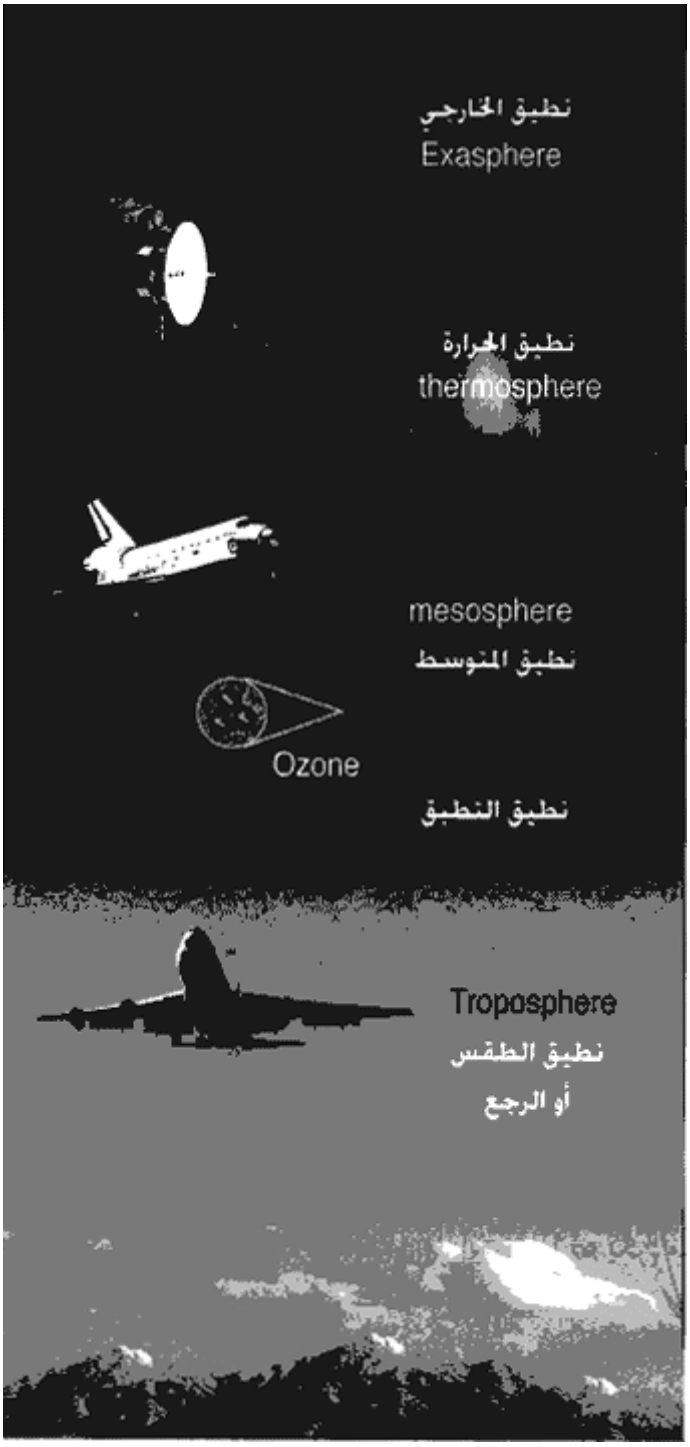


رسم يوضح طبقات الغلاف الغازي للأرض

ألف مليون نيزك من مختلف الأحجام ، إنما لا تدرك سطحها لأنها تحترق في الجو بسبب الحرارة التي يولدها احتكاك النيزك بالغلاف الجوي) [١].

كذلك لو قدّر الله سبحانه وتعالى انعدام الغلاف الجوي للأرض لانعدمت (الحياة على سطحها ليس فقط لعدم وجود الأكسجين اللازم للتنفس ، ولكن لسقوط النيازك بكميات هائلة ، وبكتل كبيرة تهشم رءوس الأحياء ، وتنهي بذلك على جميع صور الحياة على سطح الكرة الأرضية ، هذا بخلاف امتصاص الجو العلوي للأشعة الضارة بل القاتلة للأحياء ، مثل الأشعة فوق البنفسجية (ultraviolet rays) والذي نود أن ننوه إليه أنه بدون الغلاف الجوي لا ينتقل الصوت من مكان إلى آخر ويكون بذلك قد فقدت الأحياء التي منحها الله حاسة السمع) [٢].

كما تتغير الغازات في الغلاف الغازي للكرة الأرضية (مع ازدياد الارتفاع في ذلك الغلاف حيث تأخذ الغازات الثقيلة بالاضمحلال شيئا فشيئا لتحلّ محلها غازات خفيفة ، فبدءا من سطح الأرض وحتى ارتفاع ١١٠ كيلومترات تكون السيادة لجزئيات (الآزوت) ، أي (النيتروجين) ولجزئيات (الأوكسجين) ، وبعد ارتفاع ١١٠ كيلومترات ، وحتى ارتفاع ١٦٠ كيلومترا تسود جزئيات (الأوزون) ، (الأوكسجين الثقيل والأوكسجين) ، وبين ارتفاع ٩٦٠ كيلومتر ، وحتى ارتفاع ٢٤٠٠ كيلومتر تسود ذرات (الهليوم) ، وبين ارتفاع ٢٤٠٠ كيلومتر ، وحتى ارتفاع ٩٦٠٠ كيلومتر تسود جزئيات (الهيدروجين) ، وبين ارتفاع ٩٦٠٠ كيلومتر ، وحتى ارتفاع ٦٥٠٠٠ كيلومتر تسود جزئيات شديدة التخلخل والخفة ، ويتصل أعلى هذه الطبقة مع الفضاء الخارجي المسمى فضاء ما بين الكواكب حيث تسود غازات شديدة التخلخل ، لدرجة تقرب من الفراغ) [٣].

وعلى هذا فإننا نشعر بالاختناق التدريجي (كلما ارتفعنا عن سطح البحر إلى عنان السماء وذلك بسبب نقص الضغط الجوي ونقص (الأوكسجين) ، ولقد ثبت فعلا أن الإنسان يمكن أن يختنق عند ما يرتفع إلى ١٠ كيلومترات ، إذا لم يكن محاطا بغرفة أو

---

(١) المنظومة الشمسية ، سمير عازار ، ص : ٦٢.

(٢) المجموعة الشمسية واحتمالات الحياة عليها ، زين العابدين متولي ، القاهرة ، مركز جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ ص : ٤٢.

(٣) الأرض ، إبراهيم حلمي غوري ، ص : ١٣٨ ـ ١٣٩.

حلة مكيفة الضغط والهواء ، كما أن الدم يندفع من مسام أجسامنا لو خف الضغط عليها ، ولهذا يستخدم رواد الفضاء بدلة مكيفة الضغط وأنبوبة (أكسجين) للتنفس) [١].

وتغيرات الغلاف الجوي هذه ، والشعور بالاختناق كلما ارتفعنا إلى السماء ، بسبب نقص الضغط الجوي ونقص (الأوكسجين) ، حقيقة صرح بها كتاب الله تعالى قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ، يقول مولانا عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢].

ونحن نلحظ تشبيه القرآن الدقيق للذي يصعد في السماء ، كيف يكون صدره ضيقا حرجا بسبب هذا الصعود.

كما أن الحق قد أشار إلى ترقي الإنسان في طبقات السماء فقال الله سبحانه تعالى : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١)﴾ [٣].

حقا ، لقد ركب الإنسان طبقا عن طبق ...

(ففي ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ تمت رحلة سفينة الفضاء (أبوللو ١١) الأمريكية والتي حملت الرواد «نيل أرمسترنج» و «ألدرين» و «كولنينر» إلى القمر حيث هبط «آرمسترنج» و «ألدرين» على سطح القمر لأول مرة في تاريخ البشرية بواسطة المركبة القمرية ، بينما ظل «كولنينر» ينتظرهما في مركبة أخرى تدعى (كولومبيا) كانت تدور حول القمر ، حتى التحمت بهما المركبة القمرية بعد أداء مهمتها على سطح القمر وعادوا جميعا سالمين إلى الأرض ، وقد ركبوا فعلا طبقا عن طبق.

ولقد تتابعت رحلات (أبوللو ١٢) ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، وانتهت في عام ١٩٧٢ ، أليس هذا أيضا طبقا عن طبق في سبيل الوصول إلى القمر) [٤].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى غزو الفضاء ، وأن الثقلين الإنس والجن إن ترقّوا في

---

(١) الكون ، منصور حسب النبي ، ص : ١٨١.

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥.

(٣) سورة الانشقاق ، الآيات ١٦ ـ ٢١.

(٤) الكون ، منصور حسب النبي ، ص : ٢٣٠.

مدارج العلم واخترعوا الوسائل التقنية المتطورة ، فإنهم سينفذون من أقطار السموات والأرض وسيغزون الفضاء ويركبون أطباقا ... ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الوسائل التقنية بقوله : ﴿بِسُلْطانٍ﴾ أي العلم ، ولقد استطاع الإنسان في عصرنا أن يصنع المركبات الفضائية التي توصله إلى القمر ، ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد . أي القمر . بل سيتعداه إلى المريخ وغيره.

قال تعالى ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ﴾ (١).

**الإعجاز :**

رأينا منافع الغلاف الغازي الذي يعتبر درعا متينا ، وسياجا قد حصّن الأرض من العناصر الأجنبية التي لو لا وجود هذا الغلاف ، لأحرقت الأرض ولأضرمت نيرانا كثيرة بين جنباتها وانتهت عليها الحياة ، كما رأينا الدور الفعّال لهذا الغلاف ، في المحافظة على موقع الأرض بالنسبة للشمس مقارنة مع الكواكب الأخرى ، وهذا يساعد في إيصال حرارة الشمس إلى الأرض بدرجة معتدلة تنسجم وتتوافق مع الكائنات الحية كالإنسان والحيوان والنبات فسبحان من قال : ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ﴾ (٢).

نعم سبحان من أحاط الكرة الأرضية بهذا الغلاف الغازي ، وكأنه سقف فوقنا ليحفظنا من العوامل المدمرة كالشهب والنيازك.

وكذلك فقد أشار القرآن الكريم إلى منافذ هذا الغلاف الغازي ، فقال تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)﴾ (٣).

والإعجاز القرآني في قوله تعالى : ﴿باباً﴾ وروّاد الفضاء كما مرّ معنا عند ما تقلع مركباتهم الفضائية في السماء ، فإنها تحلّق ضمن خطوط مرسومة لها قبل إقلاعها وعند وصولها إلى الغلاف الغازي ، فإنه ليس بمقدورها الخروج منه إلا عبر هذه الأبواب ، والتي اصطلح على تسميتها علماء الفلك بمنافذ الغلاف الجوي.

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٣٣.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٢.

(٣) سورة الحجر ، الآيتان ١٤ ، ١٥.

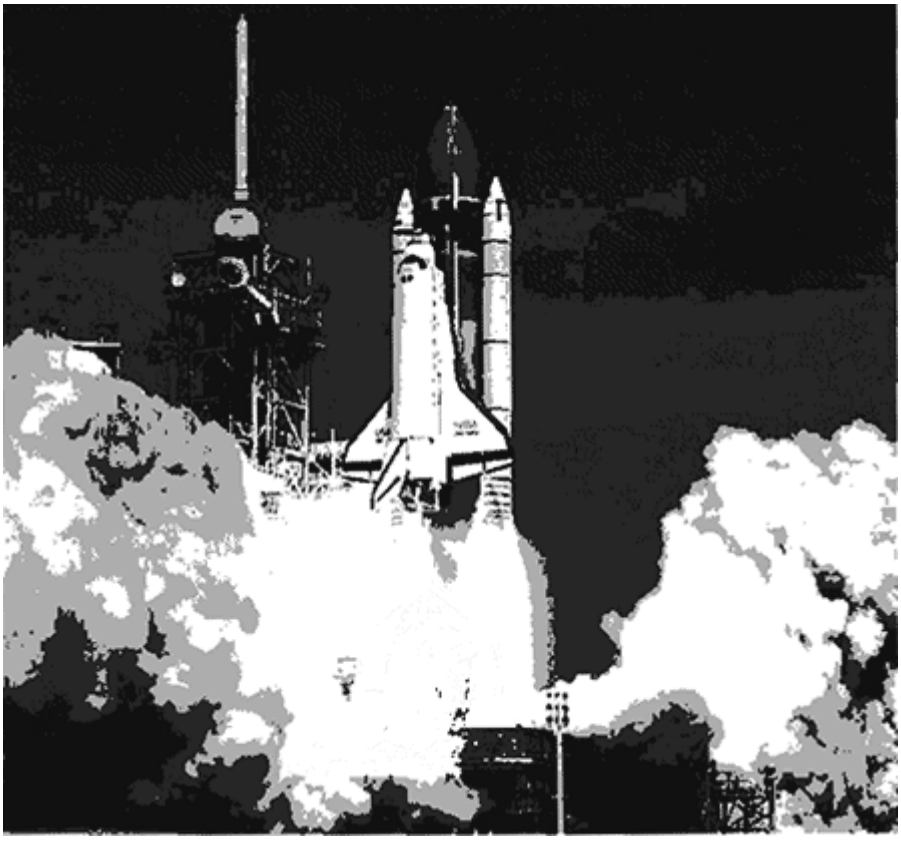

مكوك فضائي ينطلق ليخترق منافذ الغلاف الجوي للأرض

وذلك بفضل التطور العلمي والتكنولوجي ، وصدق الله العظيم : ﴿**يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ**﴾ (١).

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٣٣.

# الفصل السابع

## الإعجاز القرآني في القمر

**تمهيد.**

**المبحث الأول : القمر منير.**

**المبحث الثاني : انشقاق القمر.**

**المبحث الثالث : منازل القمر.**

**المبحث الرابع : وجمع الشمس والقمر.**

تمهید ..... ۲۸۲

## تمهيد

للقمر مكانة سامية في قلوب الناس منذ أحقاب سحيقة مضت من الزمن ، وذلك لاعتباره أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض ، ولما ينطوي على سرّ الروعة والبهاء عند ما يرسل أشعته الفضية إلى الأرض ، فتنفلق ظلمات الليل بضيائه المنير الذي يضفي على الأرض رونقا متألقا من النور الهادئ الأخّاذ ، ولذلكم فإن طائفة كبيرة من البشر قديما اعتبرت القمر إلها يلجأ إليه عند نزول الكوارث والأزمات ، وبذلك صبئوا فكانوا من الوثنين الذين أتى القرآن ليحررهم من معتقداتهم التي ارتبطت بالأجرام وبالشمس والقمر ، حيث يقول : ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١).

ولقد اضمحلت تلك الوثنيات التي يترنّم بها الشعراء ، ويشبه بها المحب حبيبه بوجه القمر وجماله ، وذابت عند ما وطئ رواد الفضاء القمر بأقدامهم وسفنهم الفضائية ، وصوّروه لنا وإذا به صخور جرداء ، وفوهات مخيفة ، وتضاريس داكنة سوداء ، وبهذا يكون قد خف سحر القمر وجماله البرّاق ، وسطعت معالم التقنية البشرية الحديثة ، لتسطّر التحوّل التاريخي في دنيا البشر ، وتمكنها من النزول على سطح القمر.

وسوف يتناول في هذا الفصل الحديث عن السبق القرآني يوم أثبت أن القمر جسم بارد يكتسب نوره من الشمس ، وليس متوهجا مثلها ، كما أن القرآن قرر أن القمر كان مشتعلا في فترة من الفترات ثم انطفأ ، وسنتحدث عن معجزة عظيمة خلدها القرآن الكريم في صفحاته ، ألا وهي معجزة انشقاق القمر ، التي وقعت للنبي ﷺ ويأتي العلم اليوم ليؤكد انشقاق القمر ، ونتحدث عن قرار القرآن بإمكانية غزو الفضاء ، والصعود في طبقاته ، كما سنتطرق للحديث عن الإعجاز القرآني في السنة الشمسية والقمرية ، ونذيّلها بالحديث عن منازل القمر ، ويختم الفصل بالحديث عن نهاية القمر وعن الصورة الدقيقة التي وضعها القرآن الكريم لنهايته ، والتي أكدها العلماء بشكل دقيق.

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٧.

## المبحث الأول

### القمر منير

قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ (٣).

قبل أن نشرع في الحديث عن أوجه الإعجاز القرآني في هذه الآيات ، نسوق بعض المعلومات العامة والظروف الفيزيائية للقمر ، لتكون الصورة واضحة ودقيقة في بحثنا ، وهذه بعض الخواص والمعلومات عن القمر والتي أفادنا بها العلماء.

(كتلة القمر ٨١ ، ٣ : ١ من كتلة الأرض.

حجم القمر ٥٠ : ١ من حجم الأرض.

نصف قطره ١٠٠ : ٢٧ من نصف قطر الأرض.

المجال المغناطيسي ١٠ : ١ مليون من مجال الأرض.

طول اليوم ٢٧ ، ٣ يوم أرضي.

وليس للقمر غلاف هوائي بسبب قربه من الأرض ، مع ضعف جاذبيته والارتفاع الكبير في درجات الحرارة عليه أثناء النهار ، ولا يزيد قدر الغازات التي قد تتراكم منسابة من باطنه في أي وقت عن جزء من المليون من كتلة جو الأرض ، كذلك لا يوجد على القمر ماء سائل ولا ثلوج ، ولم يجد رواد الفضاء الذين هبطوا على القمر أثرا لمياه جوفية تحت سطحه ، ولكن الصخور التي جلبوها لتحليلها على الأرض ثبت احتوائها

---

(١) سورة نوح ، الآية : ١٦.

(٢) سورة يونس ، الآية : ٥.

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١٢.

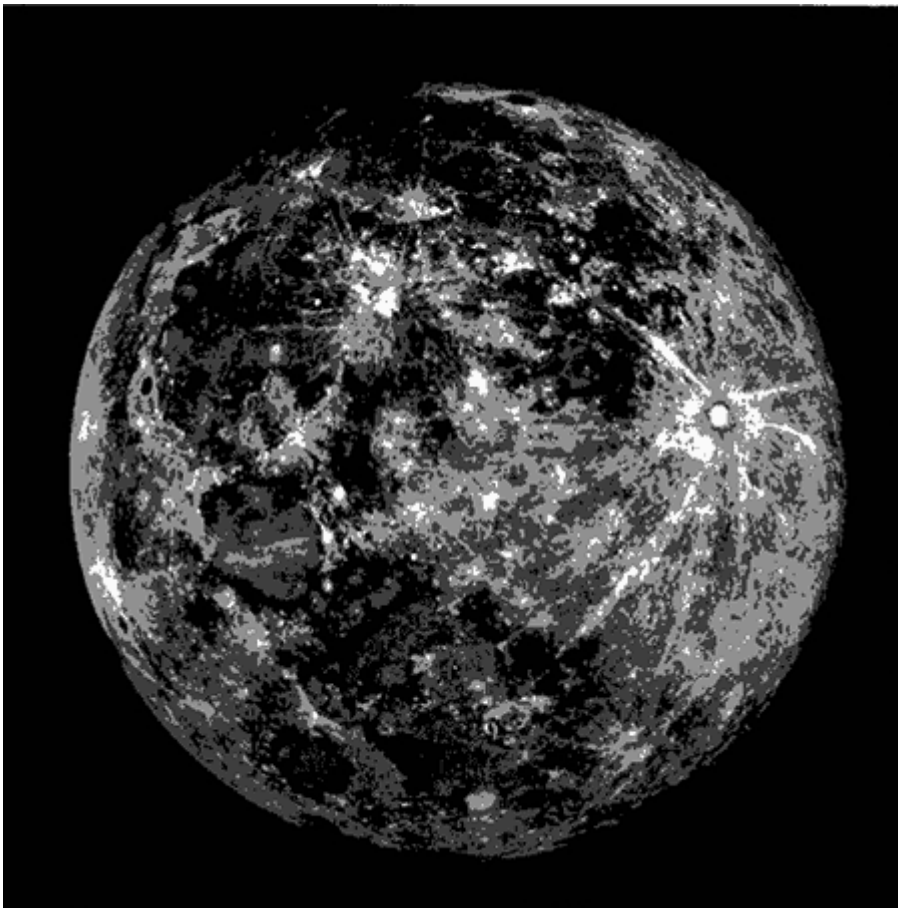

القمر على شكل بدر وذلك بفعل أشعة الشمس التي تنير سطحه

على الماء في تركيبها الكيميائي ، وكان رواد الفضاء على سفن أوبللو الأمريكية قد جلبوا ٢٠٠٠ عينة كتلتها ٣٨٢ كجم) [١].

بعد هذه المعلومات العامة الموجزة عن القمر ، نبدأ في الحديث عن الإعجاز القرآني في الآيات التي صدرنا بها هذا المبحث ، حيث تدل هذه الآيات دلالات علمية مدهشة ، أخبر عنها القرآن الكريم فكان سبّاقا في ميدان إثبات الحقائق العلمية التي عرفها الناس حديثا.

---

(١) علم الفلك العام ، ميرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

أما عن الآيتين الأولى والثانية ، فهما تخبرانا أن للشمس صفتين ﴿سِراجاً﴾ ، و ﴿ضِياءً﴾ ، وقد حللنا هاتين الصفتين عند حديثنا عن الشمس ، وعرفنا أن الشمس نجم ينتج بتفاعلاته النووية واحتراقه الداخلي حرارة قوية شديدة وضوءا ، وتلك هي صفة السراج ، فالضوء الذي تصدره الشمس يكون مشحونا بالحرارة على خلاف صفة الإنارة ، فالنور من صفات القمر ، والإنارة هي ما يستنير به المكان بدون حرارة ، إذا فالقمر ليس مضيئا بذاته ، ولكنه يعكس الضوء الذي يستقبله من الشمس.

وهذا المعنى أكده العلماء والمفسرون ، يقول الإمام ابن كثير ﷺ : (يخبر الله تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وجعل شعاع القمر نورا ، هذا فن وهذا فن آخر ، ففاوت بينهما لئلا يشتبها ، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل) [١].

أما الإمام الرازي فيقول : (النور اسم لأصل هذه الكيفية ، وأما الضوء فهو اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية ، والدليل عليه أنه تعالى سمى الكيفية القائمة بالشمس ﴿ضِياءً﴾ والكيفية القائمة بالقمر ﴿نُوراً﴾ ولا شك أن الكيفية القائمة بالشمس أقوى وأكمل من الكيفية القائمة بالقمر) [٢].

وأما الآية الثالثة فهي تخبرنا أن الله سبحانه وتعالى قد محا آية الليل ، التي هي القمر بعد أن كانت ملتهبة ، محاها وطمسها ، وترك آية النهار مبصرة مضيئة التي هي الشمس.

يقول الفخر الرازي : ﴿فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ أن يكون المراد وجعلنا نيّري الليل والنهار آيتين ، يريد الشمس والقمر ، ﴿فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ وهي القمر والمراد من محو القمر الكلف الذي يظهر في وجهه ... ومعنى المحو في اللغة إذهاب الأثر ، تقول : محوته أمحوه وانمحى وامتحى إذا ذهب أثره ... ﴿وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ ومعنى كونها مبصرة ، أي مضيئة وذلك لأن الإضاءة سبب لحصول الإبصار ، فأطلق سبحانه اسم الإبصار على الإضاءة إطلاقا لاسم السبب على المسبب) [٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٣ / ١٨١.

(٢) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٩ / ٣٥ ، وانظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ، لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجي ، تحقيق ، عبد الرزاق المهدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٣١٧ هـ / ١٩٩٧ ، ٩ / ١٨٤.

(٣) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٠ / ١٦٥ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٥ / ١٤٩.

(والليل في نفسه آية ، وفيه آيات ، وأظهر آياته هو القمر ، فيقال في القمر : آية الليل ، والنهار في نفسه آية ، وفيه آيات ، وأظهر آياته هي الشمس ، فيقال في الشمس : آية النهار ... ثم إن المراد من لفظ الآية في الموضعين واحد :

١ ـ فإما أن يراد بها نفس الليل والنهار ، والإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد للمعدود ، أو يراد بها الشمس والقمر فيكون ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ﴾ على تقدير مضاف في الأول تقديره هكذا ، وجعلنا نيري الليل والنهار ذوي آيتين.

٢ ـ وإما على تقديرنا المتقدم فإن لفظ ﴿آيَتَيْنِ﴾ صادق على الليل والنهار ، ولفظ آية الليل وآية النهار صادق على الشمس والقمر ، وعليه يكون تقدير الآية هكذا : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا قمر الليل ، وجعلنا شمس النهار مبصرة ، وهو تقدير صحيح لا معارض له من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، وسالم من دعوى تقدير محذوف ، ومفيد لكثرة المعنى بأربع آيات ، بالليل وقمره ، والنهار وشمسه ، فالتقدير به أولى ، ولذلك فسرنا الآية عليه) [١].

وأما الجعل فهو (إيجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها ، والمضاف محذوف ، تقديره جعل الشمس ذات ضياء ، والقمر ذا نور ، والضياء أبلغ في كشف الظلمات من النور ، وفيه صفة زائدة على النور) [٢].

وفي تفسير «غرائب القرآن» : (والمضاف محذوف ، والتقدير : وجعلنا نيّري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر ، حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس ، فترى به الأشياء رؤية غير بينة ، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء) [٣].

هذه بعض أقوال المفسرين القدامى ﷺ تعالى ، والتي فرقوا كما رأينا بين ضوء الشمس الذي يحوي الحرارة والنور ، وبين نور القمر الذي هو انعكاس عن ضوء

---

(١) تفسير ابن باديس ، عبد الحميد بن باديس ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ ، ص : ٦٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق هاشم المحلاتي ، طهران ، المكتبة العلمية ، د. ت ، ٣ / ٦١.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري ، تحقيق ، زكريا عميرات ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ ، ٤ / ٣٢٩.

الشمس وشعاعها ، وهذا ما قاله العلماء المعاصرون ، ومنهم الشيخ عبد المجيد الزنداني [١] إذ يقول : (القمر كان مشتعلا ثم انطفأ ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ فآية الليل القمر ، وآية النهار الشمس ، ومحونا آية الليل أي طمسناها وأزلنا ضوءها ، والمحو : الطمس ، ولا يكون إلا بعد الإنارة ، فمن هنا عرفنا أن القمر كان مشتعلا ثم محي ضوؤه والله أعلم ، وهذا السر لم يعرف إلا قريبا بعد أن تيسّرت الآلات للباحثين ، وهذا يشهد أن محمدا ﷺ قد جاءه الوحي بهذا من عند الله) [٢].

إذن نستطيع أن نستخلص من معطيات الآيات القرآنية ما يلي :

أولا : أن القمر جسم منير يكتسب نوره من الشمس ، ولا يوجد فيه إضاءة ذاتية.

ثانيا : القمر كان جسما مشتعلا ثم انطفأ.

**الحقائق العلمية :**

هذا ما أثبته العلم ، فقد أصبح اليوم من المسلّم به أن القمر كان كتلة نارية ملتهبة ثم انطفأ بعد ذلك وخمد لهيبه.

(القمر جسم مظلم أساسا ، وضوؤه انعكاس لضوء الشمس ، ويتغير الجزء المضيء من القمر من يوم لآخر في الحجم والشكل ، فأول ما نراه يكون خطا رفيعا منحنيا مستنيرا ، ثم يزداد حجمه شيئا فشيئا ، حتى يصبح دائرة تامة ، ثم يأخذ في التناقص حتى يصبح خطا في أول ظهوره ، ويطلق على هذه الأشكال أوجه القمر) [٣].

ونجد نفس المعنى في كتاب «المحيط الكوني وأسراره» : (وكما هو معروف فالقمر جسم معتم مظلم بذاته ، يأخذ نوره من الشمس كما تأخذه الكواكب الأخرى ويعكسه

---

(١) الشيخ عبد المجيد الزنداني ، داعية يمني شهير ، وتربطني به صلة شخصية وحوارات حول قضايا الإعجاز في القرآن والسنة ، وهو يشغل منصب رئيس جامعة الإيمان في اليمن حاليا ، ويعتبر من الرواد في هذا العصر في قضايا الإعجاز في الإسلام.

(٢) كتاب التوحيد ، عبد المجيد الزنداني ، دمشق ، دار الخير ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ ، ص ٧٢.

(٣) المنظومة الشمسية ، عبد الأمير المرتضى المؤمن ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص ١٧١.

علينا ، كما تفعل المرآة المعلقة في الفضاء ، كما أن الأرض نفسها تأخذ نورها من الشمس وتعكسه على القمر ، فيبدو جميلا متألقا ببهائه ولمعانه) [١].

وفي كتاب «القمر» : (ويعتقد كثير من العلماء في الوقت الحالي ، أن قمرنا نشأ بنفس الطريقة التي نشأت بها المجموعة الشمسية ، أي إن القمر انفصل على هيئة لسان ناري أيضا في العصور الأولى للكرة الأرضية عند ما كانت في حالة شبه سائلة) [٢].

ويستنتج الفلكيون هذه الحقيقة (من العمر المديد لصخور النجود القمرية ، أن السطوح الوعرة والمرتفعة على القمر ، تكونت بعد زمن قصير من ولادته ، وربما كان القمر عندها كتلة منصهرة ، الأمر الذي يسمح للمادة الكثيفة الغنية بالحديد بالغوص إلى داخل القمر ، في حين تطفو المادة الأقل كثافة على السطح ، ولدى بلوغ هذه المادة الصخرية الأخيرة السطح ، فقد تبردت وانعقدت مكونة بذلك القشرة القمرية ، وتلا ذلك قصف النجود القمرية بأجرام صلبة من الفضاء ، ونشأ عن ذلك العديد من الفوهات البركانية التي نراها منتشرة هناك ، وفيما كان القمر يتبرد ، كانت قشرته تزداد ثخانة ونظرا لهبوط المادة الأكثف إلى باطن القمر عند ما كان في حالة منصهرة ، فإن الحمم البركانية المندفعة من الأعماق ، كانت أكثف من الصخور السطحية التي انغمرت بها) [٣].

**الإعجاز :**

إن هذه الحقائق العلمية الحديثة تتفق تماما مع النصوص القرآنية الكريمة ، والتي استعرضناها في صدر المبحث ، فالقرآن قد قرر منذ نزوله على النبي ﷺ أن القمر جسم منير ، ولا يوجد فيه إضاءة ذاتية ، كما قرر أن القمر كان مشتعلا يوما ما ثم خمد نوره وانطفأ ، ومع مرور الأيام وتطور أدوات البحث العلمي الحديثة ، ثبت للعلماء مصداقية هذه الحقائق القرآنية المعجزة ، فسبحان الله العليم الخبير.

---

(١) المحيط الكوني وأسراره ، نجيب زبيب ، ص : ٦٧ ، وانظر : في أعماق الفضاء ، عبد الحميد سماحة ، بيروت ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ ، ص : ٤٣ ، وانظر : الفلك والأنواء في التراث ، علي عبندة ، ١٩٩١ ، ص : ٥٥.

(٢) القمر ، محمد علي المغربي ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ ، ص : ١٠٩.

(٣) استكشافات ومقدمة علم الفلك ، توماست آربي ، ص : ٢٣٣.

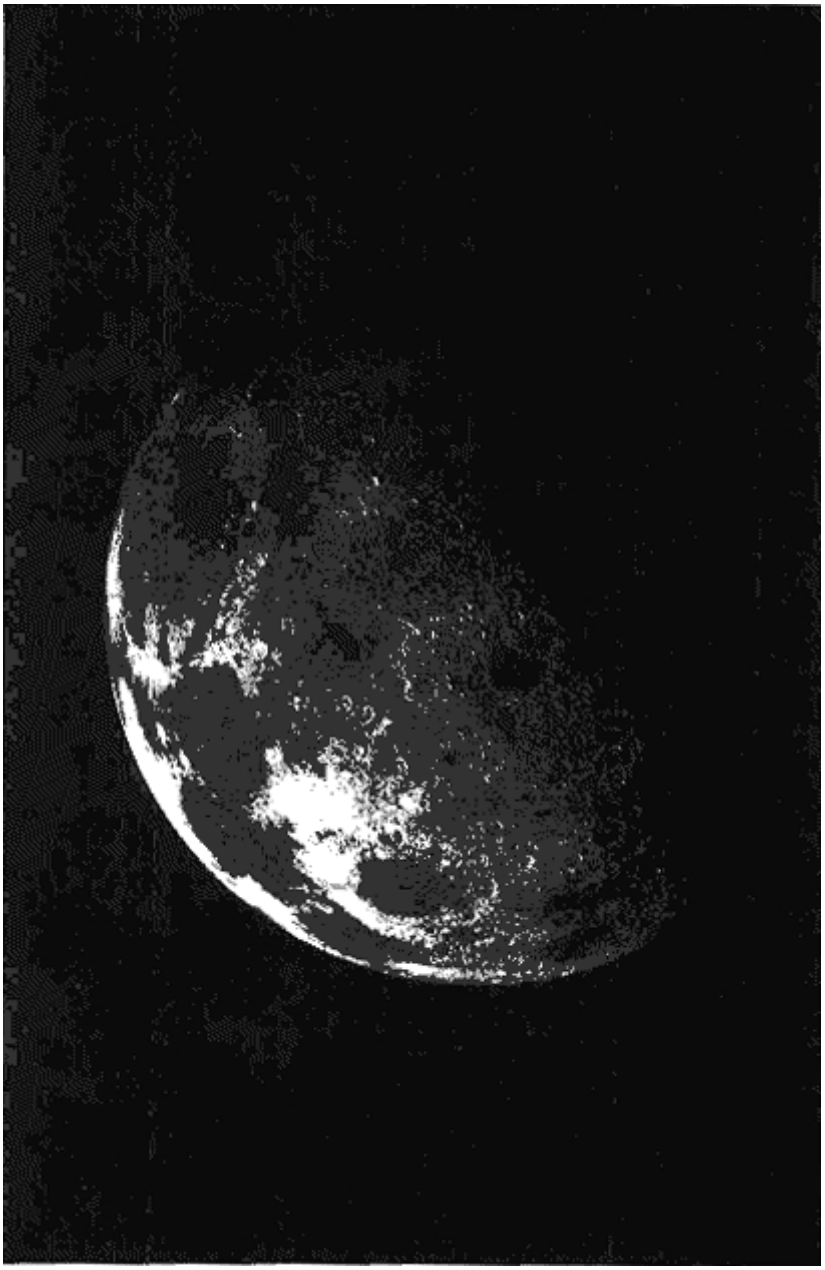

صورة تظهر القمر وفيه بعض الفوهات والوديان السحيقة.

## المبحث الثاني

### انشقاق القمر

قال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ (٢).

انشقاق القمر معجزة من أعظم المعجزات الحسية التي خلّدها القرآن الكريم وثبتت في الصحاح وهي مكرمة إلهية لرسوله ﷺ ، ولم ينشقّ القمر لأحد من قبله من أنبياء الله ومرسليه ، وقد رآها الناس رأي العين ، وشاهدوا انفلاق القمر إلى فلقتين في كبد السماء ، وسألوا أهل البوادي والقوافل الرّحالة عن ذلك فما أنكر منهم أحد ، إلا من ركب رأسه ، وآثر الجحود السافر على دلائل الحق وبراهين الهدى.

روى الطبري بسنده في تفسيره ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : (نزلنا المدائن فكنّا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبيّ ، وحضرت معه ، فخطبنا حذيفة فقال ألا إن الله يقول : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق وإن اليوم مضمار وغدا السباق ...) (٣).

وفي تفسير الإمام القرطبي : (... وقال قوم : لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر ، أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر ، وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره ، وكذا قال القشيري ، وذكر الماورديّ : أن هذا قول الجمهور ، وقال : لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه ، لأنه آية والناس في الآيات سواء) (٤).

---

(١) سورة القمر ، الآية : ١.

(٢) سورة الانشقاق ، الآيتان ١٨ ، ١٩.

(٣) جامع البيان ، للطبري ، ١٢ / ٥١ ، وانظر : معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء ، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ ، ٣ / ١٠٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٧ / ٨٢.

وفي تفسير «البحر المحيط» : (والأمّة مجمعة على خلاف من زعم أن قوله : ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ معناه : أنه ينشق يوم القيامة ، ويرده من الآية قوله : ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)﴾ فلا يناسب هذا الكلام أن يأتي إلا بعد ظهور ما سألوه معينا من انشقاق القمر ، وقيل : سألوا آية في الجملة فأراهم هذه الآية السماوية ، وهي من أعظم الآيات ، وذلك التأثير في العالم العلوي) [١].

ويقول الحافظ ابن كثير : ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة ... وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى معجزاته الباهرات) [٢].

وكما ذكر ابن كثير بأن الأحاديث في هذه المعجزة ثابتة وكثيرة ، ومنها ما ورد في صحيح البخاري من حديث ابن عبد الله رضي الله عنه قال : (انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ ، بمنى فقال النبي ﷺ : «اشهدوا» ، وذهبت فرقة نحو الجبل) [٣].

اختلف المفسرون كما رأينا إزاء هذه القضية إلى فريقين ، فريق يرى بأن معجزة انشقاق القمر قد وقعت في عهد النبي ﷺ وآمن من آمن يومذاك ، وكفر من كفر.

وفريق يرى الأمر على العكس من هذا تماما ، حيث إن انشقاق القمر لم يقع بعد ، وسوف ينشق القمر قبل قيام الساعة ، وكما نقل القرطبي في تفسيره عن الماوردي أن هذا قول الجمهور ، لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه ، لأنه آية والناس في الآيات سواء.

ولحسن الحظ ، ولكي تتأكد هذه المعجزة القرآنية ، فإن علماء الفلك هم كذلك قد ذهبوا من المسألة مذهبين ، واختلفوا إلى رأيين ، فمنهم من يرى أن القمر قد انشق يوما من الأيام ، وهذا الرأي هو رأي العلماء الأمريكان الذين هبطوا على سطح القمر ، ومنهم من يرى أن القمر سينشق في المستقبل ، وهذا رأي معظم الفلكيين.

---

(١) البحر المحيط ، محمد بن علي ابن حيان الأندلسي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ ، ٧ / ٢١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤ / ٤٢٧.

(٣) رواه البخاري ، في فضائل الصحابة ، باب انشقاق القمر ، رقم (٣٦٥٦) ، ٣ / ١٤٠٤ ، وأحمد في مسنده ، رقم (٤٣٥٧) ، ١ / ٤٥٦.

**الحقائق العلمية :**

أما بالنسبة لمن رأى أن القمر قد انشق يوما ما ، وهم علماء الفضاء الأمريكان ، فإني أنقل رأيهم وأثبته هنا عن الأستاذ الدكتور زغلول النجار [١] والذي ألقى محاضرة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وتطرق إلى قضية انشقاق القمر ، وأكد أن القمر قد انشق ودلل على ذلك من خلال سؤال طرح على علماء الفلك في ناسا الأمريكية وهو : ما ذا استفدتم من رحلتكم إلى القمر والتي قد كلفتكم أكثر من مائة مليون دولار ، ولو أنكم قدمتم هذه الأموال كمساعدة إنسانية إلى الفقراء أما كان هذا بأفضل؟.

وكان الجواب : إن أعظم شيء اكتشفناه خلال رحلتنا إلى القمر ، أننا قمنا بتثبيت المراجف على سطح القمر لرصد الزلازل التي تحدث فيه ، وللكشف عن بنيته ، وبنتيجة ما قدمته تلك المراجف من معلومات ، تبين لنا أن القمر يحوي حزاما حجريا متحركا على عرضه ، مما يدل بوضوح على أن القمر قد انقسم إلى قسمين يوما ما ثم التحم.

ولقد كتب الدكتور زغلول مقالا في جريدة «البيان» الإماراتية بعنوان «انشقاق القمر» وكان مما قال فيه : (لقد دوّن كل من التاريخ الهندي والصيني القديم حادثة انشقاق القمر ، وأرخوا بها ، وفي محاضرة لي بكلية الطب (جامعة كارديف) في مقاطعة (ويلز) غربي بريطانيا ، منذ عدة سنوات مضت وجّه إلي أحد الحضور من المسلمين سؤالا عن الآيات في مطلع سورة القمر ، وهل تمثل ومضة من ومضات الإعجاز العلمي في كتاب الله؟ ، فأجبت بأن هذه الواقعة تمثل إحدى المعجزات الحسية التي وقعت تأييدا لرسول الله ﷺ في مواجهة كفار ومشركي قريش ، وإنكارهم لنبوته ﷺ ، وأن المعجزات خوارق للسنن ، وعلى ذلك فإن السنن الدنيوية لا يمكن لها تفسير كيفية حدوث المعجزة ، ولو لا ورودها في كتاب الله ، وفي سيرة رسول الله ﷺ ما كان علينا نحن مسلمي اليوم أن نؤمن بها ، ولكننا نقر بها ، ونؤمن بوقوعها لورودها في كتاب الله بالنص الإلهي الذي يقول فيه

---

(١) الدكتور زغلول النجار ، مصري الجنسية ، حاصل على الدكتوراة من جامعة ويلز البريطانية في علم الجيولوجيا عام ١٩٦٣ ، حاضر في العديد من الجامعات العربية والغربية ، ويرأس مركز البحوث القرآنية في لندن حاليا ، ويعتبر الدكتور زغلول من أبرز من تكلم في قضايا الإعجاز الجيولوجي في القرآن الكريم باعتدال ، وتربطني به صلة بحثية علمية في الإعجاز القرآني ، وهذا الكلام الذي أثبته هنا إنما هو نقل عن الدكتور زغلول في محاضرة ألقاها وحضرتها في المركز التجاري في إمارة دبي ، بتاريخ ١٢ رمضان ٢٠٠١.

ربنا : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ (٥)﴾ [١] وبعد انتهاء حديثي ، وقف رجل بريطاني من الحضور واستأذن في أن يضيف شيئا إلى إجابتي فأذنت له ، ثم بدأ بتعريف نفسه على أن اسمه داود موسى بيدكول ، وأنه مسلم ، ويرأس الحزب الإسلامي البريطاني ، ثم أضاف أن هذه الآيات في مطلع سورة القمر كانت هي السبب في إسلامه في أواخر السبعينات من القرن العشرين ، لأنه ببحث مستفيض في الأديان أهداه أحد المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، وأنه عند فتح هذه الترجمة لأول مرة فوجئ بسورة القمر ، فقرأ الآيات في مطلعها ، ولم يكد يصدق أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمة وانصرف عنها ، ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن يشاهد على شاشة التلفاز البريطاني (C.B.B.) برنامجا عن رحلات الفضاء ، استضاف فيه المذيع البريطاني جيمس بيرك (James Burke) ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين ، وذلك في سنة ١٩٧٨ ، وفي أثناء الحوار كان المذيع ينتقد الإسراف على رحلات الفضاء بإنفاق بلايين الدولارات ، والأرض يتضور فيها ملايين البشر من الجوع ، والمرض ، والجهل ، والتخلف ، وكان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطوير عدد من التقنيات الهامة التي تطبق في مجالات التشخيص والعلاج الطبي ، والصناعة ، والزراعة وغيرها ، وفي أثناء هذا الحوار جاء ذكر أول رحلة إنزال رجل على سطح القمر ، وقد تكلفت أكثر من مائة مليار دولار ، وجلس المذيع يتابع عتابه على هذا الإسراف ، فرد العلماء بأن هذه الرحلة قد أثبتت لهم حقيقة لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقهم أحد ، فسأل المذيع : ما هي هذه الحقيقة؟ فأجابوا : أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم ، وأن آثار محسوسة تؤيد ذلك الحدث قد وجدت على سطح القمر وامتدت إلى داخله ، فقال السيد بيدكول : حينما سمعت ذلك قفزت من الكرسي الذي كنت أجلس عليه أمام التلفاز ، وقلت : معجزة تحدث لمحمد قبل ألف وأربعمائة سنة ويرويها القرآن بهذا التفصيل العجيب ، يسخّر الله من يثبتها للمسلمين في عصر العلوم والتقنية الذي نعيشه ، وينفق هذا المبلغ الكبير ، لا بد وأن يكون هذا الدين حقا ، وعدت إلى ترجمة معاني

---

(١) سورة القمر ، الآيات ١ ـ ٥.

القرآن الكريم أقرأها بشغف شديد ، وكانت آيات سورة القمر هي السبب المباشر لقبولي الإسلام دينا) [١].

وأما بالنسبة للفريق الثاني والذي يرى بأن القمر سينشق في المستقبل ، فهم كثر بل إن معظم من كتب من الفلكيين حول القمر تحدث عن انقسام القمر وانشقاقه في المستقبل ، وسأسوق هنا ما ورد في «موسوعة المعارف الكونية» حول هذا الموضوع : (كان القمر قريبا من الأرض عقب الانفصال منذ بلايين السنين ، وأخذ يبتعد عنها تدريجيا للدوران حولها في مدار ظلّ يتسع تدريجيا لزيادة السرعة المدارية للقمر ، تعويضا عن الإبطاء الحادث في سرعة الدوران المغزلي للأرض بتأثير ظاهرة المد والجزر وهذا التعويض لا بد أن يحدث تلقائيا للحفاظ على كمية تحرك مجموعة الأرض والقمر معا ، كنظام مغلق مرتبط ببعضه البعض ، ولقد ثبت علميا وعمليا أن الأرض تبطئ بمقدار ٠٠٢ ، ٠ من الثانية في زمن اليوم الواحد كل مائة سنة ، لذلك يسرع القمر في مداره فيزداد الطرد المركزي ، لدرجة أن القمر يرتد عنّا حاليا بمعدل مسافة ٤ سم سنويا ، وهذا الارتداد رغم ضآلته بالنسبة لنصف مدار قطر القمر حول الأرض حوالي «٣٨٤٠٠٠ كم» فإن الإزاحات الضئيلة الناتجة عنه تراكمت عبر ملايين السنين حتى وضعت القمر في مداره الحالي ، ويعتقد العلماء أن هذه الظاهرة وعوامل أخرى تؤثر على سرعة دوران الأرض حول نفسها ، مما يؤثر بدوره على اختلال توازن القمر في مداره في المستقبل ، لأن زيادة سرعته حول نفسه أو حول الأرض ستؤدي حتما إلى انشقاق القمر تماما ، كما يتفتت الشيء عند ما يتسارع دائرا في خلاط كهربائي ، أو عند ما تختل الجاذبية على نصفيه وعندئذ سيرى الناس القمر منشقا) [٢].

وهكذا فإن ما توصل إليه العلماء من دراسات وأبحاث ، تدل بمجملها دلالة واضحة على أن القمر قد انشق أو بالتأكيد سينشق ، وفي هذا تأكيد على عظمة هذا القرآن وعلى سبقه في إثبات الحقائق العلمية والكونية.

وأما بالنسبة للشق الثاني من هذا المبحث ، وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا

---

(١) أخذ هذا الكلام من موقع :

http // : www. albayan. co. ae / albayan / ٠٣ / ١١ / ٠٢٢ / mnw. ll / htm

(٢) المعارف الكونية ، مجموعة من العلماء ، ص ١٨٤.

اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ ، فإن الواقع فسّر هذه الآية الكريمة وركب الإنسان حقا طبقا عن طبق عند ما نزل على سطح القمر ، واخترق طبقات السماء المتعددة.

(ففي ٢٠ تموز سنة ١٩٦٩ نزل الرائدان الأمريكيان «نيل أرمسترنغ» و «أدوين ألدرين» على سطح القمر ، كأول إنسانين يطئان جرما خارجا عن الأرض ، وتلت هذه الرحلة التاريخية الناجحة ست رحلات من طراز «أوبللو» أنزلت روادا على سطح القمر ... وكان تاريخ نزول «أرمسترنغ» و «ألدرين» في ٢٠ تموز ١٩٦٩ ، وقد بقي الرائدان على سطح القمر مدة ٢٢ ساعة و ٤٠ دقيقة وضعا خلالها أجهزة علمية متنوعة ، كمقياس الزلازل لقياس الهزات القمرية ، وقياس البراكين وغيرها إضافة إلى بعض الرموز التذكارية كعلم أمريكا وغيره ... وقد بدأت الرحلة في ١٦ تموز ١٩٦٩ واستمرت ١٩٥ ساعة و ٢٠ دقيقة ، وأنهت أعمالها في ٢٤ تموز) [١].

**الإعجاز :**

مما سبق يتّضح لنا أن المفسرين ﷺ تعالى ، وعلماء الفلك كذلك قد اختلفوا في وقت وقوع حادثة انشقاق القمر ، فمنهم من ذهب إلى أن القمر قد انشق زمن النبي ﷺ ، ومنهم من رأى بأن القمر من دلائل الساعة وأن انشقاقه سيتزامن مع الأحداث التي تواكب قيام الساعة ، كما أن علماء الفلك قد اختلفوا بين مؤكد على أن القمر قد انشق ، وبين مؤكد على أنه سينشق في المستقبل وتبقى الآية القرآنية معجزة فوق هذا وذاك ، وأنها أثبتت أن القمر قد انشق ، لتكون سباقة إلى إثبات هذه الحقيقة العلمية التي توصل إليها باحثو اليوم.

كما أنّ الناحية العلمية في قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ قد اتضحت وأصبحت جليّة للعالم كله ، فلقد اخترق الإنسان عدة طباق ووصل إلى القمر ، وما كان أحد يتصور يوم نزول القرآن ولا يصدق بأن الإنسان سيصعد إلى السماء ، ولا حتى قبل مائتي سنة ، إلا أن القرآن قد أشار إلى إمكانية غزو الفضاء إن ترقّى الإنسان في مدارج العلم ، وملك زمام العلم وسلطانه ، قال تعالى : ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ﴾ [٢].

---

(١) المنظومة الشمسية ، عبد الأمير المرتضى المؤمن ، ص : ١٧٣.

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٣٣.

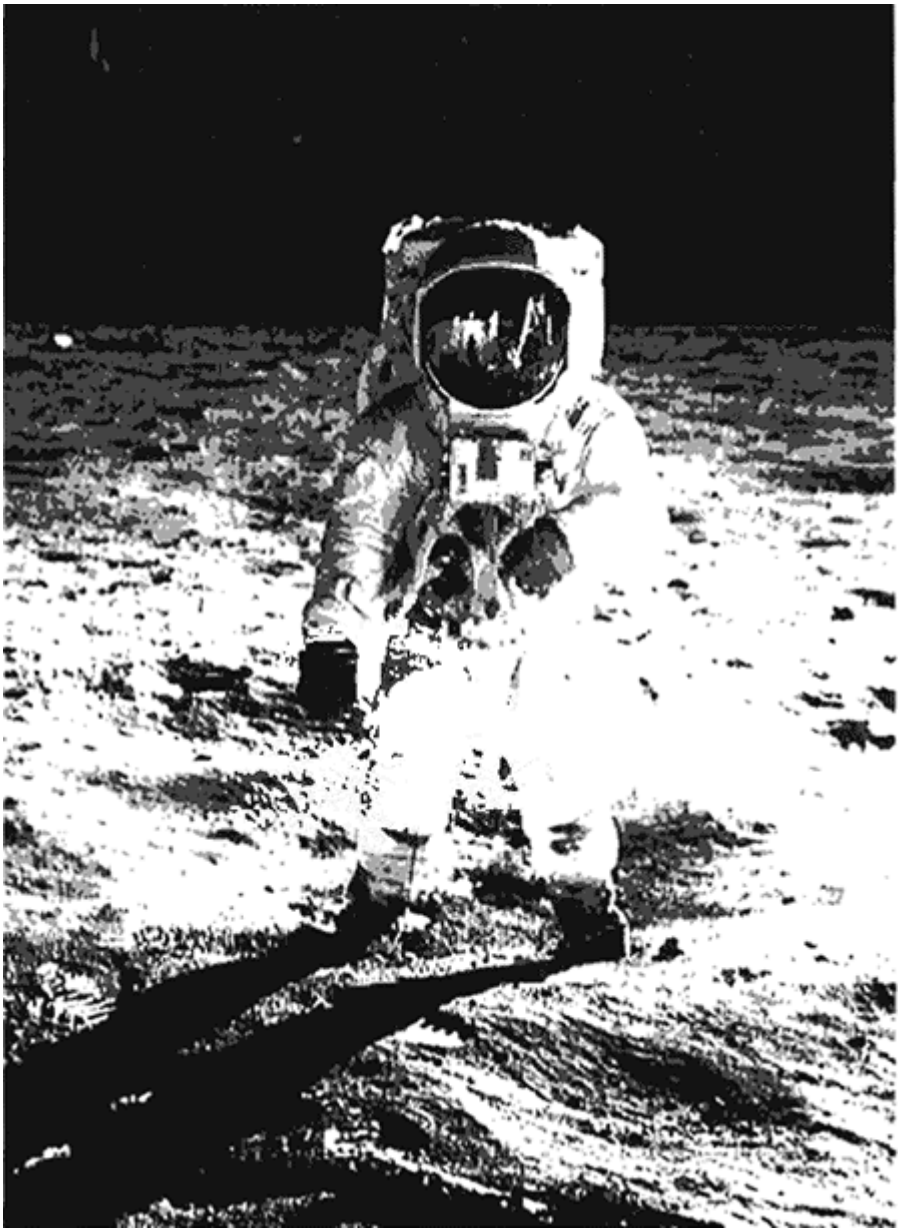

صورة توضح رائد فضاء يسير على سطح القمر

## المبحث الثالث

### منازل القمر

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٢).

يشير قوله تعالى : ﴿قَدَّرْناهُ مَنازِلَ﴾ إلى تنقلات القمر في منازله التي ينزلها في كل يوم من الشهر ، وفي الآية إشارة إعجازية رائعة وهي أن القمر خلال تنقله في منازله ، إنما هو في واقع الحال يدور حول الكرة الأرضية ، ومن من الناس قبل التقنية الحديثة كان يعلم أن القمر يدور حول الأرض ، كما أن في الآية تقرير واضح إلى أن هذه المنازل إنما جعلها الحق ﷻ لتقويم حساب الأيام والسنين.

يقول الحافظ ابن كثير : (وقدر القمر منازل ، فأول ما يبدو صغيرا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره ، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام شهر ... وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾ فبالشمس تعرف الأيام ، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام) (٣).

ويصف القرطبي ﷺ منازل القمر هذه فيقول :

﴿قَدَّرْناهُ مَنازِلَ﴾ ففي هذا جوابان ، أحدهما قدرناه ذا منازل ، والتقدير الآخر قدّرنا له منازل ... والمنازل «ثمانية وعشرون منزلا» ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل ، وهي : الشرطان البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الذراع ، النشرة ، الطرف ، الجبهة ، الخراتان ، الصرفة ، العواء السماك الفغر ، الزبانيان ، الإكليل ، القلب ، الشولة ، النسائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ، المفرغ المؤخر ، بطن الحوت.

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٥.

(٢) سورة يس ، الآية : ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٣ / ١٨١.

فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها ، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ، ثم يستتر ثم يطلع هلالا ، فيعود في قطع الفلك على المنازل ، وهي منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلث فللحمل الشرطان والبطين وثلث الثريا ، وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة ، ثم كذلك إلى سائرها [١].

وأما العرجون : ﴿حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ فهو (عود العذق الذي عليه الشماريخ ، وهو فعلون من الانفراج وهو الانعطاف ، أي سار في منازله ، فإذا كان في آخرها دقّ واستقوس وضاق حتى صار كالعرجون القديم ، و «العرجون» الذي يبقى من الكباسة في النخلة إذا قطعت و «القديم» البالي) [٢].

وفي تفسير «الكشاف» : ﴿عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة ... والقديم المحلول ، إذ قدم ودق وانحنى واصفرّ فشبه به من ثلاث أوجه) [٣].

بعد هذا التطواف الموجز عن منازل القمر في كتب المفسرين ، نأتي إلى حديث علماء الفلك عن منازل القمر وتحركاته ، ولا شك أن علماء الفلك قد أسهبوا في الحديث عن منازل القمر ، وعن أوجهه إلا أننا سنقتصر على دراسة واحدة لمنازل القمر.

**الحقائق العلمية :**

ففي كتاب «القمر» : (يتخذ القمر خلال دورته الشهرية ، أي الانتقالية حول الأرض مواقع محددة بالنسبة لها وللشمس ، وله في كل من تلك المواقع مظهر خاص راجع إلى مقدار المساحة التي يغمرها النور من وجهه ، والشكل الذي يتخذه ذلك الجزء المغمور بالنور ، وتدعى تلك المظاهر باسم «منازل القمر» أو «وجوهه» علما بأن شروق القمر ، يتأخر كل يوم عن اليوم السابق بمقدار ٥٠ دقيقة وسطيا وأول تلك الوجوه :

**اولا : الهلال**

هو أول منزل من منازل القمر ، إذ يكون القمر يومها قد ابتعد قليلا عن نقطة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٨ / ٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ٨ / ٢٢.

(٣) الكشاف ، للزمخشري ، ٣ / ٣٢٣.

الصعود ، وهو في طريقه إلى سماء نصف الكرة الشمالي ، فيرى يومها في الأفق الغربي ، بعد غروب الشمس بقليل وقرب المكان الذي تغرب فيه الشمس ، وقد أنارت الشمس أقصى الطرف الأيسر من السطح المعتم المتجه نحونا ، ولا يتمكن من رؤية ذلك الهلال النحيل إلا أصحاب البصر الحاد ، وخلال فترة قصيرة ، إذ لا يلبث أن يغيب بعدها تحت الأفق ، ويزداد عرض ذلك الهلال يوما بعد يوم حتى إذا ما انقضت مدة ٦ أيام و ١٦ ساعة و ١١ دقيقة على بداية الشهر القمري ، فإن القمر يدخل منزلا جديدا ، إذ يتخذ شكلا مغايرا للشكل السابق حيث يقال إنه في التربيع الأول.

**التربيع الثاني :**

في اليوم السابع من الشهر القمري ، يلاحظ القمر بعد غروب الشمس بقليل ، في وسط السماء وقد غمر النور نصفه الأيسر ، وعندها يقال : إنه في التربيع الأول ، إذ يكون قد أمضى ربع دورته الانتقالية الشهرية حول الأرض ، وذاك هو المنزل الثاني من منازل القمر.

**الأحدب الأول :**

وفي اليوم الثامن من الشهر القمري وما بعده ، يزداد القسم المنار من سطح القمر ، كما يرى بعد غروب الشمس وهو أقرب إلى الأفق الشرقي ، حيث يصبح القسم الأكبر منه منارا ، وذلك بعد مضي ١١ يوما على بدء الشهر القمري ، ويكون تحدبه نحو يمينه ، أي باتجاه الشرق ويدعى القمر عندها الأحدب الأول ، وهو ثالث منزل من منازل القمر ، أي وجوهه.

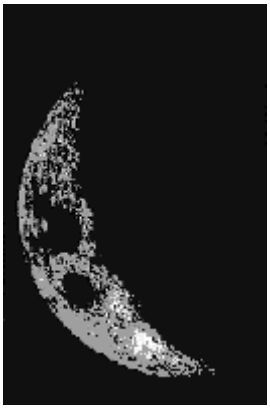

صورة القمر في شكل هلال

**البدر :**

وفي ليلة النصف من الشهر القمري يكون القمر قد بلغ نقطة النزول ، وقد غمر النور كامل وجهه ، ويتفق إشراقه من الأفق الشرقي مع غياب الشمس في الأفق الغربي ،

ويقال يومها : إن القمر في حالة تقابل مع الشمس ، إذ يكون هو والشمس وبينهما الأرض على استقامة واحدة ، ويدعى القمر عندها بدرا ، وذاك هو رابع منزل من المنازل التي يبلغها القمر بعد مضي ١٤ يوما على بداية الشهر القمري.

**الأحدب الثاني :**

ويأخذ القمر يوما بعد يوم بالتأخّر في الشروق بمقدار ٥٠ دقيقة وسطيا ، كما يأخذ النور بالانحسار عن الجزء الأيسر منه ، حتى إذا ما انقضت أربعة أيام على الحالة التي كان القمر فيها بدرا ، رسم الخط الفاصل بين القسم المنار منه والقسم المظلم ، خطا منحنيا تحدبه نحو الطرف الأيسر منه ويدعى القمر عندها الأحدب الثاني ، وهو المنزل الخامس من منازل القمر ، كما يلاحظ أنه بدءا من اليوم السادس عشر من الشهر القمري ، يأخذ القمر بالاقتراب من الأفق الجنوبي ، يوما بعد يوم إذ يكون قد انتقل إلى سماء نصف الكرة الجنوبي.

**التربيع الثاني :**

وعند ما يمضي من الشهر القمري ٢٢ يوما ، نجد أن النور لم يعد يغطي إلا النصف الأيمن فقط من سطح القمر ، وذلك هو المنزل السادس من منازل القمر الذي يدعى التربيع الثاني ، ويلاحظ أن شروقه يومها يتأخر حوالي ٥ ساعات تقريبا بعد غروب الشمس ، كما يرى نهارا وهو يتحرك شيئا فشيئا باتجاه الأفق الغربي ، حيث يقترب منه ظهيرة ذلك اليوم.

**الهلال الثاني :**

وفي الأيام الثلاثة التي تلي التربيع الثاني ، يلاحظ أن النور لم يعد يغطي إلا قسما صغيرا من طرفه الأيمن ، متخذا شكل هلال يرى في النهار ، ويكون تحدبه مساء عند اقترابه من الأفق الغربي نحو يمين القمر ، وذاك هو المنزل السابع من منازل القمر.

**المحاق :**

وفي آخر يوم من الشهر القمري ، يكون القمر قد بلغ نقطة الصعود ، وأصبح بين الأرض والشمس على استقامة واحدة ، وقد غمر الظلام كامل وجهه المتجه نحونا ، ويكون قد غاب تحت الأفق مع مغيب الشمس ، فلا يرى ، ويقال لحالته تلك : «حالة الاقتران» أما منزله وهو المنزل الثامن فيدعى المحاق ، إذ يقال للقمر يومها : إنه محاق ، لأنه محق لا تمكن رؤيته.

**القمر الرمادي :**

في بداية الشهر القمري ، حين يكون الهلال نحيلا ، نجده وقد احتضن القسم المظلم الباقي من القمر والذي يبدو لأعيننا على شكل دائرة سوداء ، ولو نظرنا لتلك الدائرة بالمرقب ، لرأينا غشاء خفيفا من نور رمادي اللون يغطيها ، وما مصدر ذلك النور إلا الأرض التي تعكس نورها نحوه ، مما يجعل ذلك القسم المظلم من القمر يرى بالعين المجردة.

بداية الشهر القمري وأول وجوه منازل القمر :

يبدأ اليوم عند المسلمين من بعد غروب شمس اليوم السابق ، بينما يبدأ اليوم عند بقية الشعوب في منتصف الليلة التي تلي نهار اليوم السابق ، وهذا مما جعل أول وجه من وجوه القمر لدى المسلمين الهلال ، بينما تعتبر بقية شعوب العالم وجه القمر المسمى محاقا ، أول وجوهه أي منازله) [١].

ونحن المسلمين نستخدم في دولنا الإسلامية التقويم الهجري ، والسنة القمرية التي ترتكز أساسا على رصد الأهلة الاثني عشر شهرا ، أي ٣٥٤ يوما ، بينما السنة الميلادية أو الشمسية ترتكز على زمن دورة الأرض حول الشمس والتي تقدر ٣٦٥ ، يوما أرضيا وربع ، وهنا إعجاز قرآني عجيب ، إذ أن كل ٣٠٠ سنة ميلادية يعادلها ٣٠٩ سنة قمرية ، وهذا تحقيق للمعجزة القرآنية في قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ [٢].

(ولبثوا في كهفهم ، ولبث الفتية في كهفهم أحياء نائمين ، فمنذ أن أنامهم الله إلى أن أيقظهم ثلاثمائة سنة وتسعا ، وذكر بعض المفسرين أن المدة ثلاثمائة سنة شمسية ، وثلاثمائة وتسع قمرية) [٣].

(تبلغ السنة الشمسية ، وهي التي تسمى الانقلابية ، لأنها عبارة عن مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد ٢١٧ ، ٢٤٢ ، ٣٦٥ يوما شمسيا ، ينتج بمرورها الصيف والخريف والشتاء والربيع ، والسنة القمرية تتكون من

---

(١) انظر : القمر ، إبراهيم حلمي غوري ، ص ١٤٨.

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٢٥.

(٣) غاية البيان في تفسير القرآن ، حسن علوان وآخرون ، الدوحة ، مطابع قطر الوطنية ، د. ت ، ٣ / ٩٤.

٠٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٤٥ يوما ، وهي المدة بين كسوفين متواليين مقسومة على عدد حركات القمر الدائرية ، فالفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية أي الهجرية ١٠ ، ١٤٩ ، ٨٧٥ يوما ، وبذلك يكون في كل ٣٣ سنة فرق قدره ٩١٧ ، ٨٧٩ ، ٣٥٨ يوما ، أي ما يقرب من السنة ، وعليه تزيد كل مائة سنة ثلاث سنوات ، وتكون ٣٠٠ سنة شمسية يقابلها ٣٠٩ سنة قمرية ولقد تم أيضا حساب الشهر القمري حديثا فوجد أنه ٥٣٠٥٩ ، ٢٩ وتكون السنة القمرية مساوية ٥٣٠٥٩ ، ٢٩ X ١٢ ٣٦ ، ٣٤٥ يوما. وبهذا فإن ٣٠٠ سنة شمسية تقابل ٣٠٩ سنة قمرية (هجرية) وهذه العلاقة الرياضية واضحة في الآية السابقة التي تبين أيضا نسبية الزمن ، سواء قسمناه بالتقويم الشمسي أو القمري) [١].

ومن المعلوم أن العرب يستعملون السنة القمرية لحساب شهورهم وسنواتهم ، ولكن أصحاب الكهف وأهل زمانهم كانوا يستخدمون السنة الشمسية ، فلقد لبث أهل الكهف ٣٠٠ سنة شمسية لأنهم يستخدمون التقويم الشمسي في زمانهم ، ﴿وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ حسب استعمال العرب والمسلمون للسنة القمرية.

**الإعجاز :**

يتجلّى الإعجاز القرآني في القمر هاهنا ، أن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل للقمر منازل ينزلها في كل شهر ، وهذا دليل قطعي على دورانه حول الأرض ، وهذا ما اكتشفه العلم وأثبته ، والتعبير القرآني المعجز دقيق : ﴿مَنازِلَ﴾ إذ فيه دلالة قطعية على دوران القمر حول الكرة الأرضية ، تلك الحقيقة التي لم يكن أحد يعرفها إبان نزول القرآن وبعده بقرون.

كما أن الإعجاز القرآني الحسابي الدقيق يتضح في السنة الشمسية والقمرية ، فكل ٣٠٠ سنة شمسية تساوي ٣٠٩ سنة قمرية ، فسبحان الله العظيم.

---

(١) من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، موسى الخطيب ، ص : ٢٧٤.

## المبحث الرابع

## وجمع الشمس والقمر

قال تعالى : ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [١].

تتحدث هذه الآية الكريمة عن حدث من الأحداث التي ستتزامن مع قيام الساعة ، وتتساور مع خراب الكون ودماره ، فالشمس والقمر ـ كما تنص الآية القرآنية ـ سوف يجتمعان ، وهذه الصورة القرآنية أسهب علماء الفلك بالحديث عنها ، من أن الشمس سيكبر حجمها وتجتمع مع القمر ، ولا شك أنهم لا يعرفون الآية القرآنية ولم يقرءوها ، بحكم توغّلهم في العلوم المادية التطبيقية وبعدهم عن القرآن ، كما أنهم تحدثوا عن دوران القمر حول الأرض ، وأنه خلال دورانه يبتعد شيئا فشيئا عن الأرض ، ولو بنسبة قليلة إلا أن هذا الابتعاد سيوقعه في جاذبية الشمس ويجتمع معها يوما ما ، وقبل أن نصغي لهذه النتائج العلمية الفلكية ، نسوق بعض أقوال المفسرين في الآية الكريمة.

يقول الإمام الرازي : (قوله : ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فيه مسائل : المسألة الأولى ، ذكروا في كيفية الجمع وجوها أحدها : أنه تعالى قال : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [٢] فإذا جاء وقت القيامة أدرك كل واحد منهما صاحبه واجتمعا ، وثانيها : جمعا في ذهاب الضوء ، فهو كما يقال مثلا : الشافعي يجمع ما بين كذا وكذا في حكم كذا ، وثالثها : يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار ، وقيل : يجمعان ثم يقذفان في البحر ، فهناك نار الله الكبرى) [٣].

---

(١) سورة القيامة ، الآية : ٩.

(٢) سورة يس ، الآية : ٤٠.

(٣) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٣٠ / ٧٢٥ ، وانظر : تفسير ابن عباس ، إعداد ، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي ، د. ت ، ص ٩٤٩.

وفي تفسير «غاية البيان» : (وجمع الشمس والقمر ، يخسف القمر ويذهب ضوؤه ، ويصطدم بالشمس لضعف ما كان بينهما من تماسك ، فتكون نهاية العالم) [١].

وفي تفسير «بحر العلوم» : (ويقال : جمع الشمس والقمر ، يعني ، سوى بينهما في ذهاب نورهما ، وإنما قال : وجمع الشمس والقمر ، ولم يقل وجمعت ، لأن المؤنث والمذكر إذا اجتمعا ، فالغلبة للمذكر) [٢].

وقال الإمام القرطبي : (أي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما ، فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ... وقال ابن عباس وابن مسعود : جمع بينهما ، أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكوّرين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران ، وقال عطاء : يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر ، فيكونان نار الله الكبرى ، وقال علي وابن عباس : يجعلان في نور الحجب ، وقد يجمعان في نار جهنم ، لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم ، وقيل : يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثمّ تعاقب ليل ولا نهار) [٣].

هذا هو النبأ القرآني حول مصير القمر الذي سيجتمع مع الشمس ، وهذه هي معطيات النصوص القرآنية الكونية ، ولقد توصل علماء الفلك إلى هذه الحقيقة بعد بحث ودراسة مضنيين.

**الحقائق العلمية :**

ففي كتاب «النهاية» والذي يتحدث عن نهاية الكون والأفلاك ، يشير إلى أن كوكب الشمس سيصبح عملاقا أحمر ويلتقم بعض كواكبه بما فيهم القمر : (... وستبدو الأرض لمن ينظر إليها من خارجها محجوبة بغطاء مثلما يبدو لنا الزهرة الآن ، ويسود منظر السحاب حمرة شديدة حتى تؤدي الحرارة إلى غليان المحيطات تماما ، وتتبخر السحب والجو إلى الفضاء ، ويصبح الكوكب العاري بلا وسيلة دفاع في وجه العملاق الأحمر الذي يملأ كل سماء وقت النهار ، ولا يوجد أي أمل بالنسبة لعطارد والزهرة ،

---

(١) غاية البيان ، حسن علون وآخرون ، ٦ / ١١٤ ، وانظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ ، ٢٩ / ٢٥٤.

(٢) بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٣ / ٥٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٩ / ٩٥.

فهذان الكوكبان سيتم التهامهما داخل الشمس المتضخمة ، وإذا ظلت الأرض تقبع في الخارج ، فإنها ستصبح ملفوحة وقفراء ، بلا حياة) [١].

(وهذا الأمر حاصل ، عند ما تتضخم الشمس لتبتلع الكواكب الثلاثة الأولى ، عطارد والزهرة والأرض ومعها القمر ، فهاهنا يجتمع الشمس والقمر ، حين تصير الشمس عملاقا أحمر قبل تكويرها إلى قزم أبيض ، وهذا ما سيحصل لمستقبل النظام الشمسي) [٢].

ونجد نفس الحقيقة في «المعارف الكونية» : (فالشمس سوف تنتفخ عند شيخوختها لتصبح عملاقا أحمر ، أكبر ملايين المرات من الحجم الذي هي عليه الآن ، وبذلك سوف يتحول لونها من الأصفر إلى الأحمر ، أي تقل درجة حرارتها السطحية ٦٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ لاتساع مساحة سطحها المنتفخ لتبلع عندئذ الكوكبين القريبين عطارد والزهرة وتلتهمهما التهاما ، ويتحولان بذلك إلى دخان في باطن العملاق ، وتستمر الشمس العملاقة الحمراء في الانتفاخ فتبتلع قمر الأرض ، ثم يصل سطحها بلونه الوردي إلى السحاب فوق رءوسنا ، فيخطف أبصارنا لشدة الالتماع والبرق ، وعندئذ تشتعل البحار والمحيطات على سطح الكرة الأرضية ، لتحلّل مائها في هذه الحرارة المرتفعة إلى أيدروجين يشتعل وأكسجين يساعد على الاشتعال) [٣].

وفي لقاء مع الدكتور زغلول النجار ، سألته عن هذه القضية فأجابني نفس الحقائق العلمية التي أثبتناها هنا ، إلا أنه زاد وأشار إلى لطيفة هامة حول جمع الشمس والقمر فقال : إن القمر خلال دورانه حول الأرض يبتعد عن مساره كل فترة زمنية شيئا من الثانية ، وبمرور السنوات والأحقاب سوف ينفلت من جاذبية الأرض ليقع في جاذبية الشمس وعندها يجمع مع الشمس ، وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

**الإعجاز :**

سبحان الله العظيم هذا الذي توصل إليه العلماء من حقائق كونية ، وأثبتوا أن القمر سيجمع مع الشمس ، إلا أن كتاب الله قد سبقهم إلى تقرير هذه الحقيقة العلمية العظيمة ، مما يحتم على الناس أجمع أن يعلنوا الخضوع والولاء لهذا الكتاب العظيم.

---

(١) عالم المعرفة ، النهاية ، فرانك كلوز ، ص ٢٩٢.

(٢) خلق الكون ، محمد باسل الطائي ، ص ٤٢.

(٣) المعارف الكونية ، مجموعة من العلماء ، ص ٥٧.

# الفصل الثامن

## الإعجاز القرآني في الرياح

**تمهيد.**

**المبحث الأول : أنواع الرياح بين القرآن والعلم.**

**المبحث الثاني : تكوين السحب وأنواعها بين القرآن والعلم.**

**المبحث الثالث : البرق والبرد بين القرآن والعلم.**

تمهید ..... ۳۰۸

## تمهيد

الرياح هو هواء متحرك ، وفيه الحياة فوق هذه البسيطة ، ولم يستأثره أحد دون الآخر ، وما ملّكها الله سبحانه وتعالى ووكل بها أحدا من الناس ، بل زمام أمورها وتصاريف حركاتها وشئونها بيد الخالق الرحيم جل جلاله.

قال تعالى : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

وللرياح وظائف كثيرة ، سخرها الحق سبحانه وتعالى خدمة لمخلوقاته ، فالرياح تنقل الطاقة من المناطق المدارية إلى المناطق القطبية الشحيحة بالطاقة ، كما أن لها دورا فعالا في تكاثف بخار الماء وتكوين السحب والغيوم ...

كما أنها تنقل بعض عناصر الجو من أمكنتها إلى مناطق أخرى ، وتنقل الأوبئة والتلوث الجوي من مكانها إلى مكان آخر ، وتنقل الضباب المتنقل والصقيع ، وغير ذلك من الظواهر الطبيعية التي يعرفها دارسو المناخ والغلاف الجوي.

وسيعرض موجز لأهم أنواع الرياح وأشكالها ، وذلك من منظور القرآن والعلم ، ثم يوقف بعد ذلك على وجوه الرحمة والعظمة في هذا المخلوق العجيب ، لأن الرياح إما أن تكون رياح خير وبشرى ، أو ريح دمار وعذاب ، كما سيركز على السحب وأنواعها وطرق تشكلها ، ويشار إلى وصف القرآن لهذا التشكل ، ثم يثبت ما وصل إليه العلماء

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤.

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٥.

بأحدث الأجهزة التقنية إلى ذلك ، كما سيعرج للحديث عن البرق والرعد بين العلم والقرآن ، وأهم ما توصل إليه علماء المناخ بشأن البرد وارتباطه بالشحنات الكهربائية ، ودلالة ذلك من كتاب الله تعالى ، ليتضح أن كثيرا من حقائق العلم التي أصبحت اليوم قطعية ثابتة ، قد أشار بل صرح بها كتاب الله تعالى إبان نزوله على قلب الحبيب ﷺ ، والله سبحانه الموفق.

## المبحث الأول

### أنواع الرياح بين القرآن والعلم

بادئ ذي بدء يشار إلى أن الرياح وردت في كتاب الله تعالى بمعنى الخير والبشرى ، وذلك عند ما تجمع (رياح) وإذا أفردت (ريح) فإنها تدل على الخراب والدمار والهلاك ، وقد عرفها صاحب «مفردات ألفاظ القرآن» فقال : (الريح معروف ، فهو فيما قيل : الهواء المحرك ، وعامة المواضيع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب ، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فهو عبارة عن الرحمة ، أمثلة لذلك :

فمن الريح قوله تعالى في شأن عاد : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (١).

وفي الحديث عن غزوة الأحزاب قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾ (٢).

وشبه الحق أعمال الكفرة بالرماد التي تشتد به الريح فقال : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ﴾ (٣).

وكذلك قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ (٤).

وأورد أمثلة بصيغة الجمع «الرياح» التي يدل على رحمته ، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ﴾ (٥).

وقوله سبحانه : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (٦).

---

(١) سورة القمر ، الآية : ١٩.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٩.

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١٨.

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١١٧.

(٥) سورة الحجر ، الآية : ٢٢.

(٦) سورة الروم ، الآية : ٤٦.

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾ (٢).

فالأظهر فيه الرحمة ، وقرئ بلفظ الجمع) (٣).

ويعلّل القرطبي ويعلق على هذه القضية بكلام نفيس رائع فيقول : (فمن وحّد مع الريح فلأنه اسم للجنس ويدل على القليل والكثير ، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح ، ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن نحو : الرياح مبشرات ، والريح العقيم ، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة ، مفردة مع العذاب إلا في يونس ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (٤).

وروي أن الرسول ﷺ كان يقول إذا هبت الريح : «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» (٥) وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد ، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح ، فأفردت مع الفلك في يونس ، لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب) (٦).

وإنها دقة عالية في التعليل لدى القرطبي رحمه الله ، فالريح هي التي تحمل الدمار والخراب والشر ولشدة قوتها واتصال أجزائها لا يشعر بها الناس ، حتى إذا ما وصلت إليهم ونسفت قواعدهم ودمرت منازلهم ، تراهم قد أصيبوا بالهلع والذعر وربما الزوال ، أما الرياح فهي النسيم العليل الحافل بالخير والبركة والهدوء والمطر والراحة النفسية والطمأنينة القلبية ، فتبارك الله الذي جعل للهواء جناحين جناح رحمة والآخر عذاب.

---

(١) سورة الأعراف ، ٥٧.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٣٧٠.

(٤) سورة يونس ، الآية : ٢٢.

(٥) مسند الشافعي ، ١ / ١٨ ، وأبو يعلى ، رقم : (٢٤٥٦) ، ٤ / ٢٤٣ ، والمعجم الكبير ، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني ، تحقيق ، حمدي السلفي ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ ، رقم : (١١٥٣١) ، ١١ / ٢١٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١ / ١٩٨.

بعد هذا الإيضاح والتعريفين الهامين ، نأتي للحديث عن أنواع الرياح بين العلم والقرآن ، وسنتعرض الآن للقسم الأول من الرياح التي بسط الحديث عنها ربنا في كتابه العزيز ، وهي المختصة بالرحمة والخير ، الرياح.

**أولا : اللواقح :**

قال تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ﴾ (١).

تعلق هذه الآية الكريمة إنزال الماء من السماء بتلقيح الرياح للسحب ، وتزويد السحب بقطرات الماء ، وهذه حقيقة مشاهدة أثبتها علماء المناخ وأفاضوا الحديث عنها ، ولكن لنجول في تفاسير العلماء والمعاجم حتى نرى كيف فهموا هذه الآية.

يقول القرطبي : (معنى لواقح ، حوامل لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع ... وجعل الريح لاقحا لأنها تحمل السحاب ، أي تقله وتصرفه ثم تمر به فتستدرّه أي تنزله) (٢).

وقال الزمخشري عن اللواقح : (فيه قولان : أحدهما أن الريح لاقح ، إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم ، والثاني : أن اللواقح بمعنى الملاقح) (٣).

وقال الطبري : (اختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح ، وإنما هي ملقحة لا لاقحة وذلك أنها تلقح السحاب والشجر ، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح ، كما يقال : ناقة لاقح ، كان بعض نحويي البصرة يقول : قيل : الرياح لواقح ، فجعلها على لاقح ، كأن الرياح لقحت ، لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير ، قال : وقال بعضهم : الرياح تلقح السحاب ، فهذا يدلّ على ذلك المعنى لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه ، وكان بعض نحويي الكوفة يقول : في ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح ، فيقال : ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ... والصواب من القول في ذلك عندي : أن الرياح لواقح

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٥ / ١٥ ، وانظر : تفسير البشائر ، علي الشربجي ، دمشق ، دار البشائر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ٢ / ٢٢٤.

(٣) الكشاف ، للزمخشري ، ٢ / ٣٨٩.

كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها ، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار ، فهي لاقحة ملقحة ، ولقحها : حملها الماء ، وإلقاحها السحاب والشجر عملها فيه ، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود) [١].

وذهب طائفة من المفسرين إلى أن المقصود باللواقح هو تلقيح الرياح للشجر ، ومنهم من قرن تلقيح الشجر وتلقيح الرياح للسحب ، وعلى رأسهم ابن كثير إذ يقول : (أي تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها ، وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج) [٢].

ومعنى لواقح في اللغة : (اللقح اسم ما أخذ من الفحال ليدس في الآخر ، وجاءنا زمن اللقاح أي التلقيح ، وقد لقحت النخيل ، ويقال للنخلة الواحدة : لقحت بالتخفيف واستلقحت النخلة ، أي آن لها أن تلقح ، وألقحت الريح السحابة والشجرة ونحو ذلك في كل شيء يحمل ، واللواقح من الرياح التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا ، وقيل : إنما هي ملاقح ، فأما قولهم : لواقح فعلى حذف الزائد ، قال الله سبحانه : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾) [٣].

يمكن لنا أن نستخلص من معطيات الآية القرآنية ما يلي :

أولا : أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرياح وسخرها لمنافع العباد ، وصورة المنفعة في هذه الآية أنها تعمل على التلقيح «لواقح».

ثانيا : والتلقيح يكون للأشجار والسحب معا ، إلا أن الآية هنا تتحدث عن تلقيح الرياح للسحب فقط.

ولقد حمل هذه الآية عدد من المفسرين القدامى والمعاصرين ، وصرفوا وجه الإعجاز فيها على أن المقصود باللواقح تلقيح الزرع والشجر ، والذي يتمعن في قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ يجد أنها تستوعب كلا المعنيين ، لكن ما ينبغي أن نغفل الجزء الثاني من الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ﴾ فلو أن ما

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، ١٤ / ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٣٩٦.

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، ٢ / ٥٩٧ ، وانظر : القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ١ / ٣٠٦.

ذهبوا إليه من أن الرياح تلقح الأشجار فقط ، لاستلزم المعنى واقتضى السياق القرآني أن ينبني عليه إخراج الزرع والثمار بدل إنزال الماء ، أما وأن القرآن قد رتب وأعقب إرسال الرياح اللواقح إنزال الماء من السماء ليسقيه الناس ، فقد تحتّم أن يكون المقصود باللواقح تلقيح الرياح للسحب لإنزال المطر ، ويتضح الربط هذا من الفاء ، التي ربطت بين السبب والمسبب ، وأقامت العلاقة المتينة بين العلة والمعلول ليكون المعنى ﴿فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ وهذا هو وجه الإعجاز القرآني في هذا الصدد وهذا ما أثبته علماء المناخ.

**الحقائق العلمية :**

جاء في موسوعة «المعارف الكونية» : (لقد اكتشف العلماء حديثا أن الرياح علاوة على حملها لبخار الماء ، فإنها تحمل معها أنوية التكثف على اختلاف أنواعها ، من جسميات صغيرة تنتشر في الهواء بكميات وفيرة أشبه ما تكون بالذرات ، أو حطام المواد الذي نراه يسبح في حزمة من أشعة الشمس ، قوامه جسيمات من التربة وأتربة المصانع ودخان الأفران ... وبطبيعة الحال يزداد تلوث الهواء بمثل هذه الجسيمات داخل المدن ويقل في الأرياف ، وهذه الجسيمات تعمل على تماسك أو تجمع جزيئات الماء العالقة في الهواء مع بعضها البعض لتكون نقط الماء أو بلورات الثلج ، ولهذا تدعى نوى التكاثف (Condensation nuclei) وبهذا فإن قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾ يشير إلى فضل الله تعالى على عباده بجعل الرياح تقوم بهذه الوظيفة) [١].

وهذه الحقيقة وردت في كتب علماء المناخ ، ومن هذه الكتب كتاب «الغلاف والطقس والمناخ» ومما جاء فيه : (تكوين أو تشكيل السحب يعتمد على حالة عدم استقرار الغلاف الجوي ، والحركة الراسية كما إنه متحكم بواسطة العمليات على المقياس الصغير وهذه سوف يتم شرحها ...

نواة التكاثف (Condensation nuclei) : إنه من الأهمية بمكان ملاحظة أن التكاثف يحدث بصعوبة قصوى في الهواء الصافي ، والخالي نسبيا من الغبار الذري المتساقط ، هذا فضلا عن أن الرطوبة يجب أن تجد السطح المناسب الذي يمكن أن تتكاثف عليه ، وإذا تدنت درجة حرارة الهواء الصافي إلى أقل من نقطة الندى (point Condensation)

---

(١) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، ص : ٣٥٨.

تصبح مشبعة بإفراط ، وهذه النوايات يمكن أن تكون ذرات غبار أو دخان أو ملح أو أكسيد الكبريتات ، فتدخل هذه الذرات الغلاف الجوي عن طريق اندفاع فقّاعات الهواء ذرات الملح ، وذرات التربة الناعمة ، وناتج الاحتراق الكيميائي ، فترتفع بواسطة الرياح وتعتبر كلا منها مصدرا هاما للنويات متساويا في المعدل ، وفي المراحل المبكرة تنمو القطيرات الصغيرة بسرعة كبيرة بالمقارنة بالقطيرات الكبيرة ، كما أن بزيادة حجم القطيرات يزداد معدل نموها بواسطة تناقص التكاثف ، ويستمر هذا التدرج في عمليات التكاثف لتشكيل قطرات المطر ، وينمو التساقط في معظم السحب) (١).

**ثانيا : المبشرات :**

قال تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (٢).

تصف هذه الآية الكريمة الرياح بأنها بشرى ورحمة ، لأنها تحمل السحاب المثقل بالماء ، والذي يساق بتدبير الحكيم العليم إلى الأرض الميتة لتحيا بعد ذلك ، وتزهو بالخضار وتثقل الأشجار بالثمار وينعم الإنسان بفضل الله ورحمته.

قال القرطبي : (﴿**حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً**﴾ السحاب يذكّر ويؤنّث ... والمعنى حملت الريح سحابا ثقالا بالماء ، أي أثقلت بحمله ... ﴿**فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ**﴾ أي بالبلد ، وقيل : أنزلنا بالسحاب آلة لإنزال الماء) (٣).

ورياح المبشرات هذه ، تحمل البشرى بالخير والبركة للخلائق ساكني الأرض ، ولها وظائف أخرى سخّرها الله سبحانه وتعالى لمصلحة عباده ، ومن تلك الوظائف ما ذكره

---

(١) الغلاف والطقس والمناخ ، بيري شوري ، ترجمة ، عبد القادر علي ، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٠٨.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٤ / ٢٣٠ ، وانظر : حاشية الصاوي على الجلالين ، تحقيق ، علي الصباغ ، بيروت ، دار الجيل ، د. ت ٢ / ٧٤ ، وانظر : تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، اختصار محمد علي الصابوني ، القاهرة ، دار الصابوني ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، ١ / ٥٤٤.

الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

ولسيد قطب ﷺ ، تعليق جميل على هذه الآية الكريمة نثبته هنا يقول : (تبشر بالمطر ، وهم يعرفون الريح الممطرة بالخبرة والتجربة ، فيستبشرون بها ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بآثار هذه البشرى من الخصب والنماء ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ سواء بدفع الرياح لها ، أو بتكوين الأنهار من الأمطار فتجري السفن فيها ، وهي تجري مع هذا بأمر الله ووفق سننه التي فطر عليها الكون ، وحسب تقديره سبحانه ، فقد أودع كل شيء خاصيته ووظيفته وجعل من شأن هذا أن تحف الفلك على سطح الماء فتسير ، وأن تدفعها الرياح فتجري مع التيار أو ضد التيار وكل شيء عنده بمقدار) (٢).

وهذا ما كشفه علماء الطبيعة في الآونة الأخيرة (من خاصية دفع الماء للأجسام إلى أعلى مما يجعلها تطفو جميعا ، أو قد يطفو جزء منها ويغمر باقيها حسب قانون الطفو الفيزيائي (٣) المعروف ، والذي تنسب أبحاثه الأولى إلى عالم الطبيعة المشهور المدعو «أرخميدس» (٤) وقد سميت تلك الظاهرة الكونية ظاهرة دفع الماء الأجسام إلى الأعلى ، الواصفة لبعض خصائص الماء باسمه فقيل غفلة وتجاهلا : دافعة «أرخميدس» ، وأجريت لها حسابات وتطبيقات عملية ، وإنما هي في الواقع سنة من سنن الله الباري سبحانه ، سخر بها البحار والأنهار وما فيها من الماء ، للناس لتجري الفلك والمراكب البحرية بأمره جل ثناؤه ... وإنما كان «لأرخميدس» الفضل حقا في أنه أول من كشف عن هذا القانون العام ، وأماط اللثام عن هذه الحقيقة الكونية القائمة منذ القديم) (٥).

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٦.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٥ / ٢٧٧٤ ، وانظر : تفسير الشعراوي ، القاهرة ، أخبار اليوم ، د. ت ، ٧ / ٤١٨٢.

(٣) وهو خاص بالأجسام التي يحملها الماء على متنه.

(٤) أرخميدس ، ٢٨٧ ـ ٢١٢ ق. م ، عالم رياضي يوناني برهن أن كل جسم إذا انغمس في سائل ، يتلقى دفعة عمودية من أسفل إلى أعلى توازي ثقل ما شغل مكانه من السائل. انظر : صانعو التاريخ ، سمير شيخاني ، بيروت ، مؤسسة عز الدين ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ ، ١ / ٥٤.

(٥) مشهد الرياح وتصريفها ، عبد الكريم العثمان ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ ، ص : ٤٧.

من هذا العرض السريع ومن هذه الزاوية ، اتضح معنى الاستبشار بالرياح ، وكيف أنها حفلت بالبشرى للناس وبالأمطار والخواص الأخرى التي ذكرناها.

**ثالثا : الذاريات** : قال تعالى : ﴿**وَالذَّارِياتِ ذَرْواً (١) فَالْحامِلاتِ وِقْراً (٢) فَالْجارِياتِ يُسْراً (٣) فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً (٤)**﴾ [١].

لقد أقسم الله سبحانه وتعالى بوصف عمل الرياح الذارية ، وله جل جلاله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا أن نقسم إلا بالله أو صفاته.

يقول الزمخشري : (﴿**وَالذَّارِياتِ**﴾ هي الرياح لأنها تذر التراب وغيره ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**تَذْرُوهُ الرِّياحُ**﴾ [٢].

ويقول صاحب «الظلال» : (﴿**وَالذَّارِياتِ**﴾ من عملها حمل حبوب اللقاح النباتية من أعضاء التذكير في الأزهار الأسدية أو المآبر ، إلى أعضاء التأنيث في مواقعها المتنوعة ، وهي المدقة أو المتاع الحاوي على البيوض ، وبالتالي تقوم الرياح بعمل التأبير لإخصاب أزهار النباتات ، وإنجاز تكون البذور) [٣].

وفي «لسان العرب» : (ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وأذرته أطارته وسفته وأذهبته) [٤].

يتّضح مما أسلفنا من أقوال العلماء أن عمل الرياح «الذاريات» متنوع ، فللذاريات وظيفة في حمل التراب والرمال وغيرهما من مكان لآخر ، وحمل غبار الطلع من أعضاء التذكير الزهرية لتلقيح البويضة وذلك في عملية التأبير المعروفة علميا ، وذلك إعجاز علمي حوته كلمة الذاريات لأنها تدل على هذه الوظائف التي سخرها الله لخدمة الناس.

وفي الصحارى يظهر أثر الرياح الذارية في (تشكيل سطح الأرض كعامل إرساب بالصحارى الحارة الجافة ، وذلك لتكوين الكثبان الرملية التي هي عبارة عن تلال رملية

---

(١) سورة الذاريات ، الآيات ١ ـ ٤.

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، ٤ / ١٣ ، وانظر : التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ٢٠٠٠ ، ٣ / ٩٢.

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦ / ٣٣٧٥.

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، ١٤ / ٢٨٢.

حبيباتها مستديرة يتراوح الارتفاع فيها بين بضعة أقدام إلى عشرات الأمتار ... ومن فوائدها أنها تنقل هذه البذور من أماكن إنتاجها إلى مناطق أخرى بعيدة عن الوطن الأم ، مما يوسع انتشارها وينوّع الغطاء النباتي في المنطقة الزراعية ، فإن الرياح التي تذر ذلك الهشيم تنتقل إلى مسافات بعيدة ، وهي تحمل معها تلك الثمار أو البذور ، فإذا هدأت سرعتها وعجزت عن الاستمرار في الإمساك بحمولتها النباتية ، وقعت تلك البذور في تربة جديدة ، فإذا ما استقرت فيها واستوفت حاجتها من الماء والمساحة والضوء وغير ذلك من العوامل اللازمة للإنتاج ، فإنها تنمو دون تنافس وتنوع الغطاء النباتي في الأرض الجديدة ، ولهذا أهميته المعتبرة عند الأخصائي الزراعي) [١].

كما أنها تحمل (بعض النباتات أو أجزاء منها من مكان إلى آخر ، حاملة البذور تنثرها أينما ذهبت ومثل هذه النباتات يقال لها : (tumble weeds) ومن هذه النباتات ، كف مريم وهو نبات صحراوي يحمل أفرعا تحمل الثمار ، وفي الجو الجاف تنحني الأفرع نحو الداخل ويتكور النبات كالكرة ، التي تحملها الرياح إلى مسافات بعيدة ، وإذا ما وصلت الكرة إلى منطقة رطبة تستقيم الأفرع وفي نفس الوقت تتفتح الثمار وتنتشر البذور) [٢].

وإلى هذا المعنى أشار الحق سبحانه وتعالى في سورة الكهف : ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾ [٣].

**الإعجاز :**

لقد قرر القرآن الكريم أن الرياح من أبرز مهماتها أنها تلقح السحب ، وتثير الغيوم لتنزل الأمطار وتنهمر المياه ، ولم يكن أحد من الناس يعرف هذه الحقيقة قبل عصرنا هذا ، عصر الكشوفات العلمية وما ذكره المفسرون من تلقيح الرياح للسحب ، ليس بسبب تقنية علمية اعتمدوا عليها ، إنما هو استمداد من كلام الله المعجز ، الذي آمنوا بما جاء فيه ، والذي تتجدد حقائقه على مرّ الأيام وكرّ العصور ، والذي يسجل الحقائق العلمية ، ثم يكتشفها الناس لتكون لهم آية ومعجزة.

---

(١) مشهد الرياح وتصريفها ، عبد الكريم بن حسن العثمان ، ص : ١١٦ ، وما بعدها.

(٢) النباتات الزهرية ، شكري إبراهيم سعد ، ص : ١٧٠.

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٤٥.

## المبحث الثاني

### تكوين السحب وأنواعها بين القرآن والعلم

قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٢).

تعرض هاتان الآيتان الكريمتان التسلسل الواضح في عملية تكوين السحاب وإثارته ، ثم تصاعده عن طريق الهواء المتحرك ﴿الرِّياحِ﴾ إلى السماء ، ثم نشره في جو المعمورة ، حسب تقدير العليم الخبير جل جلاله ومن ثم توزيعه على خلقه ليستبشروا بنعمته تعالى ورحمته ، كما أنها تشير إلى نوع من أنواع السحب ، ألا وهو السحب البساطية ، وبنظرة في تفاسير العلماء يزداد الأمر وضوحا وجلاء.

يقول الإمام الرازي : (بين دلائل الرياح على التفصيل الأول في إرسالها قدرة وحكمة ، أما القدرة فظاهرة ، فإن الهواء اللطيف الذي يشقه الودق يصير بحيث يقلع الشجر ، وهو ليس بذاته كذلك فهو بفعل فاعل مختار ، وأما الحكمة ففي نفس الهبوب فيما يفضي إليه من إثارة السحب ، ثم ذكر أنواع السحب فمنه ما يكون متصلا ومنه ما يكون منقطعا ، ثم المطر يخرج منه والماء في الهواء أعجب علامة للقدرة ، وما يفضي إليه من إنبات الزرع وإدرار الضرع حكمة بالغة ، ثم إنه لا يعم بل يختص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة) (٣).

وفي تفسير «بحر العلوم» : (قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾ يعني

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٧.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤٨.

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٥ / ١١١.

تدفعه وتهيجه ، يقال : ثار الغبار إذا ارتفع : ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ يعني كيف يشاء الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء بسطه مسيرة يوم أو أكثر ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ يعني قطعا ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ يعني المطر يخرج من خلاله ، من وسط السحاب ﴿فَإِذا أَصابَ بِهِ﴾ يعني بالمطر ﴿مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعني يفرحون بنزول المطر) [١].

ويعلق على الآية ابن كثير فيقول : (يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء ، فقال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾ إما من البحر كما ذكره غير واحد ، أو مما يشاء الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ أي يمدّه فيكثره وينميه ، ويجعل من القليل كثير ، ينشئ سحابة ترى في رأي العين مثل الترس ، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءة) [٢].

ونحتاج للوقوف على وجه الإعجاز أن نحلل بعض المفردات الواردة هنا : تثير ، سحب ، ودق ، أما معنى تثير ، ففي «لسان العرب» : (ثار الدخان والغبار وغيرهما يثور ثورا وثؤورا وثورانا ، ظهر وسطع ، وثار القطا من مجثمه ، وثار الجراد ثورا وانثار ، ظهر) [٣].

وأما معنى السحب ، ففي كتاب «العين» : (السحب ، جرك الشيء ، كسحب المرأة ذيلها وكسحب الريح التراب ، وسمي السحاب لانسحابه في الهواء) [٤].

وفي «لسان العرب» : (جرك الشيء على وجه الأرض ، كالثوب وغيره ، سحبه يسحبه سحبا فانسحب ، جرّه فانجر ، والمرأة تسحب ذيلها ، والريح تسحب التراب ، والسحابة : الغيم ، السحابة التي يكون عنها المطر سميت بذلك لانسحابها في الهواء) [٥].

وأما الودق ، فمعناها : (الودق : المطر ، ودق ، كوعد ، قطر وإليه ودوقا وودقا ، دنا منه وأمكنه وبه استأنس ، وبطنه اتسع أو استطلق ، والسماء أمطرت ، كأودقت) [٦].

---

(١) بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٣ / ١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٦ / ٢٨٩.

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، ٤ / ١٠٩.

(٤) كتاب العين ، للفراهيدي ، ٣ / ١٥١.

(٥) لسان العرب ، لابن منظور ، ١ / ٤٦١.

(٦) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ١ / ١١٩٧ ، وانظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ١٠ / ٣٧٢.

ويتسنّى لنا الآن أن نستخلص من معطيات ما سبق ، أن الإثارة معناها الإظهار ، وليس كما ظن المفسرون جزاهم الله خيرا و ﷺ ، أن الإثارة هي تقليب الرياح وتحريكها ، لا بل إن المقصود بالإثارة هنا الإظهار كما رأينا في المعاجم ، ذلك لأن الرياح تحمل بخار الماء ونوى التكاثف لتكوين السحاب ، ثم بعد ذلك تتم إثارته أي إظهاره ليكون مرئيا للعيان ، ثم تحريكه وتوزيعه بحكمة العليم الحكيم جل جلاله ، وهذه حقيقة كشف عنها العلماء.

**الحقائق العلمية :**

ففي موسوعة «المعارف الكونية» : (الإثارة هي تحريك السحاب ، والعلم أوضح لنا أن الرياح تحمل بخار الماء ونوى التكاثف لكي يتكوّن السحاب وتتم إثارته ويظهر للأعين ، وبعد ذلك يتم تحويله وتحريكه بتوجيه إلهي ، وبهذا يجب علينا أن نستبعد حركة السحاب ضمن معاني الإثارة ، فالآية هنا رتبت السوق على الإثارة وليس العكس ، ولهذا فإن الإثارة هي بالتأكيد إظهار وتكوين السحب أولا ، وذلك بالتكثيف ، فكلنا يعرف الآن أن السحاب بخار كان كامنا في الهواء غير المشبع أو في الهواء فوق المشبع الخالي من نوى التكاثف ، ثم ظهر بالتكثيف بفعل الرياح سواء كان ذلك بحملها البخار إلى المناطق الباردة العلوية ، أو بحملها نوى التكاثف ، وبذلك يتضح لنا المعنى العلمي للآية الكريمة المراد من إثارة الرياح للسحاب ، أي أثر الرياح في تكوين السحاب وإظهاره وليس نقله كما اعتقد المفسرون) [١].

وفي كتاب «الطقس» : (يتكوّن بخار الماء في الجو عن طريق تبخّر مياه المحيطات والبحيرات والأنهار ، وتقوم النباتات بعد امتصاص جذورها لسوائل التربة ، بإطلاق كميات كبيرة من بخار الماء من خلال أوراقها ، وتدعى العملية «بالنقع» ويجري تبخر المياه بشكل رئيسي من الأجزاء الأكثر دفئا من المحيطات ، ومن الغابات الاستوائية ، ثم تنتقل بعد ذلك باتجاه علوي حيث تحملها الرياح حتى تنفذ إلى كافة أجواء الغلاف السفلي ... وعند ما يتكثف الماء في الجو فإنه يبدو أولا بشكل سحب ، إذا كان في طبقة هوائية عالية ، وبشكل ضباب إذا كان قريبا من الأرض ، وتتألف السحب من

---

(١) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، ص : ٣٥٧ ، وانظر : الاستمطار ، محمد فياض وأحمد خليل ، الكويت ، دار سعاد الصباح ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ ، ص : ١٥ ، وانظر :
الطقس والمناخ ، محمد عياد مقيلي ، ليبيا ، نشر الجامعة المفتوحة ، ١٩٩٢ ، ص : ١٣٨.

قطرات مائية بالغة في الصغر ، بحيث يمكنها العوم في الهواء والانجراف بواسطة تياراته ، ولن يكون في وسع بخار الماء التكثف والتحول إلى قطيرات مرئية ، إذا كان يحتويه هواء غاية في الصفاء والنقاء ، إلا أن الهواء لا يخلو في الواقع من جزيئات الغبار والدخان والملح الناجم عن رذاذ مياه البحر ، بحيث يقدر محتوى الأنش المكعب منه بالآلاف من هذه الجزيئات ، التي تقوم بدورها بإحاطة نفسها بقطيرات من الماء تدعى هذه القطيرات «بنوى التكاثف») [١].

ولقد ذكر علماء المناخ العديد من أنواع السحب ، وبسطوا الحديث عن طبائعها وأشكالها ولسوف نقتصر هنا على نوعين ، البساطي (etirement) والركامي (cumulonimbus) ، ولكن بعد أن نعرض لأهم أنواعها كما ذكر ذلك العلماء.

**أنواع السحب من حيث النشأة :**

(يمكن تصنيف السحب من حيث النشأة إلى أربع فئات وهي :

١ ـ الارتفاع التدريجي للهواء فوق مساحات واسعة مع الارتباط بنظام الضغط المنخفض.

٢ ـ الحمل الحراري ، بحيث تنتقل الحرارة من طبقة إلى الطبقة المجاورة على المقياس الركامي المحلي.

٣ ـ الارتفاع بواسطة الاضطرابات الجوية الميكانيكية (قوة الحمل الحراري).

٤ ـ الصعود فوق الحواجز الجبلية) [٢].

ولقد صنف (مجموعة من العلماء المختصين السحب إلى نوعين :

أولا : السحب البساطية (etirement).

ثانيا : السحب الركامية cumulonimbus [٣].

---

(١) الطقس ، فورس إيك ، ترجمة ، نبيلة منسى ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨١ ، ص : ٤٩ ـ ٥٠ ، وانظر : أسرار الأرصاد الجوية الموسوعة العلمية المبسطة ، ترجمة ، عيسى طنوس ، بيروت ، دار الحقائق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، ص : ٣٠.

(٢) الغلاف والطقس والمناخ ، بيري شوري ، ص : ١١١.

(٣) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، ص : ٣٥٦ ، وانظر : معجم المصطلحات الجغرافية ، بيار جورج ، ترجمة : الدكتور حمد الطفيلي ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤.

وليشرع بالنوع الأول : السحب البساطية.

قال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١).

وقفنا قبل قليل مع هذه الآية الكريمة من جهة تكوين السحب ، وعرفنا أن معنى أثار أي أظهر وليس حرّك ، وهذا المعنى يوافق تماما حال إثارة الرياح للسحب وإظهارها ، كما أن الآية تشير إلى نوع من أنواع السحب وهو السحب البساطي ، كذلك أشرنا إليه ، وعرفنا رأي المفسرين حول هذه الآية ، وتأكيدا على هذا النوع من السحب ، نورد بعض دراسات العلماء والباحثين حوله.

السحب البساطية أو الطبقية : (وهي كما يفهم من اسمها تظهر بشكل طبقات تحجب السماء بأكملها ، ولا توجد لها حدود واضحة ، ويمكن تشبيهها بالضباب المرتفع ، وهي من السحب المنخفضة ، وقد تصل قاعدتها في بعض الأحيان إلى سطح الأرض فتظهر بشكل ضباب ، وقد يحدث أن تتكون من الضباب نفسه عند ما يرتفع بتأثير حرارة الشمس أو الرياح أو كليهما ، وهي من السحب التي قد يصاحبها هطول خفيف من الرذاذ أو حبيبات الثلج ، ويكون الهطول عادة متصلا أو متقطعا ... ومنها ما يكون رقيقا شفافا لا يحجب الشمس ، ومنها ما يكون سميكا معتما ، والنوع السميك منها يصاحبه في المعتاد هطول من المطر أو الثلج أو خليط منهما) (٢).

وفي كتاب «السحب» ذكر أن السحب تنقسم إلى أربعة عشر نوعا ، حسب الشكل الذي تبدو به في السماء ، وجعل السحب البساطية في المرتبة السادسة : (السحب المنبسطة : وهي سحب منتشرة أفقيا بشكل طبقة أو صحيفة ، نجدها ممثلة في سحب الركام المتوسط ، والركام الطبقي) (٣).

**ثانيا : السحب الركامية**

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٨.

(٢) الجغرافية المناخية والنباتية ، عبد العزيز شرف ، الإسكندرية ، دار الجامعات المصرية ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٨٥ ، ص : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، وانظر : مدخل إلى علم المناخ ، ضاري العجمي ومحمود صفر ، الكويت ، مكتبة الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ ، ص : ١٩٠.

(٣) السحب ، علي حسن موسى ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٨ ، ص : ٧٥.

**خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾** (١).

تمثّل هذه الآية الكريمة إعجازا علميا رائعا في علم المناخ والرياح ، وتكوين السحب الركامية ، فهي تتحدّث عن مراحل تكون السحب الركامية ، والتي تبدأ بدفع الرياح للسحاب رويدا رويدا ، ثم تأتي المرحلة الثانية والتي تتمثل بتأليف وجمع قطع السحاب ، ثم تصبح هذه القطع مركومة فوق بعضها البعض ، وعملية الركم هذه تنتج نزول المطر ، وبسبب التراكم التصاعدي تنشأ جبال سيارة في السماء من البرد ، ونويات البرد هذه محصورة في السحب الركامية ، ولم نقرأ في السحب البساطية أنها تحتوي البرد أو البرق والرعد ، ثم إن الآية تخبر أن هذا البرد له برق ، والبرق هو نتيجة حتمية للبرد وغير هذه الحقائق والأسرار تحتويها هذه الآية ، وسوف نرى أن العلم وصل بشكل دقيق إلى ما أوضحتها الآية القرآنية ، بعد ما تطور علم الأرصاد الجوية ، واستعمل العلماء أجهزة الاستشعار عن بعد والرادارات والأقمار الصناعية وغيرها ، ولكن نقف عند تفسير الآية مع علماء التفسير ، وشرح مفرداتها مع اللغويين.

يقول ابن كثير : (يذكر تعالى أنه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئها وهي ضعيفة ، وهو الإزجاء ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي يجمعه بعد تفرقه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾ أي متراكما ، أي يركب بعضه بعضا ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ أي من خلله ... ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ﴾ معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد ... ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ يحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد ، فيكون قوله : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ رحمة لهم ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ أي يؤخر عنهم الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله سبحانه : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالبرد نقمة على من يشاء ، لما فيه من نثر ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم ويصرفه عمن يشاء أي رحمة بهم ، وقوله : ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ أي يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته وتراءته) (٢).

وفي تفسير «روح المعاني» : (﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً﴾ الإزجاء سوق الشيء برفق

---

(١) سورة النور ، الآية : ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٦ / ٦٦ ، وانظر : الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، القاهرة ، دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ ، ٧ / ٣٧٩٢.

وسهولة وقيل : سوق الثقيل برفق وغلب على ما ذكر بعض الأجلة في سوق شيء يسير أو غير معتد به ، ومنه البضاعة المزجاة أي المسوقة شيئا بعد شيء على قلة وضعف ، وقيل : أي التي تزجى أي تدفع للرغبة عنها ، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بأن يوصل سحابة بسحابة ، وقال غير واحد : السحاب واحد كالعماء والمراد يؤلف بين أجزائه وقطعه ، وهذا لأن ﴿بَيْنَه﴾ لا تضاف لغير متعدد ، وبهذا التأويل يحصل التعدد ... ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾ أي متراكما بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي المطر شديدا كان أو ضعيفا إثر تراكمه وتكاثفه ، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ أي من فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار ، وهو جمع خلل كجبال وجبل ... ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ﴾ أي من السحاب ، فإن كل ما علاك سماء ، وكأن العدول عنه إلى السماء للإيماء إلى أن للسمو مدخلا فيما ينزل ، بناء على المشهور في سبب تكون البرد ، وجوز أن يراد بها جهة العلو وللإيماء المذكور ذكرت مع التنزيل ﴿مِنْ جِبالٍ﴾ أي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم على التشبيه البليغ ... لأن الله تعالى خلق في السماء جبالا من برد كما خلق في الأرض جبالا من حجر ، وليس في العقل ما ينفيه من قاطع فيجوز إبقاء الآية على ظاهرها كما قيل ... ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي بما ينزل من البرد ﴿مَنْ يَشاءُ﴾ أي يصيبه فينالـه ما يناله من ضرر في ماله ونفسه ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ أن يصرفه عنه فينجو من غائلته ، ورجوع الضميرين إلى البرد هو الظاهر ... ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ﴾ أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما ، وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه ، للإيذان بظهور أمره واستغنائه على التصريح به ورجوع الضمير إلى البرد أي برق البرد الذي يكون معه ليس بشيء ، وتقدم الكلام في حقيقة البرق فتذكر ، ﴿سَنا﴾ ممدودا ﴿سَنا بَرْقِهِ﴾ بضم الباء وفتح الراء جمع برقة بضم الباء وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة ... وهو هنا كناية عن قوة الضوء ، ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ أي يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها ، وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره فيها ، كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض ، وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة ، لأنه توليد للضد من الضد) [1].

وهناك بعض المفردات الواردة في الآية الكريمة ، ستأخذ معانيها من المعاجم ، مثل : يزجي ، ويؤلف وسنا ، وركام ، أما معنى يزجي ، ففي «لسان العرب» : (التزجية ،

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ١٨ / ١٩٩ . ٢٠٠.

دفع الشيء كما تزجي البقرة ولدها أي تسوقه ، ويقال : أزجيت الشيء إزجاء ، أي دافعت بقليله ، ويقال : أزجيت أيامي زجيتها أي دافعتها بقوت قليل ... والريح تزجي السحاب أي تسوقه سوقا رفيقا) [١].

وأما معنى يؤلف ، ففي «مفردات ألفاظ القرآن» : (الإلف ، اجتماع مع التئام ، والمؤلّف ، ما جمع من أجزاء مختلفة) [٢].

ومعنى الركام : (ركم الركم ، جمعك شيئا فوق شيء حتى تجعله ركاما مركوما ، كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك ، من الشيء المرتكم بعضه على بعض ، ركم الشيء يركمه إذا جمعه وألقى بعضه على بعض ، وهو مركوم بعضه على بعض ... وفي التنزيل العزيز ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾ يعني السحاب) [٣].

وأما معنى سنا : (سنا ، سنت النار تسنو سناء ، علا ضوؤها ، السنا مقصور ضوء النار والبرق وقد أسنى البرق ، إذا دخل سناه عليك بيتك ، أو وقع على الأرض ، أو طار في السحاب) [٤].

هذا معنى الآية كما ورد في كتب المفسرين ، ومعاجم اللغويين ، وهذا هو الوصف العلمي للسحب وخصائصها ونتائجها ، ولقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقائق في آية سورة النور هذه ، ولدى عرضنا للآية وتمعننا فيها بشكل دقيق ، سنلحظ هذه القراءة العلمية في الآية الكريمة ، وهي تتحدث عن تكوين السحب ، وعملية تراكمه ، ثم كيف يخرج المطر منه وينزل البرد على من يرسله من عباده ويصرفه عمن يشاء من عباده سبحانه وتعالى ، وإنه حقا لوصف قرآني عجيب ودقيق للسحب الركامية التي أشير إليها آنفا ، وبنظرة دقيقة في الآية الكريمة تتّحد معطياتها كما يلي :

أولا : تقرر الآية الكريمة أن أوّل مرحلة من مراحل تكوين السحاب الركامي ، إنما تكون بدفع الهواء للسحاب بشكل هادئ ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً﴾ أي يسوق السحاب إلى حيث يشاء فالإزجاء هو السوق كما قرر ذلك علماء اللغة والتفسير.

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ١٢ / ٢٦٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ٨١.

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، ١٢ / ٢٥١.

(٤) المصدر نفسه ، ١٤ / ٤٠٣ ، وانظر : كتاب العين ، للفراهيدي ، ٧ / ٣٠٢.

ثانيا : بعد سوقه وتجميع أجزائه ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي يجمعه ، فالتأليف هو الجمع ، وتلك هي المرحلة الثانية من تكوين السحابة الركامية ، فالحق عزّ وجلّ يجمع بين السحب المتوزعة لتكون سحابة واحدة ، و ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب مع التراخي ، أي تحتاج عملية تأليف السحب وجمعها إلى شيء من الوقت ، والإشارة العجيبة هنا في التأليف ، وهل يكون التأليف إلا بين المتنافرين ، فكذلك يكون التأليف في السحابة بين الشحنات الكهربائية السالبة والموجبة.

ثالثا : ثم تأتي عملية ركم السحاب بعضه على بعض ، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾ أي متجمعا ، يركب بعضه فوق بعض ، وتلك هي المرحلة الثالثة في تكوين السحاب الركامي بالنمو الرأسي كما أثبت العلم.

رابعا : كما أن الآية تشير إلى نزول المطر عند تكامل الركم ، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ الودق ، المطر ﴿مِنْ خِلالِهِ﴾ بمعنى من فتوقه ومخارجه ، وهذا الذي أشارت إليه أبحاث الأرصاد من مراحل نزول المطر في السحاب الركامي بعد تمام مرحلة الركم ، أي بعد أن يضعف الرفع في السحاب ، أو ينعدم فينزل المطر على الفور ، فيخرج المطر من مناطق الخلل في جسم السحابة.

خامسا : ثم إن الآية تتحدّث عن نشوء جبال من البرد في السماء ، جراء هذا الركام الهائل من السحاب ، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ ، وقد يصل حجم حبات البرد إلى حجم البرتقالة وبذلك يكون المعنى ، وينزل من السماء بردا أي من جبال لا بد وأن يكون فيها شيء من برد ، والجبال هي السحب الركامية التي في شكل الجبال.

سادسا : ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ ففي الآية إشارة علمية واضحة إلى أن البرد يولد البرق ، وهذا ما أثبته العلم ، حيث يقوم البرد بتوزيع الشحنات الكهربائية في جسم السحابة أثناء صعوده وهبوطه ، ثم يقوم بالتوصيل بين الشحنات الكهربائية المختلفة ، فيحدث تفريغا كهربيا هائلا ولهذا نسب الله البرق إلى البرد.

**الحقائق العلمية :**

تحدّث علماء المناخ عن السحاب الركامي بشكل مستفيض ، خاصة وأن الأجهزة الحديثة سهلت عليهم الكثير من العقبات ، كما أنها وفّرت لهم كمّا هائلا من المعلومات التي كانت في عالم المجهول بالنسبة لهم ، ولسوف نستعرض بعضا مما قدمه العلماء

من خلال تجاربهم وأبحاثهم في الحديث عن السحاب الركامي ، لنرى أن ما وصلوا إليه هو ذاته الذي حدثتنا عنه آية النور المعجزة.

**أنواع الغيوم :**

(جرت العادة على تقسيم أنواع الغيوم إلى أربعة أنواع رئيسية ، كل منها يقسم إلى عدة أقسام فرعية ، وتشمل الأصناف التالية :

١ ـ الغيوم العالية : وتتكون من بلورات جليدية ، ويتراوح ارتفاع قاعدتها ما بين أكثر من ٦ كم في المناطق المدارية ، إلى أكثر من ٣ كم في العروض العليا.

٢ ـ الغيوم المتوسطة : ويتراوح ارتفاع قاعدتها ما بين ٣ ، ٥ كم في العروض المدارية إلى حوالي ٢ كم في العروض العليا.

٣ ـ الغيوم المنخفضة : ويتراوح ارتفاع قاعدتها من سطح الأرض إلى حوالي ٢ كم في العروض المختلفة.

٤ ـ الغيوم التراكمية : وتشمل غيوم ذات امتداد عمودي ، مثل الغيوم التراكمية الصغيرة الحجم التي تظهر أثناء الطقس المعتدل ، أو الغيوم السمحاقية التي يتجاوز امتدادها العمودي في المناطق المدارية ١٣ كم ، ويصاحب هذه الغيوم العواصف الرعدية والأمطار الغزيرة) [١].

ونجد في موسوعة المعارف الكونية الحديث عن السحب الركامية ، ومما جاء فيها : (ومنها السحب الركامية العادية في الطقس الصباحي ، والسحب الركامية الضخمة الماطرة ، ويتشكل هذان النوعان في الطبقة السفلى في الجو على ارتفاع حوالي ١ كم ، وقمّتها في الطبقة العليا بحدود ٥ ـ ٨ كم ... وأما مقدارها الأفقي فيتراوح من ١ ـ ١٠ كم للنوع الأول ، وبضع عشرات الكيلومترات للنوع الثاني ويلعب الانتقال الرأسي إلى أعلى للكتل الهوائية بسرعة ١٠ متر / ثانية ، دورا ضخما في تكوينها وخلافا للسحب البساطية ، فإن فترة انتقالها محدودة وتقاس بالساعات أو بعشرات الدقائق ، والسحب الركامية الضخمة الماطرة التي تتميز أبعادها الكبيرة وارتفاعها الزائد

---

(١) مبادئ المناخ الطبيعي ، إبراهيم العرود ، عمان ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٧ ، وانظر : العلوم الجوية وتطبيقاتها ، محمد أحمد الشهاوي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ ، ص : ٥١.

كالجبال ... تسبب هطولات قوية وبردا لمدة قصيرة تقدّر بعشرات الدقائق لكنها غزيرة ... والسحاب الركامي الضخم الممطر يشبه الجبال ، وقد يجود بالبرد في العواصف الصيفية ... وهطولات البرد محلية لدرجة أنها قد تصيب حقلا وتترك حقلا مجاورا ، وتسبب أضرارا جسيمة للمزروعات والمباني والكائنات الحية ، حيث يصل قطرها أحيانا إلى قطر البرتقالة أو الرمان) [١].

كما أن العلماء تحدّثوا عن تشكل البرد ، وأوضحوا أن البرد إنما يتم تكوينه داخل السحب الركامية ، وهذا ما صرحت به الآية الكريمة ، ففي كتاب «أسرار الأرصاد الجوية» نجد هذا المعنى بكل جلاء : (يتكون المطر داخل الغيوم ، وتتحول قطرات الماء إلى جليد إذا انخفضت درجة حرارة الغيمة إلى أقل من الصفر ، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تساقط البرد ، وينشأ البرد عادة في الغيوم الكبيرة التي تشبه زهرة القنبيط (غيوم الركام) حيث تحدث داخل الغيمة تيارات عمودية قوية ، فتتجمد قطرات الماء وتبدأ بالسقوط ، لكن التيار الصاعد يرفعها ثم تهبط قليلا وتصعد ، مما يؤدي إلى تضخمها وتحولها إلى جليد ، وهكذا فإن لقطعة البرد نواة صغيرة مؤلفة من عدة طبقات ، وعند ما يغلب وزنها قوة التيارات الصاعدة ، يتساقط البرد على الأرض ، وكل كتلة من الجليد نسميها حبة برد ، يتفاوت حجمها ، منها الكبير والصغير ، وبلغ وزن بعض حبات البرد ٣٠٠ غرام ، وهي قادرة على تحطيم النوافذ وإتلاف المحاصيل) [٢].

وأكد العلماء أن السحب الركامي فقط يحتوي على البرق والرعد ، وهذا ما قررته الآية الكريمة المعجزة ، جاء في كتاب «العواصف والأعاصير» : (العاصفة الرعدية هي ظاهرة جوية كهربائية ، وهي من التفريغات الكهربائية الفجائية التي تظاهرها ومضة ضوئية (البرق) وصوت حاد (الرعد) وتتمثل غيوم العواصف الرعدية ، بغيوم الركام المزني فقط ، لما تتّصف به من نمو رأسي كبير ، وفعالية كهربائية شديدة ، فهي إن دلت فإنها تدل على حالة اضطراب عنيفة في الجو ، وعدم استقرار شديد في أعماق كبيرة من

---

(١) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، ص ٣٦٠ ، وانظر : الأرصاد الجوية ، محمد الهوني وإبراهيم سويدان ، ليبيا ، نشر القوات البحرية ، ١٩٧٩ ، ص : ٢٨.

(٢) أسرار الأرصاد الجوية ، موسوعة علمية مبسطة ، ص : ٥٢ ، وانظر : الطبيعة الجوية ، محمد جمال الدين الفندي ، الكويت ، مكتبة الفلاح الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ ، ص : ٢٠٠.

الجو ، وتوفّر رطوبة عالية ، ولذا لا بد لتشكّل غيوم العواصف الرعدية من وجود قوة رفع شديدة للهواء الرطب) [١].

**الإعجاز :**

من الذي أخبر رسول الله ﷺ بهذه المراحل المتعددة في تكوين السحب ، وفي هذا الوصف الدقيق من تراكم السحب ، ونزول المطر من خلالها ، وكيف تتخذ شكلا جبليا الذي ينزل منه البرد ، ثم تفرز برقا يكاد أن يذهب بالأبصار ... إن وسائل علم الأرصاد الجوي لم تكن موجودة في البيئة الرملية القاحلة التي بعث فيها محمد ﷺ ، إنه وحي السماء ، أنزله الذي يعلم السر وأخفى.

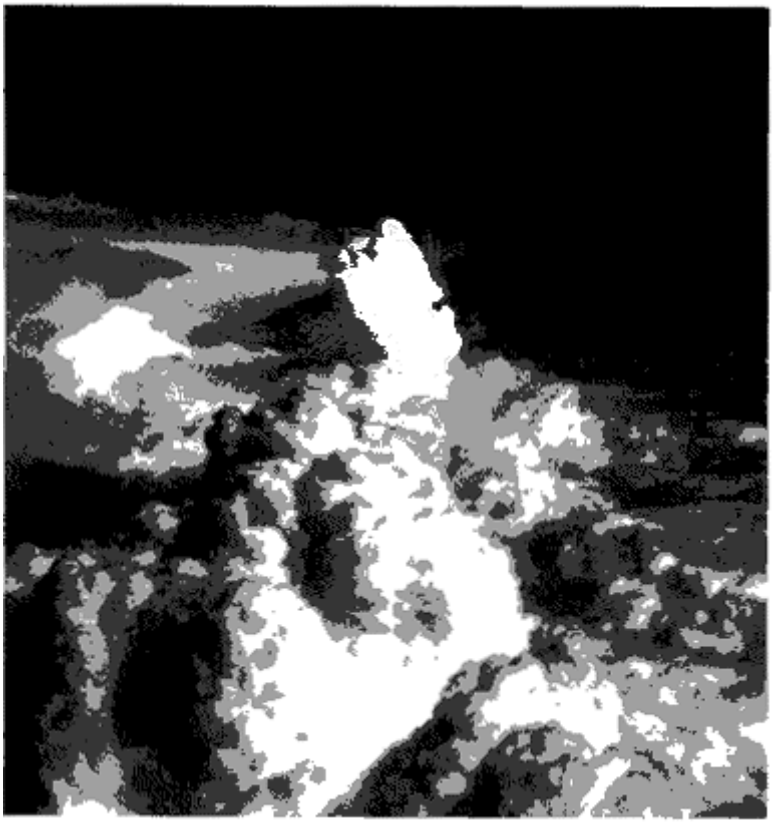

صورة تظهر السحاب الركامي [٢]

---

(١) العواصف والأعاصير ، علي حسن موسى ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٩ ، ص : ٧٩.

(٢) http // : zizooo. ws / z. php ? name Gallery do showpic pid .orderby date D١٢٧١

صورة يتضح فيها السحاب البساطي والذي يحمل الأمطار [١].

---

(١) http / : zizooo. ws / z. php ? name Gallery do showpic pid . ١٢٧١ orderby date D.

## المبحث الثالث

### البرق والبرد بين القرآن والعلم

قال سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ (١٣)﴾ [١].

تبرز الآية الكريمة مظهرا من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى ، وهذا مظهر يتمثّل في آية من آيات الله ، إنه البرق.

(والبرق : الذي هو لمعان السحاب) [٢] ، وهو ذو جناحين ، جناح فاض بالبشرى والحبور ، لأنه يبشّر بهطول المطر ودرّ الغيث من السماء لتنتشر الرحمة على العباد ، وجناح يحمل الإنذار ، ويدخل الهلع والقلق على النفوس ، فترتعد الفرائص ، وتصفرّ الوجوه وتنزوي القوى.

البرق الشديد والصواعق قد تكون سببا في إحداث الضرر

---

(١) سورة الرعد ، الآيتان : ١٢ ، ١٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ١١٨.

فالله سبحان تعالى يرينا البرق الذي يحمل هذين المعنيين ـ الخوف والطمع ـ لتلهج ألسنتنا بذكر الله وتسبيحه وتحميده ، لأن الكون كله يسبح الله من ملائكة ورعد وبرق وشجر وحجر ، لكننا نحن معاشر البشر لا ندرك كنه هذا التسبيح حقيقة ، ويرسل العزيز الجبار الصواعق فيصيب بها من يشاء من عباده ويعذب بها من يريد ، ليعلم الذين غفلوا عن الله أن الله شديد المحال ، شديد البطش والقوة يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء.

ولقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى أن البرق والصواعق التي يرسلها تسبب الهلاك والموت. قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ (١).

فالصواعق قاتله ، ومهلكة للممتلكات ومزهقة للأرواح ، ومدمرة لقواعد البشر المعمرية والعملية والبرية والبحرية ... زد على ذلك فإن الشحنات الكهربائية التي تصدر عن البرق ، تؤدّي إلى العمى قال تعالى في ذلك : ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾.

إن هذه الحقائق التي ذكرها القرآن الكريم عن الصواعق والبرق والرعد ، معجزة كشف العلم عنها يوم توفّرت له أجهزة البحث المتطورة ... والآية الكريمة أخذت معنا مبحثا كاملا ، وكنا قد استعرضنا آراء المفسرين واللغويين فيها ، إلا أننا نورد هنا قولا واحدا فيما يتعلق بالبرد والبرق في هذه الآية الكريمة ، يقول ابن كثير : (﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ﴾ معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد ... ﴿يَشاءُ﴾ يحتمل أن يكون المراد بقوله :

﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد ، فيكون قوله : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ رحمة لهم ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ﴾ أي يؤخر عنهم الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله سبحانه : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالبرد نقمة على من يشاء ، لما فيه من نثر ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم ويصرفه عمن يشاء أي رحمة بهم ، وقوله سبحانه : ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ أي يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته وتراءته) (٢).

---

(١) سورة النور ، الآية : ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٦ / ٦٦ ، وانظر : التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ ، ٤ / ٣٨٦.

ولنأخذ مفردتين من الآية ونرى معناهما اللغوي ، برق ، ورعد.

أما البرق ، فهو : (البرق ، واحد بروق السحاب ، والبرق الذي يلمع في الغيم ، وجمعه بروق وبرقت السماء تبرق برقا ، وأبرقت جاءت ببرق ، والبرقة ، المقدار من البرق وقرئ : يكاد سنا برقه فهذا لا محالة جمع برقة ، ومرت بنا الليلة سحابة براقة وبارقة ، أي سحابة ذات برق) [١].

وأما الرعد ، فمعناه : (الصوت الذي يسمع من السحاب ، وأرعد القوم وأبرقوا ، أصابهم رعد وبرق ، ورعدت السماء ترعد وترعد رعدا ورعودا وأرعدت ، صوتت للإمطار) [٢].

ومن الممكن أن نستخلص بعض المعطيات من الآية القرآنية ، ثم سنرى أن ما حددته الآية من حقائق علمية ، جاء العلم ليثبته ويكتشفه في عصرنا.

أولا : تحدد الآية الكريمة وجود البرد في السحب الركامية على وجه الخصوص.

ثانيا : أثبتت الآية أن للبرد برقا ، وأن البرد هو الذي يسبب حصول البرق ، وذلك في قوله سبحان وتعالى : ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ ، فالضمير في ﴿بَرْقِهِ﴾ يعود إلى أقرب مذكور ، ألا وهو البرد ، والعجب أن جلّ المفسرين رضى الله عنهم ، أرجعوا الضمير إلى السحاب ، وليس إلى أقرب مذكور «البرد».

ثالثا : أشارت الآية الكريمة إلى أن لمعان البرق يؤدي إلى العمى ، ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ وهذا ما أكّده العلماء على ما سنرى.

**الحقائق العلمية :**

تحدّث العلماء وبإسهاب شديد عن البرد والبرق ، وأوضحوا أن السحب الركامية هي وحدها التي يكون فيها البرد ، والذي بسببه يحصل البرق ، ففي «موسوعة المعارف الكونية» : (لقد ثبت علميا أن جميع السحب مشحونة كهربائيا ، وتبلغ الشحنات أقصاها في السحب الركامية العاصفية ... وتبعد الواحدة عن الأخرى من ١ إلى ١٠ كم ، والصاعقة مؤلفة من بروق متعددة ، تم تصويرها بآن واحد تشكل معظمها بين السحب وسطح الأرض ، ولكن يوجد منها ما يتشكل بين السحب نفسها وتسمى هذه بالبروق

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ١٠ / ١٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٣ / ١٧٩ ، وانظر : كتاب العين ، للفراهيدي ، ٢ / ٣٣.

الخطية والتي يصل فيها طول الخط الواحد بضعة كيلومترات ، وقد تتمحض العاصفة عن عدة آلاف عملية من عمليات التفريغ الكهربي (البرق) وقد يصل طول الشرارة الواحدة ١ ، ٥ كم ، عند ما يتم التفريغ بين السحابة والأرض (صاعقة) ، أما طولها عند ما يحدث التفريغ بين السحب فهو يزيد عن ذلك كثيرا ، وعند ما تكون الصاعقة قريبة منا لا يصعب تمييز تفرغ الشرارات وتعددها في كل اتجاه ، وقد تستغرق الواحدة منها زهاء ثانية كاملة قبل أن يتلاشى وميضها ، وقد يتعذر علينا رؤية الشرارة نفسها حيث تضيء السحب والسماء فجأة بنور ساطع يطلق عليه أحيانا اسم صحائف البرق) [١].

ونفس الحقائق في كتاب «أسرار الأرصاد الجوية» : (العواصف ظواهر عنيفة من حالات الطقس مصحوبة بالبروق والصواعق وسقوط البرد والأمطار الغزيرة ، تنشأ العواصف داخل الكتل السحب الضخمة من نوع الركام ، التي يصل ارتفاعها من ١٠ ـ ١٦ كم ، وتبلغ حرارة قمة الغيمة ـ ٥٠ درجة في أوربا ، و ـ ٧٢ درجة في خط الاستواء ، تحدث داخل الغيمة حركات صعود وهبوط وتتشكل عندها قطرات البرد ، وإن عدم التوازن داخل الغيمة يعود إلى الشحن الكهربائية الموجبة والسالبة ، تكون قمة الغيمة مشحونة إيجابيا ، وقاعدتها مشحونة سلبيا كمدخرة ، وأحيانا يكون شحن الغيمة معكوسا ، وعند ما يحدث خلل في التوازن على السطح الخارجي للغيمة ، أي بين القاعدة المشحونة سلبيا والأرض المشحونة إيجابيا ، أو بين قاعدة الغيمة السالبة والأرض الموجبة ، واعتبارا من اللحظة التي يحصل فيها تصادم مباشر بين منطقتين سالبة وموجبة يحدث التفريغ الكهربائي وينطلق البرق) [٢].

وعند ما يتحدث العلماء عن نشأة الشحنات الكهربائية في الغيوم الرعدية ، فإنهم يجعلونها تعتمد على مفهومين أساسيين ، أولهما : (إن قطرات الماء فوق المبردة أثناء تجمدها ، تأخذ بالتجمد باتجاه الداخل بدءا من سطحها ، وهذا يؤدي إلى إبقاء داخلها (لبها) أدفأ من سطحها ، ويكون داخلها الأدفأ مشحونا بشحنة سالبة ، شواردOH ، في حين يكون سطحها الأبرد موجب الشحنة بسبب هجرة شوارد الهيدروجين H + مع انخفاض تدرج الحرارة.

---

(١) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، ص : ٣٧٠.

(٢) أسرار الأرصاد الجوية ، موسوعة علمية مبسّطة ، ص : ٥٤.

ثانيهما : أنه عند ما تتفتت حبات البرد الهشّة أثناء عملية التجمد ، فإن شظايا الجليد الصغيرة الحاملة لشحنات موجبة ، تنطلق مندفعة إلى أعلى حجيرة الحملان مع التيارات الصاعدة ، وهذا ما يفسر كون الجزء الأعلى من الغيمة الرعدية ، الذي درجة حرارته دون ـ ٢٠ درجة ذو شحنة إيجابية ، وبالمثل فإن كريات البرد الأثقل المشحونة سلبيا تسقط باتجاه قاعدة الغيمة لتكسبها شحنتها الكهربائية السالبة وهناك عملية أخرى يمكن بفعلها أن تتولد الشحنات الكهربائية في الغيمة الرعدية ، تقوم على ما ينتج من التصادم الحاصل بين بلورات الجليد الباردة ، وكريات البرد الهش الأحرّ ، إذ ينجم عن التراكم الجاري لقطرات الماء فوق المبرد على كريات البرد ، نشوء سطوح غير منتظمة تتسخن نتيجة انطلاق الحرارة الكامنة في قطرات الماء عند تجمدها ، ويتولد من جراء صدمات بلورات الجليد الباردة لهذه السطوح غير المنتظمة تولد شحنات سالبة تكتسبها تلك السطوح ، بينما تكتسب البلورات الجليدية الأبرد شحنة موجبة ، ومرة أخرى تأخذ تأثيرات ظاهرة الفعل الجاذبي الثقالي دورها في توزع الشحنات الكهربائية في داخل الغيمة) [١].

ونفس المعنى في كتاب «الأرصاد الجوية» : (تتكون العاصفة الرعدية بصفة عامة من برق ورعد ورياح قوية مصحوبة بأمطار غزيرة وبرد وكرات من الثلج ، وتحدث السحب الركام المزني السوداء الضخمة ، وتستمد العاصفة الرعدية الجزء الأكبر من طاقتها من الحرارة الكامنة الناتجة من تكثف بخار الماء في الغلاف الجوي ، والعوامل المساعدة لتكوينها هي :

١ ـ وجود كميات من بخار الماء في الغلاف الجوي.

٢ ـ تكثف بخار الماء وانطلاق الحرارة الكامنة منه.

٣ ـ حالة عدم استقرار في الغلاف الجوي.

٤ ـ وجود تيارات صاعدة قوية) [٢].

---

(١) العواصف الرعدية ، علي موسى ، ص ٩٠ ـ ٩١ ، وانظر : الجو وتقلباته ، علي حسن موسى ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٨ ، ص ١١٤.

(٢) الأرصاد الجوية ، محمد أحمد النطاح ، ليبيا ، الدار الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، ص : ٣٧١.

**الإعجاز :**

هذه بعض أقوال علماء المناخ ، ولا داعي لسرد المزيد مما توصل إليه العلماء في هذا المجال من نتائج حول السحب الركامية ، وما تتضمن من برد وبرق ورعد ، ولكن لنتساءل هل كان في عهد محمد ﷺ أجهزة الاستشعار عن بعد حتى قرر هذه الحقائق ، أم هل كان لديه مكوك فضائي وأقمار اصطناعية ليرسل تلامذته إلى الفضاء كي يصور له هذه الحقائق عن السحب وما حوت؟

إن هذا التوافق المدهش بين ما سجلته الآية الكريمة حول السحب الركامية وخصائصها ، وبين ما وصل إليه العلم ليدل دلالة قاطعة على صدق نبوة محمد ﷺ من جهة ، وعلى أن ما جاء به هو من عند الله تعالى ، أفلا ينبغي على رواد العلوم والمعارف أن يحنوا رءوسهم إجلالا لهذه المعجزات القرآنية العظيمة.

إنها ومضات سريعة تعرفنا من خلالها على الرياح وأنواعها والريح وعواقبها ، والسحب وأشكالها وعلى البرق والرعد والصواعق ، فكل هذه من جنود الله العظيم ، لينبه بها عباده ليتقوه ويخافوه.

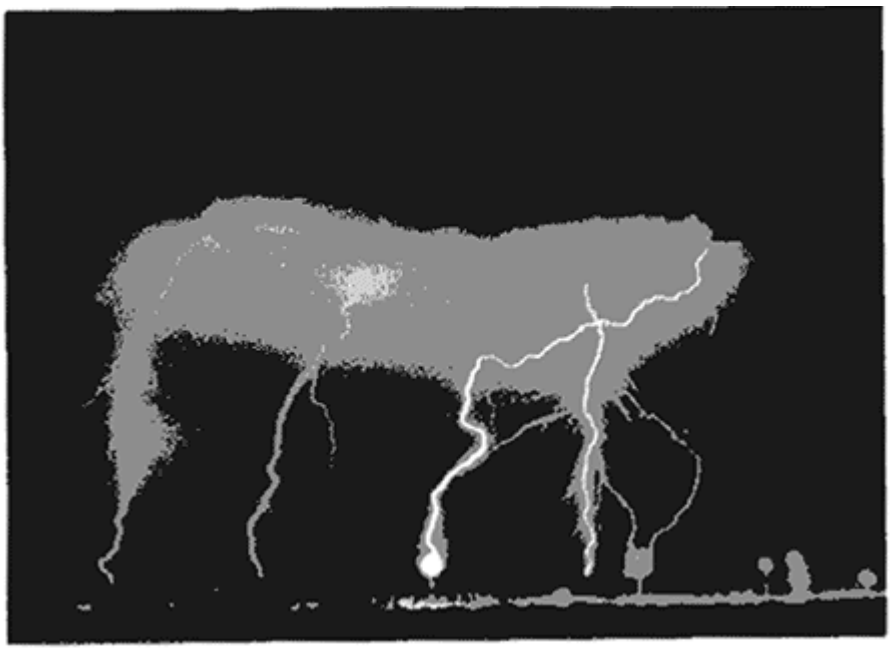

صورة تظهر الصواعق والبرق والرعد [١]

---

(١) أخذت هذه الصورة من كتاب المعارف الكونية ، إعداد مجموعة من العلماء ، ص ٣٧٣.

# الفصل التاسع

## الإعجاز القرآني في الجبال

**تمهيد.**

**المبحث الأول : تكوين الجبال.**

**المبحث الثاني : الجبال تحافظ على توازن الأرض.**

**المبحث الثالث : الرواسي الشامخات والماء الفرات.**

**المبحث الرابع : حركة الجبال وتعدد صخورها.**

## تمهيد

الجبال كلمة تدل على الشموخ والكبرياء ، ووصف يخيب من حاول الاتصاف به إلا الجبال ، فهي التي تنزوي أمامها رقاب الجبابرة ، وتنقطع لديها الأعناق المشرئبة التي تحاول أن تطيل شموخها ، وفي ذلك يخاطب الحق تبارك وتعالى أولئك الذين يمشون في الأرض متبخترين متكبرين قائلا : ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً﴾ (١).

ومع تلك العظمة التي اتصفت بها الجبال فإن الحق ساقها في معرض المدح والثناء ، ومعرض ضرب الأمثال في العبودية والخشوع لسلطان القرآن وأنوار البيان ، قال تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

إلا أن الجبال لم تغترّ بعظمتها ، ولم تتباه بمظاهر الرفعة والإباء التي أودعها الله فيها ، فلما عرض الحق جل جلاله الأمانة عليها ، تسرّب إليها الرعب وداخلها الخوف ، لشدّة تحمل الأمانة والمسئولية والتكاليف السماوية ، فآثرت أن تنقاد للحق طواعية دون اختيار أو عزم ، لأنها أدركت بصدق ثقل الأمانة ، وهو موقف الحساب وموطن الجزاء يوم الدين ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (٣).

إذن ، جدير بالباحثين أن يحركوا الطاقة العقلية والعلمية في دراسة هذه الآية الدالة على بديع صنع الله ، وتألق مخلوقاته ، ليصلوا إلى مقام التفكر الذي أمروا به ، ومن ثمّ إلى مقام الخشوع والولاء المطلق للخالق العظيم سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣٧.

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٢١.

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢.

وسوف يتناول في هذا المبحث بعونه تعالى ، الحديث عن تكوين الجبال وكيفية نشأتها ، وما توصل إليه الباحثون في ذلك وما قد قرره كتاب الله ﷻ ، ومن ثم يتحدث عن أبرز وأهم فوائد الجبال ألا وهي محافظتها على توازن الكرة الأرضية ، وكيف أن الحق تبارك وتعالى جعلها سببا في تثبيت الأرض واتزانها ، ثم ينتقل لتحلل العلاقة الوثيقة بين الجبال الشامخات الشاهقات وبين الماء العذب الفرات ، والسر في أن القرآن يقرن بينهما ، في حين إذا ذكر الجبال دون وصف الشامخات لا يأتي بهذا الربط ، ويختم الحديث عن الجبال بالإشارة إلى حركتها وتعدد صخورها وألوانها ، بين القرآن والعلم.

# المبحث الأول

## تكوين الجبال

قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (٢).

وقال جل ثناؤه : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً﴾ (٣).

تتحدّث هذه الآيات عن نشأة الجبال وتكوينها ، فبعد أن مدّ الله سبحانه وتعالى الأرض وبسطها جعلت تميد ، فألقى فيها رواسي شامخات ليثبتها من حركتها المضطربة ، ليتسنّى للمخلوقات التي أودعها الله فيها العيش الهادئ الهانئ.

والإعجاز العلمي في قوله تعالى : ﴿وَالْقِيَ﴾ والإلقاء كما نعلم يكون من أسفل إلى أعلى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ (٤)﴾ (٤) ، ومن الأعلى إلى الأسفل ، ومن النوعين كانت نشأة الجبال ، وفي نظرة لما قاله المفسرون تزداد الصورة بيانا ووضوحا.

يقول الطبري : (وجعل في الأرض جبالا ثابتة ، والرواسي ، جمع راسية وهي الثابتة ، يقال : منه أرسيت الوتد في الأرض ، إذا أثبته) (٥).

وفي «روح المعاني» : (وجعل فيها رواسي ، أي جبالا ثوابت ، من الرسو ، وهو ثبات الأجسام الثقيلة ، ولم يذكر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها عن ذلك ... وأما الارتفاع فله سبب بالذات وسبب بالعرض ، أما الأول : فكما إذا نقلت الريح الفاعلة

---

(١) سورة ق ، الآية : ٧.

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٥.

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣.

(٤) سورة الانشقاق ، الآيتان ٣ ، ٤.

(٥) جامع البيان ، للطبري ، ٣١ / ٦٣ ، وانظر : تفسير غريب القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، بيروت ، دار الهلال ، ١٩٩١ ، ص : ٢٤٢.

للزلزلة طائفة من الأرض وجعلتها تلا من التلال ، وأما الثاني : فأن يكون الطين بعد تحجره مختلف الأجزاء في الرخاوة والصلابة ، وتتفق مياه قوية الجري أو رياح عظيمة الهبوب ، فتحفر الأجزاء الرخوة وتبقى الصلبة ثم لا تزال السيول والرياح تؤثر في تلك الحفر إلى أن تغور غورا شديدا ، ويبقى ما تنحرف عنه شاهقا ، والأشبه أن هذه المعمورة قد كانت في سالف الدهر مغمورة في البحار ، فحصل هناك الطين اللزج الكثير ثم حصل بعد الانكشاف وتكونت الجبال) [١].

ويقول الرازي : (والاستدلال بأحوال الجبال وإليه الإشارة بقوله سبحانه : ﴿وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ﴾ من فوقها ثابتة باقية في أحيازها ، غير منتقلة عن أماكنها ، يقال : رسا هذا الوتد وأرسيته والمراد ما ذكرنا) [٢].

وفي تفسير «السراج المنير» : (وألقينا فيها رواسي ، أي جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها ، وخالفت عادة المراسي في أنها من فوق ، والمراسي التي تعالجونها أنتم من تحت) [٣].

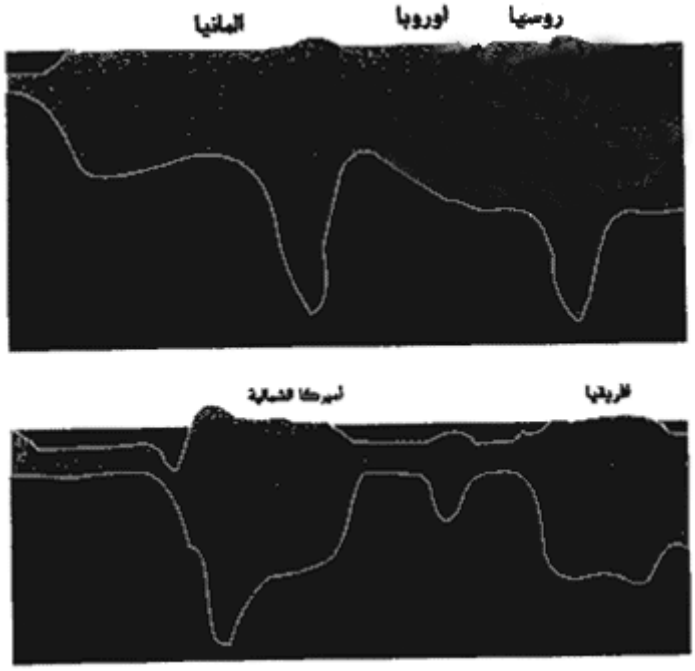


رسم بياني لامتداد القارات والجبال في النطاق الأرضي إضعاف الأجزاء البارزة منها على السطح

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ١٣ / ١١٣ ، وانظر : الفتوحات الإلهية ، سليمان بن عمر العجيلي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ ٤ / ٣١٥.

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، ١٩ / ٨.

(٣) السراج المنير ، للخطيب الشربيني ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، د. ت ، ٤ / ٨٠.

ونجد المعنى ذاته في المعاجم لو بحثنا عن الرواسي ، ففي لسان العرب : (رسا الشيء يرسو رسوا وأرسى ثبت ، وأرساه هو ، ورسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله في الأرض ، وجبال راسيات والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ ... راسية ورست قدمه ثبتت في الحرب ، ورست السفينة ترسو رسوا بلغ أسفلها القعر وانتهى إلى قرار الماء فثبتت وبقيت لا تسير) [١].

وفي «المصباح المنير» : (رسا الشيء يرسو رسوا ورسوا ، ثبت فهو راس ، وجبال راسية وراسيات ورواس ، وأرسيته بالألف للتعدية ، ورست أقدامهم في الحرب ، ورسوت بين القوم أصلحت ، وألقت السحابة مراسيها ، دامت) [٢].

يتسنّى لنا الآن وقد عرضت طائفة من أقوال المفسرين وأصحاب المعاجم ، أن يستخلص من معطيات النصوص القرآنية ما يلي :

أولا : عبّر القرآن الكريم عن عملية نشأة وتكوين الجبال بالفعل «ألقى» ، والإلقاء يكون من أعلى إلى أسفل ، كقوله تعالى : ﴿**وَأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى**﴾ [٣] ، وكقوله سبحانه : ﴿**وَأَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [٤].

وكذلك يكون الإلقاء من أسفل إلى أعلى كقوله تعالى : ﴿**وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ (٤)**﴾ [٥] ، وتعتبر هاتان الطريقتان من أبرز الطرق التي تتم من خلالها تشكيل الجبال ، وهذا ما سنتعرف عليه بعد قليل.

ثانيا : يستخدم القرآن الكريم أحيانا لفظ (رواسي) عوضا عن (جبال) ، وفي ذلك تصريح واضح بأن الجبال هي بمثابة الرواسي للأرض ، والتي تثبتها وتقرها.

**الحقائق العلمية :**

سيساق طائفة من أقوال ودراسات علماء الجيولوجيا ، والتي سنرى من خلال عرضها أن نشأة وتكوين الجبال إنما تتم بفعل الإلقاء من الأعلى إلى الأسفل ، كتكوين

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ١٤ / ٣٢١.

(٢) المصباح المنير ، للمقري ، ١ / ٢٢٧.

(٣) سورة طه ، الآية : ٦٩.

(٤) سورة النمل ، الآية : ١٠.

(٥) سورة الانشقاق ، الآيتان ٣ ، ٤.

الجبال الرسوبية ، والتي تتكوّن بفعل التعرية بسبب الرياح أو ماء الأنهار وغيرها ، أو كتكوين الجبال البركانية ، والتي تتكون بسبب النشاط البركاني الذي يقذف ويلقي من داخله إلى الأعلى الحمم والفوهات والتي تتحول بعد ملايين السنين إلى جبال.

بركان نشط يقذف الحمم من داخله ، ويلقي بالأحجار والصهارة والتي تكوّن الجبال البركانية

وسنرى أن هذا هو الذي أثبته العلم في القرن العشرين ، بعد اعتقاد ساد القرون الماضية أن الجبال هي ما نرى فوق البسيطة لا غير ، فكشف العلم عن نشأة الجبال وأطوار تكونها ، وقد قرر ذلك كتاب ربنا منذ أربعة عشر قرنا ، وإليك ما توصل إليه الجيولوجيون في ذلك :

. بالنسبة لتكوين الجبال الرسوبية ، أي الإلقاء من أعلى إلى أسفل ، فيقول الدكتور محمد جمال الدين الفندي : (إن المياه تجري إلى المنخفضات التي تسمى بالبحار الجيولوجيا وتغمرها ، وهذه تكون عادة بحارا ضحلة متّسعة ممتدة في وسط القارات أو أعلى حوافها وتصير قيعانها بمرور الزمن الجيولوجي مأوى لأثقال عظيمة جدا من الرسوبيات ، تأتي بها عوامل التعرية من مناطق الارتفاع كالجبال والهضاب ، وكلما عظمت تلك الأحمال هبطت تحت وطأتها قيعان البحار ، وتظل هذه الرسوبيات تتراكم هكذا حتى تكون جذور الجبال مستقبلة نتيجة للضغط الشديد ، فتلتوي وتنثني وترتفع رويدا رويدا طافية فوق مواد المنطقة ، التي تحمل القشرة وتفصلها عن باطن الأرض ، وأخيرا تطل من سطح الماء ، وينحسر الماء عنها إلى أماكن أخرى مكونا بحارا جيولوجية جديدة ، وتلك هي الثورات الجيولوجية أو حركات بناء الجبال) [١].

ويصف العالم الجيولوجي ليون موريه [٢] تكوين الجبال بكلا الطريقتين المذكورتين فيقول : (من السلاسل الجبلية ، سلاسل المقعرات الأرضية ، والتي تنجم عن انضغاط حفر الترسب الكبرى بفعل حركات تماسية ، والتي دعيناها المقعرات الأرضية ، والتي تراكمت فيها خلال حقب طويلة ثخانات كبيرة من روسوبات بحرية عميقة ، ويكون توافق المظاهر البحرية العميقة مع المناطق الملتوية هو قاعدة عامة ، بحيث أمكن القول : أن السلاسل الجبلية تتشكل دوما فوق موقع المقعرات الأرضية ، كما يمكننا اعتبار طيات القاع كرد فعل للحركات التماسية التي تبقى لوحدها في الأصل ، ففي حين الانضغاط الأقصى على مقعر أرض ما ، فإن مشارف المنطقة تتحدب بتأثير الجهد

---

(١) الله والكون ، محمد جمال الدين الفندي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢٣ ، وانظر : ما هي الجيولوجيا ، وليم ماثيوز ، ترجمة مختار رسمي ناشد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٩٥ ، ص ٢٢٠ ، وانظر : الجيولوجيا والكائنات الحية ، دولت عبد الرحيم إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٩٥ ، ص : ١٨.

(٢) ليون موريه : يحتل مكانة مرموقة بين علماء الجيولوجيا ، بل يعد صاحب مدرسة جيولوجية قائمة بذاتها ، وهو عضو المجمع ، وعميد فخري لكلية العلوم ، وأستاذ في المعهد العالي الوطني للهيدروليك في غرينوبل. انظر : مقدمة المترجم ، ص : ٩.

وتعطي معقدا من طيات قاع ، يؤدي كما تؤدي موجة قاع بحرية إلى نهوض قارة برمتها ، وتأتي اندفاعات بركانية تؤدي إلى نشوء الجبال) [١].

كذلك فإن (الأحواض البحرية تتكون بسبب انخفاض بسيط على سطح الأرض نتيجة الحركات الأرضية ، ثم يمتلئ هذا المنخفض بالمياه وتعيش فيه الكائنات البحرية ، وتترسب فيه المواد الرسوبية إلى أن يمتلئ بالرسوبيات ، وأخيرا تضغط جوانبه مسببة تكوّن الثنيات والجبال ، وعليه يجب عدم الاستغراب إذا ما تسلّقنا قمة جبل ما ، ولاحظنا وجود القواقع البحرية المتحجرة ، أو آثار الأسماك المطبوعة على صخور الجبل ، لأن تلك الجبال كانت في يوم ما رسوبيات مترسبة في قيعان البحار) [٢].

وقد أسهب العلماء في ذكر أنواع الجبال وطرق تكوينها ، من ذلك ما ورد في كتاب «أساسيات علم الجيولوجيا» إذ نجد فيه : (وهناك ثلاثة أنواع أساسية من الجبال :

**١ . جبال جيوسنكلينية** : ويطلق عليها أحيانا اسم أحزمة الطيات ، لكثرة وجود الطيات في داخلها وهي تتكون نتيجة لرفع وطيّ الرسوبيات المتراكمة في الأحواض البحرية ، وتعرف الحركات الأرضية التي تتحكم في تكوين مثل هذه الجبال باسم : الحركات الأرضية البانية للجبال.

**٢ . جبال بركانية** : والتي تكون سلاسل جبلية مغمورة في قيعان المحيطات ، على طول الحدود البناءة وتتكون هذه الجبال من الانبثاقات البازلتية ، والتي تكوّن قيعان المحيطات أثناء عملية انتشار قاع البحار.

**٣ . جبال تصدّعية** : وتوجد في وسط ألواح قارية ثابتة ، وأحيانا تتكون الرسوبيات التي تؤدي إلى تكوين مثل هذه الجبال في أحواض ترسيبية) [٣].

---

(١) الوجيز في الجيولوجيا ، ليون موريه ، ترجمة ، يوسف خوري وعبد الرحمن حميدة ، دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، ص ٥٧٢ وانظر : علوم الأرض والبيئة ، فتحي أبو ناصر ، عمان ، دار اليازوري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٩ ، ص ٦٠.

(٢) الجيولوجيا للجميع ، عادل حاتم جوزي ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص ٧٥.

(٣) أساسيات علم الجيولوجيا ، محمد حسن وآخرون ، عمان ، مركز الكتب الأردني ، ١٩٩٠ ، ص : ١٨٦ ، وانظر : كوكب اسمه الأرض ، جورج جامو ، ترجمة ، الدكتورة هذارة ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٤ ، ص : ١١٠ ، وانظر : الأرض وأسرارها ، جورجيت بارتلمي ، ترجمة ، ميشيل خوري ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٩١ ، ص : ٤٠ ، وانظر : .

وفي الكتاب القيم «الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية» : (لقد حدثت عمليات نشوء الجبال في التاريخ الجيولوجي الحديث بعدة مواقع حول العالم ، وتشمل هذه الأحزمة الجبلية الحديثة الكورديلير الأمريكية ، والتي تمتد على طول الحافة الغربية للأمريكيتين ... ومعظم هذه الأحزمة الجبلية قد تكونت خلال المائة مليون سنة الماضية ، وقد ابتدأ بعضها في التكون ، بما في ذلك الهيمالايا في مدة لا تزيد عن ٤٠ مليون سنة مضت ... وتتألف أحزمة بناء الجبال عادة من مرتفعات متوازية من الصخور الرسوبية والبركانية المطوية والمتصدّعة ، التي تكون بعض أجزائها قد تحولت تحولا شديدا ، واقتحمت بأجسام نارية حديثة نوعا ، وفي معظم الحالات تكون الصخور الرسوبية قد تراكمت في بحار عميقة وقد زاد سمكها عن ١٥٠٠٠ متر ، وكذلك من صخور أقل سمكا تراكمت في بحار ضحلة ، وعلاوة على ذلك فلا بد أن تكون هذه الصخور المشكّلة أكبر عمرا في معظمها من حادثة بناء الجبال التي تضمنتها ، مما يشير بالضرورة إلى فترة غير قصيرة من التراكم الهادئ المتبوع بحادثة مفاجأة من الطي والتصدّع) [١].

**الإعجاز :**

هذا طرف من الحديث عن نشأة الجبال الرسوبية والجبال والبركانية ... ورأينا كيف أن الجبال الرسوبية تتكون مما تلقيه الأنهار والرياح بعد عملية الحت والتعرية في اليابسة ، وثوران البراكين في قاعات البحار والمحيطات ، لتكوّن بعد ذلك الجبال ، أليس هذا إلقاء؟ ، ودليلا على عظمة القرآن الكريم وهو يثبت هذه الحقيقة الجيولوجية الرائعة ، ﴿**وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ**﴾ ، وما الجبال البركانية إلا أجسام ضخمة مؤلفة من صخور ، وفتات بركاني قذفتها فوهات البراكين بشدّة ، ثم تساقطت على أطرافها وتراكمت فكانت الجبال ، أليس هذا كذلك إلقاء؟ ، ألقاه الله من البحار والبراكين لتتكون الجبال ، فسبحان من أشار إلى هذه الحقيقة الرائعة وسجلها في كتابه لتكون سابقة في مضمار إثبات الحقائق العلمية ، فقال تقدست أسماؤه : ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ**﴾.

---

كوكب الأرض ، إعداد ونشر ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ ، ص : ٤٤ ، وانظر : موسوعة عالم المعرفة ، بيروت ، دار نوبليس ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، ٤ / ٣٢١.

(١) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، تاربوك ولو تجنز ، ص : ٥٠٩.

## المبحث الثاني

### الجبال تحافظ على توازن الأرض

قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً (٦) وَالْجِبالَ أَوْتاداً (٧)﴾ [١].

وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [٢].

وقال تعالى : ﴿وَالْجِبالَ أَرْساها﴾ [٣].

تسجّل هذه الآيات قاعدة جيولوجية في القرآن الكريم ، وهذه القاعدة هي : وتديّة الجبال ، فالحق سبحانه وتعالى في معرض الامتنان على عباده ، وفي سياق الرحمة التي غمرهم بها يذكّرهم بأنه هو الذي جعل الجبال أوتادا ، ووزعها بدقة وحكمة فائقة ، مما يساعد على توازن الأرض ، بحيث لا تميد ولا تضطرب ، فكما أن الأوتاد تثبت الخيمة وتعمل على استقرارها ، فكذلك الجبال جعلها الله للأرض كالأوتاد للخيمة.

يقول الإمام القرطبي ﷺ : (﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي لئلا تميد عند الكوفيين ، وكراهية أن تميد على قول البصريين ، والميد : الاضطراب يمينا وشمالا ، ماد الشيء يميد ميدا إذا تحرك ، ومادت الأغصان تمايلت وماد الرجل تبختر ، قال وهب بن منبه : لما خلق الله الأرض فجعلت تميد وتمور ، فقالت الملائكة : إن هذه غير مقرّة أحدا على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال ، ولم تدر الملائكة مما خلقت الجبال) [٤].

وفي «روح المعاني» : (﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ أي كالأوتاد ، ففيه تشبيه بليغ أيضا ، والمراد أرسينا الأرض بالجبال كما يرسي البيت بالأوتاد) [٥].

---

(١) سورة النبأ ، الآيتان ٦ ، ٧.

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣١.

(٣) سورة النازعات ، الآية : ٣٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٥ / ٦٠.

(٥) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٩ / ١٤ ، وانظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد الغرناطي ، بيروت ، دار الأرقم ، د. ت ، ٢ / ٤٤٤.

وعند ابن كثير (﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ أي جعل لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها ، حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها) [١].

وفي «التفسير البياني» : (والجبال أرساها ، الإرساء ، التثبت والترسيخ ، وقالوا : ألقت السفينة مراسيها إذا استقرت ، على أن المادة يكثر مجيئها في الجبال ، لوضوح الثبات والرسوخ فيها ، والقرآن يستغني أحيانا بالرواسي عن الجبال ، فيشهد هذا بأن صفة الرسو تبدو أوضح ما تبدو في الجبال) [٢].

وفي «البحر المحيط» : (﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ أي ثبتنا الأرض بالجبال ، كما ثبت البيت بالأوتاد) [٣].

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت ، فعجبت الملائكة من شدة الجبال قالوا : يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال : نعم ، الحديد ، قالوا : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ، قال : نعم ، النار ، فقالوا : يا رب فهل من شيء أشد من النار ، قال : نعم ، الماء قالوا : يا رب فهل من شيء أشد من الماء ، قال : نعم ، الريح ، فقالوا : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ، قال : نعم ، ابن آدم تصدق بصدقة بيمينه يخفيها من شماله» [٤].

ومعنى الوتد في اللغة : (الوتد بالكسر والوتد ، ما رز في الحائط أو الأرض من الخشب ، والجمع أوتاد ، قال الله تعالى : ﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ ... ووتدته أنا أتده وتدا وتدة ووتدته ، أثبته) [٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٨ / ٣٠٦.

(٢) التفسير البياني للقرآن ، عائشة بنت الشاطئ ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ ، ص : ١٥٢.

(٣) البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ٩ / ٥٤١ ، وانظر : تبصير الرحمن وتيسير المنان ، علي ابن أحمد المهائي ، بيروت ، عالم الكتب ١٩٨٣ ، ٢ / ٣١.

(٤) رواه الترمذي في سننه ، رقم : (٣٣٦٩) ، ٥ / ٤٥٤ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، ورواه أبو يعلى ، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي ، تحقيق ، حسن سليم أسد ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ رقم : (٤٣١٠) ، ٧ / ٢٨٦.

(٥) لسان العرب ، لابن منظور ، ٣ / ٤٤٥.

وفي القاموس المحيط : (الوتد بالفتح وبالتحريك وككتف ، ما رز في الأرض أو الحائط من خشب وأوتاد الأرض جبالها ، ومن البلاد رؤساؤها) [١].

يتبيّن لنا من خلال هذا العرض ، ومن معطيات الآيات القرآنية وما قاله المفسرون وأصحاب المعاجم ، أن الله سبحانه وتعالى خلق الجبال وجعلها بمثابة الوتد الذي يشد الخيمة ، والجبال هي بدورها تقوم على تثبيت الأرض كي لا تميد وتضطرب ، وهذه الحقيقة الجيولوجية تحدث عنها علماء الجيولوجيا تحت مسمى (وتدية الجبال).

**الحقائق العلمية :**

ففي كتاب «من الآيات العلمية» : (أثبتت الدراسات أن كل قارة بها جبالها التي تتميز بها ، وأن هناك سلسلة من الجبال موزّعة على سطح الأرض توزعا دقيقا محكما ، وأن ارتفاع الجبال يتناسب ومكانه من الكرة الأرضية ، ونوع الصخور المكونة له ، وطبيعة الأرض من حوله ، وأنه بما توجد بعض الجبال التي لا يزيد ارتفاعها على ألف متر ، فهناك مثلا (جبل إفرست) في سلسلة جبال الهمالايا الذي يقرب ارتفاعها من تسعة آلاف متر ، ووجد كذلك أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد هشة وضعيفة ، وأن تحت المياه توجد المواد الثقيلة الوزن ، وذلك حتى تتوزّع الأوزان في المناطق المختلفة للكرة الأرضية ، ووجد العلماء أن هذا التوزيع يتمشّى مع مرونة القشرة الأرضية ودرجة حرارتها ، ثم كانت الحقيقة العلمية القاطعة التي وصل إليها العلماء والتي تقرر : أن توزيع الجبال على الكرة الأرضية إنما قصد به حفظها من أن تميد إلى الشمس أو تحيد عنها ، وأنها فعلا السبب الأول والرئيسي لحفظ توازن الأرض ، فكأن الجبال هي أوتاد للأرض تحفظها في مكانها وتحفظ عليها حركتها) [٢].

وفي كتاب «أساسيات علم الأرض» : (إن التوزيعات في كثافات القشرة الأرضية على أجزاء مختلفة منها يحرز وضعا متوازنا بين أجزاء القشرة الأرضية في المناطق المختلفة وهو ما يطلق عليه مصطلح اتزان القشرة الأرضيةlsostasy.

إن الاتزان النظري لكتل القشرة الأرضية الشاهقة الارتفاع لكلا الجبال والقارات

---

(١) قاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ١ / ٤١٣.

(٢) من الآيات العلمية ، عبد الرزاق نوفل ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦ ، ص : ٥٧.

التي تكون طافية على قاعدة صخرية عالية الكثافة وتخضع لضغط عظيم وفي وضع تجاوز حالة المرونة تكون فيها الأجزاء المرتفعة من سطح القشرة الأرضية في حالة توازن مع صخر الطبقة السفلية الكثيفة ، ولكن يجب أن ندرك أن الأحداث الجيولوجية من وقت لآخر تفسر لنا نظام الاتزان في القشرة الأرضية ...) [١].

ويقول الشيخ عبد المجيد الزنداني : (لقد تأكد الباحثون عام ١٩٥٦ ، أن تحت كل جبل عرقا لهذا الجبل وامتداد له قد غرس في الطبقة العجينية أو اللزجة التي تحت طبقة الصخور ، وقد جعل الله هذا الامتداد تحت كل جبل ماسكا للقارات من أن تطوف أثناء دوران الأرض ، فهذه الأوتاد المغروسة في الطبقة اللزجة التي تحت القارات تثبّت القارات كما يثبت الوتد الخيمة إذا غرس بين التراب ، ولكن هذا السرّ الذي لم يتأكد منه الباحثون إلا عام ١٩٥٦ ، كما ذكر ذلك الدكتور فاروق الباز المختص في علم الجيولوجيا والفضاء ، ومدير معهد سميس سونيان لعلوم الأرض والفضاء ، إن هذا السر قد ذكره القرآن قبل ألف وأربع مائة عام ، فقال تعالى : ﴿وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾ أي جعلها الله أوتادا في هذه الأرض) [٢].

**الإعجاز :**

حقيقة وتديّة الجبال تحدث عنها القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة ، ثم يأتي العلماء ليكتشفوا أن الله سبحانه وتعالى جعل الجبال مغروسة في طبقات الأرض ليتسنّى للعباد أن يعيشوا على ظهرها ، إنه السبق القرآني في إثبات الحقائق العلمية ، فسبحان من ثبّت لنا الأرض بالجبال لننعم بوافر السعادة ، ونتفيأ ظلال الرحمة الربانية ، إنه إعجاز القرآن الرائع ، وصدق ربّ العزة القائل : ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [٣].

---

(١) أساسيات علم الأرض ، الجيولوجيا الفيزيائية ، محمد بن عبد الغني عثمان مشرف ، ص : ٥١٦.

(٢) كتاب التوحيد ، عبد المجيد الزنداني ، ص : ٧٢.

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

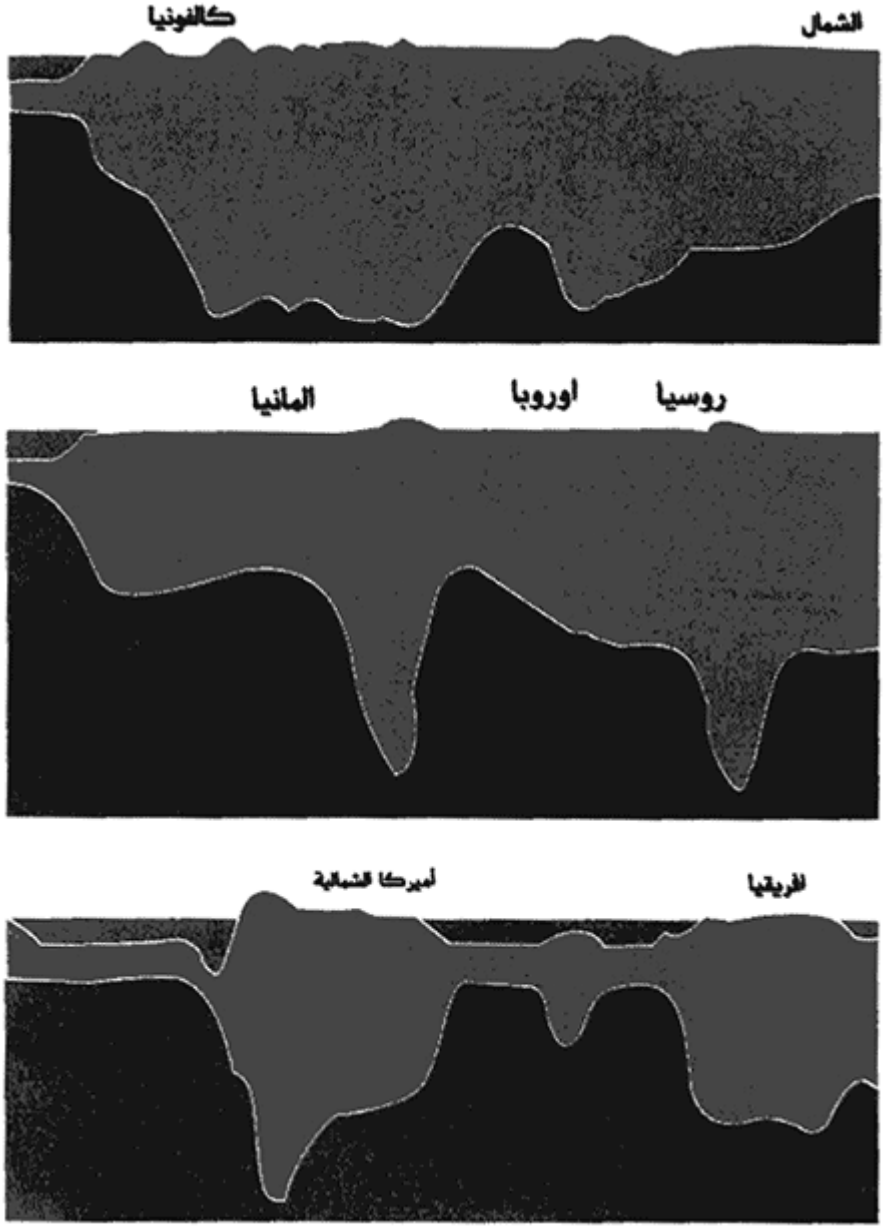


صورة رقم : (٢٤) ، توضح وتدية الجبال ، ودورها في تثبيت وحفظ توازن الأرض.

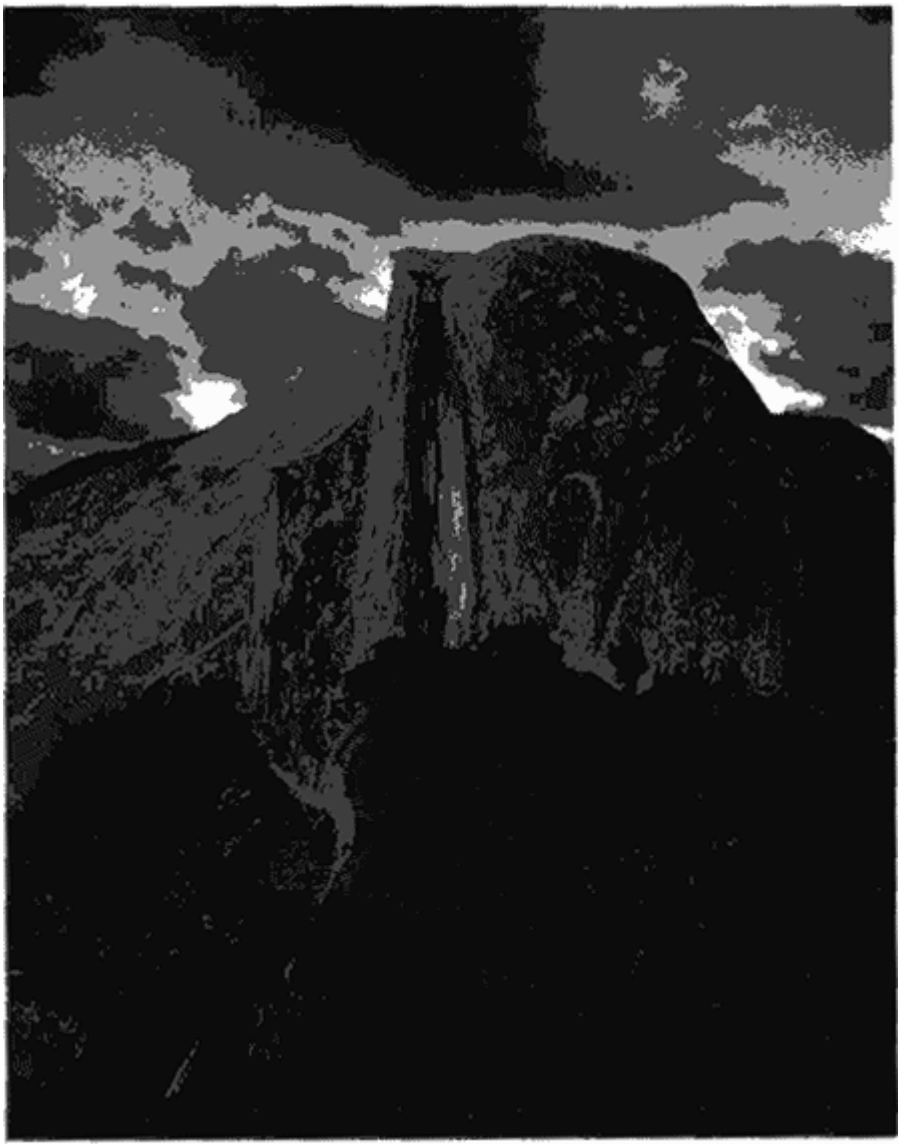

صورة رقم : (٢٥) ، سبحان من جعل هذه الراسيات أوتادا للأرض (١).

## المبحث الثالث

### الرواسي الشامخات والماء الفرات

قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ (١).

في هذه الآية الكريمة معجزة قرآنية كبيرة ، وإشارة علمية جيولوجية فريدة ، فالآية تشير إلى علاقة متينة بين الجبال الشامخات والماء الفرات ، والذي يتأمل قوله تعالى : ﴿شامِخاتٍ﴾ يدرك روعة الإعجاز في بيان القرآن هذا ، فالله سبحانه وتعالى يلفت انتباهنا إلى حقيقة علمية مرئية في عالم الشهادة ، فكلما كانت الجبال ذات شموخ وارتفاع وعلو كان نصيب الماء فيها أغزر ، واستأهلت لتكون محطة لواردات الثلوج المتراكمة ، وذاك الماء الذي ينساب من قممها وسفوحها يكون عذبا فراتا سائغا للشاربين ...

وبجولة في تفاسير العلماء ، نرى دقة هذا الارتباط الوثيق بين شموخ الجبال وغزارة المياه.

يقول ابن كثير : ﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ يعني الجبال أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب ﴿وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ أي عذبا زلالا من السحاب ، أو مما أنبعه من عيون الأرض) (٢).

وعند القرطبي : (﴿رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ يعني الجبال ، والرواسي الثوابت ، والشامخات الطوال ، ومنه يقال : شمخ بأنفه إذا رفعه كبرا ، قال :

﴿وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ أي وجعلنا لكم سقيا ، والفرات ، الماء العذب يشرب ويسقي منه الزرع ، أي خلقنا الجبال وأنزلنا الماء الفرات) (٣).

---

(١) سورة المرسلات ، الآية ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٨ / ٣٠٣ ، وانظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد الخازن ، بغداد مكتبة المثنى ، د. ت ، ٤ / ٣٦٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٩ / ١٦٠ ، وانظر : تفسير القرآن ، منصور بن محمد السمعاني ، تحقيق ، ياسر إبراهيم وغنيم عباس الرياض ، دار الوطن ، ١٩٩٧ ، ٦ / ١٣٠.

وفي «روح المعاني» : (﴿شامِخاتٍ﴾ مرتفعات ، ومنه شمخ بأنفه ، ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد ، كأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم ، أو للإشعار بأن في الأرض جبالا لم تعرف ولم يوقف عليها ، فأرض الله تعالى واسعة وفيها ما لم يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ ، وقيل : للإشعار بأن في الجبال ما لم يعرف وهو الجبال السماوية ، وهو مما يوافق أهل الفلسفة الجديدة إذ قالوا بوجود جبال كثيرة في القمر ، وظنّوا وجودها في غيره ، وتعقب بأنه تفسير بما لم يعرف ﴿وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ أي عذبا ، وذلك بأن خلقناه في أصولها ، وأجريناه لكم منها في أنهار ، وأنبعناه في منابع تستمد مما استودعناه فيها ، وقد يفسر بما هو أعم من ذلك ، والماء المنزل من السماء) [١].

وفي تفسير «أنوار التنزيل» : (﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم ، أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير ، وقوله تعالى : ﴿وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً﴾ بخلق الأنهار والمنابع فيها) [٢].

ويقول الإمام الرازي : (من الاستدلال بأحوال الجبال ، أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض وذلك أن الحجر جسم صلب ، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتكامل ، فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة ، ثم إنها لكثرتها وقوتها تثقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض ، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه ، ولهذا السبب ففي أكثر الأمر أينما ذكر الله الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل ما في هذه الآية) [٣].

إن الإنسان ليصاب بالدهشة عند ما يقرأ تفسير هؤلاء العلماء رضي الله عنهم ، وهم يتحدثون عن هذه الحقائق العلمية الجيولوجية منذ قرون مضت ، ولم يكن في عصرهم ولا حتى بعدهم بقرون الآليات والمعدات التقنية المتطورة ، التي من شأنها أن تكشف عن أسرار المياه وارتباطها بالجبال الشامخات ، ولكنهم يستلهمون هذه المعطيات العلمية من وحي القرآن العظيم ، الذي حوى علم الأولين وعلم الآخرين.

---

(١) روح المعاني ، للآلوسي ، ٢٨ / ١٧٨ ، وانظر : فتح الرحمن في تفسير القرآن ، عبد المنعم تعليب ، القاهرة ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ ، ٧ / ٣٨٣٦.

(٢) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٥ / ٤٣٣.

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، ١٩ / ٨ ، وانظر : تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر المخزومي ، تحقيق ، عبد الرحمن السورتي ، بيروت ، المنشورات العلمية ، د. ت ، ٢ / ٧١٦.

إذن ، ندرك من معطيات النص القرآني أن الجبال كلما كانت شامخة عالية ، كان الماء أوفر من جهة ، ومن جهة أخرى كان عذبا فراتا ، وليس ملحا أجاجا ، فما ذا قال العلم في هذا؟.

**الحقائق العلمية :**

إن هذا التصور القرآني الدقيق ، وهذه الإشارة العلمية الربانية ، قد كشف عنها العلم ، وأثبتها علماء الجيولوجيا ...

(فهذه الآية القرآنية معجزة تربط بين ارتفاع الجبال وتكون الجليد الذي يكلل هاماتها ، لانخفاض حرارتها تحت الصفر ، فالبرودة تكثف بخار الماء الموجود بالجو على قمم هذه الجبال ، إذا زاد ارتفاعها عند حد خاص يتوقف على موقعها قدره ٢ ، ١ ، ٧ ، ٢ ، ٥ ، ٥ كم ، بالنسبة لجبال النرويج والألب والكليمنجارو على الترتيب ، لأن هذه الارتفاعات هي الحد الأدنى لتكوّن الثلج الدائم لانخفاض حرارتها بالدرجة اللازمة لتكثيف البخار من الهواء الرطب المحيط بها في هذه المناطق على الترتيب ، وهذا الماء يتجمّد على هيئة ثلج يغطي القمم والسفوح الشامخة الباردة ، وينصهر هذا الثلج تحت ضغط الجليد العلوي المتراكم فوقه باستمرار ، فيسيل الماء العذب على سفوح هذه الجبال بتأثير الجاذبية إلى أسفل ، ولن تنفذ هذه الثلوج على قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها السفلى ، لأنها كما تسيل باستمرار تتجدد أيضا باستمرار عملية التكثف لبخار الماء من الجو المحيط بهذه القمم ، ولو لا هذه الظاهرة العجيبة لجفت الأنهار إذا انقضت فصول الأمطار عند منابعها ، وتنكير الماء في هذه الآية يفيد العموم ، بحيث يشمل كلا من ماء الأمطار والماء المنحدر من جليد شوامخ الجبال التي تعمل كالإسفنج ، لتجميع وترشيح الماء العذب النقي من بخار الجو المحيط) [١].

وفي «دائرة المعارف الثقافية» نجد حول هذه الحقيقة ما يلي : (عند ما تدفع الرياح كتلة هوائية حارة مشبعة ببخار الماء ، وتصادف في طريقها منطقة جبلية ، تصطدم الكتلة الهوائية بالجبال فتوقف مسيرتها ، لكن الريح تستمر في دفعها ، مما يجبرها على الارتفاع ، وكلما ارتفعت هذه الكتلة انخفضت درجات الحرارة المحيطة ، مما يؤدي

---

(١) المعارف الكونية ، إعداد نخبة من العلماء ، ص ٢٩٩.

قمم الجبال التي تغطيها الثلوج هي من نعم الله لتخزين المياه على سطح الأرض.

إلى تكثف قسم كبير من رطوبتها ، وتشكيل تراكم غيمي يكلل القمة في النهاية على شكل ضباب) [١].

(... إن الارتفاعات العالية ، تؤدي إلى انخفاض درجة حرارة هذه القمم ، التي تستطيع بذلك تكثيف بخار الماء في الهواء الرطب المحيط بها ، وهذا الماء المتكثف يتجمد على هيئة ثلج ، يغطي هذه القمم الشامخة وينصهر هذا الثلج تحت ضغط الطبقات الثلجية المتراكمة فوقه ، ويتحول إلى ماء عذب يسيل على سفوح الجبال منحدرا بتأثير الجاذبية إلى أسفل) [٢].

---

(١) دائرة المعارف الثقافية ، الأرض ، بيروت ، المركز الثقافي الحديث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ٣ / ٤٨.

(٢) من دلائل الإعجاز العلمي ، موسى الخطيب ، ص ٢٥٤.

**الإعجاز :**

إن هذه الحقائق العلمية التي سلفت ، جمعها كتاب الله بجملة واحدة : ﴿**وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً**﴾ ، وليس من المستغرب أن يكشفها العلم الحديث لأنها تنزيل من لدن العليم الخبير ، ثم إن هذه الآيات تلفت انتباهنا إلى أن نسبر أغوار الكون ، ونكشف عن أسراره وخفاياه لينعم الإنسان بها ، فكم هي آلاء الله ونعمه الوافرة كثيرة علينا ، فالجبال الشاهقات منابع لسيلان الأنهار العذبة النقية ، وجمال الحياة وزهوتها بهذه الأنهار التي تملأ الوديان والسهول وشق التربة القاحلة فتحيلها إلى جنة خضراء زاهية ... إنه جمال الكون وبهاؤه المنعكس عن جلال الله وجماله ...

أما ينبغي أن نطأطئ الرأس إجلالا لإعجاز القرآن في هذه الآيات الباهرات ، واعترافا بنعم الله وآلائه التي أرفدها علينا وأغدقنا بها.

صورة رقم : (٢٧) ، مشهد رائع يوضح الماء الفرات المنساب من قمم الجبال على سفوحها فسبحان الله العظيم [١].

---

(١) أخذت هذه الصورة من موقع :

http :/ / zizooo. ws / z. php ? name Gallery do showpic pid ٤٧٠٤ orderby date D

صورة رقم : (٢٨) ، مشهد آخر يبين الثلوج التي تكلل هامات الجبال ، وترشح الماء ليكون عذبا فراتا ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿**وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً**﴾ ، هذا خلق الله .[١]

---

(١) أخذت هذه الصورة من موقع :
http :/ / zizooo. ws / z. php ? name Gallery do showpic pid ٤٠٧٤٨ orderby date D

## المبحث الرابع

### حركة الجبال وتعدّد صخورها

قال تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ (٢).

تشير الآية الكريمة الأولى إلى أن للجبال حركة سريعة ، وهي ليست ثابتة جامدة كما يتخيّل أو يظن ، وهذه حقيقة قرآنية سجلها كتاب الله تعالى ، ثم كشف عنها علماء الجيولوجيا بعد قرون ، كما تشير الآية الثانية إلى تعدد صخور الجبال وتعدد ألوانها كذلك ، وفي الآية إشارة إلى إمكانية تغير ألوان الصخور مع الزمن ، ولنبدأ في بحث هاتين الآيتين من كتب التفاسير.

يقول ابن كثير : (﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه ، وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها) (٣).

وفي «تفسير بحر العلوم» : (أي تحسبها واقفة مكانها ويقال : مستقرة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ حتى تقع على الأرض فتستوي ، أي في أعين الناظرين كأنها واقفة) (٤).

وفي «إرشاد العقل السليم» : (﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ حال من ضمير الجبال في تحسبها ، أو في جامدة ، أي تراها رأي العين ساكنة ، والحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التي

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

(٢) سورة فاطر ، الآيتان ، ٢٧ ، ٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٦ / ١٩٤.

(٤) بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٢ / ٦١٨.

تسيرها الرّياح سيرا حثيثا ، وذلك أنّ الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها ، وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السّحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها) [١].

وأما الآية الثانية ، فيقول القرطبي : (والجدد ، جمع جدة ، وهي الطرائق المختلفة الألوان ، وحمر مختلف ألونها ، وغرابيب سود ، الغربيب الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير والمعنى ، ومن الجبال سود غرابيب ، والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب ، أسود غربيب) [٢].

وفي «أنوار التنزيل» : (﴿وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ﴾ أي ذو جدد أي خطط وطرائق ، يقال : جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره ، وقرئ ﴿جُدَدٌ﴾ بالضم جمع جديدة ، بمعنى الجدة ﴿جُدَدٌ﴾ بفتحتين وهو الطريق الواضح ، ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها﴾ بالشدة والضعف ، ﴿وَغَرابِيبُ سُودٌ﴾ عطف على ﴿بِيضٌ﴾ أو على ﴿جُدَدٌ﴾ كأنه قيل : ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ، ومنها ، أي من الجبال ، ﴿وَغَرابِيبُ﴾ متحدة اللون ، وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده ، فإن الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد) [٣].

ومعنى جدد في اللغة ، ففي «مفردات ألفاظ القرآن» : (جدد ، جمع جدة ، أي طريق ظاهرة ، من قولهم : طريق مجدود ، أي مسلوك مقطوع ، ومنه جادة الطريق) [٤].

وأما غرابيب فمعناها : (جمع غربيب ، وهو المشبه للغراب في السواد ، كقولك : أسود كحلك الغراب) [٥].

ولعل من المفيد أن نشير إلى أن عددا ليس بالقليل ممن تناول تفسير الآية الأولى ، أخضعها إلى عوالم الآخرة ومشاهد النكبة والخراب التي ستسيطر على الكون إبان قيام

---

(١) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ٤ / ٢٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٧ / ٢١٩ ، وانظر : تفسير القرآن الكريم إعرابه وبيانه ، محمد طه الدرة ، دمشق ، دار الحكمة ، ١٩٨٢ ١١ / ٥٩٧.

(٣) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٤ / ٤١٧.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ، للأصفهاني ، ص : ١٨٨.

(٥) المصدر نفسه ، ص : ٦٠٥.

الساعة ، واعتبر مرور الجبال كالسحاب كناية على نسفها وزوالها ، وكان منطلق هذا التفسير وقوع الآية في سياق نصوص قرآنية تتحدث عن مشاهد يوم القيامة.

والحق في هذه القضية ، أن الآية تتحدث عن مرور الجبال وحركتها في الدنيا وليس في أهوال الآخرة ، ولسبب بسيط ألا وهو أن الله ﷻ قال : ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً** ...﴾ والرؤيا هنا رؤيا بصرية ، والحسبان أبدا لا يكون في الآخرة ، إذ إن الآخرة كلها يقين وكلها حق وكلها وقائع مرئية ، لا تخضع إلا لليقينيات ، أما الحسبان والشك والظن ، فهي حالات تعتري الناس في الدنيا ، ولا مكان لها يوم الدين ، وبناء على هذا فالآية تشير إلى أن الإنسان إذا نظر إلى الجبال ، حسبها جامدة لكنها في واقع الأمر ليست كذلك ، إنما هي متحركة حركة سريعة ، وهذه الحقيقة كانت غامضة لمن سلف من الناس ، ولكن مع التقدم العلمي والثورة التقنية التي نعيشها اليوم ، تأكد للعلماء أن الجبال تتحرك حركة سريعة ، ذلك أن الجبال جزء أساسي من الأرض ، ولقد ثبت لنا أن الأرض تدور دورانا سريعا ، وعليه فإن الجبال مسرعة بسرعة الأرض ، وهناك أدلة أخرى على حركة الجبال نقف مع العلماء ليحدثونا عنها.

**الحقائق العلمية :**

(لقد شبه الحق الجبال بالسحاب المتحرك تشبيها بليغا ، نعرف سره من الحقائق التالية:

١ ـ حركة الأرض : السحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته ، ولكنه يتحرك محمولا على الرياح ، وإرسال الرياح يتم بحركتها لتهب من مكان لآخر فتساعد على تكوين وإظهار السحب ، ثم تحريك هذا السحاب محمولا على الرياح ، وبهذا فالسحاب متحرك راكب الرياح ، وبالمثل فالجبال تجري لأنها تمتطي كوكب الأرض المنطلق في الفضاء أي بحركة غير ذاتية ، ولهذا فالجبال تمر مرّ السحاب ، فما أروع التشبيه وما أعمق الإشارة إلى حركة الأرض وهي تحمل معها الجبال ، بينما الناس كانوا يحسبون حتى أن كليهما ساكن وجامد.

٢ ـ إزاحة القارات : لقد ثبت علميا أن القشرة الأرضية تتحرك باستمرار حركة بطيئة ، ونستطيع أن نتخيل القارات بجبالها وكأننا معها ركاب مسافرون على ظهر ألواح قارية ضخمة ، لطبقة أرضية تدعى (الليثوسفير) بسمك متوسط قدره ٦٠ ميلا تحت أقدامنا ، وهذه الألواح تنزلق ببطء ، طافية على طبقة الرداء البلاستيكية المنصهرة

تقريبا ، والتي تدعى (الأثينوسفير) ، كما أن الجبال قد تصل بجذورها إلى هذه الطبقة لتطفو كما تفعل القشرة ، فالقارات بجبالها الطافية فوق الرداء تشبه السفن العملاقة الطافية فوق البحار في رسوها بل وفي حركتها ... وعلى هذا فالجبال مع قاراتها تمر طافية على ألواح (الليثوسفير) مرورا بطيئا ، لا تستطيع إدراكه فتحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) [١].

ولقد كشف علم الجيولوجيا حديثا عن الحقيقة العلمية (التي تؤكد التغير المستمر لما يبدو لنا ثابتا وخالدا كالصخور والجبال ، وهذا التغير قد يحدث تدريجيا عبر ملايين السنين ، وقد يحدث فجائيا عند حدوث الكوارث الطبيعية كما حدث في زلزال (ألاسكا) عام ١٩٦٤ ، الذي هزّ جبلا عاليا هزا عنيفا لدرجة أن جزءا كبيرا من قمة الجبل تحطم ... إن كل ظواهر التعرية تتم بتقدير إلهي ينظم كل شيء في ترتيب متقن محكم ، فالجبال ليست ساكنة أو دائمة ولكنها تمرّ مرّ السحاب ، فهي تتشكل وتزول تدريجيا عبر ملايين السنين ، أو تزول بصورة مفاجأة كما في حالة الكوارث الطبيعية) [٢].

وأما قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)**﴾ [٣].

فإن هذه الآية تخلق مثيرا في كيان العلماء لتنبههم إلى حقيقة جيولوجية ، قد أشار إليها كتاب الله ، وهذه الحقيقة تتمثل في اختلاف وتنوع صخور الجبال وألوانها ، وإنما يعود اختلاف ألوانها إلى اختلاف تركيبها وتكوينها ، ولكن منشأها واحد وهو الأرض ، وعليه فإن هذا الاختلاف والتنوع وراءه أصل واحد ، وفي هذا تأكيد على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

---

(١) المعارف الكونية ، نخبة من العلماء ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، وانظر : كوكب الأرض ، حسن أبو العينين ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٩٦ ، ص : ٣٧٦ وما بعدها ، وانظر : قواعد الجيومورفولوجيا العامة ، جودت حسنين جودت ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ ، ص : ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) من دلائل الإعجاز العلمي ، موسى الخطيب ، ص ٢٥١.

(٣) سورة فاطر ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨.

ولقد قسم العلماء الصخور إلى (ثلاثة أنواع رئيسية :

١ ـ صخور نارية :(lgneous) ، وهذه الصخور هي صهير السائل الساخن (الماجما) المنبعث من تحت سطح الأرض وهي عدة أنواع :

أ ـ الصخور الجرانيتية.

ب ـ الصخور الأنديسيتية.

ت ـ الصخور البازلتية.

د ـ الصخور الفلزبركانية.

وهذه الصخور المتبردة من الصهير الذي تقترب الأيونات من بعضها وتفقد حرية الحركة ، وعند ما يصل التبريد حدا كافيا تحد قوة الترابط الكيميائي من حركة الذرات وتجبرها على الانتظام في بنية بلورية ... ثم تتصلب تباعا ، وتختلف ألوان هذه الصخور فمنها الأخضر والأبيض والأحمر هذه من ألوان الجرانيت ويكون البازلت أسودا أو رماديا قاتما) [١].

(٢ ـ الصخور الرسوبية :(Sedimentary) ، وقد تجمعت هذه الصخور في الأحقاب المنصرمة في البحار وهي عدة أنواع :

أ ـ الصخور الرسوبية الحتاتية.

ب ـ الصخور الرسوبية الكيميائية.

ت ـ الصخور الرسوبية العضوية.

إن للصخور الرسوبية أهمية خاصة في استنباط تاريخ الأرض ، فهي تتكون عند سطح الأرض في طبقات ، وكل طبقة تسجل طبيعة البيئة التي ترسبت فيها وقت ترسبها ، وهذه التراكمات التي تسمى طبقات تمثل الخاصية الوحيدة المميزة للصخور الرسوبية) [٢].

(٣ ـ صخور متحولة :(Metamorphic) ، وهذه الصخور في أصلها كانت رسوبية أو نارية بشتى أنواعها ثم تحولت بعد ذلك بسبب الضغط الشديد والحرارة القوية في أعماق الأرض إلى صخور متنوعة ، وأثناء عمليات التحول الشديد يمكن أن يكون انتقال الأيونات كافيا ليسبب فصل المعادن عن بعضها ...

---

(١) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، تاربوك ولوتجنز ، ص ٧٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٣.

ويتحول صخر (الجرانيت) إلى صخر (النايس) ، ويتحول الحجر الطيني إلى (اردواز) وعمليات التحول تسبب كثيرا من التغيرات في الصخور بما في ذلك الزيادة في كثافة الصخور ونمو البلورات الكبيرة وتغير اتجاه الحبيبات المعدنية ، الذي ينشأ عنه مظهر محزم يسمى بالتورّق ، واستبدال المعادن المتكونة في درجة حرارة منخفضة بأخرى متكونة في درجات حرارة مرتفعة) [١].

**الإعجاز :**

وهكذا فإن الحق سبحانه وتعالى يسجل في كتابه المجيد الحقائق العلمية المتوالية ، فلقد قرر أن الجبال ليست ثابتة ولا جامدة ، إنما تمر مرّ السحاب ، ويأتي علماء الجيولوجيا ليكتشفوا هذا القانون الرباني في حركة الجبال ، ثم إن هذه الحقائق العلمية ، عن الصخور وتشكلها وتلونها وتباينها جمعتها آية قرآنية : ﴿**وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ**﴾ ، وفي الآية إشارة إلى ضرورة البحث في علوم الجيولوجيا والفيزياء والكيمياء ، التي تتشابك هذه العلوم مع بعضها لتصل إلى الكشف عن أسرار وحقائق الكون ، الذي أرسى الحق تبارك وتعالى قواعدها بين دفّتي كتابه العظيم.

---

(١) الأرض مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، تاربوك ولوتجنز ، ص : ١٩٣.

# الفصل العاشر

## الإعجاز القرآني في البحار

**تمهيد.**

**المبحث الأول : ظلمات البحار وتنوع الأمواج.**

**المبحث الثاني : مرج البحرين يلتقيان.**

**المبحث الثالث : والبحر المسجور.**

**المبحث الرابع : اهتزاز الأرض بماء السماء.**

تمهید ..... ۳۷۰

## تمهيد

الماء آية من آيات الله البديعة ، وشارة ناطقة على عظمة الخالق ، في بث روح الحياة في الكائنات كلها ، والحياة هي سر من أسرار الله في الكون ، وبين الماء والحياة تلازم وثيق ، فلا حياة بدون ماء ولقد جعل العليم الخبير جل جلاله الماء سببا لاستمرار الحياة وبقائها ، فمقوّمات الحياة وعناصر تكوينها المختلفة ، لا يكتب لها البقاء ولا يمكن أن تستنشق روح الحياة إلا بالماء ، فمن الماء الدافق خلق الإنسان وتكوّن ، ومن الماء مع التراب تزهو دنيا النباتات ، وتتكاثر بقية المخلوقات وتسعد بنعمة الماء الزلال ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

ولقد جعل الحق عَزَّوَجَلَّ للماء دورة متكاملة لاستمرار الحياة ، بدءا من حرارة الشمس فبخار الماء فتكوين السحب ثم إمطار الماء من السماء ، لتتفجر البراعم الخضراء الحية من أكمامها ، وترتوي الأنعام ، وينعم الإنسان ، وتزهو الدنيا ، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

ولقد ورد في القرآن الكريم الحديث عن الماء العذب والماء الأجاج المالح ، وأخذ الحديث عن البحار شوطا ومساحة ليست بالقليلة في كتاب الله تعالى ، وذلك للأهمية الآنفة ، ولسوف يتناول في هذا الفصل قضايا بحرية عرضها الحق عرضا غاية في البيان الإعجاز ، من ذلك الحديث عن مرج البحار والتقائها دون امتزاج أو بغي ، وما فيها من دلالات علمية وقرآنية ، وكذلك الحديث عن ظلمات البحار المتنوعة ، وما حوت من

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤.

عجائب كثيرة كوجود أمواج داخلية تم الكشف عنها في زماننا ، وقد ذكرها ربنا في كتابه المجيد بكل وضوح ، ثم نعرج للحديث عن قسم القرآن بالبحر المسجور ، والذي تعرف عليه إنسان عصرنا واكتشف وجود الحمم والبراكين الثائرة الملتهبة في قيعان البحار ، ثم نعرض قضية اهتزاز التربة بماء السماء وما رافق هذه العملية من إعجازات ربانية.

# المبحث الأول

## ظلمات البحار وتنوع الأمواج

قال تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١).

تشير هذه الآية الكريمة إلى حقيقة علمية رائعة في علم البحار ، فهي تحدثنا عن بعض مزايا البحر العجيب ، وتكشف لنا طرفا من مشاهده المدهشة ، ألا وهو وجود أمواج داخلية للبحر ، وظلمات متعددة فيه ، وقبل سوق الحقائق العلمية التي تفسر هذه الآية وتؤكد حقائقها الثابتة ، نستعرض بعض أقوال أهل العلم من المفسرين لنقف عند رؤيتهم العلمية لهذه الآية ، ولنرى ذلك من خلال كلامهم عن معاني المصطلحات القرآنية من الناحية اللغوية.

ففي تفسير «فتح البيان» : (في بحر لجي ، معظم الماء ، والجمع لجج ، وهو الذي لا يدرك عمقه ، ثم وصف سبحانه وتعالى هذا البحر بصفة أخرى فقال : ﴿يَغْشاهُ﴾ أي يعلو هذا البحر ﴿مَوْجٌ﴾ فيستره ويغطيه بالكلية ، والموج : ما ارتفع من الماء ، ثم وصف هذا الموج بقوله : ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ أي من فوق هذا الموج ﴿مَوْجٌ﴾ ثان متراكم فيه إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكم بعضها فوق بعض ، ثم وصف الموج الثاني فقال :

﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ﴾ فيجتمع حينئذ جوف البحر وأمواجه والسحاب المرتفع فوقه) (٢).

ويقول القرطبي ﷺ : (﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ﴾ قيل : هو منسوب اللجة ، وهو الذي لا يدرك قعره واللجة معظم الماء ، والجمع لجج ، واللج البحر إذا تلاطمت أمواجه ... ﴿يَغْشاهُ مَوْجٌ﴾ أي يعلو ذلك البحر اللجي : ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أي من فوق الموج موج ، ومن فوق هذا الموج الثاني ، سحاب ﴿سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ﴾ والمراد

---

(١) سورة النور ، الآية : ٤٠.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، للقنوجي ، ٩ / ٢٣٨.

بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر ، فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئا ولا كوكبا ...

﴿إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ أي الناظر ﴿لَمْ يَكَدْ يَراها﴾ أي من شدة الظلمات) [١].

وفي تفسير «بحر العلوم» : (﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ﴾ يعني : مثل الكافر كمثل رجل يكون في بحر عميق في الليل ، كثير الماء ﴿يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ﴾ يعني يكون في ظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وظلمة السحاب ، فكذلك الكافر في ظلمة الكفر ، وظلمة الجهل وظلمة الجور والظلم ، ويقال : ﴿يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ يعني المعاصي ، ومن فوقه العداوة والحسد والبغضاء ، و ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ﴾ يعني الخذلان من الله تعالى.

ثم قال : ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ﴾ كما قال للمؤمن : ﴿نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ فيكون للكافر ظلمة على ظلمة ، قوله ظلمة ، وعمله ظلمة ، واعتقاده ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمة ، وهو النار ، ويقال : شبه قلب الكافر بالبحر العميق ، وشبه أعضاءه بالأمواج الثلاث ، طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق ، ثم قال : (﴿إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها﴾ يعني لم يكن أقرب إليه من نفسه ، فإذا أبرز يده لم يكد يراها من شدة الظلمة ، ومع ذلك لم ير نفسه) [٢].

وعند الطبري : (ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى ، مثل ظلمات في بحر لجّيّ ، ونسب البحر إلى اللّجة ، وصفا له بأنه عميق كثير الماء ، ولجة البحر معظمه ، يغشاه موج يقول : يغشى البحر موج ، من فوقه موج يقول : من فوق الموج موج آخر يغشاه ، من فوقه سحاب يقول : من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب ، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشّته الضلال والحيرة كما يغشى هذا البحر اللّجيّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، ٦ / ١٨٨ ، وانظر : تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي ، بيروت ، دار الفكر ، د. ت ٦ / ١٦٢.

(٢) بحر العلوم ، للسمرقندي ، ٢ / ٥٣٨.

بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض) [١].

ولو فتشنا عن معنى ﴿لُجِّيٍ﴾ في المعاجم ، فسنجد : (لجة البحر حيث لا يدرك قعره ، ولج الوادي جانبه ، ولج البحر عرضه ، ولج البحر الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه ... ولجة الأمر ، معظمه ، ولجة الماء بالضم معظمه ، وخص بعضهم به معظم البحر ، وكذلك لجة الظلام ، وجمعه لج ولجج ولجاج) [٢].

وفي «العين» : (ولجة البحر حيث لا ترى أرض ولا جبل ، ولجج القوم ، دخلوا في لجة ، وبحر لجي أي واسع اللجة) [٣].

سبحان الله ، ما هذا الوصف الدقيق لأمواج البحار وطبائعها ، والذي يتأمل الآية الكريمة ، ويدقق بأقوال المفسرين ثم يربط ذلك في الزمن الذي نزلت فيه هذه الآية ، وبالعصر الذي قال فيه المفسرون هذا الكلام ، يقف مشدوها مستغربا من ذلك ، لأنهم يتحدثون عن حقائق العلم التي وصل إليها إنسان القرن العشرين ، وما يدريهم هم بهذه الأمواج السطحية والداخلية والظلمات الدامسة في أعماق البحر ، هل سبروا أغوار البحار ورأوها ، هل التقطوا صورا فضائية وشاهدوها؟ نعم إنهم شاهدوها بمنظار العقيدة واليقين ، ورأوها من خلال مرآة القرآن المعجز الكريم.

بوسعنا الآن أن نستنبط من الآية الكريمة ثلاث حقائق وهي :

١ ـ هناك أمواج داخلية في أعماق البحر تحت الأمواج السطحية.

٢ ـ وهذه الأمواج غير موجودة في أيّ بحر ، وإنما يجب أن يكون عميقا. ﴿لُجِّيٍ﴾.

٣ ـ المناخ الذي يحيط في تلك المنطقة ملبد بالسحب والغيوم.

تلك هي التصورات القرآنية حول قضيتنا هذه ، وقبل أن نثبت الحقائق العلمية التي وصل إليها البحاث ، نشير إلى لفتة لطيفة في هذا الصدد ، وهي قوله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ﴾ ففي الآية إعجاز لأنها تتحدث عن ظلمات في أعماق البحر ، ولقد تكررت مرتين لتوكيد هذه الظلمات ، ولم يقل الحق : ظلام ، إنما قال : ﴿كظُلُماتٍ﴾ وهذه

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، ١٨ / ١١٥.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٢ / ٣٥٥.

(٣) العين ، للفراهيدي ، ٦ / ١٩.

الظلمات ﴿بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ﴾ فما هو المقصود من هذه الظلمات ، لقد كشف العلم عن السر الكامن من وراء هذه الكلمة وإليك بيانه.

**الحقائق العلمية :**

(طيف النور ، لو طبقت المنشور سينعكس إلى سبعة ألوان ، ووجد العلماء أنه إذا وصل إلى عشرة أمتار سيختفي اللون الأحمر قبل تحوله إلى ظلمة ، فيصبح لون الدم بعد عشرة أمتار أسودا ، فإذا وصل إلى ثلاثين مترا ، يبدأ ظلام آخر حيث يختفي اللون البرتقالي ويتحول إلى ظلمة ثانية ، فإذا وصل إلى خمسين مترا ، يبدأ ظلام جديد ثالث فيختفي اللون الأصفر ، فيصبح ظلام اللون الأحمر فوق ظلام اللون البرتقالي وفوق ظلام اللون الأصفر ، ظلمات متراكمة ، ثم إذا ما وصل إلى مسافة ١٠٠ مترا يختفي اللون الأخضر ، وإلى عمق خمس مائة متر ، تختفي الألوان كلها إلا الأسود ، فيبقى مميزا وكأنه ظل يتحرك أمام الرائي هناك ، وعلى عمق ١٠٠٠ متر تنعدم الرؤيا تماما ، أليست هذه ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها﴾ لشدة الظلام أو الظلمات المطبقة) [١].

وحول هذه الحقيقة يتحدث كبار علماء البحار في كتاب كتبه ثلاثون عالما من العلماء المتخصصين في الملاحة البحرية ، وجمع أبحاثهم ريتشارد فيتر [٢] وعنون هذا الكتاب ب «علم المحيطات» وفي تأكيد هذه الحقيقة وتوضيحها ، يقول الكابتن جاك كوستو [٣] في مبحث من مباحث هذا الكتاب : (عند ما يخترق ضوء النهار البحر فإن اللونين الدافئين الأحمر والبرتقالي يزولان بسرعة وعلى عمق ٥٠ مترا لا يبقى غير الألوان الخضراء والزرقاء والأرجوانية من ألوان الطيف ، ومع ذلك إذا أدخلنا الضوء

---

(١) مقتبسة من محاضرة عن البحار للداعية طارق سويدان ، شريط كاسيت.

(٢) ريتشارد فيتر ، كان منسقا لبرامج ندوات صوت أمريكا لعلم وصف المحيطات ، وهو يشغل الآن منصب السكرتير التنفيذي لمجلس شئون المحيطات بالأكاديمية القومية للعلوم والمجلس القومي للبحث العلمي. انظر : مقدمة المترجم ص : ٦.

(٣) جاك كوستو ، مدير متحف المحيطات في موناكو عام ١٩٤٣ ، أثناء خدمته في البحرية الفرنسية اخترع الكابتن كوستو الرئة المائية ومنذ عام ١٩٥٠ وهو يشغل منصب قبطان سفينة كاليبسو لبعثات مسح المحيطات ، وكاليبسو هو الاسم الذي اختاره لمركبته التي تغوص تحت الماء.

انظر : المترجم ص : ١٤.

صناعيا تحت الماء ، فإن الأصقاع وحيوانات البحر العميقة سرعان ما تدب فيها الحياة بصبغة زاهية لم يكن في الحسبان أن تكشف عن نفسها ، وعلى عمق ثلاثمائة متر يشع ضوء أحادي بلون كاف نستطيع به أن نرى أشكال الصخور أو حركة الأسماك ، وعلى عمق ألف متر وحتى في أفضل الظروف وأنسبها ، فالليل أبدى للعين البشرية ، فالرؤية تكون أحيانا سيئة في مصبات الخلجان والموانئ أو المدن ، ولكن الماء يكون صافيا بصفة عامة أو شديد الصفاء في المحيط المفتوح أو العمق الأخضر ، وعند ما يبدو الماء صافيا كالبلور فإن الرؤية لا تزيد عادة على ثلاثين مترا للغواصين شأنها في ذلك شأن ضباب مدينة مثل لندن) [١].

سبحان الله ، من أخبر محمدا ﷺ بهذه الظلمات في البحر؟.

إن الذي أخبره عن الظلمات البحرية هو الذي أنبأه عن الأمواج الداخلية ، وعن العلاقة بين السحب الجوية والأمواج.

قال تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ الآية تتحدث عن وجود أمواج داخلية في أعماق البحر ، وأخرى سطحية من فوقها سحاب ، فما ذا قال العلم في ذلك؟.

في كتاب «علم المحيطات» عقد فصل بعنوان «الأمواج» وتحدث عن الأمواج بنوعيهما الخارجية والداخلية ، أما عن الأمواج الداخلية فقال : (لقد تكلمنا لحد الآن عن الأمواج التي تقع في المنطقة الواقعة بين سطح الماء والهواء ، ولكن يمكن للأمواج أن تمتد بين أي سائلين مختلفي الكثافة ، فمثلا بين الزئبق والهواء ، وبين النفط والماء ، وبين طبقات ماء المحيط ذات درجات الكثافة المختلفة ، وكلما كان الاختلاف كبيرا في الكثافة بين السائلين ، كلما انتقلت الأمواج بصورة أسرع ، فمثلا لكون الزئبق كثيف جدا بالمقارنة مع الهواء فإن الأمواج فوق الزئبق ستنتقل بسرعة كبيرة ، ومن جهة أخرى فالماء أكثف من الزيت بكثير لذلك سوف تتحرك الأمواج بين السائلين بصورة بطيئة ، وعند تواجد طبقتين من ماء المحيط ذات درجات كثافة مختلفة قليلا ، يمكن أن تتكون الأمواج بين هاتين الطبقتين وتدعى هذه الأمواج الداخلية (internal wave) وتنتشر ببطء متناه) [٢].

---

(١) علم المحيطات ، ريتشارد فيتر ، ترجمة ، ميشيل تكلا ، القاهرة ، مطبوعات كتابي ، د. ت ، ص : ٢٠.

(٢) علم المحيطات ، كيث ستو ، ترجمة ، تلفان عناد أحمد ، البصرة ، نشر جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص : ٥٢٣.

(ولقد تحدث العلماء عن صنف من الأمواج الداخلية ويدعى أمواج التسونامي (tsunami) وهي نوع من الأمواج التي تسير بسرعة هائلة تبلغ ٦٠٠ قدم في الثانية ، وتحدث في الطبقات العميقة من المحيطات نتيجة الزلازل والبراكين وأحيانا الانفجارات الذرية ، وهذه الأمواج قليلة الحدوث ، إلا أنها خطيرة جدا ، وينشأ عنها خسائر فادحة ، علاوة على أنه لا يمكن التنبؤ بها) [١].

وفي كتاب «الماء والحياة بين العلم والقرآن» : (ونحن نعلم بأن هناك أمواجا على سطح البحر تعرفها جميعا ، وهي صغيرة الحجم بالنسبة لما كشفه العلم سنة ألف وتسعمائة بواسطة علماء (إسكندينافة) وهي الأمواج الداخلية في أعماق البحر المحيط ، ودعم ذلك ما قامت به الأقمار الصناعية من استشعار عن بعد ، وتصوير لهذا النوع الجديد من الأمواج سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين والذي ما عرفه إنسان قبل التاريخ ولا بعده إلا منذ سبع سنوات فقط ، وطول هذه الأمواج السحيقة العملاقة يبلغ عشرة كيلومترات ، وسمكها آلاف الأمتار ... والمسافة بين الموجة السحيقة والأخرى المجاورة لها في الأعماق تبلغ ٣ . ٤ ك. م ، وهذا نوع كبير جدا إذا قورن بالأمواج السطحية التي توجد فوق سطح المحيط ، والتي ما كنا نعرف غيرها من أنواع الأمواج إلا أخيرا ، وهذا النوع السحيق يسود في البحار المظلمة ، مثل المحيط الهادي والأطلنطي ، فالمحيط الهادي سحيق الغور وأعمق مناطق العالم تقع فيه ، وهو أخدود (الماريانا ز) الذي يصل عمقه إلى ٣٦٠٥٦ قدما ، وهذه المناطق المظلمة هي التي يستحيل وصول ضوء الشمس إليها ، لعمقها الشديد ، وتراكم طبقات المياه الكثيفة ، وقيام الطبقة السطحية من المحيط بإعكاس ضوء الشمس ... ولذلك فقد صمم الخالق الأعظم أنواع الأسماك هناك بلا عيون ، لأنها لا تستخدمها في الرؤية ، وتعيش هذه الأسماك هناك بسمعها ولكن لا تبصر ، وهذا الظلام لا يكون كما رأينا في كل بحار الدنيا ، وإنما البحار العميقة فقط ، والغريب أن محمدا ﷺ قال بذلك رغم أن ما يحيط بالجزيرة العربية من الشرق هو الخليج العربي وهو ليس بحرا لجيا ، والبحر الأحمر من الغرب ، وهو بحر داخلي قليل العمق ، وبحر العرب من الجنوب وهو الآخر ليس بحرا لجيا ...

إنه لإعجاز حقا أن يخبرنا القرآن منذ ألف وأربعمائة عام بتلك الظاهرة ، فالظلمات

---

(١) علم البحار والمحيطات ، ميلاد سعيد الرماح ، ليبيا ، نشر القوات البحرية ، ١٩٧٩ ، ص : ٦٧.

التي ذكرها القرآن لا توجد في البحار المحيطة بمهبط رأس الرسول ﷺ وموطنه ، فمن كشف لمحمد هذه الأسرار؟ ومن كشف له عن ظلمات السحب في هذه المناطق التي يتميز مناخها بالاضطرابات والأعاصير وتراكم السحب السوداء في سماءها؟ إنه الله سبحانه وتعالى الذي أخبره عن طريق الوحي بكل ذلك وجعله سهل الفهم على حسب مدارك ابن الصحراء ، وابن عصر الفضاء على حد سواء) [١].

**الإعجاز :**

لقد أثبت القرآن الكريم أن هناك أمواجا داخلية غير الأمواج السطحية ، وهذه الأمواج تتواجد في المحيطات العميقة اللجية ، والتي تتلبد سماؤها بالغيوم ، أما البحار التي قعرها قريب وسماؤها صافية ، فلا يوجد فيها أمواج داخلية ، وهذا ما أكده العلم وقرره ، فالأمواج الداخلية تتواجد في المحيط الهادي والأطلنطي ... فهل ملك محمد ﷺ الأقمار الصناعية لتصوير هذه الأمواج أم أنه وحي السماء.

---

(١) انظر : الماء والحياة بين العلم والقرآن ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، جدة ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص ١٩٦.

## المبحث الثاني

### مرج البحرين يلتقيان

قال تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (١٩) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ (٢٢)﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ (٣).

في هذه الآيات إعجاز علمي رائع في عالم البحار ، حيث إنها تتحدث عن بحرين يختلطان لكن دون امتزاج ، بسبب وجود برزخ بينهما ، وقبل أن نثبت الحقائق العلمية التي تفسر هذه الآيات ، نورد أقوال المفسرين لنرى كيف فهموا هذه الآيات القرآنية التي تتضمن بعض الظواهر الكونية ، ولنقف عند التحليل اللغوي لبعض المصطلحات القرآنية هنا.

قال الطبري رحمة الله : (والله الذي خلط البحرين ، فأمرج أحدهما في الآخر ، وأفاضه فيه ، وأصل المرج الخلط ، ثم يقال للتخلية : مرج ، لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مرجه ... وإنما قيل للمرج مرج من ذلك ، لأنه يكون فيه أخلاط من الدوابّ ، ويقال : مرجت دابتك : أي خليتها تذهب حيث شاءت) (٤).

---

(١) سورة الرحمن ، الآيات : ١٩ ـ ٢٢.

(٢) سورة النمل ، الآية : ٦١.

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٥٣.

(٤) جامع البيان ، للطبري ، ١٨ / ١٥ ، وانظر : معاني القرآن ، لأبي إسحاق إبراهيم بن الري الزجاج ، تحقيق ، عبد الجليل شلبي ، بيروت عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ ، ٥ / ١٠٠.

وقال الزمخشري : (مرج البحرين ، أرسل البحر المالح والبحر العذب ، متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين ، ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لا يَبْغِيانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة) [١].

وعند الرازي : (﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي خلاهما وأرسلهما يقال : مرجت الدابة إذا خليتها ترعى وأصل المرج الإرسال والخلط ، سمى الماءين الكبيرين الواسعين بحرين ، قال ابن عباس : مرج البحرين أي أرسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المرج وهما يلتقيان ، وقوله : ﴿هذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾ والمقصود من الفرات البليغ في العذوبة حتى يصير إلى الحلاوة ، والأجاج نقيضه ، وأنه سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج ، وجعل من عظيم اقتداره برزخا حائلا من قدرته ، وهاهنا سؤالات :

السؤال الأول : ما معنى قوله : ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾؟ الجواب : هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها ، وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز ، كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا ، كما قال : ﴿لا يَبْغِيانِ﴾ أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة ، فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ، وهاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه ، فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات) [٢].

وفي «أنوار التنزيل» : (خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان ، من مرج دابته إذا خلاها ، ﴿هذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾ قامع للعطش ، من فرط عذوبته ﴿وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾ بليغ الملوحة وقرئ ﴿مِلْحٌ﴾ على فعل ، ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ حاجزا من قدرته ، ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ وتنافرا بليغا ، كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه ، وقيل : حدا محدودا ، وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل : المراد بالبحر العذب ، النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير ، وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة ، مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية) [٣].

---

(١) الكشاف ، للزمخشري ، ٤ / ٤٥ ، وانظر : معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز ، عبد الكريم الأسعد ، الرياض ، دار المعراج ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ ، ٣ / ٩٣٥.

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٤ / ٤٧٥.

(٣) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، ٤ / ٢٢١.

ونفس المعنى في «تفسير القرآن» : (﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي خلط البحرين ، وقيل : أرسل البحرين ، وقوله : ﴿هذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾ العذب ، يسمى كل ماء عذب فراتا ، ويسمى كل ماء ملح بحرا ، و ﴿أُجاجٌ﴾ أي شديد الملوحة ، وقيل : مرّ ، وقوله : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً﴾ اليبس بين البحرين والبرزخ هو الحاجز ، وقوله : ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ أي مانعا ممنوعا) [١].

ونحلل بعض المصطلحات القرآنية الواردة هنا مثل : مرج ، وأجاج ، وبرزخ من المعاجم :

ففي «لسان العرب» : (مرج ، مرج الدين والأمر اختلط واضطرب ، ومنه الهرج والمرج ، ويقال إنما يسكن المرج لأجل الهرج ، ازدواجا للكلام ... والمرج الخلط ومرج الله البحرين العذب والملح : خلطهما حتى التقيا) [٢].

ومعنى الأجاج ، من الأجة (والأجة الاختلاط وشدة الحر ، وقد ائتج النهار وتأج وتأجج ، وماء أجاج ، ملح مر) [٣].

وفي «مختار الصحاح» : (الأجيج تلهب النار ، وقد أجت تؤج أجيجا ، وأججها غيرها فتأججت وائتجت ، وماء أجاج أي ملح مر) [٤].

وأما البرزخ فهو : (البرزخ ما بين كل شيئين ، وفي الصحاح ، الحاجز بين الشيئين ، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ ... والبرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : هو في برزخ لأنه بين الدنيا والآخرة ... والبرازخ جمع برزخ ، وقوله تعالى : ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾ يعني حاجزا من قدرة الله سبحانه وتعالى ، وقيل : أي حاجز خفي) [٥].

يتّضح لنا من هذا العرض أن المقصود من قوله تعالى : ﴿مَرَجَ﴾ أي خلط ، و ﴿بَرْزَخ﴾ أي حاجزا ، ولزيادة الإيضاح نقول : إن كلمة البحر إذا أطلقت في لغة العرب ، تنصرف إلى البحر المعهود ذي الماء الكثيف المالح ، أما إن خصصت بقيد ، كقولنا : «بحر

---

(١) تفسير القرآن ، للإمام أبي مظفر السمعاني ، تحقيق ، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم ، الرياض ، نشر دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ ، ٤ / ٢٦.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٢ / ٣٦٤.

(٣) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ١ / ٢٢٩.

(٤) مختار الصحاح ، للرازي ، ١ / ٣.

(٥) لسان العرب ، لابن منظور ، ٣ / ٨.

عذب» فينصرف المعنى إلى المخصص وإلى المقيد ، فالبحر العذب أي النهر ، وهذا ما رأيناه في بعض التفاسير ، وبوسعنا الآن بعد هذه الإشارات أن نحلل الآيات القرآنية ، ثم نثبت الحقائق العلمية على ضوء ذلك.

تتحدّث الآية الأولى عن بحرين يلتقيان ويختلطان ، إلا أن هذا الاختلاط كان سلميا ، لا ظلم فيه ولا بغي ولا تعدّي على حقوق أحد ، فلم يبغ أحدهما على الآخر بوجود البرزخ ، الحاجز بينهما والمعنى نفسه تتحدث عنه الآية الثانية ، فهي تشير إلى وجود حاجز بين البحرين ، إن هذه الحقيقة العلمية اعتقد بها المسلمون قديما ، كما رأينا من عرض أقوال المفسرين لكنهم لم يروها في عالم الشهادة ، فاعتقادهم بها كان نابعا من يقينهم الجازم الذي لا يخامره أدنى ريب ، أن هذا الكلام هو كلام الخالق العظيم ، وبالتالي فحقائقه كلها صادقة وواقعة ، فالرجل كان ينظر في البحر ، أو يركبه فلا يرى حواجز ولا فواصل فيه ، إلى أن جاء العلم الحديث وكشف عن هذه الحقيقة الكونية والمعجزة القرآنية ، وأثبت أن هناك حواجز حقيقية بين البحار.

**الحقائق العلمية :**

(نشرت بعثة (السير جون أمري) مع بعثة الجامعة المصرية بحفر السواحل لدراسة أعماق البحر الأحمر والمحيط الهندي في جنوب عدن ، وبعض الملاحظات التي تسترعي النظر ومما جاء أن البعثة وجدت المياه في خليج العقبة تختلف في خواصها وتركيبها الطبيعية والكيميائية عن المياه في البحر الأحمر ، وحققت البعثة بواسطة قياس الأعماق ، وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر وتبعد قمته نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر.

وتماثل هذه النتيجة ما وصلت إليه السفينة (مباحث) في رحلتها الأولى في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، إذ حققت وجود حاجز مغمور بين البحرين ، وأثبتت المشاهد بالتحليل الكيميائي ، أن مياه المحيط الهندي تختلف في خواصها الطبيعية و (الكيميائية) عن مياه البحر الأحمر ، ويعلل علماء البحار الاختلاف في خواص الماء في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، وفي خواصه في خليج العقبة والبحر الأحمر بوجود الحاجز المغمور عند ملتقى كل بحرين) [١].

---

(١) لفتات علمية من القرآن ، يعقوب يوسف ، الرياض ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧ ، ص : ٥٧.

هذا عن التقاء البحرين ، لكن ما معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾.

هذه الآية تتحدث عن التقاء نهر وبحر ﴿هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾ وهما مختلطان لكن في نفس الوقت يوجد بينهما فاصل ، برزخ.

إن هذا المفهوم القرآني ، فسّره العلم الحديث وأكد حقائقه الثابتة ...

فقد أثبتت الدراسات أن البحر الأبيض المتوسط في لقائه مع المحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق بينهما برزخ ، ومن خلال التحليل الكيميائي لمياه كل منهما وجدوا أن البحر الأبيض المتوسط بالمقارنة مع المحيط الأطلسي حار ويختلف في ملوحته ، فالبحر المتوسط أكثر ملوحة من الأطلسي وأكثر حرارة ، ويختلف كل منهما في الكائنات الحية.

(أما بالنسبة لالتقاء الأنهار مع البحار واختلاطهما مع وجود البرزخ فقد أصبحت هذه الحقيقة من القضايا الثابتة علميا ويعبر عنها بالاصطلاح العلمي ب ظاهرة التوتر السطحي (Surface Tension) ، وملخصها ما يلي : أن كلا من الماء العذب والملح ، نظرا لاختلاف كثافتهما لا يتحد مع الآخر ولا يختلط به ، وإنما تنزع جزئيات الماء في كل منهما إلى الانكماش والتجاذب محدثة توترا في سطح كل منهما الأمر الذي يكوّن أغلفة شفافة فاصلة بين الكتلتين لا يمكن رؤيتها وبذلك لا تبغي إحداهما على الأخرى بالاختلاط ... وفي الخليج العربي تندفع الأنهار الجوفية العذبة قرب البحرين وقطر ، في مياه الخليج المالحة دون أن يختلط أحدهما بالآخر ، وعند ملتقى نهر (الكنج والجامونا) وفي مدينة (الله آباد) يتّحد ماء النهرين مع بقاء غشاء التمدد السطحي ، فاصلا بينهما طوال مسيرتهما وعند لقاء نهر النيل بمياه البحر المتوسط المالح ، يندفع خط من الماء الحلو ويشق طريقه وسط مياه البحر المالحة دون أن يختلط بها ، وفي باكستان الشرقية يسير نهران من (تشاتغام) إلى مدينة (أركان) في (بورما) ويمكن مشاهدة النهرين في نهر واحد ، يفصل بينهما شريط من الماء الملحي يسير كل من الماء العذب والملح في جانب دون اختلاط أو ذوبان ، وعند حدوث المد البحري بفعل جاذبية القمر ليلا ، يرتفع مستوى الماء البحري عند الشواطئ وبالتالي عند أفواه الأنهار التي تصب في

البحار ، وتندفع مياه البحر المالحة متوغلة في عمق مصب النهر العذب لمسافات كبيرة فوق ماء النهر ، ويبقى الملح ملحا والعذب عذبا) [١].

وفي كتاب «علم البحار» عقد فصل بعنوان (أنهار عظيمة في البحر) وتحدث عن وجود العديد من الأنهار في البحار والخلجان والمحيطات ، ومما جاء فيه : (توجد أعظم أنهار الدنيا في البحر ، ويبدو نهر (الميسيسيبي) ، أو حتى نهر (النيل) ، أو نهر (الأمازون) بجانبها وكأنه غدير ، ويبدو غريبا أن تستطيع تيارات من المياه أن تتحرك لمثل هذا البعد خلال مياه أخرى دون أن تختلط بها ، وفي بعض الأحيان تتميز ضفتاه بوضوح يشبه تقريبا وضوحها لو كان المجرى على الأرض ، وقد توقفت مرة باخرة خفر السواحل الأمريكية المسماة (تمبا) على حافة أحد هذه الأنهار البحرية الغريبة ، لقياس درجة حرارة الماء وكانت درجة الحرارة عند مقدم الباخرة ٥٦ درجة ، وعند مؤخرتها ٣٤ درجة فقط ، وقد يختلف أيضا تيار الماء المتحرك في لونه عن ماء البحر المحيط به ، وفي بعض الأحيان يكون سطحه هائجا ، أو قد يغطيه الضباب ، وأعظم الأنهار البحرية هذه هو تيار الخليج ، فهو ينساب خارجا من خليج (المكسيك بين كوبا وفلوريدا) ، وهناك يتحرك بسرعة خمسة كيلومترات في الساعة ، أو بسرعة مشي الإنسان العادية ، وعرضه ١٤٥ كيلومترا ، وعمقه في بعض الأماكن من ٨٠٠ متر ، ويمر بليون طن من الماء تقريبا على طول ساحل (فلوريدا) كل دقيقة ... ويحمل تيار الخليج عند انسيابه من البحار الحارة ماء دافئا ، ويحتفظ بجزء كبير من دفئه وهو يعبر المحيط (الأطلسي) ، وتوجد أنهار عظيمة في المحيط (الهادي) أيضا) [٢].

لكن في نهاية الآية نجد إشارة أخرى هي قوله تعالى : ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ وهذه الإشارة تعتبر زيادة عن الآيتين السابقتين ، فما معنى ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾؟.

الحجر لغة : (المنع ، وأصل الحجر في اللغة ، ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه ، وكل ما منعته منه) [٣].

---

(١) الماء والحياة بين العلم والقرآن ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، ص : ١٦٧ ، وما بعدها.

(٢) علم البحار ، هاشم أحمد محمد ، نشر : هلا بوك شوب ، د. ت ، ص : ٣٥.

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، ٣ / ٥٧.

فالحجر المحجور : هو المكان الذي يمنع الدخول إليه والخروج منه ، وهذا المعنى القرآني أثبته العلم الحديث في أبحاثه ودراساته البحرية.

(وذلك يتم عند التقاء النهر العذب بالبحر المالح فتتشكل منطقة ثالثة ليست بحرا ولا نهرا تسمى (منطقة المصب) فيتضح للرائي النهر ويتميز عن البحر ، لكن منطقة المصب تختلف عن البحر والنهر من ناحية الكثافة والملوحة وحتى في الكائنات الحية ، وهنا تظهر ومضة الإعجاز القرآني في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ فمما ثبت أن الكائنات الحية التي تعيش في منطقة النهر لو دخلت في منطقة المصب لماتت ، وكذلك فإن الكائنات الحية التي تعيش في منطقة البحر لو دخلت منطقة المصب تموت ، والكائنات الحية التي في منطقة المصب لو دخلت منطقة النهر أو البحر تموت أليس حجرا محجورا ، لا إله إلا الله وسبحان الخالق العظيم ، ما أدرى محمدا بهذه المعلومات البحرية وهذه الخصائص العلمية ، إنه الحق) [١].

وفي كتاب «علم المحيطات» : (الفرق بين البحار والمصبات يرجع إلى مسألة الحجم ، ويحدّد الدوران في بحر ما ، فيما إذا كان معدل التبخر يزيد على معدل الماء العذب الذي يدخل البحر ، فإذا كان التبخر أكبر ، فإن المياه السطحية ستصبح أكثر ملوحة باستمرار وتغطس ، وتجدد مياه القاع ، أما إذا كان الماء العذب الداخل أكبر فإن مياه السطح تميل إلى أن تبقى على السطح ، وتميل مياه القاع إلى أن تكون راكدة وعديمة الحياة ، وبصورة خاصة إذا كان البحر مفصولا عن المحيط بواسطة عتبة ضحلة ، وتوجد المصبات عادة في الأماكن التي يمتزج فيها الماء العذب مع الماء المالح ، وهي المناطق التي تكون أكثر عرضة لتأثيرات التلوث) [٢].

**الإعجاز :**

من الذي أخبر محمدا ﷺ بهذه القوانين البحرية وبهذه التفاصيل العلمية؟ وهو النبي الأمي الذي لم يركب البحر قط ، بل كان يعيش بين بحار من الرمال والجبال الجرداء ... إن الذي أنبأه بذلك هو العليم الخبير ، الذي أذن لإنسان عصرنا أن يكشف

---

(١) لقطة من محاضرة الداعية الإسلامي الكويتي طارق سويدان عن البحار ، شريط كاسيت.

(٢) علم المحيطات ، كيث ستو ، ترجمة ، تلفات عناد أحمد ، البصرة ، نشر جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص : ٤٨٣.

عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم ليتحقق قول الله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُ﴾.

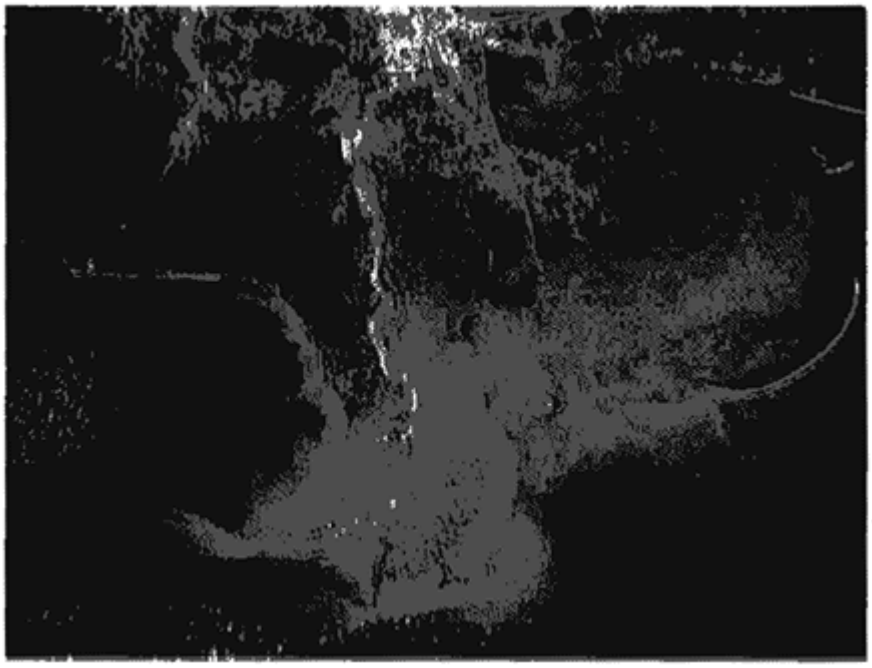

صورة رقم : (٣٠) ، تظهر مكان التقاء نهر الميسيسيبي بالبحر (دلتا المسيسبي)

## المبحث الثالث

## والبحر المسجور

قال تعالى : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (١).

هذا قسم الله سبحانه وتعالى بالبحر ، وقد وصف هذا البحر بأنه مسجور ، والقسم كما هو معلوم يؤتى به للتوكيد ، وكلام الله لا يحتاج لتوكيد ، ومن أصدق من الله قيلا ، لكن لينبه الغافلين ويرشد الطائعين ، ويقيم الحجة على الكافرين.

وهذا التوكيد على أن البحر مسجور ، سيق في معرض الحديث عن دلائل قدرة الله وعظمته وتهديد الكافرين المعرضين عن دين الله وشرعه ، فهو حديث عن بحر مسجر في الدنيا ، غير الحديث المعهود عن قيام الساعة ونهاية الحياة ودمار الكون وتسجير البحار وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾ (٢) فهذه الآية تتحدث عن نهاية الكون وتسجير البحار ، وإذا ، كما هو معروف ظرف لما يستقبل من الزمن ، أي في المستقبل إبان خراب الكون ستسجر البحار وتتحول كلها إلى كتل نارية.

وما يهمنا هنا ، هو قسم الله عَزَّوَجَلَّ بوجود بحر مسجور في الأرض التي تقلنا ، وهذا البحر بل والبحار بان تسجيرها في زمن العلم ، لكن قبل التعرض للحقائق العلمية في ذلك ، سنتعرف على معنى المسجور لغة من خلال تحليل العلماء لهذه الكلمة في تفاسيرهم وكتب اللغة.

يقول الإمام الطبري : (اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور ، فقال بعضهم : الموقد ، وتأوّل ذلك والبحر الموقد المحمي ، ذكر من قال ذلك عن سعيد بن المسيب ، قال : قال عليّ رضي الله عنه لرجل من اليهود : أين جهنم؟ فقال : البحر ، فقال : ما أراه إلا صادقا ، والبحر المسجور وإذا البحار سجرت مخففة ... وعن مجاهد ،

---

(١) سورة الطور ، الآية : ٦.

(٢) سورة التكوير ، الآية : ٦.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال : الموقد) [١].

وفي «إرشاد العقل السليم» : (﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد) [٢].

ويقول الزمخشري : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (أي المملوء ، وقيل الموقد) [٣].

وعند القرطبي : (﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال مجاهد : الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور ... وقال عبد الله بن عمرو : لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم) [٤].

وفي «مفردات ألفاظ القرآن» : (السجر ، تهييج النار ، يقال : سجرت التنور ، ومنه ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾) [٥].

وفي «لسان العرب» : (سجره ملأه ، سجرت النهر ملأته ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾ لا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا ، وقوله تعالى : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم ، سجر يسجر وانسجر امتلأ ، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : المسجور بالنار أي مملوء ، قال المسجور في كلام العرب المملوء وقد سكرت الإناء وسجرته إذا ملأته) [٦].

إذن يتضح لنا من هذا الكلام ، أن المقصود بالمسجور هو الموقد أو المهيج بالنار ، وقسم الله سبحانه وتعالى هذا فيه دلالة صريحة على وجود بحار مسجرة بالنيران ، إذ أن المقصود بالبحر المسجور هنا هو من بحار الدنيا وليس الآخرة ، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تتجلّى هذه الحقيقة القرآنية في عصر العلم ، ويصل علماء البحار إلى التأكد الجازم من وجود براكين ملتهبة بالنار في القيعان.

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، ٢٧ / ١٠ ، وانظر : صفوة التفاسير ، للصابوني ، بيروت ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ ، ٣ / ١٨٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، ٨ / ١٤٦.

(٣) الكشاف للزمخشري ، ٤ / ٢٢ ، وانظر : الدر المصون ، محمد السمين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ٦ / ١٩٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٩ / ٤٢.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٢٢٧.

(٦) لسان العرب ، لابن منظور ، ٤ / ٣٤٥.

**الحقائق العلمية :**

يقول الدكتور جمال الدين الفندي في كتابه «طبيعيات البحر وظواهره» : (أثبتت الدراسات أن في قشرة قاع المحيط يوجد بعض الثغرات أو الشقوق العميقة ، نتيجة التصدع بتقلصات القشرة لإحداث التوازن واختلافات الحرارة ، وما يتبع هذه الاختلافات من تمدّد بالتسخين وتقلص بالبرودة ، وعلى طول مثل هذه الأماكن المتمددة الضعيفة ، تندفع الحمم البركانية المنصهرة من باطن الأرض من خلال قشرة القاع ثم تنبثق متدفقة في البحر ، إلا أنها تلقى مقاومة بسبب ثقل مياه البحار ، وبرغم ذلك فإن براكين البحر أيضا تقذف حممها إلى أعلى ، كما تبني فوهاتها المخروطية صاعدة نحو السطح بتوالي تراكم الحمم المنصهرة ، وقد تسبب الانفجارات البركانية نسف الجزر أو اختفائها ، ومن أمثلة ذلك ما حدث في عام ١٨٨٣ عند ما انفجرت جزيرة (كاراكاتوا) من مجموعة جزر الهند الشرقية برمتها ، وبعد يومين من تعاقب الانفجارات البركانية أصبحت هذه الجزيرة التي كانت تعلو سطح البحر بنحو ١٤٠٠ قدم ، مجرد شعبة منخفضة عن سطح الماء بنحو ١٠٠٠ قدم ، ولم يبق ظاهرا منها إلا جزء من حافة قمتها الأصلية) [١].

وعقد فصلا جورج جامو في كتابه «كوكب اسمه الأرض» تحت عنوان : جهنم تحت أقدامنا ، وتحدث فيه عن تسجير قاع البحر ، والنار والبراكين النشطة فيه ، يقول في مطلعه : (ازدياد الحرارة مع العمق : إن سحب الدخان الأسود المتصاعد من فوهات البراكين الثائرة ، والحمم الملتهبة المتدفقة على جوانبها ، وعيون المياه الساخنة ، كل هذا دعا الأقدمين إلى الاعتقاد بوجود نار متقدة ليست بعيدة تحت أقدامنا أعدت للخاطئين ...) [٢].

وفي «موسوعة الظواهر الطبيعية» : (ولانفجار البراكين في قيعان المحيطات والبحار أثر نشوء الأمواج العالية والسريعة ، التي تحطم وتكتسح ما تصادفه في طريقها ... أما البراكين أو جبال النار فهي المنافذ التي تقذف منها المواد الأرضية الباطنية المنصهرة ، عند ما يشتد ضعفها) [٣].

---

(١) طبيعيات البحر وظواهره ، محمد جمال الدين الفندي ، ص : ٢١٠ ، وانظر : البحار وما فيها ، روبرت كاون ، ترجمة عبد الحافظ حلمي القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٤ ، ص : ١١٧.

(٢) كوكب اسمه الأرض ، جورج جامو ، ص : ٧٤.

(٣) موسوعة الظواهر الطبيعية ، خليل بدوي ، عمان ، دار عالم الثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، ص : ٨٠ ، وانظر : كوكب الأرض ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ص : ٣٠.

**الإعجاز :**

لقد قرر كتاب الله تعالى أن قاع البحار مسجرة بالنار ، ولم يكن يعلم قبل ومع نزول القرآن الكريم هذه الحقيقة العظمى ، حتى بداية القرن العشرين حيث تبين للعلماء أن قاع البحار مسجرة ومضطرمة بالنيران ، غير أن الحق قرّر هذه الحقيقة البحرية بقوله : ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾ ، فمن الذي أخبر محمدا ﷺ بأن البحر قاعه ملتهب ومتفجر بالبراكين التي تقذف الحمم النارية ، ورسول الله لم يركب البحر قط ، ولم يكن في عصره غواصات بحرية تصور تلك المشاهد العجيبة في قاع البحر؟ إنه الحق.

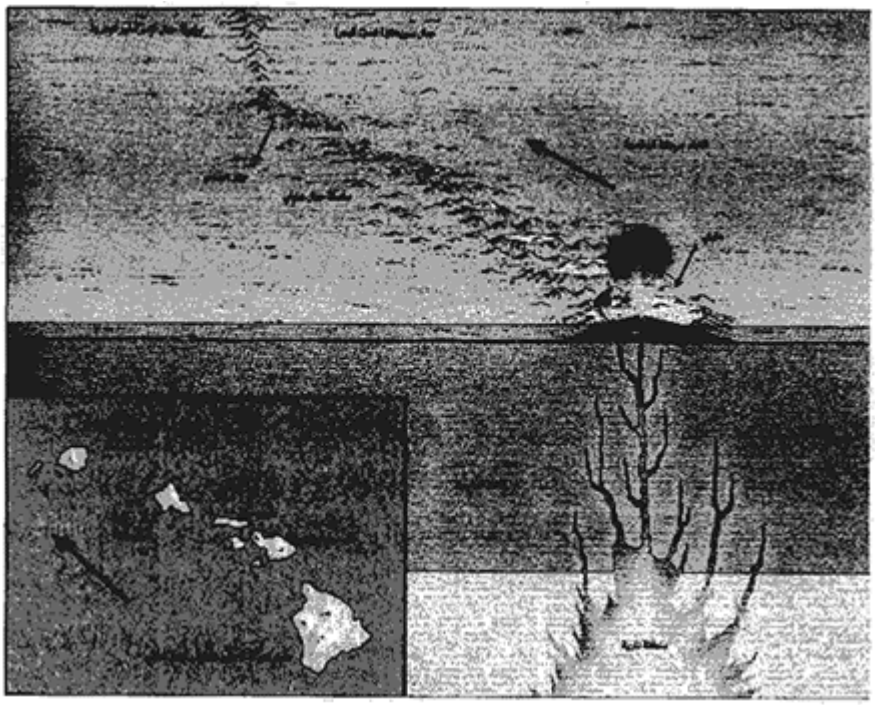

رسم يوضح البراكين تحت البحار

## المبحث الرابع

### اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء

قال تعالى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

في هاتين الآيتين حقائق علمية وعطاءات جيولوجيا مدهشة ، فالقرآن يصف سطح الأرض بأنه هامد وخاشع ، ثم إنه يعقب على ذلك بحيث إذا نزل ماء السماء ، حدث في الأرض اهتزاز مما يؤدي إلى زيادة في الأرض.

هذه الصورة القرآنية هي صورة وصفية لأدق الحقائق العلمية ، التي وفّق إنسان عصرنا للكشف عنها والتعرف على مراحلها بدقة ، وحري بنا أن نقف عند ما قاله المفسرون وأصحاب اللغة في هاتين الآيتين الكريمتين.

يقول الإمام الطبري : (وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع ، وأصل الهمود الدروس والدثور ، ويقال منه : همدت الأرض تهمد همودا) (٣).

وعند الرازي : (﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً﴾ وهمودها يبسها وخلوها من النبات والخضرة ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ والاهتزاز الحركة على سرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت وكيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع فقوله : ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي تحركت بالنبات وانتفخت ، أما قوله : ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فهو

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٥.

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٣٩.

(٣) جامع البيان ، للطبري ، ١٧ / ٨٩.

مجاز ، لأن الأرض ينبت منها والله تعالى هو المنبت لذلك ، لكنه يضاف إليها توسعا ، ومعنى ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ من كل نوع من أنواع النبات من زرع وغرس ، والبهجة حسن الشيء ونضارته ، والبهيج بمعنى المبهج) [١].

وقال الإمام القرطبي : (الاهتزاز : شدّة الحركة ، يقال : هززت الشيء فاهتز ، أي حركته فتحرك وهزّ الحادي الإبل هزيزا فاهتزت هي إذا تحركت في سيرها بحدائه ، واهتز الكوكب في انقضاضه وكوكب هازّ ، فالأرض تهتز بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة خفية فسماه اهتزازا مجازا ... والاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض ، ﴿وَرَبَتْ﴾ أي ارتفعت وزادت وقيل : انتفخت والمعنى واحد ، وأصله الزيادة ، ربا الشيء يربو ربوّا أي زاد ، ومنه الربا والرّبوة) [٢].

ويقول سيد قطب ﷺ في تفسيره «الظلال» : (الهمود درجة بين الحياة والموت ، وهكذا تكون الأرض قبل الماء ، وهو العنصر الأصيل في الحياة والأحياء ، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت ، وهي حركة عجيبة سجّلها القرآن قبل أن تسجّلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام ، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز ، وهي تشرب الماء فتنتفخ وتربو ثم تفتح بالحياة عن النبات من كل زوج بهيج ، وهل أبهج من الحياة وهي تتفتح بعد الكمون ، وتنتفض بعد الهمود) [٣].

وأما الآية الثانية والتي ذكرت ﴿خاشِعَةً﴾ دون ﴿هامِدَةً﴾ فيقول الإمام الرازي : (الخشوع التذلل والتصاغر ، واستعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوها عن المطر والنبات ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي تحركت بالنبات ، وربت ، انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ، ثم تصدعت عن النبات ، ثم قال : ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى﴾ يعني أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها) [٤].

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٣ / ٢٠٧ ، وانظر : محاسن التأويل ، محمد القاسمي ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ ، ١٢ / ٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٢ / ٥.

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤ / ٢٤١١.

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، ٢٧ / ٥٧٠.

وفي تفسير «النكت والعيون» : (﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً﴾ خاشعة ، أي ذليلة بالجدب لأنها مهجورة) [١].

وبالعودة إلى معاجم اللغة نتبين معنى كل من «خاشعة ، وهامدة ، واهتزت ، وربت» ، أما معنى خاشعة ، ففي لسان العرب : (الخاشعة المتغبرة المتهشمة وأراد المتهشمة النبات ، وبلدة خاشعة أي مغبرة لا منزل بها ، وإذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت قال تعالى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ والعرب تقول : رأينا أرض بني فلان خاشعة) [٢].

وأما هامدة ، ففي «مفردات ألفاظ القرآن» : (أرض هامدة : لا نبات فيها ، ونبات هامد : يابس ، قال تعالى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً﴾ [٣].

وفي كتاب «العين» : (الهمود الموت كما همدت ثمود ، ورماد هامد إذا تغير وتلبد ، وثمرة هامدة إذا اسودت وعفنت ، وأرض هامدة مقشعرة لا نبات فيها إلا يبيس متحطم ، والهامد من الشجر اليابس) [٤].

ومعنى اهتزت أي (تحركت ، واهتز النبات : إذا تحرك لنضارته قال تعالى : ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾) [٥].

ومعنى ربت (ربا : إذا زاد وعلا ، قال تعالى : ﴿فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي زادت زيادة المتربي) [٦].

هذا هو التحليل اللغوي لمفردات الآية الكريمة ، وتلك هي معانيها في كتب المفسرين ، ولنا أن أن نستخلص بعض النتائج من معطيات هذه النصوص القرآنية ، بعد ما سلف من توضيح العلماء.

---

(١) تفسير النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، ٥ / ١٨٤.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٨ / ٧٢ ، وانظر : المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن ، عبد العزيز السيروان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ، ص : ٤٢٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٨٤٥.

(٤) العين ، للفراهيدي ، ٤ / ٣١ ، وانظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، سميح عاطف الزين ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ ، ص : ٨٩٩.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص : ٨٤٠.

(٦) المصدر نفسه ، ص : ٣٤٠.

أولا : عند ما تكون الأرض هامدة لا حراك فيها ، فإذا أنزل الله عليها الماء أحدثت أولا اهتزازا.

ثانيا : المرحلة الثانية بعد الاهتزاز تربو ، أي تزداد.

ثالثا : المرحلة الثالثة بعد الزيادة تنتج الزروع والثمار ، وتكثر المحاصيل ويزداد الإنتاج.

ويشار إلى قضية هامة وهي : أن هناك فرقا دقيقا بين الأرض الهامدة والأرض الخاشعة ، فالأرض الهامدة هي اليابسة القاحلة التي لا حياة فيها ، بسبب ما أصابها من جدب وقحط وانعدام الماء ، وهذا بخلاف الأرض الخاشعة التي يوجد فيها النباتات والزروع ، إلا أن العطش وقلة الماء وندرة الأمطار جعلتها مصفرة الأوراق ، ذابلة الأغصان ، بأمسّ الحاجة إلى قطرات الماء ، وهذا المشهد هو مشهد الخشوع والانكسار في الأرض ، ويستلهم هذا المعنى من معطيات ما مرّ من المعاجم.

**الحقائق العلمية :**

ما هو الاكتشاف العلمي الدقيق في هذا الصدد ، لمعرفة ذلك سنثبت هنا لقطة من محاضرة الشيخ عبد المجيد الزنداني حول هذه الآية ، ناقلا لنا الاكتشافات العلمية الدقيقة لتفسير وتوضيح معاني هذه الآية الكريمة.

يقول : في عام ١٨٢٧ اكتشف العلماء أن حبيبات الطين تهتز ، وتركيب حبيبات الطين ما يلي :

الحبيبة : هي أصغر جزء من الطين بعد أن تفتته إلى أجزاء صغيرة ، فالطين مكون من هذه الحبيبات فهي صغيرة جدا لا ترى بالعين ، قطرها : ثلاثة من ألف من المليمتر ، هذه الحبيبة الطينة تتركب من صحائف معدنية بعضها فوق بعض ، وإذا نزل المطر شحن الأرض بشحنات كهربائية ، هذه الشحنات الكهربائية تختلف بسبب تركيب المعادن الموجودة في الحبيبات ، فيحدث نوع من التنافر بين هذه الحبيبات فتهتز الحبيبات ، ما سبب الاهتزاز؟ يقول : الشحنات الكهربائية ودخول الماء من عدة جهات يحدث اهتزازا ، وهذا الاهتزاز بعده ينشأ دخول الماء بين الصحائف ، أي يسمح هذا الاهتزاز بدخول الماء بين الصحائف وإذا دخل الماء بين الصحائف تنمو هذه الحبيبة وتربو ، والربا كما أشرنا هي الزيادة ، أي تربو بالماء الذي دخل بين الصحائف ، وبعد أن تربو تحاط بغلاف من الماء ، فتعتبر كل حبيبة من الحبيبات مخزنا للماء تمد النبات طوال

شهرين أو ثلاثة أشهر ، وإلا من أين يجد النبات مددا لو لا تحول حبيبات التربة إلى مخازن ماء تمد النبات بالحياة ، وبالتالي يستمرّ النبات في النمو ، ثم بعد ذلك قال :

ثلاث خطوات نستنتجها من هذا :

١ ـ اهتزاز.

٢ ـ زيادة ، تربو الحبيبات.

٣ ـ ثم إنبات للنبات.

وإلى هذا تشير الآية القرآنية ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

من أخبر محمدا ﷺ بهذا ، إذن ، الذين يكتبون تاريخ العلم عليهم أن يقولوا : اهتزازات ذكرها الله في قرآنه نزل بها الوحي على قلب محمد ﷺ) [١].

وأما عن ميكانيكية انتفاخ التربة ، فإن عملية الانتفاخ تتم بسبب (وجود الشحنات السالبة فوق سطح المعدن الطيني ، والتي هي السبب الرئيسي في جذب الأيونات الموجبة القابلة للتبدل الموجودة في ماء التربة ، وذلك لمعادلة الشحنة السالبة الموزعة على سطوح حبيبات التربة.

إن وجود الطبقة المزدوجة من الأيونات الموجبة والسالبة ، يؤثر على بعض خواص التربة منها خاصية الانتفاخية ، حيث إن (الأيونات) الحرة إذا ما تعرضت للماء فإنها ستؤدي إلى نمو الطبقة (الأيونية) المزدوجة بشكل كبير ، وهذا النمو سيدفعها إلى التحرك بعيدا عن سطح المعدن الطيني وبالتالي يؤدي إلى تباعد الجزيئات عن بعضها البعض ، وبذلك يزداد حجم التربة ويحصل الانتفاخ ويتم إنبات النبات) [٢].

---

(١) محاضرة الشيخ عبد المجيد الزنداني بعنوان : إنه الحق ، شريط كاسيت.

(٢) الأرض الهامدة والأرض الخاشعة ، أحمد الدليمي ، الموصل ، مطبعة الزهراء ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ ، ص : ٢١ ، وانظر : الجغرافية الحيوية حسن أبو سمور ، عمان ، دار صفاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ ، ص : ٨٠ ، وانظر : مورفولوجيا النباتات الزهرية ، مصطفى الحديدي ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ ، ص : ٤٦٣ ، وانظر : فسيولوجيا النبات ، علي الهلال ، الرياض ، النشر العلمي والمطابع ، ١٤٢٠ هـ ، ص : ٢٢٦ ، وانظر : فسيولوجيا النبات ، روبرت ديفلين وفرانسيس ويزام ، ترجمة ، محمد شرقاوي وآخرون ، القاهرة المجموعة العربية للنشر ، ١٩٨٥ ، ص : ٨٠١.

**الإعجاز :**

إن هذا السبق القرآني في تصنيف التربة الطينية ونباتاتها ، إلى أرض خاشعة وأرض هامدة ، ثم الوصف الدقيق لعملية اهتزاز التربة وانتفاخها بسبب ماء السماء ، لا يمكن أن يعرفه إنسان مضى عصره منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، ولا بد لمن يكتشف هذه الحقائق اليوم ، ويتعرّف على أسرارها أن يعلن الإيمان بالله تعالى والتصديق بنبوة محمد ﷺ .

## الخاتمة

وأخيرا فهذا ما قد ألهمنيه ربي سبحانه وتعالى ، من الدراسة في قضايا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، والتي تربط صفحات الكون المفتوح بصفحات القرآن المقروء ، وهذا الربط يسهم في إبراز آيات العظمة الإلهية ودلائل الوحدانية ، لينطق كل جزء من هذا العالم المدهش ، بروعة الإبداع وتألّق الصنعة.

والقرآن دعانا إلى التدبر والتمعن والتفكير في العالم حولنا ، لنشاهد يد القدرة التي خلقت الخلق في نظام رتيب ، ودقة بالغة ، وألا نكون من الغافلين عن هذه الآيات ، قال تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾ (١).

لقد رأينا كثيرا من الحقائق العلمية ، التي تكشّفت للعلماء في عصرنا ، قد سبقهم القرآن لإثباتها وتقرير واقعها ، لكن الذي قدمه العلماء هو الكشف عما هو موجود ، ومع الأسف فإن الذي يكشف أسرار هذا الكون ، وينقّب عن غوامضه وخفاياه هم غير المسلمين ، فبعد أن برع أسلافنا في العلوم الكونية والطبيعية ، وخلّفوا لنا ثروة هائلة من المخطوطات ، قام الغرب بترجمتها والاستفادة منها فأصبحت منارة لبداية طريق النهضة والثورة العلمية ، في حين نجد أن المسلمين أعرضوا عن تراثهم التجريبي هذا؟.

لقد قدّم علماؤنا جزاهم الله خيرا كمّا هائلا من الأحكام التشريعية والعلمية ، واستنبطوا الأحكام الفقهية الكثيرة من آيات الأحكام في كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ فتركوا لنا آلاف المجلدات وعمروا المكتبة الإسلامية وأثروها بخدمتهم للقرآن الكريم وللسنة المطهرة.

لكن لنتساءل إذا كان الفقهاء قد استنبطوا من آيات الأحكام تشريعا ينظم حياة الفرد المسلم والأمة المسلمة ، فلما ذا لا يقوم غير الفقهاء من العلماء ، ويتشرفوا بخدمة

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥.

القرآن الكريم باستنباط الإعجاز العلمي المستور وراء كل آية علمية أو كونية في القرآن الكريم ، وكما هو معلوم أن الآيات الكونية تفوق آيات الأحكام بكثير.

إن كلمة الحج على سبيل المثال ، ورد ذكرها في القرآن تسع مرات ، فكان نتيجة ذلك أن سطّر حولها مئات المجلدات والموسوعات الفقهية ، فكيف إذا درسنا البحر والأرض والشمس والنجوم والإنسان والنبات ... والتي ذكرها القرآن الكريم عشرات المرات فما ذا تكون النتيجة؟ إن كثيرا من أبنائنا الذين برعوا في العلوم الكونية ، تراهم منبهرين بما عند غيرنا من حضارة ، ومتى يعود أمثال هؤلاء إلى رشدهم ، ويعكفوا على كتاب ربهم ليخدموه بما قد نالوا من معارف كونية فيسخر الفيزيائي قوانينه لدراسة الآيات الفيزيائية في القرآن ، ويدرس الفلكي مواقع وأنواع النجوم والكواكب بما يستلهمه من إشارات القرآن ومعطياته ، ويقف الطبيب بعلمه على الوصف القرآني لخلق الإنسان ويشاهد عالم الزراعة والنبات العرض القرآني لعالم النبات في صفحاته ...

وقد بدت ولله الحمد بوادر هذا الاتجاه في عصرنا الحديث ، فرأينا بعض المجامع العلمية تتجه إلى خدمة هذا الأمر ، حيث وجدنا في مصر والسعودية وغيرهما من البلاد ، من يبذل جهودا مشكورة لإظهار الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ، ولكن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب في هذا المجال الرائع الأخّاذ.

ولقد احتوت هذه الرسالة عشرة فصول ، الثلاثة الأولى منها كانت دراسة تاريخية للإعجاز في القرآن الكريم ، والسبعة الأخرى للتطبيقات المعاصرة ، أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن مفهوم المعجزة وحدّها كما وضعه العلماء ، وعن الفارق بين معجزات الأنبياء ومعجزات نبينا محمد ﷺ ، كما تحدثت عن تحدي القرآن الكريم للعرب أن يأتوا مثله ، ومراحل هذا التحدي ، وإيضاح عجزهم عن ذلك واعترافهم هم والعالم بعظمة القرآن العظيم ، وفي الفصل الثاني تعرضت للحديث عن منشأ إعجاز القرآن ، وكيف أن القول بالصرفة كان الباعث الأول لظهور هذا المصطلح ، وسقت ردود العلماء لمن قال بالصرفة ، ثم استعرضت وجوه القرآن الكريم مبينا اختلاف العلماء في تعدد هذه الوجوه ، وفي الفصل الثالث ركزت على الإعجاز العلمي في القرآن ، وعرضت أبرز من تناوله من العلماء القدامى والمعاصرين ، وبينت أنهم سلكوا في قضية الإعجاز العلمي ثلاثة مسالك ، مسلك يدعو للعمل على إظهار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، إلا أنه وقع في مطبات كثيرة وشطط غير محمود ، عند ما أخضع الآيات القرآنية للنظريات المعاصرة مما صح منها ومما لم يثبت ، وبذلك يكون

قد تجاوز الحد وتعسف وغالى في منهجه هذا ، وآخرون تبنوا قضية الإعجاز ولكن بتحفظ وحذر ، فلم يأخذوا من قضايا العلم إلا ما ارتقى إلى مستوى الحقيقة العلمية القطعية ، دون الفرضيات أو النظريات ، وهؤلاء قد أصابوا في منهجهم وعملهم هذا ، وفريق ثالث ضرب بقضية الإعجاز العلمي عرض الحائط واعتبرها نوعا من أنواع السذاجة وتضييع الأوقات ، وهؤلاء قد جانبوا الصواب بمنهجهم هذا لأنهم أنكروا ما هو موجود بل ذاخر به كتاب الله تعالى ، وختم الفصل بالترجيح بين هذه المسالك.

وجاء الفصل الرابع بمدخل عرض فيه أهمية الإعجاز العلمي والدعوة إليه في عصرنا ، وأن الإسلام هو دين توج رسالته بالعلم ، كما تحدث هذا الفصل عن التطبيقات المعاصرة لقضايا الإعجاز وبالشروط والضوابط التي وضعها علماء التفسير لذلك ، فكان فيه الحديث عن الجانب الفلكي في كتاب الله تعالى من حيث مولد الكون ومنشئه ، وتمدد الكون وتوسعه ، ونهاية الكون وفناؤه ، وكل ذلك بين القرآن والعلم ، وأما الفصل الخامس فقد تعرض للحديث عن الإعجاز القرآني في الشمس من حيث تحركاتها وانتقالاتها ، وتوهجها ولهيبها ، وإشارة القرآن إلى تعدد الشموس والأقمار ، ثم الحديث عن موت الشمس ونهايتها بين القرآن والعلم ، وأما الفصل السادس فقد تحدث عن الإعجاز القرآني في الأرض ، وذلك من جهة كرويتها ، ودورانها ، وجاذبيها ، وغلافها الجوي ، ونقصانها وتآكلها ثم موتها ، وفي الفصل السابع تعرضت للحديث عن الإعجاز القرآني في القمر ، وأظهرت سبق القرآن في إثباته لإنارة القمر وكيف يستمد نوره من الشمس ، ولا نور ذاتي له ، ثم تحدثت عن انشقاقه ومنازله جمعه في آخر عهده مع الشمس ثم موته.

وكان الحديث في الفصل الثامن عن إعجاز القرآن في الرياح ، وأشرت إلى أنواع الرياح بين القرآن والعلم ، وإلى تكوين السحب وأنواعها بين القرآن والعلم ، ثم تعرضت للحديث عن لفتات إعجازية في البرد والبرق ، وفي الفصل التاسع تحدثت عن الجبال وطرق تكوينها ، وكيف أن الخالق جل جلاله جعلها سببا لتثبيت الأرض وقرارها ، ثم أوضحت السر القرآني في ربطه بين الجبال الشامخات والماء الفرات ، وختمت الفصل بالحديث عن حركة الجبال وتعدد صخوره ، وجاء الفصل العاشر والأخير للحديث عن البحار وما أودع الله سبحانه فيها من عجائب وأسرار ، كتلك الظلمات المتعاقبة والأمواج المتنوعة سواء داخل البحر أو على سطحه ، وكيف سجل الحق جل جلاله حقيقة التقاء البحار دون امتزاج بسبب الحاجز المائي بينها ، ثم تعرضت للحديث عن البحر

المسجور وما كشف عنه العلماء في هذا الصدد ، وختم الفصل بالإشارة إلى حقيقة اهتزاز الأرض بماء السماء وسبب ذلك بين القرآن والعلم.

علما أن هذا العمل قد دعّم بصور علمية شارحة ، فالآيات التي نتحدث عن إعجاز القرآن فيها نعرض لها من الصور العلمية ما ينسجم ويتوافق معها ، كذلك من الجداول والإحصائيات العلمية ما يوضح جانب الإعجاز العلمي فيها قدر الإمكان ، بالإضافة إلى اللقاءات والمقابلات الشخصية مع بعض العلماء البارزين في هذا المجال.

وفي هذه الرسالة جمعت تلك الفصول وعمدت فيها لإبراز ثلاثة وصايا أو جوانب :

الجانب الأول : أن في القرآن أنباء وحقائق علمية ستبقى متجددة مساورة للركب الحضاري والعلم الإنساني مدى الدهر ، فإعجازاته مستمرة مع كل جيل ، فما رأينا نحن الآن من حقائق علمية كشف عنها العلماء ووجدنا أن القرآن ذكرها قد غابت عن أسلافنا ، وإن هناك حقائق لم تظهر بعد تعتبر بالنسبة لنا في تلافيف الغيب المستقبلي والتي ستكون مشاهدة ومرئية للأجيال القادمة من أبنائنا.

الجانب الثاني : بناء على هذا ، فإن البحث في هذا الموضوع مفتوح بل هو خصب ، لذلك أهيب بذوي الاختصاص ، وأولي الأمر من قادة المسلمين بتهيئة الجوّ المناسب ، وتسخير أدوات البحث العلمي للبحّاث والدارسين في جوانب الإعجاز العلمي في القرآن ، وتوفير الإمكانات البحثية في سبيل تحقيق ذلك الهدف.

الجانب الثالث : فإن ما قدمته في رسالتي المتواضعة هذه ، إن خدم المكتبة الإسلامية في شيء وانتفع بها الناس من المسلمين وغيرهم ، فذلك رجائي وأملي في دنياي وآخرتي ، وإن تكن الأخرى فمعذرتي إلى خالقي ومولاي جل جلاله ، فإنا قد كوّنا على الخطأ والضعف وعزائي في ذلك عفو من الله جل جلاله ورحمة ورضوان تشملني يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث بالمعجزات الباهرات رحمة للعالمين وآله وصحبه والتابعين.

# الفهارس

**فهرس الآيات.**

**فهرس الأحاديث.**

**فهرس المصادر والمراجع.**

**فهرس الموضوعات.**

# فهرس الآيات


| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١ . ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا﴾ | البقرة | ٢٣ ، ٢٤ | ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٧ |
| ٢ . ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ﴾ | البقرة | ٢٩ | ١٢٠ ، ١٢١ |
| ٣ . ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ | البقرة | ١٦٤ | ٢٢٤ ، ٢٧٥ |
| ٤ . ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ﴾ | البقرة | ١٧٠ | ١٠٤ |
| ٥ . ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ﴾ | البقرة | ١٨٩ | ٨٩ |
| ٦ . ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ﴾ | آل عمران | ٤٥ ، | ٤٨ ، ٩ |
| ٧ . ﴿وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي﴾ | آل عمران | ٤٩ | ٥ ، ٦ |
| ٨ . ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ﴾ | آل عمران | ١١٧ | ٢٢٥ |
| ٩ . ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ﴾ | آل عمران | ١٩١ | ٧٣ ، ١٠٥ |
| ١٠ . ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ | النساء | ٨٢ | ١٦ ، ٥٨ |
| ١١ . ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ﴾ | النساء | ١٧٤ | . |
| ١٢ . ﴿إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ | المائدة | ١١٠ | ١٠ |
| ١٣ . ﴿وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ﴾ | الأنعام | ٣٥ | ٥ |
| ١٤ . ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ | الأنعام | ٣٨ | ٨٧ ، ٩٥ |
| ١٥ . ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ | الأنعام | ٣٨ | ٧٤ ، ٨٨ |
| ١٦ . ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِي﴾ | الأنعام | ٥٩ | ٧٨ |
| ١٧ . ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ﴾ | الأنعام | ١٢٥ | ١٩٩ |
| ١٨ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ | الأعراف | ٤٠ | ١٩٧ |
| ١٩ . ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ | الأعراف | ٥٤ | ١٠٠ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٢٠ . ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ﴾ | الأعراف | ٥٧ | ٢٢٥ ، ٢٢٩ ٢٣٣ |
| ٢١ . ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً﴾ | الأعراف | ٦٥ ، ٧٠ | ٧ |
| ٢٢ . ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾ | الأعراف | ١٣٣ | ٦ |
| ٢٣ . ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾ | الأنفال | ٢٤ | ٩٨ ، ١١١ |
| ٢٤ . ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا﴾ | الأنفال | ٣١ | ١٧ |
| ٢٥ . ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً﴾ | يونس | ٥ | ٧١ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ |
| ٢٦ . ﴿قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ﴾ | يونس | ١٦ | ١٧ |
| ٢٧ . ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ | يونس | ٢٢ | ٢٢٦ |
| ٢٨ . ﴿وَما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ﴾ | يونس | ٣٧ | ١٦ |
| ٢٩ . ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ﴾ | يونس | ٣٨ | ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ |
| ٣٠ . ﴿قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ﴾ | يونس | ١٠١ | ٩٣ ، ١١٣ |
| ٣١ . ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ﴾ | هود | ١٣ | ١٩ ، ٢٣ ، ٤٧ |
| ٣٢ . ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ﴾ | يوسف | ١٠٥ | ٢٩٦ |
| ٣٣ . ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ | الرعد | ٣ | ٨٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ٢٥٢ |
| ٣٤ . ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ | الرعد | ١٢ ، ١٣ | ٢٤٥ |
| ٣٥ . ﴿وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ﴾ | الرعد | ٣٨ | ٥ |
| ٣٦ . ﴿الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ﴾ | إبراهيم | ١ | ٦٧ ، ٩٨ ، ١١١ |
| ٣٧ . ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ | إبراهيم | ١٨ | ٢٢٥ |
| ٣٨ . ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ﴾ | إبراهيم | ٣٣ | ١٤٨ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٣٩ . ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ﴾ | الحجر | ٦ | ٢٥ |
| ٤٠ . ﴿وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً﴾ | الحجر | ١٤ ، ١٥ | ١٩٦ ، ٢٠١ |
| ٤١ . ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا﴾ | الحجر | ١٩ | ١٨٠ |
| ٤٢ . ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾ | الحجر | ٢٢ | ٨٢ ، ٨٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ |
| ٤٣ . ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ﴾ | الحجر | ٢٩ | ٧١ |
| ٤٤ . ﴿وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾ | النحل | ١٥ | ٢٥٢ |
| ٤٥ . ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً﴾ | النحل | ٨٩ | ٧٤ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٨ |
| ٤٦ . ﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ﴾ | النحل | ١٠١ ، ١٠٢ | ١٧ |
| ٤٧ . ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ | النحل | ١٠٢ | ١٨ |
| ٤٨ . ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ | النحل | ١٠٣ | ١٨ |
| ٤٩ . ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ | الإسراء | ٩ | ٩٨ ، ١١١ |
| ٥٠ . ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ﴾ | الإسراء | ١٢ | ٢٠٤ ، ٢٠٦ |
| ٥١ . ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ | الإسراء | ٣٦ | ١٠٤ |
| ٥٢ . ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ | الإسراء | ٣٧ | ٢٥١ |
| ٥٣ . ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ﴾ | الإسراء | ٨٨ | ١٩ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٢ |
| ٥٤ . ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ | الكهف | ٢٥ | ٢١٨ |
| ٥٥ . ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ﴾ | الكهف | ٤٥ | ٢٣١ |
| ٥٦ . ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ﴾ | الكهف | ٤٧ | ١٤٢ |
| ٥٧ . ﴿ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ﴾ | الكهف | ٥١ | ١١٣ |
| ٥٨ . ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ﴾ | مريم | ٢٧ ، ٣٢ | ١٠ |
| ٥٩ . ﴿وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى﴾ | طه | ١٧ ، ٢٢ | ٨ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٦٠ . ﴿وَأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ﴾ | طه | ٦٩ | ٢٥٣ |
| ٦١ . ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ﴾ | طه | ١٠٥ | ١٤٢ |
| ٦٢ . ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَ﴾ | الأنبياء | ٣٠ | ٧٩ ، ١١٤ ، ١٢٥ |
| ٦٣ . ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَ﴾ | الأنبياء | ٣٠ | ٢٧٥ |
| ٦٤ . ﴿وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾ | الأنبياء | ٣١ | ٢٥٩ |
| ٦٥ . ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً﴾ | الأنبياء | ٣٢ | ١٩٦ ، ٢٠١ |
| ٦٦ . ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ | الأنبياء | ٣٣ | ١٨٣ |
| ٦٧ . ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ﴾ | الأنبياء | ١٠٤ | ١٤٠ ، ١٤٢ |
| ٦٨ . ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً﴾ | الحج | ٥ | ٢٩٢ |
| ٦٩ . ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِ﴾ | الحج | ٢٧ | ١٨٠ |
| ٧٠ . ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾ | الحج | ٦٥ | ١٩٣ |
| ٧١ . ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً﴾ | المؤمنون | ١٤ | ١٠٠ |
| ٧٢ . ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ﴾ | النور | ٢٩ | ٥٧ |
| ٧٣ . ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ﴾ | النور | ٤٠ | ٩٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ |
| ٧٤ . ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي﴾ | النور | ٤٣ | ٩٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ |
| ٧٥ . ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ | الفرقان | ٤ ، ٥ | ٢٥ |
| ٧٦ . ﴿وَقالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ | الفرقان | ٥ | ١٨ ، ٢٨ |
| ٧٧ . ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ﴾ | الفرقان | ٤٥ ، ٤٦ | ١٨٣ ، ١٨٦ |
| ٧٨ . ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ | الفرقان | ٥٣ | ٨١ ، ٢٨٢ |
| ٧٩ . ﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ﴾ | الفرقان | ٦١ | ١٥٤ ، ١٥٨ |
| ٨٠ . ﴿وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ | الشعراء | ٨٠ | ٧٠ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ٨١ . ﴿قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ | الشعراء | ١٥٣ ، ١٥٦ | ٨ |
| ٨٢ . ﴿وَأَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا﴾ | النمل | ١٠ | ٢٥٣ |
| ٨٣ . ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾ | النمل | ١٦ ، ١٩ | ٩ |
| ٨٤ . ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ﴾ | النمل | ٦١ | ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٨٢ |
| ٨٥ . ﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها﴾ | النمل | ٨٨ | ١٤٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٦٩ |
| ٨٦ . ﴿فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ | القصص | ٢٩ ، ٣٢ | ٧ |
| ٨٧ . ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ﴾ | العنكبوت | ١٩ | ١١٣ |
| ٨٨ . ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ | العنكبوت | ٢٠ | ١١٣ |
| ٨٩ . ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ﴾ | الروم | ٢٥ | ١٤٢ |
| ٩٠ . ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ﴾ | الروم | ٢٧ | ١٤٠ |
| ٩١ . ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ﴾ | الروم | ٤٦ | ٢٢٥ ، ٢٢٩ |
| ٩٢ . ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ﴾ | الروم | ٤٨ | ٨٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ |
| ٩٣ . ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ | لقمان | ١٠ | ١٩٢ |
| ٩٤ . ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ | لقمان | ٢٩ | ١٤٨ |
| ٩٥ . ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾ | الأحزاب | ٩ | ٢٢٥ |
| ٩٦ . ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ﴾ | الأحزاب | ٧٢ | ٢٥١ |
| ٩٧ . ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها﴾ | سبأ | ١٢ | ٩ |
| ٩٨ . ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي﴾ | فاطر | ١٣ | ١٧٦ |
| ٩٩ . ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ﴾ | فاطر | ٢٧ ، ٢٨ | ٢٦٩ ، ٢٧١ |
| ١٠٠ . ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما﴾ | فاطر | ٣٧ | ٢٥ |
| ١٠١ . ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ﴾ | يس | ٣٨ | ٨٥ ، ١٤٨ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١٠٢. ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ﴾ | يس | ٣٩ | ٢١٥ |
| ١٠٣. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ | يس | ٤٠ | ٧٩، ١٧٩ |
| ١٠٤. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ | يس | ٤٠ | ١٥٢، ١٦٧، ٢٢٠ |
| ١٠٥. ﴿خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ | الزمر | ٥ | ١٧٥، ١٨٣ |
| ١٠٦. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ﴾ | الزمر | ٩ | ١٠٤ |
| ١٠٧. ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ﴾ | الزمر | ٢٣ | ٤٨، ٥٨ |
| ١٠٨. ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي﴾ | الزمر | ٦١ | ٥٠ |
| ١٠٩. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ | غافر | ٦٤ | ١٩٠ |
| ١١٠. ﴿لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ | غافر | ٧٥ | ٧٢ |
| ١١١. ﴿حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ﴾ | فصلت | ١، ٥ | ٢٧ |
| ١١٢. ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ | فصلت | ٩، ١١ | ١١٧، ١١٩ |
| ١١٣. ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ﴾ | فصلت | ١١ | ٧٩، ١١٦ |
| ١١٤. ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا﴾ | فصلت | ٢٦ | ٤٨ |
| ١١٥. ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ﴾ | فصلت | ٣٧ | ١٤٦، ١٥٩، ١٦٠، ٢٠٣ |
| ١١٦. ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى﴾ | فصلت | ٣٩ | ٢٩٢ |
| ١١٧. ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي﴾ | فصلت | ٥٣ | ب، ٩٥، ١٦٧، ٢٦١ |
| ١١٨. ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾ | الجاثية | ٥ | ٢٢٤ |
| ١١٩. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ﴾ | الجاثية | ١٣ | ٩٣ |
| ١٢٠. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا﴾ | محمد | ١٩ | ١٠٥ |
| ١٢١. ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ﴾ | ق | ٦ | ٩٥، ٢٧، ١٩٢ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١٢٢ . ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا﴾ | ق | ٧ | ٢٥٢ |
| ١٢٣ . ﴿وَالذَّارِياتِ ذَرْواً﴾ | الذاريات | ١ ، ٤ | ٢٣٠ |
| ١٢٤ . ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ﴾ | الذاريات | ٧ | ١٨٤ ، ١٩٧ |
| ١٢٥ . ﴿وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ | الذاريات | ٢٠ | ١٧٤ |
| ١٢٦ . ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ | الذاريات | ٢١ | ٧٢ |
| ١٢٧ . ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا﴾ | الذاريات | ٤٧ | ٨٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ |
| ١٢٨ . ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ | الطور | ٦ | ٢٨٩ |
| ١٢٩ . ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ | القمر | ١ | ١٣ ، ٧٩ ، ٢٠٩ ، ٢١١ |
| ١٣٠ . ﴿فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ﴾ | القمر | ١١ | ١٩٧ |
| ١٣١ . ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ | القمر | ١٧ | ٦٢ |
| ١٣٢ . ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾ | القمر | ١٩ | ٢٢٥ |
| ١٣٣ . ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾ | الرحمن | ٥ | ٧١ |
| ١٣٤ . ﴿وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ﴾ | الرحمن | ٧ | ١٥٢ ، ١٥٣ |
| ١٣٥ . ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾ | الرحمن | ١٩ ، ٢٠ | ٨١ |
| ١٣٦ . ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾ | الرحمن | ١٩ ، ٢٢ | ٢٨٢ |
| ١٣٧ . ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾ | الرحمن | ٢٦ | ١٦٨ |
| ١٣٨ . ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ | الرحمن | ٣٣ | ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٣ |
| ١٣٩ . ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ﴾ | الرحمن | ٣٧ | ١٤٤ ، ١٦٨ |
| ١٤٠ . ﴿إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ | الواقعة | ٤ ، ٥ | ١٤١ |
| ١٤١ . ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا﴾ | الحديد | ٢٥ | ١٠٦ |
| ١٤٢ . ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ | المجادلة | ١١ | ١٠٤ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١٤٣ . ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ﴾ | الحشر | ٢١ | ٢٥١ |
| ١٤٤ . ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ | الجمعة | ٢ | ٨٧ |
| ١٤٥ . ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ﴾ | الطلاق | ١٢ | ٧٩ |
| ١٤٦ . ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ | الملك | ٣ | ١٧٦ |
| ١٤٧ . ﴿وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ | الملك | ١٠ | ١٠٥ |
| ١٤٨ . ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ﴾ | الملك | ١٤ | ١٠٩ |
| ١٤٨ . ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ﴾ | الحاقة | ١٤ | ١٤١ |
| ١٤٩ . ﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ﴾ | الحاقة | ٤١ ، ٥٦ | ١٨ |
| ١٥٠ . ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ﴾ | المعارج | ٨ | ١٦٩ |
| ١٥١ . ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ | نوح | ١٦ | ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ |
| ١٥٢ . ﴿لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ﴾ | الجن | ١٢ | ٣ |
| ١٥٣ . ﴿إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ | المدثر | ٢٥ | ٢٩ |
| ١٥٤ . ﴿بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ | القيامة | ٤ | ١١٠ |
| ١٥٥ . ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ | القيامة | ٩ | ١٦٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ |
| ١٥٦ . ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ | المرسلات | ٨ | ١٤١ |
| ١٥٧ . ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً﴾ | المرسلات | ٢٥ ، ٢٧ | ١٩٠ ، ١٩١ |
| ١٥٨ . ﴿وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾ | المرسلات | ٢٧ | ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ |
| ١٥٩ . ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً﴾ | النبأ | ٦ ، ٧ | ٢٥٩ |
| ١٦٠ . ﴿وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً﴾ | النبأ | ١٣ | ١٥٤ |
| ١٦١ . ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ﴾ | النازعات | ٢٧ ، ٣٠ | ١١٩ |
| ١٦٢ . ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾ | النازعات | ٣٠ | ١٧٥ ، ١٧٨ |

| الآية | السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١٦٣ . ﴿وَالْجِبالَ أَرْساها﴾ | النازعات | ٣٢ | ٢٥٩ |
| ١٦٤ . ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ | التكوير | ١ | ١٤١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ |
| ١٦٥ . ﴿وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ﴾ | التكوير | ٦ | ٧٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ |
| ١٦٦ . ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ | التكوير | ١٥ ، ١٦ | ١٨٣ |
| ١٦٧ . ﴿وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ﴾ | الانفطار | ٣ | |
| ١٦٨ . ﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ﴾ | الانفطار | ٦ ، ٨ | ٧١ |
| ١٦٩ . ﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ | الانشقاق | ١ | ٧٧ |
| ١٧٠ . ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ | الانشقاق | ٣ ، ٤ | ٢٥٢ ، ٢٥٣ |
| ١٧١ . ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ | الانشقاق | ١٦ ، ٢١ | ٢٠٠ |
| ١٧٢ . ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ | الانشقاق | ١٨ ، ١٩ | ٢٠٩ ، ٢١٣ |
| ١٧٣ . ﴿وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ | الغاشية | ١٨ | ١٩٢ |
| ١٧٤ . ﴿وَالْأَرْضِ وَما طَحاها﴾ | الشمس | ٦ | ١٧٩ |
| ١٧٥ . ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ | العلق | ١ | ٨٧ ، ١٠٤ |
| ١٧٦ . ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ﴾ | القارعة | ٤ ، ٥ | ١٤١ |
| ١٧٧ . ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ﴾ | الفيل | ٣ | ٧٩ |
| ١٧٨ . ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ | الفيل | ٤ | ٧٩ |

# فهرس الأحاديث


| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| ١ ـ اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا | ٢٢٦ |
| ٢ ـ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع | ١٠٤ |
| ٣ ـ أشعر كلمة قالتها العرب | ٣٣ |
| ٤ ـ أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة | ١٣ |
| ٥ ـ انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ | ١٤ ، ٢١٠ |
| ٦ ـ إنها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج | ٧٥ ، ٩٥ |
| ٧ ـ رأيت رسول الله ﷺ وحانت الصلاة | ١٠ |
| ٨ ـ سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا | ١٢ |
| ٩ ـ عطش الناس يوم الحديبية | ١١ |
| ١٠ ـ فانطلق أنيس حتى أتى مكة | ٣٤ |
| ١١ ـ قلت لأنس : كم كنتم قال : | ١١ |
| ١٢ ـ كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل | ١٣ |
| ١٣ ـ كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة | ١١ |
| ١ ـ اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا | ٢٢٦ |

## قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : الكتب الآتية

١ ـ الآحاد والمثاني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ، الرياض ، دار الراية ، تحقيق ، باسم فيصل الجوابرة الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.

٢ ـ آفاق فلكية ، فوزية محمد الرويح ، الكويت ، جامعة الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧.

٣ ـ أبجد العلوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية تحقيق ، عبد الجبار زكار ، ١٩٧٨.

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، بيروت ، عالم الكتاب ، د. ت.

٥ ـ الأجرام السماوية ، غيدو روجيري ، ترجمة ، عبد اللطيف أبو عرقوب ، طرابلس ، الدار الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤.

٦ ـ أجمل تاريخ للكون ، جويل دوروني وآخرون ، ترجمة ، موسى خوري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٦.

٧ ـ أحاديث حول اللامرئي ، جان أودوز وآخرون ، ترجمة ، نور الدين عبيد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ دمشق ، مكتبة الأهلي.

٨ ـ احتمالات نهاية الكون ، إعداد قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد ، دمشق ـ بيروت ، دار الرشيد ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨.

٩ ـ إحياء علوم الدين ، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي ، بيروت ، دار الفكر ١٩٩٥.

١٠ ـ إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الكريم ، محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، د. ت.

١١ ـ الأرصاد الجوية ، محمد أحمد النطاح ، ليبيا ، الدار الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠.

١٢ ـ الأرصاد الجوية ، محمد الهوني وإبراهيم سويدان ، ليبيا ، نشر القوات البحرية ، ١٩٧٩.

١٣ ـ الأرض ، إبراهيم حلمي غوري ، بيروت ، دار الشرق العربي ، د. ت.

١٤ ـ الأرض في رحاب الكون ، يمنى زهار ، بيروت ، دار الآفاق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨.

١٥ ـ الأرض وأسرارها ، جورجيت بارتلمي ، ترجمة ، ميشيل خوري ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٩١.

١٦ ـ الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، تاربون لوتجنز ، ترجمة ، عمر سليمان حمودة وآخرون مطبعة مالطا ، مالطا ، ١٩٨٤.

١٧ ـ الأرض الهامدة والأرض الخاشعة ، أحمد الدليمي ، الموصل ، مطبعة الزهراء ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠.

١٨ ـ الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، القاهرة ، دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩.

١٩ ـ أساسيات علم الأرض ، الجيولجيا الفيزيائية ، محمد بن عبد الغني عثمان مشرف.

٢٠ ـ أساسيات علم الجيولوجيا ، محمد حسن وآخرون ، عمان ، مركز الكتب الأردني ، ١٩٩٠.

٢١ ـ الاستمطار ، محمد فياض وأحمد خليل ، الكويت ، دار سعادة الصباح الطبعة الأولى ، ١٩٩٩.

٢٢ ـ أسرار الأرصاد الجوية الموسوعة العلمية المبسطة ، ترجمة ، عيسى طنوس ، بيروت ، دار الحقائق الطبعة الأولى ، ١٩٨٧.

٢٣ ـ الإسلام وقوانين الوجود ، محمد جمال الدين الفندي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٨٢.

٢٤ ـ الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، القاهرة ، دار البحوث العلمية ، ترجمة ، ظفر الإسلام خان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣.

٢٥ ـ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، بديع الزمان سعيد النورسي ، بيروت ، دار المحراب للطباعة ، تحقيق ، إحسان قاسم الصالحي د. ت.

٢٦ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، بيروت ، عالم الكتاب ، د. ت.

٢٧ ـ الأطلس الفلكي ، عصام الميداني ، دمشق ، دار دمشق ، ١٩٩٦.

٢٨ ـ الإعجاز العلمي في الإسلام ، محمد كامل عبد الصمد ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤.

٢٩ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، سليمان الطراونة ، عمان ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠.

٣٠ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥.

٣١ ـ إعجاز القرآن ، محمد بن الطيب الباقلاني ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، تعليق ، محمد سكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

٣٢ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت.

٣٣ ـ أعلام الحضارة ، سمير شيخاني ، بيروت ، مؤسسة عز الدين ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١.

٣٤ ـ الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤.

٣٥ ـ أعماق الكون ، سعد شعبان ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، د. ت.

٣٦ ـ الله والكون ، محمد جمال الدين الفندي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، الطبعة الثانية ١٩٨٧.

٣٧ ـ الإنسان بين العلم والدين ، شوقي أبو خليل ، بيروت ـ دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩.

٣٨ ـ الانفجار الكبير ، أميد شمشك ، ترجمة ، أورخان محمد علي ، عمّان ، دار البشير ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨.

٣٩ ـ أنوار التنزيل ، عبد الله بن عمر البيضاوي ، تحقيق ، عبد القادر عرفات ، بيروت ، دار الفكر ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦.

٤٠ ـ الأوائل ، علي جمعة الخويلد ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨.

٤١ ـ البحار وما فيها ، روبرت كاون ، ترجمة عبد الحافظ حلمي القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ١٩٧٤.

٤٢ ـ بحر العلوم ، نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق ، محمود مطرجي ، بيروت ، دار الفكر العربي ١٩٩٧.

٤٣ ـ البحر المحيط ، محمد بن علي ابن حيان الأندلسي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٩٨٣.

٤٤ ـ بحوث منهجية في علوم القرآن ، موسى إبراهيم ، عمّان ، دار عمار ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦.

٤٥ ـ بدائع التفسير ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق ، يسرى السيد أحمد ، الرياض ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣.

٤٦ ـ بداية الكون ، جون فايفر ، ترجمة ، محمد الشحات ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٥.

٤٧ ـ البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، بيروت ، مكتبة المعارف ، د. ت.

٤٨ ـ البرهان في علوم القرآن ، محمد بن عبد الله الزركشي ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، محمد إبراهيم ، ١٣٩١ هـ.

٤٩ ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد الزملكاني ، بغداد ، مطبعة العاني ، تحقيق ، أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤.

٥٠ ـ بلوغ سنن الرشد في المجرة ، تمثي فرس ، ترجمة ، هنري مطر ، عمّان ، مركز الكتب الأردني ١٩٩٠.

٥١ ـ بهجة المعرفة ، موسوعة علمية مصورة ، الأرض ، ليبيا ، الشركة العامة للنشر ، ١٩٨٣.

٥٢ ـ البيان في علوم القرآن ، محمد علي الحسن ، بيروت ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨.

٥٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، بيروت دار الفكر ، تحقيق ، علي شيري ١٤١٤ هـ.

٥٤ ـ تأويل مختلف الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، تحقيق ، محمد الأصفر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩.

٥٥ ـ تبصير الرحمن وتيسير المنان ، علي بن أحمد المهائي ، بيروت ، عالم الكتب ١٩٨٣.

٥٦ ـ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، بيروت ، مؤسسة التاريخ ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

٥٧ ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد الغرناطي ، بيروت ، دار الأرقم ، د. ت.

٥٨ ـ التصوير الفني في القرآن الكريم ، لسيد قطب ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٧.

٥٩ ـ تفسير البشائر ، علي الشربجي ، دمشق ، دار البشائر،الطبعة الأولى،١٤١٨ هـ.

٦٠ ـ تفسير بن باديس ، عبد الحميد بن باديس ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩. م.

٦١ ـ تفسير ابن عباس ، إعداد ، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي ، د. ت.

٦٢ ـ التفسير البياني للقرآن ، عائشة بنت الشاطئ ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨.

٦٣ ـ تفسير جزء عمّ ، محمد عبده ، بيروت ، دار الهلال ، ١٩٨٥.

٦٤ ـ تفسير الجلالين ، محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين السيوطي ، القاهرة ، دار الحديث ، الطبعة الأولى ، د. ت.

٦٥ ـ تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي ، بيروت ، دار الفكر ، د. ت.

٦٦ ـ تفسير السراج المنير ، للخطيب الشربيني،بيروت،دار المعرفة،الطبعة الثانية ، د. ت.

٦٧ ـ التفسير الشامل ، أمير عبد العزيز ، القاهرة ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠. م.

٦٨ ـ تفسير الشعراوي ، القاهرة ، أخبار اليوم ، د. ت.

٦٩ ـ التفسير العلمي للقرآن ، أحمد عمر أبو حجر ، دمشق ، دار قتيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.

٧٠ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري تحقيق ، زكريا عميرات ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦.

٧١ ـ تفسير غريب القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، بيروت ، دار الهلال ، ١٩٩١.

٧٢ ـ تفسير القرآن ، لأبي مظفر السمعاني ، تحقيق ، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم الرياض دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

٧٣ ـ تفسير القرآن ، عز الدين بن عبد السلام الدمشقي ، بيروت ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦.

٧٤ ـ تفسير القرآن ، منصور بن محمد السمعاني ، تحقيق ، ياسر إبراهيم وغنيم عباس الرياض ، دار الوطن ، ١٩٩٧.

٧٥ ـ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١ هـ.

٧٦ ـ تفسير القرآن الكريم ، محمد علي الدرة ، دمشق ، دار الحكمة ، ١٩٨٢.

٧٧ ـ تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

٧٨ ـ تفسير القرآن الكريم إعرابه وبيانه ، محمد طه الدرة ، دمشق ، دار الحكمة ، ١٩٨٢.

٧٩ ـ التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠.

٨٠ ـ التفسير الكبير ، محمد فخر الدين الرازي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣.

٨١ ـ تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر المخزومي ، تحقيق ، عبد الرحمن السورتي ، بيروت ، المنشورات العلمية ، د. ت.

٨٢ ـ تفسير المراغي ، أحمد مصطفى مراغي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨.

٨٣ ـ تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، سميح عاطف الزين ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤.

٨٤ ـ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، د. ت.

٨٥ ـ التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١.

٨٦ ـ تفسير النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت.

٨٧ ـ التفسير الواضح المسير ، محمد علي الصابوني ، بيروت ، مؤسسة الريان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

٨٨ ـ التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، القاهرة ، مطبعة الاستقلال ، الطبعة السادسة ١٩٦٩.

٨٩ ـ التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ٢٠٠٠

٩٠ ـ التفسير والمفسرون ، محمد حسن الذهبي ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١.

٩١ ـ تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، اختصار محمد علي الصابوني ، القاهرة ، دار الصابوني ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨.

٩٢ ـ التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرءوف المناوي ، دمشق ـ بيروت ، دار الفكر المعاصر ، تحقيق ، محمد رضوان الداية الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ.

٩٣ ـ الثقب الأسود ، محمد رضوان المصري ، دمشق ، دار المعارف للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦.

٩٤ ـ الثقوب السوداء والأكوان الطفلة ، سيتفن هوكنغ ، ترجمة ، حاتم النجدي ، دمشق ، دار المعارف للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨.

٩٥ ـ الثقوب الكونية السوداء ، فائز فوق العادة ، دمشق ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م.

٩٦ ـ ثلاث رسائل في الإعجاز ، الرسالة الشافية ، للجرجاني ، تحقيق ، محمد خلف الله ومحمد سلام القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م.

٩٧ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، بيروت ، دار الفكر ١٤٠٥ هـ.

٩٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن فرح القرطبي ، تحقيق ، أحمد عبد العليم البردوني ، القاهرة ، دار الشعب ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٢ هـ.

٩٩ ـ الجغرافية الحيوية ، حسن أبو سمور ، عمان ، دار صفاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

١٠٠ ـ الجغرافية الفلكية ، أمين طربوش ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

١٠١ ـ الجغرافية المناخية والنباتية ، عبد العزيز شرف ، الإسكندرية ، دار الجامعات المصرية ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٨٥ م.

١٠٢ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرياض ، دار العاصمة الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ، تحقيق علي حسن ناصر وآخرون.

١٠٣ ـ الجواهر الحسان ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، د. ت.

١٠٤ ـ جواهر القرآن ، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي الطوسي ، بيروت ، دار إحياء علوم الدين ، تحقيق ، محمد رشيد رضا القباني ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٩٦ م.

١٠٥ ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، طنطاوي جوهري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١.

١٠٦ ـ الجو وتقلباته ، علي حسن موسى ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٨.

١٠٧ ـ الجيولوجيا للجميع ، عادل حاتم جوزي ، بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٠.

١٠٨ ـ الجيولوجيا والكائنات الحية ، دولت عبد الرحيم إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٩٥.

١٠٩ ـ حاشية الشهاب على البيضاوي ، لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجي ، تحقيق ، عبد الرزاق المهدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٣١٧ هـ / ١٩٩٧.

١١٠ ـ حاشية الصاوي ،على الجلالين،تحقيق ، علي الصباغ ، بيروت،دار الجيل،د. ت.

١١١ ـ حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير الإمام البيضاوي ، تحقيق ، محمد شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

١١٢ ـ الحرارة والديناميكا الحرارية ، مارك وزنماسكي وريتشارد ديثمان ، ترجمة ، محسن سالم رضوان ، القاهرة ، دار ماكجروصيل الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م.

١١٣ ـ الحيوان ، عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ ، بيروت ، دار الهلال ، تحقيق ، يحيى الشامي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧.

١١٤ ـ خلق الكون ، محمد باسل الطائي ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

١١٥ ـ دائرة المعارف الثقافية ، الأرض ، بيروت ، المركز الثقافي الحديث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠.

١١٦ ـ دائرة معارف القرن الواحد والعشرين ، القوى الفيزيائية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، د. ت.

١١٧ ـ دراسات في علوم القرآن الكريم ، فهد الرومي ، الرياض ، مكتبة التوبة ، الطبعة السابعة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

١١٨ ـ الدر المصون ، محمد السمين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ م.

١١٩ ـ الدر المنثور ، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣.

١٢٠ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، تحقيق ، عبد الوارث محمد علي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

١٢١ ـ الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون ، ستيفن ونبرغ ، ترجمة ، وائل الأتاسي ، دمشق منشورات وزارة الثقافة ١٩٨٦.

١٢٢ ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني ، للإمام البلاغي عبد القاهر الجرجاني ، بيروت ـ صيدا ، المكتبة العصرية ، تحقيق ، ياسين الأيوبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٢٣ ـ دليل فيليب للنجوم والكواكب ، باتريك مور ، ترجمة ، عبد القوي عياد الرياض ، النشر العلمي والمطابع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٢٤ ـ الديناميكا الحرارية ، فرانسيس وستون سيرس ، ترجمة ، رضا جاد جرجس وطاهر مجيد الشريتي ، البصرة ، طبع كلية التربية جامعة البصرة ، د. ت.

١٢٥ ـ الديناميكا الحرارية ، أبوت فان هيس ، ترجمة ، أحمد فؤاد باشا وسعيد بسيوني الجزائري القاهرة ، الدار الدولية للنشر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨.

١٢٦ ـ رحلة في الكون والحياة ، أحمد محمد عوف ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ م.

١٢٧ ـ روح المعاني والسبع المثاني ، محمد الألوسي أبو الفضل ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت.

١٢٨ ـ زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ.

١٢٩ ـ الزلزال الكوني الأعظم ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، جدة ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣.

١٣٠ ـ السحب ، علي حسن موسى ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٨.

١٣١ ـ سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.

١٣٢ ـ السماء في الليل ، عبد القادر عابد وعلي عبندة ، عمان ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥.

١٣٣ ـ سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، مكة المكرمة ، دار الباز تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤.

١٣٤ ـ سنن الترمذي ، محمد بن عيس الترمذي السلمي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق أحمد شاكر وآخرون ، د. ت.

١٣٥ ـ سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

١٣٦ ـ سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق ، شعيب الأرناءوط ومحمد نعيم.

١٣٧ ـ السيرة الحلبية ، علي بن برهان الدين الحلبي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٠ هـ.

١٣٨ ـ السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام الحميري ، بيروت ، دار الجيل ، تحقيق ، طه سعد ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.

١٣٩ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي ابن العماد الحنبلي الدمشقي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت.

١٤٠ ـ شرح المواقف ، لعلي بن محمد الجرجاني ، القاهرة ، منشورات الشريف الرضي ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ.

١٤١ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، د. ت.

١٤٢ ـ الشمس ، إبراهيم غوري ، بيروت ، دار الشرق العربي ، د. ت.

١٤٣ ـ الشموس المتفجرة ، إسحاق عظيموف ، ترجمة السيد عطا ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م.

١٤٤ ـ صانعوا التاريخ ، سمير شيخاني ، بيروت ، مؤسسة عز الدين ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦.

١٤٥ ـ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، بيروت ، دار اليمامة ، تحقيق ، مصطفى البغا الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ / ١٩٨٧.

١٤٦ ـ صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق شعيب الأرناءوط ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣.

١٤٧ ـ صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، بيروت ، المكتب الإسلامي تحقيق ، محمد مصطفى الأعظمي ، ١٣٩٠ هـ.

١٤٨ ـ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ت.

١٤٩ ـ صفوة التفاسير ، للصابوني ، بيروت ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥.

١٥٠ ـ ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦١.

١٥١ ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، عبد الرحمن الكواكبي ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤.

١٥٢ ـ طبقات الشافعية ، لأبي بكر أحمد بن محمد بن عمر ، بيروت ، عالم الكتاب تحقيق ، الحافظ عبد العليم خان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ.

١٥٣ ـ طبقات الفقهاء ، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، بيروت ، دار القلم ، تحقيق ، خليل الميس ، د. ت.

١٥٤ ـ الطبيعة الجوية ، محمد جمال الدين الفندي ، الكويت ، مكتبة الفلاح الطبعة الثانية ، ١٩٧٧.

١٥٥ ـ طبيعيات البحر وظواهره ، محمد جمال الدين الفندي.

١٥٦ ـ طرائف علم الفلك ، فيكتور كوماروف ، ترجمة عبد الله حبة ، موسكو ، دار مير ، ١٩٨٥.

١٥٧ ـ الطقس والمناخ ، محمد عياد مقيلي ، ليبيا ، نشر الجامعة المفتوحة ، ١٩٩٢.

١٥٨ ـ الطقس ، فورس إيك ، ترجمة ، نبيلة منسى ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨١.

١٥٩ ـ العالم الذي نقطنه ، رينيه غوير ، ترجمة ، خليل الفريجات ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٨١.

١٦٠ ـ عالم المعرفة ، الكون ، كارل ساغان ، ترجمة ، نافع أيوب لبس ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

١٦١ ـ عالم المعرفة ، النهاية ، فرانك كلوز ، ترجمة ، مصطفى إبراهيم فهمي ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

١٦٢ ـ العبر في خبر من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، تحقيق ، صلاح الدين المنجمد ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨.

١٦٣ ـ عقائد الثلاث والسبعين فرقة ، لأبي محمد اليمني ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، تحقيق محمد الغامدي ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

١٦٤ ـ علم البحار ، هاشم أحمد محمد ، نشر هلا بوك شوب ، د. ت.

١٦٥ ـ علم البحار والمحيطات ، ميلاد سعيد الرماح،ليبيا ، نشر القوات البحرية، ١٩٧.

١٦٦ ـ علم الفلك ، عبد السلام غيث ، عمان ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٢.

١٦٧ ـ علم الفلك ، هاشم أحمد ، بيروت ، هلابون ، د. ت.

١٦٨ ـ علم الفلك العام ، مرفت السيد عوض ومصطفى كمال محمود ، القاهرة ، دار الفكر العربي الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٦٩ ـ علم الفلك وفلسفة النسق الكوني ، فائز فوق العادة ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الطبعة الأولى ، ١٩٩٢.

١٧٠ ـ علم الفلك والكون ، عواد الزحلف ، عمان ، دار المناهج ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

١٧١ ـ علم المحيطات ، ريتشارد فيتر ، ترجمة ، ميشيل تكلا ، القاهرة ، مطبوعات كتابي ، د. ت.

١٧٢ ـ علم المحيطات ، كيث ستو ، ترجمة ، تلفات عناد أحمد ، البصرة ، نشر جامعة البصرة ، ١٩٨٦.

١٧٣ ـ علوم الأرض والبيئة ، فتحي أبو ناصر ، عمان ، دار اليازوري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٩ م.

١٧٤ ـ العلوم الجوية وتطبيقاتها ، محمد أحمد الشهاوي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٧٥ ـ العلوم في القرآن ، محمد جميل الحبال ومقداد الجواري ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

١٧٦ ـ العواصف والأعاصير ، علي حسن موسى ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٩.

١٧٧ ـ غاية البيان في تفسير القرآن ، حسن علوان وآخرون ، الدوحة ، مطابع قطر الوطنية ، د. ت.

١٧٨ ـ الغلاف والطقس والمناخ ، بيري شوري ، ترجمة ، عبد القادر علي ، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٩٣.

١٧٩ ـ الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، علي البجاوي ، ومحمد إبراهيم ، الطبعة الثانية ، د. ت.

١٨٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، القاهرة ، دار الريان تعليق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨.

١٨١ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق بن حسن القنوجي ، صيدا ، المكتبة العصرية ١٩٩٢.

١٨٢ ـ فتح الرحمن في تفسير القرآن ، عبد المنعم تعليب ، القاهرة ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

١٨٣ ـ فتح القدير،محمد بن علي الشوكاني ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، د. ت.

١٨٤ ـ الفتوحات الإلهية ، سليمان بن عمر العجيلي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤.

١٨٥ ـ الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، د. ت.

١٨٦ ـ فسيولوجيا النبات ، روبرت ديفلين وفرانسيس ويزام ، ترجمة ، محمد شرقاوي وآخرون ، القاهرة المجموعة العربية للنشر ، ١٩٨٥.

١٨٧ ـ فسيولوجيا النبات ، علي الهلال ، الرياض ، النشر العلمي والمطابع، ١٤٢٠ هـ.

١٨٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، بيروت ، دار المعرفة الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

١٨٩ ـ الفضاء والشهب ، محمد فتحي عوض الله ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٧٣ م.

١٩٠ ـ فضل العلم والعلماء ، لابن قيم الجوزية ، جمع وترتيب صالح الشامي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

١٩١ ـ فكرة إعجاز القرآن ، نعيم الحمصي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

١٩٢ ـ الفهرست ، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

١٩٣ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن القيم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

١٩٤ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة والعشرون ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦.

١٩٥ ـ قالوا في الإسلام والقرآن والرسول ، حسين سليم ، بيروت ، دار رشاد برسن ، ٢٠٠٢.

١٩٦ ـ القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥.

١٩٧ ـ قبس من نور القرآن ، محمد علي الصابوني ، بيروت ، مؤسسة الريان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

١٩٨ ـ القرآن الكريم أضواء على الشرق والغرب ، محمد قبيسي ، بيروت ، مؤسسة الرحاب الحديثة الطبعة الأولى ، ١٩٩٦.

١٩٩ ـ قصة الكون عجب وبهاء ، كليفورد سيماك ، ترجمة ، عبد القوي عياد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥.

٢٠٠ ـ قصة نشوء الكون ، مخلص الريس وعلي موسى ، دمشق ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠.

٢٠١ ـ القمر ، إبراهيم ، حلمي غوري ، بيروت ، دار الشرق العربي ، د. ت.

٢٠٢ ـ القمر ، محمد علي المغربي ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦.

٢٠٣ ـ قواعد الجيومورفولوجيا العامة ، جودت حسنين جودت الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦.

٢٠٤ ـ كتاب التوحيد ، عبد المجيد الزنداني ، دمشق ، دار الخير ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

٢٠٥ ـ كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق ، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي بيروت ، دار الهلال ، د. ت.

٢٠٦ ـ الكشاف ، محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

٢٠٧ ـ كوكب اسمه الأرض ، جورج جامو ، ترجمة ، الدكتورة هذارة ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٤.

٢٠٨ ـ كوكب الأرض ، حسن أبو العينين ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٩٦.

٢٠٩ ـ كوكب الأرض ، إعداد ونشر ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧.

٢١٠ ـ الكون ، هوبرت ريفرز ، ترجمة درويش الحلوجي ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.

٢١١ ـ الكون البحث عن لحظة الميلاد ، هوبرت ريفز ، ترجمة ، درويش الحلّوجي ، القاهرة ، المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦.

٢١٢ ـ الكون ذلك المجهول ، جلال عبد الفتاح ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤.

٢١٣ ـ الكون وأحجار الفضاء ، محمد فتحي عوض ، دمشق ، دار الوثبة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣.

٢١٤ ـ الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، منصور حسب النبي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١.

٢١٥ ـ الكون والطاقة ، إعداد المكتب العالمي للبحوث ، بيروت ، المكتب العالمي ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩.

٢١٦ ـ كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، د. يوسف القرضاوي ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

٢١٧ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد الخازن ، بغداد مكتبة المثنى ، د. ت.

٢١٨ ـ لباب النقول في أسباب النزول ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، د. ت.

٢١٩ ـ اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن علي الدمشقي ، تحقيق ، علي معوض وآخرون ، بيروت دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨.

٢٢٠ ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، د. ت.

٢٢١ ـ لفتات علمية من القرآن ، يعقوب يوسف ، الرياض ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧.

٢٢٢ ـ لوامع الأنوار البهية ، محمد السفاريني الحنبلي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ / ١٩٩١.

٢٢٣ ـ ما هي الجيولوجيا ، وليم ماثيوز ، ترجمة مختار رسمي ناشد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٩٥.

٢٢٤ ـ الماء والحياة بين العلم والقرآن ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، جدة ، الدار السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥.

٢٢٥ ـ مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، جدة ، دار المنارة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨

٢٢٦ ـ مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة العشرون ١٩٩٧.

٢٢٧ ـ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، الرياض ، مكتبة المعارف الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.

٢٢٨ ـ مبادئ الطاقة الشمسية وتطبيقاتها ، سهيل فاضل وإلياس الكبة ، بيروت ، دار الحداثة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧.

٢٢٩ ـ مبادئ المناخ الطبيعي ، إبراهيم العرود ، عمان ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧.

٢٣٠ ـ المجرات والكوازرات ، وليام كاوفمان ، ترجمة ، عبد الكريم السامرائي ، بغداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩.

٢٣١ ـ مجلة العربي ، الكويت ، العدد ٣١٣ ديسمبر ، ١٩٨٤.

٢٣٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق هاشم المحلاتي ، طهران المكتبة العلمية ، د. ت.

٢٣٣ ـ المجموعة الشمسية واحتمالات الحياة عليها ، زين العابدين متولي ، القاهرة ، مركز جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧.

٢٣٤ ـ المجموعة الشمسية ومجال الجاذبية الكونية ، الأمين محمد كعورة ، القاهرة ، المكتب المصري الحديث ، د. ت.

٢٣٥ ـ محاسن التأويل ، محمد القاسمي ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨.

٢٣٦ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن عطية ، تحقيق ، عبد الله الأنصاري وعبد العال إبراهيم ، الدوحة ، مطابع قطر الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨.

٢٣٧ ـ المحيرات الفلكية ، عبد الرحيم بدر ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الطبعة الأولى ١٩٨٤.

٢٣٨ ـ المحيط الكوني وأسراره ، نجيب زبيب ، بيروت ، دار الأمير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤.

٢٣٩ ـ المحيط الكوني وأسراره ، نجيب زبيب ، ص ٦٧ ، وانظر : في أعماق الفضاء ، عبد الحميد سماحة بيروت ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠.

٢٤٠ ـ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، تحقيق ، محمود خاطر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥.

٢٤١ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، بيروت ، دار النفائس د. ت.

٢٤٢ ـ مدخل إلى علم المناخ ، ضاري العجمي ومحمود صفر ، الكويت ، مكتبة الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧.

٢٤٣ ـ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر نووي الجاوي ، تحقيق ، محمد أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧.

٢٤٤ ـ المستشرقون ، نجيب العقيقي ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة د. ت ، ٢ / ١٠٢.

٢٤٥ ـ مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي ، تحقيق ، حسن سليم أسد ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤.

٢٤٦ ـ مسند أحمد ، أحمد بن حنبل الشيباني ، القاهرة ، مؤسسة قرطبة ، د. ت.

٢٤٧ ـ مسند الشافعي ، محمد بن إدريس الشافعي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت.

٢٤٨ ـ مسند عبد بن الحميد ، عبد بن حميد بن نصر الكسي ، القاهرة ، مكتبة السنة ، تحقيق ، صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨.

٢٤٩ ـ مشاهير القرن العشرين ، محمد بوذينة ، تونس ، مطبعة تونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤.

٢٥٠ ـ مشهد الرياح وتصريفها ، عبد الكريم العثمان ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧.

٢٥١ ـ المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، بيروت ، المكتبة العلمية ، د. ت.

٢٥٢ ـ المعارف الكونية ، إعداد ، نخبة من العلماء ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨.

٢٥٣ ـ معالم التنزيل ، حسين بن مسعود البغوي ، تحقيق ، خالد العك ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧.

٢٥٤ ـ معاني القرآن ، لأبي إسحاق إبراهيم بن الري الزجاج ، تحقيق ، عبد الجليل شلبي ، بيروت عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨.

٢٥٥ ـ معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء ، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ.

٢٥٦ ـ معاني القرآن الكريم ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق ، محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، نشر جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ.

٢٥٧ ـ المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، بيروت ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩.

٢٥٨ ـ المعجزة القرآنية ، محمد حسن هيتو ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩.

٢٥٩ ـ المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت.

٢٦٠ ـ معجم أعلام المورد ، منير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢.

٢٦١ ـ معجم الأدباء ، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، بيروت ، دار صادر ، د. ت.

٢٦٢ ـ المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن ، عبد العزيز السيروان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦.

٢٦٣ ـ معجم الفرق الإسلامية ، شريف يحيى الأمين ، بيروت ، دار الأضواء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦.

٢٦٤ ـ المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني ، تحقيق ، حمدي السلفي ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣.

٢٦٥ ـ معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، بيروت ، دار الجيل ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، د. ت.

٢٦٦ ـ معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز ، عبد الكريم الأسعد ، الرياض ، دار المعراج ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨.

٢٦٧ ـ المغرب في ترتيب المعرب ، ناصر الدين بن علي المطرز ، تحقيق ، محمد فاخوري وعبد المجيد مختار ، حلب ، مكتبة أسامة بن زيد ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩.

٢٦٨ ـ مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق ، صفوان داودي ، دمشق ، دار القلم الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧.

٢٦٩ ـ مفكرون من عصرنا ، سامي خشبة ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١.

٢٧٠ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن الأشعري ، صيدا ـ بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق ، محي الدين عبد الحميد ، د. ت.

٢٧١ ـ المقدمة ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، بيروت ـ صيدا ، المكتبة العصرية ، تحقيق ، درويش جويدي ، ١٤٢٢ هـ.

٢٧٢ ـ مقدمة في علم الفلك ، توماس آربني ، ترجمة ، د. أحمد الحصري ، دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨.

٢٧٣ ـ المكان والزمان في العالم الكوني الحديث ، ب. د. ديفيس ، ترجمة ، أدهم السمان ، دمشق مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨.

٢٧٤ ـ الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق ، محمد كيلاني ١٤٠٤ هـ.

٢٧٥ ـ من الآيات العلمية ، عبد الرزاق نوفل ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦.

٢٧٦ ـ من الذرة إلى المجرة ، حمادة العائدي ، عمان ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤.

٢٧٧ ـ من الذرة إلى المجرة ، محمد صالح المحب ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، د. ت.

٢٧٨ ـ من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، موسى الخطيب ، القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤.

٢٧٩ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق ، مكتب البحوث والدراسات ، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

٢٨٠ ـ المنظومة الشمسية ، سمير عازار ، بيروت ، دار النهار ، ١٩٩١.

٢٨١ ـ المنظومة الشمسية ، عبد الأمير المرتضى المؤمن ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٢٨٢ ـ المنظومة الشمسية ، علي موسى ومخلص الريس ، دمشق ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣.

٢٨٣ ـ من علم الفلك القرآني ، عدنان الشريف ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧.

٢٨٤ ـ المنهج الإيماني للدراسات الكونية ، عبد العليم عبد الرحمن خضر ، جدة ، الدار السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧.

٢٨٥ ـ الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي ، بيروت دار المعرفة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٢٨٦ ـ موجز في تاريخ الزمان ، ستيفن هوكنغ ، ترجمة ، مصطفى فهمي ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ٢٠٠١.

٢٨٧ ـ مورفولوجيا النباتات الزهرية ، مصطفى الحديدي ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م.

٢٨٨ ـ موسوعة الظواهر الطبيعية ، خليل بدوي ، عمان ، دار عالم الثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠.

٢٨٩ ـ موسوعة عالم المعرفة ، بيروت ، دار نوبليس ، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

٢٩٠ ـ موسوعة غينيس في علم الفلك ، باتريك موور ، ترجمة ، مركز التعريب والبرمجة ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

٢٩١ ـ الموسوعة الفلكية ، خليل بدوي ، عمّان ، عالم الثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩.

٢٩٢ ـ الموسوعة الكاملة الكون ، بيروت نوبيلس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧.

٢٩٣ ـ موسوعة الكون والفضاء والأرض ، موريس شربل ورشيد فرحات ، بيروت ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩.

٢٩٤ ـ موسوعة الكويت العلمية للكيمياء ، الكويت ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٢٩٥ ـ موطأ مالك ، مالك بن أنس الأصبحي ، القاهرة ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ت.

٢٩٦ ـ الميكروكمبيوتر وعلم الفلك ، محمد رشاد الدين مصطفى ، بيروت ، دار الراتب ، د. ت.

٢٩٧ ـ النبوات ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، د. ت.

٢٩٨ ـ النجم الغريب مولد الشمس وموتها ، جون غريبين ، ترجمة ، فائز فوق العادة ، دمشق ، دار الشيخ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨.

٢٩٩ ـ نحن والكون ، عبد الوهاب سليمان ، الكويت ، مؤسسة الكويت التقدم العلمي ، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

٣٠٠ ـ نشأة الكون ، السموات السبع ، محمد جمال الدين الفندي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣.

٣٠١ ـ هـذا خلـق الله ، الـدكتور عبـد الحليم كامـل ، القـاهرة ، المكتبـة الأكاديميـة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤.

٣٠٢ ـ هـل مـن كائنـات عاقلة خـارج الأرض ، نـزار دنـدش ، بيروت ، دار المؤلـف ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠.

٣٠٣ ـ هـل نحـن وحـدنا في هـذا الكـون ، محمـد عبـده يمـاني المنامـة ، بيـت القـرآن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦.

٣٠٤ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق ، صفوان داودي ، دمشق دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ.

٣٠٥ ـ الوجيز في الجيولوجيا ، ليون موريه ، ترجمة ، يوسف خوري وعبد الرحمن حميدة ، دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧.

٣٠٦ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، تحقيق ، علـي معـوض وآخـرون ، بـيروت ، دار الكتـب العلميـة ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

ثالثا : مواقع الإنترنت.

1 - http://www.albayan.co.ae/albayan/2002/11/30/mnw/11.htm.
2 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap010609 .
3 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap990419.html.
4 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap010423.html.
5 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap010204.html.
6 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap001118.html.
7 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap960520.html.
8 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap030310.html.
9 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap950724.html.
10 - http:/antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap010508.html .
11 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap950628.html.
12 - http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap010508.html.
13 - http://www.doubledeckerpress.com/NEWPAGE9.HTM.
14 - http://www.doubledeckerpress.com/Hawaii.htm.
15 - http://www.nineplanets.org/overview.html.
16 - http://planetscapes.com/solar/eng/homepage.htm.
17 - http://planetscapes.com/solar/cap/ds/milkyway.htm.
18 - http://www.peakware.com/encyclopedia/peaks/photos/gasherbrum.htm.
19 - http://www.schoolarabia.net/kemya/general_chemistry/glossary/chem_1/chem.htm .
20 - http://zizooo.ws/z.php? name = Gallery&do = showpic&pid = 329&orderby = dateD.
21 - hHp:// www. zizooo. ws/z. php? name = Gallery and & do = showpic& pid = 2035 order by = date D.
22 - http://zizooo.ws/z.php?name = Gallery&do = showpic&pid = 4074&orderby = dateD.
23 - http://zizooo.ws£z.php?name = Gallery&do = showpic&pid = 4113&orderby = dateD.
24 - http://zizooo.ws/z.php?name = Gallery&do = showpic&pid = 323&orderby = dateD.
25 - http://zizooo.ws/z.php?name = Gallery&do = showpic&pid = 4077&orderby = dateD

# الفهرس

الموضوع الصفحة

الإهداء..... ٥
مقدمة..... ٧
مقدمة..... ١٠
مقدمة..... ١١
المقدمة ..... ١٣
خطّة البحث ..... ١٧
الفصل الأوّل : مفهوم المعجزة..... ٢١
تمهيد..... ٢٣
المبحث الأول : تعريف المعجزة..... ٢٥
المعجزة اصطلاحا ..... ٢٦
المبحث الثاني : الفرق بين معجزة النبي ومعجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام ..... ٢٩
أولا : معجزات الأنبياء عليهم السلام ..... ٢٩
ثانيا : معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ..... ٣٤
المعجزات الحسية..... ٣٤
١ ـ نبع الماء..... ٣٥
٢ ـ تكثير الطعام..... ٣٦
٣ ـ حنين الجذع ..... ٣٧
٤ ـ انشقاق القمر..... ٣٨
المبحث الثالث : مراحل التحدي بالقرآن الكريم..... ٤٢
المرحلة الأولى ..... ٤٥
المرحلة الثانية ..... ٤٦

المرحلة الثالثة .....٤٨
القدر المعجز عند المعتزلة.....٥١
المبحث الرابع : عجز المشركين واعترافهم بعظمة القرآن.....٥٣
١ ـ اعتراف بلغاء المشركين بإعجاز القرآن.....٥٥
أولا ـ عتبة بن ربيعة.....٥٥
ثانيا ـ الوليد بن المغيرة .....٥٧
ثالثا ـ النضر بن الحارث.....٥٨
أذى النضر للرسول ﷺ .....٥٨
٢ ـ اعتراف فصحاء العرب المؤمنين بإعجاز القرآن.....٦٠
أولا ـ عمر الخطاب رضي الله عنه .....٦٠
ثانيا ـ الطفيل بن عمرو الدوسي .....٦٢
ثالثا ـ لبيد بن ربيعة.....٦٣
رابعا ـ أنيس أخو أبي ذر الغفاري .....٦٤
الفصل الثاني : نشأة مصطلح إعجاز القرآن.....٦٩
تمهيد.....٧١
المبحث الأول : الصّرفة والقائلون بها.....٧٣
الصّرفة لغة .....٧٣
الصرفة اصطلاحا .....٧٤
القائلون بالصرفة .....٧٥
١ ـ النظام.....٧٥
٢ ـ الشريف المرتضى من الشيعة .....٧٨
٣ ـ ابن حزم الأندلسي الفقيه الظاهري .....٧٩
٤ ـ ابن سنان الخفاجي .....٨٠
المبحث الثاني : نقد مذهب الصرفة.....٨٣
أولا : الرد على النظّام ومن حذى حذوه .....٨٣
ثانيا : الرد على المرتضى ومن شايعه.....٨٨

المبحث الثالث : أوجه إعجاز القرآن .....٩٢
هل من جهة أسلوبه ودقة عبارته وكلامه؟.....٩٢
أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟.....٩٢
أم أن الإعجاز جاء من جهة المعاني التي تضمنها القرآن الكريم؟.....٩٢
أولا ـ وجوه إعجاز القرآن كما حددها الإمام الباقلاني.....٩٤
ثانيا ـ القاضي عياض ووجوه إعجاز القرآن.....٩٩
الرأي المختار في تحديد أوجه إعجاز القرآن .....١٠٢
الفصل الثالث : الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين .....١٠٥
تمهيد.....١٠٧
المبحث الأول : أبرز المؤيّدين من العلماء القدامى .....١٠٩
أولا ـ الإمام أبو حامد الغزالي.....١٠٩
ثانيا ـ فخر الدين الرازي.....١١٢
ثالثا ـ الإمام الزركشي .....١١٤
رابعا ـ الإمام السيوطي.....١١٦
المبحث الثاني : أبرز المؤيدين من العلماء المعاصرين.....١١٨
أولا ـ الإمام محمد عبده.....١١٨
ثانيا ـ عبد الرحمن الكواكبي.....١٢٠
**القسم الثاني : المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال**
أولا ـ وحيد الدين خان .....١٢٣
ثانيا ـ الدكتور محمد جمال الدين الفندي .....١٢٥
ثالثا ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي.....١٢٧
المبحث الثالث : أبرز المعارضين من العلماء القدامى والمعاصرين.....١٣٠
أولا ـ المعارضون من العلماء القدامى.....١٣٠
الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي.....١٣٠
ثانيا ـ المعارضون من العلماء المعاصرين.....١٣٢
١ ـ الشيخ محمود شلتوت.....١٣٢
٢ ـ سيد قطب .....١٣٤

٣ ـ محمد عبد العظيم الزرقاني..... ١٣٧
٤ ـ محمد رشيد رضا..... ١٣٩
المبحث الرابع : أدلة الفريقين..... ١٤١
أولا ـ من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي..... ١٤١
ثانيا ـ من أدلة المعارضين للتفسير العلمي..... ١٤٢
الترجيح..... ١٤٣
الفصل الرابع : الإعجاز القرآني في علم الفلك..... ١٥١
تمهيد..... ١٥٣
المبحث الأول : بين الإسلام والعلم..... ١٥٥
أولا ـ الإسلام دين العلم..... ١٥٥
ثانيا ـ الإعجاز العلمي سبيل من سبل الدعوة..... ١٥٨
ثالثا ـ ضوابط التفسير العلمي للقرآن..... ١٦١
المبحث الثاني : مولد الكون ونشأته بين القرآن والعلم..... ١٦٦
**مراحل الخلق**
أولا ـ مرحلة الرتق والفتق..... ١٦٧
ثانيا ـ مرحلة خلق السموات والأرض..... ١٧١
ثالثا ـ مرحلة دحو الأرض..... ١٧٣
الحقائق العلمية..... ١٧٧
الإعجاز..... ١٨١
المبحث الثالث : تمدد الكون وتوسعه..... ١٨٤
الحقائق العلمية..... ١٨٦
الإعجاز..... ١٩٠
المبحث الرابع : نهاية الكون بين القرآن والعلم..... ١٩٣
الإعجاز..... ٢٠١
الفصل الخامس : الإعجاز القرآني في الشمس..... ٢٠٧
تمهيد..... ٢٠٩

المبحث الأول : تحركات الشمس وانتقالاتها..... ٢١٠
تحركات الشمس وانتقالاتها..... ٢١١
الحقائق العلمية ..... ٢١٤
حركات الشمس ..... ٢١٤
الإعجاز ..... ٢١٦
المبحث الثاني : الشمس متوهجة ملتهبة..... ٢١٩
الحقائق العلمية ..... ٢٢١
الإعجاز ..... ٢٢٥
المبحث الثالث : تعدد الشموس والأقمار ..... ٢٢٦
الحقائق العلميّة ..... ٢٢٨
الإعجاز ..... ٢٣٥
المبحث الرابع : موت الشمس ونهايتها بين القرآن والعلم ..... ٢٣٧
الحقائق العلمية ..... ٢٤٠
الإعجاز ..... ٢٤٢
الفصل السادس : الإعجاز القرآني في الأرض..... ٢٤٣
تمهيد..... ٢٤٥
المبحث الأول : كروية الأرض..... ٢٤٦
الحقائق العلمية ..... ٢٥٣
الإعجاز ..... ٢٥٤
المبحث الثاني : حركة الأرض ودورانها..... ٢٥٦
الحقائق العلمية ..... ٢٦١
الإعجاز ..... ٢٦٣
المبحث الثالث : جاذبية الأرض..... ٢٦٤
الحقائق العلمية ..... ٢٦٨
الإعجاز ..... ٢٧٠
المبحث الرابع : الغلاف الجوي ومنافذه للأرض ..... ٢٧١
الحقائق العلمية ..... ٢٧٤

الإعجاز ..... ٢٧٨
الفصل السابع : الإعجاز القرآني في القمر..... ٢٨١
تمهيد..... ٢٨٣
المبحث الأول : القمر منير ..... ٢٨٤
الحقائق العلمية ..... ٢٨٨
الإعجاز ..... ٢٨٩
المبحث الثاني : انشقاق القمر ..... ٢٩١
الحقائق العلمية ..... ٢٩٣
الإعجاز ..... ٢٩٦
المبحث الثالث : منازل القمر ..... ٢٩٨
الحقائق العلمية ..... ٢٩٩
الإعجاز ..... ٣٠٣
المبحث الرابع : وجمع الشمس والقمر ..... ٣٠٤
الحقائق العلمية ..... ٣٠٥
الإعجاز ..... ٣٠٦
الفصل الثامن : الإعجاز القرآني في الرياح..... ٣٠٧
تمهيد..... ٣٠٩
المبحث الأول : أنواع الرياح بين القرآن والعلم ..... ٣١١
الحقائق العلمية ..... ٣١٥
الإعجاز ..... ٣١٩
المبحث الثاني : تكوين السحب وأنواعها بين القرآن والعلم..... ٣٢٠
الحقائق العلمية ..... ٣٢٢
أنواع السحب من حيث النشأة..... ٣٢٣
الحقائق العلمية ..... ٣٢٨
أنواع الغيوم..... ٣٢٩
الإعجاز ..... ٣٣١

المبحث الثالث : البرق والبرد بين القرآن والعلم..... ٣٣٣
الحقائق العلمية ..... ٣٣٥
الإعجاز ..... ٣٣٨
الفصل التاسع : الإعجاز القرآني في الجبال ..... ٣٣٩
تمهيد..... ٣٤١
المبحث الأول : تكوين الجبال..... ٣٤٣
الحقائق العلمية ..... ٣٤٥
الإعجاز ..... ٣٤٩
المبحث الثاني : الجبال تحافظ على توازن الأرض ..... ٣٥٠
الحقائق العلمية ..... ٣٥٢
الإعجاز ..... ٣٥٣
المبحث الثالث : الرواسي الشامخات والماء الفرات ..... ٣٥٦
الحقائق العلمية ..... ٣٥٨
الإعجاز ..... ٣٦٠
المبحث الرابع : حركة الجبال وتعدّد صخورها ..... ٣٦٢
الحقائق العلمية ..... ٣٦٤
الإعجاز ..... ٣٦٧
الفصل العاشر : الإعجاز القرآني في البحار..... ٣٦٩
تمهيد..... ٣٧١
المبحث الأول : ظلمات البحار وتنوع الأمواج..... ٣٧٣
الحقائق العلمية ..... ٣٧٦
الإعجاز ..... ٣٧٩
المبحث الثاني : مرج البحرين يلتقيان..... ٣٨٠
الحقائق العلمية ..... ٣٨٣
الإعجاز ..... ٣٨٦
المبحث الثالث : والبحر المسجور ..... ٣٨٨

الحقائق العلمية ..... ٣٩٠
الإعجاز ..... ٣٩١
المبحث الرابع : اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء ..... ٣٩٢
الحقائق العلمية ..... ٣٩٥
الإعجاز ..... ٣٩٧
الخاتمة ..... ٣٩٨

**الفهارس**

فهرس الآيات ..... ٤٠٥
فهرس الأحاديث ..... ٤١٤
قائمة المصادر والمراجع..... ٤١٥
الفهرس..... ٤٣٧